جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
قسم التاريخ

الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسى فى موريتانيا (١٩٠٣ - ١٩٦٠)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير فى الدراسات الأفريقية
من قسم التاريخ (التاريخ الحديث والمعاصر)

إعداد الباحث
على بدوى على سالمان

إشراف

ا.د : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية

د : ماهر عطية شعبان
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية

٢٠٠٣

الإجـــــــــــــازة

أجــازت لجــنة الحكم والمناقشة هذة الرسالة للحصول علي درجة الماجستير في الدراسات الأفريقــية مـــن قســـم التاريخ "حديث ومعاصر" بتقدير جيد جداً بتاريخ ٢٠٠٣/١٠/٥ بعد إستيفاء جميع المتطلبات .

لجنة الحكم علي الرسالة

أ.د. شوقي عطا الله الجمل

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المتفرغ بالمعهد رئيساً

أ.د. رأفت غنيمي الشيخ

. أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المتفرغ بجامعة الزقازيق عضواً

أ.د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المتفرغ بالمعهد مشرفاً

بصوت واحد

د. ماهر عطية شعبان

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد بالمعهد مشرفا

ملخص الرسالة

الطالب / علي بدوي علي سالمان

عنوان الرسالة / الطريقة القادرية و الاستعمار الفرنسي في موريتانيا ١٩٠٣-١٩٦٠

تنقسم الرسالة إلى مقدمة و تمهيد و خمسة فصول و خاتمة .

تناول التمهيد التصوف بشكل عام و الطريقة القادرية و طريقة دخولها إلى موريتانيا و علاقتها بالطرق الأخرى . وتناول الفصل الأول الاحتلال الفرنسي لموريتانيا منذ ١٩٠٣ وحتى ١٩٣٤ ثم المخططات الفرنسية في موريتانيا حتى السيطرة عليها ويعالج الفصل الثاني القوى القادرية و مواقفها من الاستعمار الفرنسي و بالجماعات المؤيدة للاستعمار واوجه التعاون معه و كذلك القوى المعارضة للاستعمار وعلاقة القادرية بالسلطات المحلية و القوى الخارجية آما الفصل الثالث فيدور حول الدور الثقافي للطريقة القادرية و أثر هذا الدور على المقاومة من خلال المحاظر في موريتانيا أما الفصل الرابع فيدور حول الطريقة القادرية والإدارة الفرنسية منذ سنة ١٩٣٤ و حتى الاستقلال سنة ١٩٦٠ . أما الفصل الخامس فيركز على أثار الاستعمار سواء كانت سياسية اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية ويختم الباحث رسالته بخاتمة تتناول أهم ما توصلت إليه الرسالة من خلاصة للدور الصوفي للطريقة القادرية ومقاومة الاستعمار الفرنسي في موريتانيا و أرفق الباحث عدداً من المخطوطات و الوثائق التي تؤيد وجهة نظره .

ABSTRACT

Name : Ali Badawy Ali Salman.
Nationality : Egyptian.
Degree : Master of Arts.
Specialization : Modern African History.
Supervisors : Prof. Dr. Abdulla Abdelrazik
Dr. Maher Attia Shaaban.

Title of the thesis " The Quadiri Order and French colonization of Mauritania.

Summary :

The Thesis is divided into an introduction and a preliminary chapter and five other chapters and a conclusion.

The Preliminary chapter is about Sufism in general and the Quadiri order and the relation with the other orders in the country.

The First Chapter deals with the French occupation to Mauritania since 1903 till 1934 and the French plans till the colonization of the country.

The second Chapter deals with the Quadiri power and its role against the French and the Powers that sponsored the French.

The Third Chapter focuses on the cultural role of the Quadiri order and its effect on the Mahadirs.

The Fourth Chapter deals with the Quadiri order and the French administration from 1934 till independence.

The Fifth Chapter sheds light on the political, economic, cultural and social effects of the French coloniztion of Mauritania.

The Thesis ends with the conclusion of the main ideas discussed in the chapters.

The researcher encloses the thesis with a number of documents and manuscripts that are unpublished to assure his point of view about the great role played by the Sufi orders in the face of foreign powers that tried to cancel the Islamic powers in Mauritania. There are also some maps showring the various places of Sufi influence.

الفهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد النبــي الأمي الأمين صلي الله عليه وعلي آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الي يوم الدين ،،

" ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا وإليك المصير "

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة :

كان لموقع موريتانيا (شنقيط) كما كانت تعرف عبر العصور الإسلامية على الحدود الغربية للوطن العربى بين خطي الطول ٥-١٧ غربا وبين دائرتي العرض ١٦ ـ ٢٧ شمالا ، ويحدها المحيط الأطلسي غربا ، ومن الجنوب نهر السنغال ، ومن الشرق والجنوب الشرقى دولة مالي ومن الشمال الشرقي الجزائر ومن الشمال الصحراء الغربية أهميه كبيرة على خريطة الصراع فى منطقة شمال غرب أفريقيا .

ومن حيث العرق يتألفون من القبائل العربية وقلة من القبائل الأفريقية وكان يعيشون علىالرعي والزراعة ويعتبر الملح والثروة الحيوانية هما المصدران الأساسيان للاقتصاد .

كما أن موريتانيا لم تحظ باهتمام الباحثين العرب علي المستوى الأكاديمي رغم أنها دولة عربية إسلامية إفريقية الأمر الذي أدى إلى نقص ملحوظ في المراجع العلمية العربية ، وإن وجدت كتابات مترجمة للقادة والحكام الفرنسيين أمثال فيدرب وغيره فقد اتسمت كتاباتهم في مجملها بالطابع الاستعماري وتجاهل الحقائق وتشويه تاريخ البلاد وطمس جهود زعمائها وتشويه صورتهم وإن كانت بعض هذه الكتابات قد اقتصرت علي ذكر المعارك التي دارت بين السكان المحليين و الفرنسيين وكثيراً ما كان أصحاب هذه الكتابات يتباهون بانتصاراتهم العسكرية ويتفاخرون بشخصياتهم وكانت كتاباتهم تتصف بالنزعة الاستعمارية والبغض الغريزي لكل ما له صلة بالإسلام والمسلمين عقيدة وحضارة

-وهذا البحث يهدف الي دراسة الفترة التاريخية من بداية القرن العشرين حتى نالت هذه الدولة الشقيقة استقلالها عام ١٩٦٠م من ناحية الآثار الاستعمارية علي هذه الدولة .

-كما يهدف إلى إظهار دور الطريقة القادرية في مقاومتها للاستعمار الفرنسي بكل أشكال المقاومة عسكرية كانت أو ثقافية . وقد حدد البحث زمنيا بسنة ١٩٠٣ تاريخا لدخول الاستعمار الفرنسي فى موريتانيا وبداية الاحتلال وانقسام الطريقة القادرية الى فريقين أحدهما

سيدياباب

-ولهذه الأسباب وقع اختيار الباحث على دراسة الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسى فى الفترة من ١٩٠٣ ــ ١٩٦٠.

- وقد قسم الباحث الموضوع الى مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

تناول فى **التمهيد** التصوف عامة من حيث نشأته ومراحل تطوره وانتشاره ودخوله إلى غرب إفريقيا و موريتانيا ثم دخول الطريقة القادرية إلى شمال غرب أفريقيا علي يد أبي مدين شعيب الأشبيلي وأهم الطرق الصوفية في موريتانيا وعلاقة هذه الطرق بالطريقة القادرية ثم دخول الطريقة القادرية إلي موريتانيا علي يد الشيخ عبد الكريم المغيلى ومن جاء بعده و صلة التصوف بالقوى الاستعمارية قبل الاحتلال الفرنسي لموريتانيا و التعاليم الأساسية للمدرسة القادرية من مبادئ وأوراد وأحزاب وأفكار وصلوات مع بيان الشروط الواجب توافرها في المريد وعلاقة فرنسا بموريتانيا قبل سنة ١٩٠٣ .

وتناول فى **الفصل الأول** الاحتلال الفرنسى لموريتانيا منذ سنة ١٩٠٣- ١٩٣٤م ثم المخططات الفرنسية في موريتانيا حتى تمكنت من فرض سيطرتها علي كامل التراب والشعب الموريتاني العنيد الذي قاوم المستعمر بكل ما يملك من قوات كانت ضئيلة عددا وعتاداً فى الوقت الذى كان فيه المستعمر أكثر عددا وأقوي عتادا وأحدث أسلحة وأكثر تنظيما وأعلي معرفة بفنون القتال ووسائله وأساليبه وما اتبعته فرنسا من سياسة فى موريتانيا فى هذه الفترة .

وتناول فى **الفصل الثاني** القوي القادرية ومواقفها من الاستعمار الفرنسي والجماعات المؤيدة للاستعمار واوجه التعاون معه وأسانيدهم فى ذلك وكذلك الجماعات المعارضة ومواقفها المختلفة منة ثم علاقة القادرية بالسلطات المحلية والقوى الخارجية.

وتناول فى **الفصل الثالث** الدور الثقافي للطريقة القادرية وأثر هذا الدور علي المقاومة من خلال المحاظر في موريتانيا و صلة القادرية بها و النظام التعليمي الصوفي القادري في

مواجهة النظام التعليمي الفرنسي ودور الشيخ ماء العينين في المجال الثقافى والروحى وأثرة على المقاومة.

وتناول فى **الفصل الرابع** الطريقة القادرية والإدارة الفرنسية من ١٩٣٤م إلى الاستقلال ١٩٦٠م و السياسة الفرنسية وموقف الطريقة القادرية من هذه السياسة وكذلك الطريقة القادرية والحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي حتى الاستقلال .

ثم تناول فى **الفصل الخامس** آثار الاستعمار سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية على موريتانيا فى فترة الدراسة .

وقد واجهة الباحث صعوبات كثيرة فى هذه الدراسة خلال فترة البحث منها ندرة المصادر والمراجع الأجنبية [illegible] وكذلك المخطوطات الأصلية كانت مكتوبة بالخط المغربى القديم وغيره من الخطوط التى كانت متداولة فى العصور السابقة لكن بالصبر والجلد والأناة ومساعدة إخوة أفاضل من موريتانيا تم التغلب على هذه العقبة .

وقد اعتمد الباحث على العديد من المخطوطات العربية التى وصلته من موريتانيا ومن أهمها مخطوط بعنوان " الجواب المحتوم للمنكر علينا فى أمر الروم (النصارى) " للشيخ سعد أبية بن الشيخ محمد فاضل وهو من أقطاب القادرية الذين أيدوا دخول المستعمر الى موريتانيا .

وقد استفاد منة الباحث فى توضيح ما استند إلية مؤيدى الاستعمار الفرنسى من أساليب وأدله من الكتاب والسنة فى موقفهم تجاه الفرنسيين .

وكذلك مخطوط " هداية من حار فى أمر النصارى " للشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل وهو من أقطاب الطريقة القادرية الرافضين المعارضين المقاومين للمستعمر الفرنسى وقد استفاد منة الباحث فى ردة على الذين هادنوا المستعمر الفرنسى واستندوا لموقفهم هذا الى القران والسنة النبوية المطهرة.

وكذلك الى العديد من رسائل الأمراء الى الفقهاء ورسائل الأمراء الى الولاء الفرنسيين ورسائل الشيخ ماء العينين التى يدعو فيها الى الجهاد فى سبيل الله .

وكذلك استطاع الباحث الحصول على صورة من تقرير كوبولانى مهندس الاحتلال البريطانى الى الحاكم العام الفرنسى لغرب إفريقيا بعد أن كلفة حاكم السودان الفرنسى ترنتيان

Trintinan بمهمة التعرف على سكان موريتانيا سنة ١٨٩٨ لإخضاعهم للسلطة الفرنسية واستفاد الباحث من هذا التقرير فى توضيح أهمية موريتانيا الاستراتجية وظهور اسمها رسميا لاول مرة .

اعتمد الباحث على العديد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية التى وصلته من موريتانيا والتى أفادت الباحث فى إنهاء هذه الدراسة .

وفى النهاية لايسعنى إلا أن أتقدم بخالص شكرى بعد حمد الله وشكره إلى أستاذى الأستاذ الدكتور / عبد الله عبد الرازق إبراهيم استاذ التاريخ الحديث والوكيل السابق بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة الذى لم يبخل على بعلمه وتوجيهاته طيلة مراحل البحث وكان لتشجيعه المتواصل وعلمه الغزير ونصائحه المفيده ووقوفه بجانبى ناصحا مخلصا وموجها عارفا أثره فى إخراج هذا البحث الذى أرجو أن يحوز الرضا والقبول ، ولا يفوتنى أن أشكر الدكتور / ماهر عطية شعبان ، الأستاذ المساعد بقسم التاريخ على توجيهاته والوقوف بجانبى وإسدائه النصح والإرشاد لى طوال فترة إعداد الرسالة فله منى خالص الشكر وأجزله ، ولا يفوتنى إلا أن أتقدم بالشكر العظيم والتقدير إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم بقبول مناقشة هذا البحث حتى يتسنى لى الاستفادة من ملاحظاتهم القيمة كما أتوجه بالشكر الى الأخوة الأماجد من الدولة الشقيقة موريتانيا والذين ساعدونى وأعانونى بكل ما يملكون من مادة علمية مكتوبة أو شفهية كما أشكر زملائى بالعمل بالأزهر الشريف لمساعدتهم لى وتشجيعهم لى طوال فترة البحث كما أتقدم بخالص شكرى وتقديرى للسادة العاملين بمكتبة معهد البحوث والدراسات الأفريقية

التـــمهـــيـــد

التصوف والطرق الصوفية.فى موريتانيا

اولا : التصوف في موريتانيا .

ثانيا : الطريقة القادرية ــ مبادؤها ــ فروعها ــ أورادها .

ثالثا : أهم الطرق الصوفية في موريتانيا .

رابعا :- الفرنسيون وعلاقتهم بموريتانيا قبل الاحتلال

أولاً: التصوف في موريتانيا :
التصوف و الصوفية :

إختلف المؤرخون حول نشأة التصوف وإختلفوا حول كلمة التصوف هل هي عربية أم يونانية. والحقيقة ان هذه الكلمة تعددت حولها التفسيرات ، فهناك من يقول أن كلمة صوفي نسبة إلى رجل مَنْ بنى صوفة انقطع إلي خدمة البيت الحرام وتشابه مع الصوفية في إنقطاعهم للعبادة([1])، ومنهم من يقول أن كلمة صوفي نسبة إلي الصفاء (٢) ومنهم من يقول أنها كلمة سوفيا اليونانية (٣) ومنهم من يقول أنها نسبة إلي الصفا حيث يكون الصوفية في الصف الأول لمقامهم ومكانتهم بين البشر (٤) ، ومنهم من يقول أنها نسبة إلي أهل الصفة وهم مجموعة من الصحابة كان مجلسهم في مؤخرة مسجد الرسول صلي الله عليه وسلم بالمدينة وإنقطعوا للعبادة في شوق ولهفة وحال الصوفية يشبه حالهم (٥) ، ومنهم من يقول أن صوفي من ملبس الصوف لأنه كان لباس أهل الزهد والتقشف والنسك (٦) ،ومنهم من يقول أن الصوف نسبة الي صوفة فقد ذكر ابن الجوزي أن المشابهة بعيدة حيث إنقطاع صوفة للمسجد الحرام كان طلبا للرزق والعيش اما إنقطاع الصوفية فهو إنقطاع فيه رغبة في الجنة وهروب من الدنيا (٧) ، ومن قال إن الصوفية من الصفا بعيد عن مقتضي اللغة يقول القشيري" ومن قال أنها من الصفاء فإشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد عن مقتضى اللغة ". ومن قال أنها نسبة إلي كلمة صوفيا اليونانية فهذا الرأى يسفهه رأى الدكتور زكي مبارك فيقول : " لم لا تذهب إلي عكس ذلك وأن كلمة سوفيا مأخوذة من كلمة صوفي التي عرفها العرب في جاهليتهم(٨) ، وردوا علي من قال إن الصوفي جاء من كون الصوفية في الصف الأول بين يدي الله عز وجل وذلك لإرتفاع هممهم لأنه أي النسب غير مناسب لقياس اللغة وإشتقاقها ، وكذلك علي من قال بانهم نسبة إلي أهل الصفة ومشابهة حال الصوفية لحال أهل الصفة فهو أيضا غير مناسب للإشتقاق اللغوي (٩)

ويرى الباحث كما يرى الغالبية العظمي من المحدثين بان أرجح الأقوال من قال أن الصوفية تنسب الي لبس الصوف يقول الدكتور عبد الحليم محمود في دراسته للتصوف

١- ٧ ابن الجوزى – تلبيس ابليس القاهرة – ١٣٦٨ هـ ص ١٦١

٢- ٤ القشيري : الرسالة القشيرية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١٣٨ .

٣- ٨ زكي مبارك : التصوف الاسلامي في الأداب والاخلاق ، القاهرة ١٩٣٨، ص ٦٦

٥- ٨السهروردي : عوارف المعارف علي هامش الاحياء ، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ٣٣٧ .

٦-عبد الرحمن بن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر ، المجلد الأول ، بيروت ١٩٦٢ ص ٣٩٠.

ومما يذكر أن أول خانقاه بنيت للصوفية كانت بالرملة بفلسطين وان الذي اسسها كان أميرا مسيحيا فهذا المبدا الذي بالتصوف وهو الإنقطاع في الزوايا بعيدا عن الناس في الصحراء والجهاد كما يفعل المسيحيون في الاديرة (١) .

ومن هذا يتضح ان الصوفية قوم جدوا في عبادتهم واتخذوا منهجهم من الكتاب والسنة وتأسوا برسول الله صلي الله عليه وسلم وانتسبوا الي التصوف لغالبية لباسهم للصوف ، وبين التصوف القديم وبين الطرق الصوفية المعاصرة مسافة شاسعة بل تكاد العلاقة مقطوعة ، والتصوف أنواع منها التصوف الفلسفي ومنها التصوف السلوكي الاخلاقي وقد تقبل المسلمون التصوف السلوكي أي قبلوا التصوف فى الأخلاق والأداب والشمائل والذكر والعبادات٢) .

تاريخ لفظ التصوف:

قيل ان لفظ صوفي اول ما إستعملت في كتابات الجاحظ في كتابه البيان والتبيين حيث يقول " ان الصوفية من النساك " (٣) ، وهذا الرأي ذكره الدكتورعبد الدايم ابوالعطا في كتابه عن التصوف (٤) ، وقيل ان التصوف ظاهرة دينية وفكرية ومفهوم معين للإسلام عرف منذ القرون الأولي للهجرة زهداً وتنسكاً ثم تطور في التنظيم والهيكلة حتي غدا سلطة مركزية تحكم حياة الناس وتنظمها في إطار روحي وسامه وقوامه فلسفة روحية ترتكزعلي الذكروالإعتكاف وفق اساليب تربوية مرهفة يتحملها المريد طاعة لله حتي تذكو نفسه وترقي الي معارج عليا من الإيمان وتتبوأ منازل سامية من الصفاء والإشراق٥) .

ويقول كاتب مادة التصوف في دائرة المعارف الاسلامية "ورد لفظ صوفي لقبا منفردا لاول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري اذ نعت جابر بن حيان وهو صاحب علم الكيمياء شيخاً من اهل الكوفة له مذهب خاص وأطلقت هذه اللفظة أول ما أطلقت علي أبى هاشم الصوفى الذي قال عنه سفيان ، " لولا ابو هاشم الصوفى ما عرفت دقائق الرياء "(٦) .

ولقد أجمع معظم الدارسين علي أن التصوف كان وليد وضع داخلى في الحياة الاسلامية في القرن الثاني الهجرى وقد إمتاز بتناقضات صارخة تجسدت في الثراء الفاحش لبعض الطبقات و الفقرالمدقع للطبقات الأخرى تجلى في الإستبداد السياسي وعجز الكثيرون عن التصدي له مما دفع بالكثيرين الي مؤاثرة السلامة واللجوء إلى العزلة والإنزواء والتفرغ بإصلاح النفس ٧) .

والصوفية الصادقون هم المظهر الحقيقى للزهاد الأولين أو عُباد الصحابة ولقد اثبت كارادي في كتابه عن العقيدة الاسلامية " ان القول بتاثير التصوف الاسلامي في الصوفية المسيحية اقرب الي القبول وموافقة الواقع من العكس " (٨) .

١- ابو حامد الغزالي : مرجع سابق ، ص ٣١٩ .
٢- السهروردي : مرجع سابق ، ص ٣٣٢ .
٣- عبد الرحمن بن خلدون : مرجع سابق ، ص ٣٩٠ .
٤- محمد ثابت واخرون : دائرة المعارف الإسلامية ،الجزء الخامس ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٦٥ .
٥- Hiskett M : the development of Islam in west Africa ,London 1972 , P288.
٦- عبدالله عبد الرازق ابراهيم : اضواء علي الطرق الصوفية في القارة الافريقية ،القاهرة ١٩٨٩ ص ١٣ .
٧-

وصــفة الصــوفى أن الخوف قوامه والذل لله حليته والرهبة باطنه والرغبة ظاهره والخير مراده والصبر أنيسه والرضا رفيقه والشكر زاده والثقة كنزه والفكر طــريقه والتسليم مذهبه والتواضع رفعته والفقه منهجه والصدق ضالته والاخلاص مــراده والرسول صلي الله عليه وسلم مقصوده والله سبحانه وتعالي معبوده والشكر ذكره والدعاء عمله وما يقرب الي النار عدوه ومايقرب الي الجنة اليفه وبر الوالدين سروره وصلة الرحم وإدخال السرور علي عباد الله وصوله والرحمة بخلق الله تعالي خطوته والقرآن الكريم خلوته والحضور بقلبه مع الحق سبحانه وتعالي جلوته (١) .

مراحل علم التصوف وتطوره :

مر التصوف بمراحل عديده لعل من اهمها:

المرحلة الاولي

بدأت هذه المرحله في القرنين الأول والثاني الهجريين و تسمى بمرحلة الزهد فقد كان هناك أفراد من المسلمين أقبلوا علي العبادة بأدعية و قربات وكانت لهم طريقة زهد في الحــياة تتصــل بالمأكل والملبس و المسكن وقد أرادوا العمل من أجل الآخرة فآثروا لأنفســهم هذا النوع من الحياة والسلوك ونضرب لأولئك مثلا الحسن البصرى المتوفى ســنة ١١٠هــــ (٢) ، ورابعــة العدوية المتوفاه سنة ١٨٥هــ (٣)، وعبد الله بن المبارك (٤) وسعدون ٥) ، وإبراهيم بن أدهم (٦) .

١- الشيخ محمد ماضى ابو العزايم – صفحات من حياته ج ١ دار الهلال القاهرة ص ١٩٨

٢- الحسن البصرى وكنيته أبو سعيد كان أبوه ايرانيامن مسيان وسباه المسلمون عند فتح العراق وســكن المديــنة المنوره وقد أعتقهم من كان عندهم من الأنصار وولد ابنه الحسن فيها عام ٢٢ه وغادرها إلى البصرة وأقام إلى أن توفى عام ١١٠ ه . لمزيد من التفاصيل أنظر ، عثمان السعيد : مرجع سابق . ص ٣٣ .

٣ – هــي أم الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية مولاة آل عتيك وتوفيت سنة ١٨٥ هــ ودفنــت بالبصــرة اطلق عليها أنها شاعرة المحبة الألهية عند الصوفية وكانت تمثل مذهب الزهد مــع الحب وكانت في حياتها زاهدة عابدة . لمزيد من التفاصيل أنظر . عثمان السعيد : التصوف ز

٤ – ولد سنة ١١٨ هــ وكانوا يقدمونه في الأدب علي سفيان الثوري ومن اقواله علي العاقل ألا يستخف بثلاثة العلماء والسلطان والإخوان توفي سنة ١٨١ هــ بقرية هيت قرب نهر الفرات بعد عودته من احدي الغزوات وكانت إقامته بخراسان (طبقات الشعراني) .

٥ – يوصــف بالمجــنون وكان ينادي باليل يا نيام انتبهوا من رقدة الغفلة قبل انقطاع المهلة فإن الموت يأتي بغته (طبقات الشعراني ص ٦٨) .

٦- هو أبو اسحاق إبراهيم بن أدهم منصور من كورة بلخ من أولاد الملوك توفي سنة ١٦١ هــ وكان يوصي بأكل الحلال فإنه مقرب الي رضوان الله (موسوعة الحفني ص ١٦) .

المرحلة الثانية :

وظهـــرت مـــنذ القرن الثالث الهجرى حيث نجد الصوفية وقد عنوا بالكلام في دقائق احوال النفس والسلوك وغلب عليهم الطابع الأخلاقي في علمهم وعملهم فصار التصــوف علـــي أيديهم علما للأخلاق الدينية وكانت سماحتهم الأخلاقية تدفعهم الي التعمق في دراسة النفس الانسانية ودقائق أحول سلوكها وكانت تدفعهم إلي الكلام في المعـــرفة الذوقـــية واداتهـــا ومنهجها والي الكلام عن الذات الإلهية من حيث صلتها بالإنسان وصلة الإنسان بها وظهر الكلام في الغناء الصوفي خصوصا البسطامي (١) ، ونشأ من ذلك كله علم للصوفية حيث يتميز عن علم الفقه من ناحية الموضوع والمـــنهج والغاية ولة لغته الإصلاحية الخاصة التي لا يشارك الصوفية فيها غيرهم وتحـــتاج فـــي فهم مراجعها إلى جهد غير قليل ومن أعلام هذه المرحلة أبو سليمان الدارانى المتوفى سنة٢٠٥هــ (٣ ، وابو الحسن النورى المتوفى سنة٢٠١ ه(٣).
والحـــارث المحاسبى ت ٢٤٣ (٤) ، والسرى السقطى ت ٢٤٥ (٥) ، وذو النون المصرى ت ٢٤٥ (٦) ، أبو سراج النخشبى ت ٢٤٥ (٧) ، وأبو يزيد

---

١ – مـــن كبار الصوفية أبو بزيد طيفو بن عيسي (١٨٨-٢٦١ هــ) من بسطام خراسان له مذهـــب الطـــيفورية وهـــو مذهـــب في المحبة الصوفية إشتهر بالشطح وهي كلمات تصدر عن الصوفي في حال وجده وذهوله .

٢ – هو أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني وهو من أهل داريا وهي قرية من قري الشام وهومن رواة الحديث وعلماء التصوف ومشايخ القوم ، وله كلام في هذا العلم مصحوب بالعمل توفى سنة ٢٩٥ هــ .

٣- هو احمد بن محمد وقيل محمد بن محمد وشهرته أبو الحسن ولقبه النوري خراساني الأصل من أجل المشايخ وعلماء القوم ولم يكن في وقته أحسن طريقة منه ولا ألطف كلاما توفى سنة ٢٩٥هــ .

٤- هـــو أبو عبد الله الحارث بن المحاسبي من علماء ومشايخ القوم اشتغل بعلوم الظاهر وعلوم المعـــاملات و الإشـــارات وله كتب مشهورة فيها الرعاية لحقوق الله وهو من أهل البصرة توفى سنة ٢٤٣هــ.

٥- هو ابو الحسن سري بن المفلس السقطي يقال انه خال الجنيد واستاذه صحب معروفا الكوفي وهـــو اول من تكلم منفردا في لسان التوحيد وحقائق الاحوال ويعتبرونه امام اهل بغداد وشيخهم في وقته ، توفي سنة ٢٥١ هــ .

٦- هـــو ابو الفيض ثوبان ابن ابراهيم الاخميمي المصري وهو من النوبة كان فائق في التصوف واوحد وقته علما وورعا وحالا وادبا قال عنه نيكلسون هو احق رجال الصوفية علي الاطلاق ان ينســب الـــيه انـــه واضع اسس التصوف وقد اعترف له بالفضل كتاب التراجم والمؤرخون من المســلمين ويقـــول عـــنه جامي في كتابه نفحات الانس هو راس هذه الفرقة فالكل قد اخذ عنه وانتســب اليه وكان اول من فسر اشارات الصوفية وتكلم في هذا الطريق وكان له اكبر الاثر في تشكيل الفكر الصوفي (٢٨٣- ٣٥٣ هــ) عبد المنعم الحفني الموسوعة الصوفية ص ١٦٥ .

٧ – هو أبو تراب عسكر بن حصين نسبة الي نخشب مسقط رأسه من بلاد خراسان صحب حاتم الاصم وهو علي عكس المعروف عن الصوفية لا ينصح المريدين بالأسفار وهو يقول لا أعلم شيئا أضر عليهم من أسفارهم علي متابعة قلوبهم ونفوسهم وما فسد من فسد من المريدين الا بالاسفار الباطلة وكان اصحابه كثرا ومع ذلك فلما مات كان وحده بالبادية فنهشته السباع سنة ٢٤٥ هــ .

البســطامى ٢٦١ (١) ، والتسترى ٢٨٣ (٢) ، والحراز ٢٨٦(٣) ، والقصار النيسابورى ت ٢٧١ ، والحلاج ت ٢٩٨ (٤) .

وفي هذه المرحلة نجد بعض المشايخ يجمعون حولهم المريدين من أجل تربيتهم فتكونت لأول مرة الطرق الصوفية في الاسلام والتي كانت آنذاك بمثابة المدارس التي يتلقي السالكون فيها اداب التصوف علما وعملا (٥) .

المرحلة الثالثة :

كانــت في القرن الخامس الهجرى حيث كان الامام الغزالى الذى لم يقبل من التصــوف الا مــا كان متمشيا تماما مع الكتاب والسنة حيث انتهى الأمر إلي ارساء قواعــد التصـــوف المعتدل الذي يساير الشريعة وفي هذه المرحلة والتي كان يمثلها الامــام الغزالى – اصبح التصوف طريقا ذوقيا ومنهاجا روحيا يوصل الي المعرفة ويســتعان بـــه علـــي تحقـــيق السعادة في الدارين الامر الذي ترتب عليه ان اصبح التصوف هنا مخالفا لعلم الكلام بعد أن كان مخالفا لعلم الفقه ٦) .

وقــد كـــان الامام الغزالى يري في منهجه الي الزهد والتقشف وتهذيب النفس واخلاقهـــا وقد عمق الكلام في المعرفة الصوفية علي نحو لم يسبق اليه.وحمل علي مذاهـــب الفلاســـفة والمعتزلة والباطنية وانتهي به الأمر إلى ارساء قواعد نوع من التصـــوف المعتدل الذى يساير مذهب أهل السنة والجماعة ويخالف تصوف الحلاج والبسطامى فى الطابع .

---

١ – هـــو أبـــو محمـــد ســـهل بن عبد الله يونس بن رفيع التستري أحد أئمة القوم وعلمـــائهم المتكلميـــن فـــي علوم الرياضيات والاخلاص توفى سنة ٢٨٣هـــ وتلقي التصوف علي خاله محمد بن سوار والتقي بذو النون المصري .

٢ – بـــو القاسم الجنيد بن محمد الحراز وكان ابوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له القواريـــري وأصـــله من نهاوند ومولده ومنشأه في العراق وكان فقيها وهو من ائمة القوم وسادتهم ومقبول علي جميع الألسنة توفى سنة ٢٩٧هـــ .

٣ – عثمان السعيد الشرقاوى : التصوف حكمه وأركانه وخصال أهله ، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص ٣٣ .

٤– أبو الوفا التفتازانى : مرجع سابق ، ص ١٨ .

٥–عثمان السعيد الشرقاوي : التصوف حكمه وأركانه وخصال أهله ، القاهرة (د/ت) ، ص ٣٤

٦ – أبو الوفا التفتازانى : مرجع سابق ، ص ص ١٨ – ١٩

المرحلة الرابعة :

وكانــت فــي القرن السادس الهجرى حيث اخذ نفوذ التصوف السنى في العــالم الاسلامى يزداد بتأثر عظيم بشخصية الامام الغزالى حيث ظهر صوفية كبار كونوا لأنفسهم رتبا لتربية المريدين منهم الامام الرفاعى المتوفى سنة ٥٧٠هـ والشــيخ عــبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ٥٦١ هـ علي انه منذ القر ن السادس الهجــرى ، ايضـا نجد مجموعة اخرى من شيوخ التصوف الذين مزجوا تصوفهم بالفلسفة فجاءت نظرياتهم بين بين لاهى تصوف خالص ولا هي فلسفة خالصة نذكــر من هؤلاء الشيخ السهر وردي صاحب كتاب حكمة الأشراق ت ٥٤٩ والشيخ محــيي الديــن بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ وابن الفارض المتوفى سنة ٦٣٢هـ وابــن ســبعين المرســي ت٦٦٩هـ ، ومن نحا نحوهم فى التصوف وواضح انهم اســتفادوا من عديد من المصادر والاراء الاجنبية كلفلسفة اليونانية وقد قدم لنا اولئك الصوفية نظريات عميقة فى النفس والاخلاق والمعرفة والوجود لها قيمتها من الناحية الفلسفية والصوفية كما كان لها تاثيرها على من تلاهم من الصوفية المتاخرين (١) .

المرحلة الخامسة :

وكانت فى القرن السابع الهجرى حيث ظهر أئمة أخرون ساروا على نفس الطريقة وكان من ابرزهم ابو الحسن الشاذلى سنة ٦٥٦ هـ ، و وتلميذه ابو العباس المرســي سنة ٦٨٦ وتلميذه ابن عطاء الله السكندرى سنة ٧٠٩ وهم اركان المدرسة الشــاذلية فى التصوف ويعتبر تصوفهم امتدادا لتصوف الغزالى السنى وهى مرحلة ظهر فيها التطور الصوفى والتوسع فى المجال الروحى (٢) .

على انه قد اصاب التصوف فى عصوره المتاخره " منذ القرن الثامن الهجرى" تقريبا الى العصر الحاضر شى من التدهور فاتجه اصحابه الى الشروح والتلخيصات لكتب المتقدمين كما يعْنى أصحابه من الناحية العلمية بدروب من الطقوس

---

١ – عودة عبد الرحمن السيد الشوكى : الحياة العلمية والثقافية فى بلاد شنقيط ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية . جامعة القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٢٩٥ .

٢ – أبو الوفا التفتازانى : مرجع سابق ، ص ٢٠ .

والتشـــكليات ابعدتهم فى كثير من الحياة عن جوهر دعوتهم وكثر اتباع التصوف فى عصـــوره المـــتاخره ولكن لم تظهر من بين هذة الكثرة شخصيات لها ما لشخصيات التصـــوف الاول مـــن مكانـــة مرموقة ولعل هذ التدهور راجعُ إلى عصر العثمانيين وعلى كل حال فان إنحراف بعض الصوفية فى بعض عصور التاريخ لا ينهض دليلا على فساد دعوتهم.

واذا كانت ثمة منكرات ادخلت على القوم – اهل التصوف – او يدع تسربت اليهم فـــى حيـــن انهـــا لاتـــتفق مع ما ارادوه لأ نفسهم وللناس فاى جماعة لم يبذر فيها المبـــتدعون ، وأى عقيدة لم تتصنق فيها طفيليات تحاول امتصاصها والقضاء عليها وقد بين الإمام ابن تيمية ان هناك صوفية الحقائق وصوفية الاخلاق وهم الصالحون الصـــادقون ، وهـــناك صوفية الإرتزاق وهم الذين لايهمنا امرهم فى هذا الحديث . ومـــن صور مواقف صوفية الإرتزاق أنه وصل الأمر بهم إلى تاليب الاستعمار ضد الوطنيين وقياداتهم بكشف مواقفهم وإعطاء اسماء البعض منهم ليسهل ضربهم(١).

أمـــا عـــند الحديث عن تاريخ الثقافة الاسلامية فى موريتانيا فقد بدأ يتشكل ابتداء من اواخـــر القـــرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وتبلور على مدى القرنين الســـادس والسابع الهجرى (الثانى عشر والثالث عشر الميلادى) ، وذلك عندما فتح المســـلمون بـــلاد المغرب وكانت قبائل صنهاجة الجنوبية (الملثمون) ، تنتشر في تلك الـــرقعة الفسيحة من الصحراء التى تمتد من جبال اطلس الكبرى (درنة) فى الشمال إلـــى نهر السنغال فى الجنوب وتصل الى منحنى نهر النيجر فى الشرق بل تتخطى هذا الـــنهر الى تاد مكة(٢) فى قلب الصحراء الكبرى بمعنى انها كانت تنتشر فى موريتانيا وتمتد لتشمل جزاءا كبيرا من منطقة مالى كذلك (٣) .

١–التلـــيلى العجـــيلى :الطـــرق الصوفية والإستعمار الفرنسى بالبلاد التونسية ، منشورات كلية الأداب ، جامعة تونس ١٩٩٢ ، ص ١٥٤ .

٢– تاد مكة: من المدن التجارية ومن المحطات الرئيسية فى غرب افريقيا فى العصور الوسطى

٣– عودة عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٥٣ .

واســتطاع عقــبة بن نافع ان يقضى على مقاومةقبائل البرانس فى المغرب ثم تدفق بقواتة الى المغرب الاقصى حتى طنجة وبدات صنهاجة المغرب الاقصى تدخل فى الاسلام وتتصل بالفاتحين وتكللت جهوده البشرية فى نشر الاسلام فى إقليم الريف بالــنجاح ثــم اتجة الى اقليم السوس الادنى وانتصر على قبائل المصامدة ثم وصل تقدمـــه حتى ادرك مدينة فاس الكبرى بالسوس الاقصى وفتح مدينة نفيس القريبة من اغماد (١) .

وزحف عقبة الى مدينة نول على ساحل المحيط الاطلسى فى اقصى بلاد المغرب وهــذا يعنى انه توغل فى موطن الملثمين ورغم ان كلا من قبيلة مسوفة ولمتونة قد قامــتا دفاعـــا عن كيانهما إلا ان عقبة تمكن من هزيمة مسوفة واخضاع (الملثمين) لســلطان الاسلام فاستكانت هذة القبائل ولم تعد الى المقاومة كما عمد عقبة الى بناء مسجد فى مدينة ماسة وبناء هذا المسجد يدعو الى ان ثمة تحول الى الاسلام قد ظهر بين الملثمين (٢) . على أن الهجرات العربية كان لها الأثر الأكبر فى توطيد ودخول الإسلام إلى موريتانيا ومن أبرز الهجرات العربية واكثرها اثرا في تكوين البيئة الموريتانية العربية الحالية بدءا مع هجرة بني هلال واحلافهم وإعتبارا من القــرن الحادي عشر الميلادى كما انبعثت من هذة الهجرات حركة اصلاحية كبري اضطلع بها المرابطون يصحبها تحمس شديد في نشر الاسلام في البلاد المحيطة(٣)

ولقد شهد القرن العاشر والحادي عشر اكبر انتشار للاسلام في ربوع موريتانيا حيــث قام المرابطون عن طريق الفتوحات الاسلامية وعن طريق بث الدعاه للنشر رســالة الاســـلام فـــي حوض السنغال بقيادة عبد الله بن ياسين ، فقد ذكر بعض المؤرخين ان يحيي بن ابراهيم شيخ قبيلة خدالة البربرية وصاحب مدينة ادغست في صحراء شنقيط قد عاد من الحج في اوائل القرن الحادي عشر مصطحبا معه عبدالله

١- حسن ابراهيم حسن : إنتشار الإسلام فى القارة الأفريقية ، القاهرة ، ١٩٦٣ ، ص ٨٧ .

٢- ابو عبد الله البكرى :المغرب فى ذكر بلاد افريقيا ، الجزائر ١٩٧٥ ، ص ١٦٠ .

٣حسن احمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى افريقا ، ج ١ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص١٩٤.

بـــن ياســـين الفقيه القيرواني ليقوم بتعليم قبيلته وكان هذا شعلة من الحماس لنشر الاسلام والجهاد في سبيله (١)

ولقـــد دخلت الصوفية الاندلس في فترة مبكرة وعلي يد ابن مسرة منذ طلائع القرن الرابع الهجري ومنه انتقلت الي المغرب لكنها لم تنتشر بسرعة لمضايقة دولة المرابطين لها حيث كبحـــت جماحهـــا وتابعت اصحابها متهمة اياهم بالزندقة وما أن أفل نجم دولة المرابطين حتـــي كان التصوف ينتعش ويتخذ لنفسه منزلة بين الناس وذلك تحت نفوذ دولة الموحدين التـــي تعتـــبر الخصم اللدود لدولة المرابطين فكثرت زوايا التصوف وانتشرت علي نطاق واســـع فقـــد شـــهدت الطرق الصوفية ابتداءا من القرن التاسع الهجري (الخامس عشر المـــيلادي) انتعاشـــا كبيرا مستقلة عن الامارات الحسانية وذلك تحت تاثير الجزولي (٢) وتلاميذه ومن المؤكد أن الطرق الصوفية لم تنتشر انتشارا واسعا الا مع بداية القرن الثالث عشر الهجري .

حيـــث اضطلعت بدور سياسي رائد اذ انها كانت اداه لتعويض السلطة المركزية في البلاد ووسيلة لمحاربة الاستعمار (٣)

وقـــد كانـــت الصحراء لها السهم الاوفر في الاقبال علي مشايخ التصوف وزواياهم مـــبكرا حتـــي عرفت البلاد " بداية من القرن التاسع الهجري بأرض الأولياء " وترسخت الطـــرق الصـــوفية في المنطقة وأصبحت تزحف حاملة معها تعاليم الاسلام الي المناطق المجاورة من افريقيا مكونة لنفسها سلطة مستقلة عن الامارات الحسانية ولقد كانت الطرق الصوفية من حيث وجودها و تنظيمها سابقة لظهور الامارات الحسانية في البلاد لذلك ، كـــان لابد من معرفة دورها في المقاومة الوطنية في موريتانيا واعطائها حجمها الحقيقي في المقاومة ضد المستعمر.

---

١ –علي بن عبد الله بن ابى زرع الفاسى : الانيس المطرب فى آخبار ملوك المغرب ، ج٢ ، الرباط ١٩٣٦ ، ص ٨٩

٢– هـــو ابو عبد الله محمد بن سليمان السملالي الجازولىالشاذلى (٨٠٧ – ٨٧٠ هـــ) صاحب كتاب دلائل الخيرات وهو مجموعة صلوات على النبى صلى الله علية وسلم وهو منشى الطريقة الجازولية الشـــاذلية كـــان الى جانب ثقافتة الواسعة بالطرق الصوفية فقيها متمكنا يحفظ عن ظهر قلب المدونة وغيرها من امهات الكتب قيل انة ربى اكثر من ثلاثة الاف تلميذ (الموسوعة الصوفية) عبد المنعم الحفنى – ص ١٠٢

٣ –عودة عبد الرحمن : مرجع سابق ،ص ١٣٢ .

امـا سـنة ١٩٣٤ فهي علي مستوي موريتانيا كانت نهاية الدور المسلح للمقاومة وان ظل الدور الثقافي بارزا في مقاومة الاستعمار الفرنسى وفي هذه الفترة الثانـية ومـع الحرب العالمية الثانية تميزت ببداية التقلص للقوى التقليدية متمثلة فى الطـرق الصوفية كقيادات دينية كان لها اثرها ودورها البارز والفعال وكذلك امراء الامـارات من بني حسان كان الدين الإسلامى هو الركيزة الاولى التي ساعدت على الوحدة الوطنية في موريتانيا كما كانوا يتبعون المذهب المالكى .

كمـا كان يتبع معظم السود وخاصة (التكرور) الطريقة التيجانية وتبع اكثر البيض الطريقة القادرية وقد طبعت التقاليد والبيئة المحلية تلك الطرق الصوفية بخصائص معيـنة في جعل الطرق الصوفية في موريتانية تختلف عن كثير من الطرق المشابهة التـي ظهرت في العراق ومصر . ولقد تمتعت الزوايا الصوفية بسلطة ومكانة عالية كمـا قامت من حول هذه الطرق حركة ثقافية وشعرية هائلة لولاها ما وصفت البلاد بـارض الشعراء كما ارتبط انتشار الاسلام في شمال افريقيا وغربها بانتشار الطرق الصوفية وعلي الاخص القادرية والتيجانية وقد زاد عدد اتباع هذه الطرق الصوفية ولاسيما المشتغلين بالتجارة ولعب اتباع هذه الطرق دورًا دينيا وسياسيا وثقافيا هاما كان له اثره في تاريخ وحضارة هذه البلاد ونهضتها .

ولقد دخلت عدة طرق صوفية الي بلاد شنقيط (موريتانيا) والتحم التصوف بالعلم في رحـاب المحظـرة وكانت الزوايا الصوفية في البلاد سندا للمحاضر في تدريس علوم القـرآن والحديث والفقة المالكي اصولا وقواعد وفروعا وكذلك تدريس السيرة النبوية والتاريخ الاسلامي وعلوم اللغة وغيرها(١) .

<u>عوامل انتشار التصوف في موريتانيا :</u>

لقـد تضـافرت عـدة عوامل ساعدت علي انتشار التصوف وطرقه في موريتانيا منها الداخلي الخارجي:

<u>العوامل الداخلية :</u>

- وجد بعض منافسي اوصياء الدين التقليدي (الفقهاء) مادة جديدة في الاسلام

---

١ – الخليل النحوى : بلاد شنقيط ، المنارة والرباط ، تونس ١٩٨٧ ، ص ١٢٠ .

الصــوفي كــبديل عــن المرشد الديني يمكن من خلالها تعويض خطابة النصى الصارم بخطاب اخر باطني اكثر مرونة بيصبوا الي تخليص الفرد من جحيم الدنيا ويحقق له فلاح الاخرة .

تشكل الطرق الصوفية نظرا لقداستها الروحية حرما أمناً منيعا لكل من يلجأ اليه سواء من فئة المحاربــين حال هزيمتهم امام ابناء عمومتهم او المتملصين من سلطة حسان(١) من الزوايا (٢) والتابعين (٣) .

- مثلت الطرق الصوفية سلطة بديلة واطارا واسعا يتجاوز ثنائية حسان والزوايا وجد فيها المتطلعون باباً إلى اكتساب امجاد جديدة لضالتهم المنشودة . وهكذا بفعل تلاقي العوامل السابقة واخري ربما لم تبد لنا . برزت في البلاد الموريتانية مجموعة من الطرق الصوفية .

العوامل الخارجية : وتنقسم إلي :

- الطــرق الفقهية التي استوردها المرابطون وادت الي اعتزال كافة المظاهر الترويحية .مــثل الموســيقى والفــنون والشعر مما خلق عند الاهالي نفورا في التعبير عن العواطف وممارسة الوجد والشطح والحب وهى الارض لمن يحمل هذه المفاهيم كالطرق الصوفية .

- السفر لاداء فريضة الحج فأغلب الطرق الصوفية جاء بها الحجاج الي البلاد بعد ان اخذوها من شيوخ التقوا بهم في الاماكن المقدسة او اقتبسوها عن اخرين التقوا بهم ويمكن ان نلتمس الاحتكاك الحقيقي من خلال اسانيد ائمة الطرق الصوفية الموريتانية

---

١ -حسان : هم الفئة المسيطرة عسكريا وسياسيا ، اقتسموا البلاد واحتكروا اسم العرب لأنفسهم ولا يسمحون بهذه اللفظة لغيرهم كالزوايا مثلا تقوم فلسفتهم علي احتكار عالم العنف ومنهج حياتهم تقوم علي القوة والحرب والفروسية والتدريب عليها منذ نعومة الاظافر وحتي اللحد ومن طباعهم عدم التملك واحتقار المشتغلين بجمع المال.

٢ -الزوايا : يطلق هذا الاسم علي الفئة المتعلمة المسيرة للغيب وهذه الفئة هي المنتجة للثقافة العالمية ويبدوأ فيها الفرد الدراسة من صغره كما انهم مساهمون فاعلون في التحكم في وسائل الانتاج فهم القائمون علي حفر الابار والتجارة ويملكون انعاما كثيرة وينقسمون الي طبقات كالزواياوالطلبة فالزوايا تميل الي المعرفة وتحتل مكانة خلقية رفيعة في حين يعبر الطلبة عن تدني المستوي الخلقي والمعرفي .

٣ – التابعين الطبقة الثالثة فى السلم الهرمى للمجتمع الموريتانى حيث كانوا يعيشون فى حماية الطبقة الارستقراطية (حسان والزوايا) ويقومون بخدمتهم مقابل الحماية .

الاحتكاك المباشر بالمغرب حيث سمحت حركة التجارة عبر الصحراء بالتوغل الي كبريات المدن المغربية والنهل من معينها المعرفي والتاثر بثقافتها . وقد تميز القرن ١٩ في موريتانيا بحدث هام اتسم بالشمولية والاتساع تمثل في اكتمال انتشار الطرق الصوفية التي اصبح لها دور فعال وتاثير قوي علي القرار الأميرى وخاصة الطريقة القادرية اذ شكل هذا الحدث قفزة نوعية في تاريخ الغرب الافريقى عموما وفي تاريخ موريتانيا خاصة . ولكن هذه الطرق الصوفية في اغلبها كانت ترتبط بالشخصيات المؤسسة او القائدة وان كانت تضم اعراقا واجناساً لا يربط بينها الاطار الجغرافي وسرعان ما خرجت هذه الطرق عن المنهج الصوفي العتيق لتدخل حياة المادية النشطة ثقافيا واقتصاديا وسياسيا وبهذا تكون قد استطاعت ان تجمع بين الاطار الروحي المميز لها والولاء السياسي ولا سيما الطريقة القادرية(١) .

ولقد ساهمت الطرق الصوفية في افريقيا عامة وموريتانيا خاصة في نشر الدين الاسلامي جنوب الصحراء ومقاومة التوسع الاوربي في افريقيا ومقاومة حركات التنصير المسيحي التى قام بها الاوربيون من الوثنيين وكذلك دفاعا عن الاسلام امام التيار الاوربي الجارف خصوصا في القرن التاسع عشر كما ان انتشار الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء في السنغال ومالي والنيجروغانا وغينيا وتشاد انما يرجع في الشطر الاكبر منه الي رجال الطرق الصوفية خاصة رجال الطريقة القادرية و التيجانية والشاذلية . حيث كانت الزوايا التي انشأها زعماء هذه الطرق بمثابة ركائز لنشر الدعوة الاسلامية بين الشعوب الوثنية في غرب القارة الافريقية ووسطها ففى موريتانيا نجد ان

١- محمد فاضل محمد الحطاب : الشيخ التراد ودوره الثقافى والسياسى ، كلية الأداب ، انواكشوط ، موريتانيا ١٩٩٢ . ص ٩.

الطرق الصوفية قد انتهجت مبادئ العصور الوسطي في التصوف حيث كان اقطاب الطريقة يشكلون طريقتهم بما يتناسب مع عقلية الشعوب البدائية.ولم يكن لمعظم الطرق الصوفية تنظيم مركزي معين بل كانت تضم مدارس سرية تعمل لسد الفراغ بعد القضاء علي بعض التنظيمات السياسية التي كانت تتولي الحفاظ علي الدين الاسلامي كما انه لا يمكن الحديث عن انتشار الاسلام او دور المسلمين في مقاومة الحركات الاستعمارية الصليبية دون ان نتعرض الي الطرق الصوفية التي وجدت لها مجالا خفيا لنشاطها وتعلق الناس بشيوخها وصارت جزءا اساسيا من حركات الجهاد الاسلامي في القارة .

ولقد اثرت الحركة الصوفية في حركة العلم في البلاد الي جانب مقاومة بعضها للإستعمار حيث استطاعت الطرق الصوفية والمحظرة من خلالها ان تخرق كل الحواجز وتمد الجسور بين قبائل شتي واجناس مختلفة وان تنظم قوي بشرية لاتستطيع القبلية تنظيمها وكانت بمثابة احزاب سياسية قوية يسودها الإنضباط والطاعة وبذلك استطاعت ان تتنامى هيبة العالم وترتقي الي مصاف قادة الدول حتي اصبح يقال ان الطرق الصوفية استطاعت ان تقيم دولا واشباه دول غير مغلنة اساسها شعبية عارمة تدعمها دبلوماسية حصيفة و روح سليمة يتحلل في مواجهتها قوة الرجال العسكرية (١) وقد لاحظ الرحالة الفرنسيون الامر في تقاريرهم من بداية دخول البلاد وذكروا ان احياء الزوايا حرما لا يستباح وان المغلوب الخائف اذا احتمي بهم امن وتلك ثمرة جهد بذاتها المحظرة العلمية واكملتها المحظرة الصوفية .

لقد توقفت الفتوحات التي تتصدرها قوة سلاح ومنذ ذلك الحين لم تتوافر للعرب ولا للمسلمين القوة التي تمكنهم من ان يفتحوا بلاداً اخرى ويصدعوا فيها بماامروا ويبرز في حياتهم وسلوكهم نموذج الانسان المسلم ليقتدي بهم الناس عن بينة او يعرضوا وقد قامت عليهم الحجة .

والأن اصبحت ديار الاسلام ديارا متصدعة الجدر وكان في الوهن الذي اصاب المسلمين ما ينذر باحتمال توقف الاسلام خارج دياره هنا كان تدخل الطرق الصوفية رائعا ، لقد حملت لواء الفتوحات الذي وضعه المجاهدون واستمر في نشر الاسلام

١ـ عبد الله عبد الرازق : مرجع سابق ، ص ٢٥ .

في انحاء المعمورة محققة بالسبحة و الكتاب واللوح ما لم يتحقق في عهدها بالسيف والترس والرمح وفي أفريقا بالذات ابلت هذه الطرق بلاء حسنا (١) .

ثانياً: الطرق الصوفية في موريتانيا :

إن الطرق الصوفية علي الخصوص ومنذ القرن التاسع عشر هي التي حملت رسالة الاسلام للشعوب السوداء ولا جدال في ان بقاء الجماعات الصوفية وامتدادها للأن إنما هو دليل علي قيام هذه الجماعات بادوار ووظائف فعالة للفرد والمجتمع كفلت لها الاستمرارية .

توجد في موريتانيا أغلب الطرق الصوفية الموجودة في شمال افريقيا (٢) وقد عرفت موريتانيا طرقا صوفية لا عوج فيها ولا امتا ولكن تختلف أهميتها من حيث المكانة والانتشار مثل الطريقة القادرية والتيجانية والشاذلية الغظفية والصديقية و الخضرية

الطريقة القادرية:

تنسب هذه الطريقة للشيخ ابو صالح سيدي عبد القادر الجيلاني وهو ابن موسى بن عبد الله بن يحيي الزاهد بن محمد بن داود بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن بن الحسن المثني بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وهو حسني النسب (٣)

وقد ولد في عام ٤٧٠هـ ١٠٧٧م في قصبة من بلاد جيلان ايام المستنصر بالله العباسي بن المقتدي بامر الله ابي القاسم عبد الله العباس . واقليم جيلان يحده من الشمال بحر قزوين وجنوبا قزوين واذربيجان وشرقا بلاذندران وتقع وراء طبرستان وهناك من يقول انه ولد ببلدة الجيل والجيل يطلق علي موضعين أحدهما اسم لصقع واسع مجاور لبلاد الديلم يشتمل على بلاد كثيرة ليس فيها مدينة كبيرة والاخرة بلدة الشيخ عبد القادر وهي جيل وتسمي الكيل بكاف مشوبه بالجيم وكنيته ابو محمد ولقبه محيي الدين (٤)

---

١ – الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ١٢٦ .

2 Hiskett.mop .cit p .238

٣- اسماعيل بن السيد محمد سعيد القادرى : الفيوضات الربانية ، بيروت ١٩٨٨ ، ص ٧

٤- ابو بكر القادرى والشيخ عبد القادر الجيلانى : مرجع سابق ، ص ٥٩.

وقد وفد علي بغداد عام ١٠٩٥هـ وله ثماني عشرة سنة وعاش من العمر إحدى وتسعين عاماً وتوفي ببغداد عام ١١٦٥هـ وقد اقبل علي شتي العلوم والمعارف يقتات منها ويسبر أغوارها بذكائة الخارق ودأبه المتواصل وسرعان ما اكتملت له موسوعية المعرفة والتبحر في كل العلوم وعلوم الشريعة خاصة بصورة اذهلت عقول اقرانه فطارت شهرته في مختلف الارجاء وشدت اليه الرحال في بغداد تستقي من فيوضاته العلمية النادرة (١) .

وكان يتكلم في ثلاثة عشر علما وكان يقرأ القرآن بالقراءات العشر وكان يفتى علي مذهب الامام الشافعي والامام احمد بن حنبل وكانت فتواه تعرض علي العلماء في العراق فتعجبهم اشد الاعجاب فيقولون سبحان من انعم عليه (٢) .

وهكذا أخذ الإمام عبد القادر طريقه في العلوم نحو القمة حتى تربع فصار شيخ وحده (٣) ، وقد تلقى الطريقة من حماد الدباسي وله عدة مصنفات في التصوف منها:-
(الغنية لطالبي طريق الحق – الفتح الرباني – فتوح الغيب).

وكان يأكل من عمل يده وبرع في الوعظ وتكلم في الزهد فكثر مريدوه واقام في مدرسته يدرس فيها ويتخذها رباطا الي ان توفي وقالوا فيه انه اول من نادي بالطرق الصوفية واسهاواته فاق اهل زمانه في علوم الدين وكانت له القدم الراسخة في المجاهدة وقطع دواعي النفس والهوى ووقع له القبول التام حتى ان عبد الله بن قدامه (١١٤٦هـ -١٢٢٣هـ) الفقيه الحنبلي المشهور وصاحب كتاب(ذم ما عليه مدعو التصوف) امتدحه فقال : { لم اسمع عن احد يحكى عنه من الكرامات اكثر مما يحكي عنه ولا رايت احدا يعظمه الناس للدين اكثر منه} . وأشاد بسلوكه الامام بن كثير لقيامه بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وزهده ومكاشفاته وورعه وصلاحه ، كما تاثر به ابن تيمية وقال عن طريقته انها (الطريقة الشرعية) (٤).

١– عبد المنعم الحفنى : مرجع سابق ، ص ١١٤ .

٢ - جودة ابو اليزيد اعلام الصوفية مرجع سابق ص ٤٠١.

٣ – عبد الوهاب الشعرانى : (الطبقات الكبرى) ، ج ١٠ ، ص ١٠٩

٤ – جودة ابو اليزيد : اعلام الصوفية ، ص ٤١.

وأنـــه فـــاق أهـــل زمانه في علوم الدين وكانت له القدم الراسخة في المجاهدة وقطـــع دواعـــي الـــنفس وكان فى التصوف لايام ولا يسأم فقد تضلع من الاصول والفـــروع وتقـــدم علي غيره في كل مشروع وقد إعترف له بذلك كل فقهاء عصره ويقول عنه العز بن عبد السلام سلطان العلماء (بلغت امامته القطع وكان عالما عابدا متبعا اتباعا لا شائبة للهوي فيه ومن اجل ذلك حازت طريقته القبول وقدره المفكرون قاطـبة الكبار والصغار واخذت طريقته فى الإنتشار منذ القرن الخامس الهجرى فى كـــل أرجـــاء العـــالم الاســـلامي ولعل اعظم الجهات التى إنتشرت فيها هي افريقيا وبخاصـــة في شمالها وغربها وكانت اظهر ما تكون في المغرب الاوسط (١) ،وقد اســـتطاع أبناؤه السير علي منهجه في كافة ربوع العالم الاسلامى(٢) ، وقد تحددت معـــالم الجانب السلوكى عند الشيخ عبد القادر الذى حرص بكل وجدانه علي اقتحام عقبـــات الطـــريق والمضى نحو غاية وهب حياته لها انها الوصول الى الله سبحانه وتعالي وكان الجانب السلوكى فى بدايته حافلا بالمجاهدات . يقول :

(قاســـيت الاهـــوال فـــي بدايتي فما تركت هولا الا ركبته وكان لباسي جبة صوف وامشـــي حافـــيا ولـــم ازل آخذ نفسي بالمجاهدات حتي طرقني من الله الحال (٣) . وواصـــل الشيخ عبد القادر طريقه الي الله تعالي بقلب ملأه الحب والشوق والخشية والاجلال ومع كل خطوة تزداد الاشراقات سطوعا واتساعا ويزداد القلب عكوفا بباب المولي عز وجل في محراب العبودية الخالصة وكانت عباداته لها نهجها(٤) .

---

١ -عبد الحليم محمود : عقيدة الاكبار ، القاهرة ١٩٩٢ ، ص ٢٥ .

- Garnier , Christine : La Mauritanie , Paris 1960 , P . 65

2 ٣- عبد الوهاب الشعرانى : مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

٤- جودة ابو اليزيد : مرجع سابق ،ص ١٠٣ .

والتصوف عند الجيلاني ليست اقوال تقال ولكنه طريق فيه الجوع وقطع المالوفات والمستحسنات والخصال التى يجب ان ياخذ السالك بها نفسه هي خصال الانبياء عليهم السلام كالصبر الذي تحلي به ايوب عليه السلام وكل نبى له خصلة والمتصوف يكون في الابتداء ويتكلف هذه الخصال ،اما الصوفي ، فهو الذى انطبع بها فزهد الدنيا وفني عنها بحيث تاتيه الاشياء فلا يريدها ولا يبغضها وانما هو الممتثل لأمر الله فيها والمنتظر لفعل الله معه بشانها. وتعريف التصوف الذى يؤثره الجيلاني هو (الصفاء من ادران النفس والهوي والصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق) ويهدف من وراء ذلك ان يخلص التضوف من المدعين ويلزم مريديه بالآداب الشرعية سواء في سلوكهم مع شيوخهم او مع بعضهم البعض او في ذكرهم ومجالسهم وخدمتهم لاخوانهم .

وعنده ان كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة وان المتصوف لا ينبغي له ان يخترع لنفسه عبادات وصلوات لم يكتبها الله عليه وكان يري الصواب في التصوف كطريق للعبادة ان يلتزم المتصوف بالكتاب والسنة التزاما حرفيا وخاصة في الجانب المعرفي للتصوف او جانبه الكلامي ، ولذلك فطريقة الجيلانى سهلة علي المسلم ومفهومة وتتفق مع روح الاسلام ولا تباعد بين المتبع والسلف(١) . ومن المعلوم ان مجال العمل في الدعوة الي الله تعالي فعلان هما :-

١- أمة الإجابة التي استجابت وتستجيب لله ورسوله عليه الصلاة والسلام اذا دعيت لما يحييها فهي في حاجةدائمة الي التذكير والبيان تثبيتا لها علي الحق وتحصينا من الفتن والزلازل (وذكر فإن الذكري تنفع المؤمنين)

٢- امة الدعوة التي أمر المؤمنين ان يبلغوها دعوة الله ويسمعوها كلامه وينادوا فيها بالايمان والهدي لينقذوها من الكفر ومن عذاب الله في الدنيا والاخرة . ولقد وفق الله الشيخ عبد القادر الجيلاني في العمل في كلا الحقلين معا وكان لغرسه ثمار فيهما ، فقد كان غيورا علي الدين واصلاح المتدينين لا يهدا له بال في ذلك وفتح باب البيعة ودعا الي التوبة وتداعي الي ذلك المسلمون من كل ناحيةيجددون

١- جوده ابو اليزيد : مرجع سابق ، ص ٤٠٣ .

وقــد سـيطرت الطريقة القادرية علي الحياة الدينية والاجتماعية في مراكش وما حولها طوال القــرون التالية لدخولها وهذا ما جعل الطريقة القادرية مستعدة لاية افكار صوفية جديدة وقد اكد الكثير من الباحثين ان نجاح انتشار الدعوة الاسلامية في اقطار افريقيا وغيرها من الاقطار يرجع الفضل الاول فيه الي المسلمين الصوفيين وفي طليعتهم رجال الطريقة القادرية

حتي ان بعض الكتاب الغربيين اظهروا تخوفهم من انتشار الطريقة القادرية وغيرها من الطـرق الصوفية واعتبرو ان انتشار هذه الطرق خطر على مصالحهم وهكذا كتب المسيو تائيلي يقــول ان الاســلام مديــن فى كل فتوحاته السلمية وانتشاره في الاقطار لجماعة الصوفية فمشايخ الطــرق هم في الحقيقة الذين يديرون حركة الاسلام الحية ولا يخفي ما في عملهم هذا من الخطر علي مصالح الاوربيين

ويقول توماس ارنولد (Tomas Arnold) في كتابه الدعوة الاسلامية:-

(وفــي غــرب افريقيا كانت هناك طائفتان تعملان بصفة خاصة علي نشر الاسلام هما الطريقة القادرية والتيجانية وقد تأسست الاولى وهى اوسع انتشارا في القرن الثاني عشر وقد دخلت القادرية في افريقيا الغربية في القرن الخامس عشرم علي ايدي مهاجرين من توات (Tuat) (١) ، وهــي فــي النصف الغربي من الصحراء فاتخذوا من ولاته اول مركز للطريقتين ، ولكن احفادهم طــردوا مــن هذه المدينة فيما بعد فلجئوا الي تمبكتو في مستهل القرن التاسع عشر ونجد النهضة الروحية الكبيرة التي كانت تؤثر في العالم الاسلامي تاثيرا عميقا تدفع بالقادرية الذين كانوا يقيمون بالصــحراء الكــبري وفــي السودان الغربي علي نشر دعوتهم ولم يمض وقت طويل حتى قامت للطريقة القادرية مراكز كبيرة في تمبو بجبال فوتاجالون ميسردو الواقعة في بلاد الماندنجو .

وكانت هذه المدن تؤلف مراكز التنوير الاسلامي وسط شعب وثني ، رحب برجال القادريه باعتبارهم كتابا وفقهاء وكتاب تمائم ومعلمين وسرعان ما تطور الدخول في الاسلام من افراد الــي جماعــات صــغيرة وعلي هذا النحو تسربت نواة الاسلام الي عباد الاوثان والاصنام وانتشرت العقيدة تدريجيا انتشارا عظيما بصفة مستمرة كما كان معظم المعلمين قد تربوا في كــنف الطــريقة القادرية وقد كان انتشار ونشاط هذه الجماعات في الدعوة ذاطابع سلمي للغايــة يعــتمد كل الاعتماد على الارشاد) كما لانجد في كتاباتهم أي عداء أو سوء نيه نحو المسيحيين (١)

١- ابو بكر القادرى :مرجع سابق ،ص ٢٦٤.

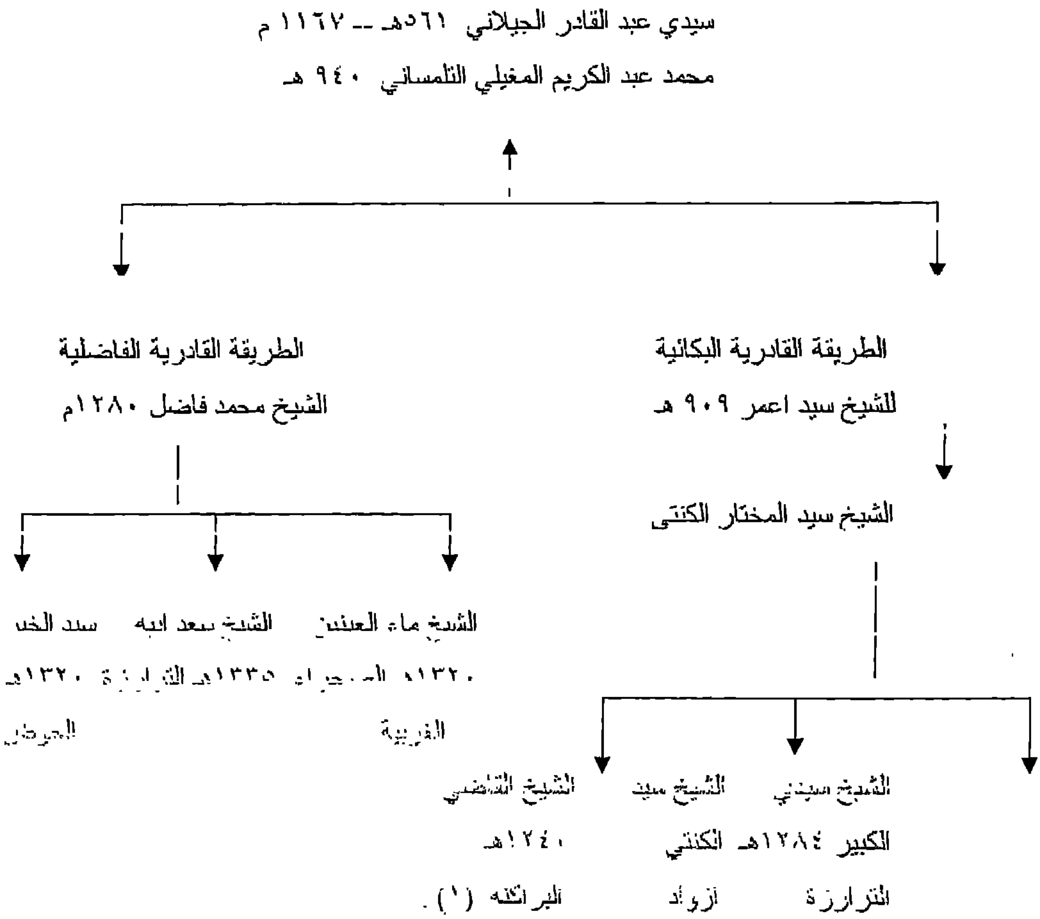
٢-توماس ارنولد :مرجع سابق، ص٣٨٥ .

فروع الطريقة القادرية :

بعد ان انتشرت الطريقة غربي السودان علي يد الشيخ سيدي المختار الكبير الكنتي والكنتيون بدورهم اخذو القادرية من عالم تلمساني وهو عبد الكريم المغيلي الذي ادخل الطريقة القادرية في موريتانيا غير ان الطريقة القادرية في موريتانيا انقسمت الي قسمين كبيرين هما :

(أ) الطريقة القادرية الفاضلية

(ب) الطريقة القادرية البكائية وكل من الطريقتين الرعيتين تشعبت الي شعب صغيرة ولكن تحت شعار الطريقة الام .



---

١ - مخطط يوضح تشعب الطريقة القادرية في موريتانيا ، انظر ، عبد الله بن عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٥٤ .

١ ـ الطريقة القادرية البكائية :

أسس هذا الفرع الشيخ سيد عمر بن الشيخ سيد أحمد البكائي في القرن العاشر الميلادي وكان يسافر إلى الشمال مرارا وفي إحدى هذه المرات لقي الشيخ محمد عبدالكريم المغيلي في توات وقد بلغت هذه الشعبة اوج مجدها مع ظهور الشيخ سيدى المختار الكنتي (١) ،الذي عاش بين ١٧٣٠ ميلادية ـ ١٨١١م وكان هذا الشيخ يمتاز بغزارة العلوم والاستقامة وكانت الأفواج تفد إليه لتنهل من علمه وتعود إلى مناطقها حاملة راية نشر الطريقة القادرية

وإلى هذه الشعبة ينتسب الشيخ سيديا الذي تلقى العلم والتربية الصوفية في حضرة الشيخ سيدي المختار الكنتى ثم في حضرة الشيخ سيدي محمد ثم عاد عام ١٨٢٦م فنشر الطريقة القادرية في مناطق تمتد من جنوب بلاد شنقيط (موريتانيا) إلى السنغال والسودان وغينيا ، وعنه اخذ الشيخ أحمد بن سليمان من علماء أولاد ديمان والشيخ أحمد بن حبيب الرحمن وعن الشيخ سيدي المختار اخذ الشيخ القاضي بن الحاج الأجيجي ١٢٤١ هـ ـ ١٨٢٥ م والشيخ المصطفى بن العربي الأبيري . وإلى نفس الفرع ينتسب الشيخ محمد المامي ومجموعة أهل بارك الله في الساحل والمرابط بن عبدالفتاح التركزي في البراكنة (٢) .

وقد انتشرت هذه الطريقة بسرعة فى أوساط عديدة تجاوزت الحدود الموريتانية أما تعاليم هذه الطريقة فلم تكن حادة ولا متوغلة فى الورانيات بل نجدها تبرأ من التواجد والشطح وغيره من مظاهر التصوف المألوفة غير ان انفصاما نال

---

١ ـ هو العالم الخصم والشيخ الاعظم كان موطنة فى اراض ازواد وقد اسس هناك محظرة من اعظم المحاظر فى ذلك العصر .

٢ ـ تطلق على دراري ثالث من ابناء (داماز هم عنصر اساس وزنون) ويمثلون فى زمنهم جناحا قويا من الامارة ونة نوع من الاستقلال ولهم دور بارز فى سراعات امارة الترارزة الداخلية وكانت مكروهة بسبب شراستها فقد افرطوا فى ظلم الزوايا وفى دس الدسائس لهم ليجدوا طريقة لاكل مالهم

حصل على الرعيل الاول حيث انكب المريدون والأتباع على الطلاسم والجداول والأوقاف حتى يخيل إلى المرء أن الطريقة البكائية لا تعني إلا هذه الأساليب الميتافيزيقة ويمكن تلمس هذا التحريف بجلاء عند الرجوع إلى المصادر المكتوبة بالطريقة وكذلك تعاليم سلفها المعتمد سنديا ، ولهذه الطريقة فروع أخرى خاصة في مدينة انجاسان وقد انتقل إليها نشاط الكنتيين وكان نفوذهم يمتد في قبائل بمبارا في جمهورية مالي على انه يلاحظ أنهم لا يلعبون دورا يضاهي الأسر الأخرى من أصحاب الطرق الاخرى (١) .

الطريقة القادرية الفاضلية :

أسسها الشيخ محمد فاضل (٢) بن مامين القلقمي (ت ١٨٧٩م) ، الذي كان يقيم في منطقة الحوض شرق البلاد ثم انتقل إلي أدوار شمالى مدينة شنقيط فاتخذ منها مقرا له وقد انتهج سياسة حكيمة فوزع أبناءه في لبلاد فكان لكل منهم منهج ومنطقة نفوذ خاصة به فقد بعث الشيخ سعد ابيه (٣) إلي ولاية الترارزة والشيخ ماء العينين (٤)

---

١ ـ ابو بكر القادرى : مرجع سابق ، ص ٢٦٤ .

٢ ـ ولد الشيخ محمد فاضل من مامين فى منطقة الحوض عام ١٧٨٠م وتثقف تحت راية والده وعلي يد شيوخ اخرين ابرزهم الشيخ محمد الكحيل وهو مؤسس الطريقة القادرية الفاضلية وتنسب عائلته للاشراف الادارسة وتزوج كثيرا وكان له من الاولاد الذكور ٤٨ ومن البنات ٥٠ وله العديد من المؤلفات في التصوف والفقه وغيره توفى ٢٢ ابريل ١٨٦٩م عن عمر يناهز التسعين.

٣ ـ هو الشيخ سعد ابيه بن الشيخ محمد فاضل تميز بتقواه وعلمه الفياض وتعدد مواهبه وكثرة جوانب عطاءاته توفي عام ١٩١٦ هـ .

٤ـ هو الشيخ محمد مصطفي المشهور باسم الشيخ ماء العينين تتلمذ علي يد والده وظهر عليه النبوغ مبكرا وله من التاليف ما وصل الي ٤٠٠ كتاب فى الفقه والتفسير ، وقد جاهد فترة طويلة تصل الي خمسين عاما ضد الاستعمار وتوفي عام ١٩١٠م عن عمر يناهز الثلاثة والثمانين عاما

إلي منطقة الصحراء الغربية والشيخ سيد الخير ت ١٣٢٠هـ إلي منطقة الحوض (١) وكان لهذا التوزيع غايات علمية وعملية واضحة فقد سئل الشيخ محمد فاضل عن الحكمة في توجيه الشيخ ماء العينين إلي الشمال الأقل علما وتوجيه الشيخ سعد أبيه للقبيلة المشهورة بالعلم فرد قائلا ليعلم الأول اهل الشمال ويتعلم الثاني من آهل الفيلة وقد برزت في العشيرة ثلاث اسر التف حولها المريدون آهل محمد فاضل بن الطالب أهل محمد فاضل بن عبيدي أهل الطالب المختار .

وكان الشيخ ماء العينين والشيخ سعد أبيه ابرز الشخصيات وقد اخذ عن الشيخ ماء العينين الشيخ المجتبي بن خطري البصاري وعن الشيخ سعد أبيه اخذ الشيخ احمد أبو المعالي التقاطي والشيخ التراد بن العباس بن الشيخ الحضرمي وعن الشيخ التراد اخذ الشيخ محمد بن عبد الله البصاري ١٩٨٤وبهذا استطاع الشيخ محمد فاضل أن يشكل من الطريقة القادرية فرعا خاصا به يجمع بين جميع الطرق الصوفية الأخرى بمكانة اجتماعية مرموقة ليس علي الصعيد الموريتاني فحسب بل علي صعيد الغرب الافريقي وافريقيا كلها وهذا الأمر جعله يفكر في تصدير ارائه خارج موريتانيا .

طرق اخري في موريتانيا:

إلـــى جانب الطريقة القادرية فانة توجد الطريقة الشاذلية(٢) وهى تنسب الى الشـــيخ ابـــو الحسن الشاذلى وهى من اوائل الطرق الصوفية التى دخلت موريتانيا وكذلـــك الطـــريقة التجانية(٣) وهى من اخر الطرق التى دخلت موريتانيا وهى من اوســـع الطـــرق انتشارا بعد القادرية ومع هذة الطرق الثلاثة الكبرى ظهرت طرق آخـــرى تباينت فى التاثير والانتشار وسادت في فترات محدودة وفى مناطق محدودة ولكـــنها أدت أدوارا هامـــة وهى طرق ليست جديدة او مختلفة عن الطرق الرئيسية ولكن تحمل اسماء اقطابها واماكن انتشارها في ظل الشيخ الجديد للطريقة (٤) ،

١-عبد الله عبد الرحمن:مرجع سابق،ص٤١.

٢-لمـــزيد مـــن التفاصيل : عبد الحليم محمود : المدرسة الشاذلية وامامها ابو الحسن الشاذلى ، القاهرة ١٩٦٧ .

٣-لمزيد من التفاصيل : على حرازيم جواهر المعانى وبلوغ الامانى من فيض سيدى ابو العباس

٤-التيجانى ، القاهرة ١٩٣٧ .

ومن اهم هذه الطرق الطريقة القظفية والحضرية والوفائية والناصرية والسمانية .

وهكــذا ومــن خــلال عرضــنا للطرق الصوفية فى موريتانيا وجدنا أن انتشــارها كــان متفاوتا ونفوذها لم يكن علي نفس المستوى ففى حين كانت الشاذلية محصورة في مناطق محدودة من البلاد كانت القادرية والتيجانية تزحفان علي امتداد واسع مع التراب الوطنى وتتوغلان فى أدغال افريقيا السوداء حاملتين معهما طلائع الفــتح الاســلامى ، وبالــرغم مما اصاب القادرية من فتور وتفكك نسبى فى الأونة الأخيرة من تاريخ البلاد فإن ذلك لم يثن أصحابها عن اعتناقها والدعوة لها كما يمكن القــول بــأن الزوايا عموما حققت بالتصوف ما عجزت عن تحقيقه بأكثر من وسيلة أخرى حيث أفلحت في خلق إطار روحى يتجاوز الولاءات القبلية بجمعهم تحت شيخ واحــد مجموعــة من القبائل المتعارضة المصالح والمتباينة الأصول والمتنافرة في الغالــب مما سمح لها بتشكيل مؤسسات موازية للتنظيمات السياسية (الامارات عند حســان) بــل ان الطــرق الصــوفية ومن خلال الزوايا جعلت بعض حسان يمتثل لأوامــرها واستطاعت هذه الطرق ان تجد لنفسها قواسم مشتركة تشكل سدي اللحمة بينهما تمثلت في ثلاث نقاط :

١- اتصال اسانيدها ولو نظريا بالرسول صلي الله عليه وسلم .

٢- تجمع علي ان هدفها الاسمي هوصقل النفس وعبادة الباري كما امر .

٣- اعــتماد كل طريقة علي قبيلة ما تعتبر نفسها المسؤلة عنها وتلتزم عفويا بالدفاع عنها والترويج لها ولو كان اغلب المريدين والمقدمين لا ينتسبون الى هذه القبيلة .

علاقة القادرية بالطرق الصوفية الاخرى في موريتانيا:

العلاقات الفكرية :

ترى الطريقة القادرية ان الطرق الي الله سبحانه وتعالي كثيرة وان كل شيخ يعلق بطريقة خاصة به ولا يعني تعدد الطرق عند القادرية ان تتصادم هذه الطرق بل علي العكس من ذلك يرمز هذا التعدد إلى مرونة الدين وفضل الله الكثير الذي يسر علي كل احد ما يستطيع تحمله وممارسته ليصل الى ربه ومن هذا المنطلق اعتبر الشيخ محمد فاضل ان طرق اهل الله واحدة ولا تفرقة بينها ولا بين اورادها فكان يعطي لابنائه كافة الاوراد ويقول لاحدهم هذا الورد كان يداوم عليه الشيخ الفلانى من دون ان

يقول له ان فلان هذا لا ورد له غير المذكور او انه لم يعط غيره وبالتالي فلا حواجز بين الطرق ما دامت البدايات والوسائل والنهايات و المرجعية واحدة ، هكذا جاءت الطريقة القادرية جامعة لكل الاوراد مما جعل الشيخ ماء العينيين يري ان ورد طريقته هو من اجل الاوراد قدرا ويغني عن جميع الاوراد ولا يغني عنه ورد لان كل الاوراد فرع مما عند القادرية حسب رايه(١) .

ويبدوا ان الطريقة القادرية في عصرها الاول لم يكن لها تباين مع الطرق الصوفية الاخري في اطارها الجغرافي المحدود نظرا لعلاقات الاعتبار المتبادلة بينها الا انه بخروج الطريقة القادرية عن مكان ظهورها الي انحاء موريتانيا شمالا وجنوبا وشرقا وغربا يبين خلاف ذلك ، كذلك نجد الشيخ ماء العينيين عند خروجه عن بلاد والده يمتعض من رؤية الاخرين للطرق الصوفية ومن رؤية الطرق لبعضها البعض قائلا (اذا بالناس كانها اعوذ بالله اهل ملل متفرقة واهل طرق مختلفة فتعجبت مما فيه الناس وتعوذت) ويتضح التباين بين القادرية وغيرها عند عقد صفقة البيعة ويتضح اكثر عندما يبحث المرء في الاسانيد التي توصل مصادر هذا السند .

علاقة القادرية بالطرق الصوفية الاخرى من حيث الأسانيد:

مع الطريقة البكائية :

للطريقة القادرية في موريتانيا فرعان الفاضلية نسبة الي الشيخ محمد فاضل مامين والفرع البكائي نسبة الي الشيخ سيدي المختار الكنتي ويلتقي سند الفاضلية والبكائية عند الجد السابع عند الشيخ علي ابو الحسن الشاذلي ليظل هذا السند متصلا حتي الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه (٢) .

١- ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل : نعت البدايات ، مرجع سابق ، ص ١٨٨

٢ - محمد فاضل محمد الحطاب : مرجع سابق ، ص ١٦٨

مع الطريقة الغظفية :

لقد تناول الباحثون هذه العلاقة بشئ بعيد عن الدقة التاريخية فمنهم من ذكر ان جد الشيخ محمد فاضل وهو المسمي بالطالب اخيار تعلم علي يد الشيخ محمد الاغظف مع ان الشيخ محمد الأغظف توفي عام ١٧٩٨م بينما الشيخ الطالب توفي قبلة بحوالي ستين سنة الا ان بعضهم ذكر ان الذي تعلم علي يد الشيخ محمد الاغظف هو الشيخ محمد فاضل وليس جده وهذا مردود عليه ايضا بان عمر الشيخ محمد فاضل عند وفاة الشيخ محمد الاغظف لم يتجاوز الست سنوات ولكن ترجع الصلة الي اعجاب الشيخ محمد فاضل بالشيخ محمد الاغظف وتكرار ذكره مع كثير من شيوخ واقطاب الطرق الاخري الذين لم يكونوا أشياخاً له ولا أساتذه بل منهم من لم يجمعه واياهم اطار زماني او مكاني قط.

مع الطريقة التيجانية :

بدأت هذه العلاقة عندما التقي الشيخ احمد التيجاني بالشيخ مامين في مدينة فاس عام ١٧٩٦م وطلب منه ان ياخذ الورد عنه الا ان الشيخ محمد فاضل رفض بحجة انه راي الشيخ مامين – اخذ ورده عن اجداده فلما الح عليه اعطـــاه الشيخ مامين الورد ولا تبدو هذه المسالة غريبة علي الطريقة القادرية لان طريقتهم تسمح باخذ الاوراد عن كافة الطرق واعطائها للمريد وتسمح للمريد بان ياخذ وردها ويظل علي طريقة شيخه الاول .

هذا الاختلاف في اسانيد الطرق ولد اختلافا آخر في مادة كل طريقة وربما كان ذلك هو السبب في تمايز الطرق وتسمي كل منهما باسم خاص بها ويتجلي ذلك الاختلاف اكثر في فكر وممارسات كل طريقة علي حده، تعتمد الطرق الصوفية في موريتانيا كغيرها علي حلقات الذكر العلني او الخفي والفرع الفاضلي من القادرية يعتمد علي الذكر العلني بلفظ لا اله الا الله واسم الجلالة المفرد (الله) بقوة كمنهج اساسي اما القادرية البكائية فالذكر عندهم بالصوت الخفي (١) .

Paul Marty : Eudes sur Islam . Paris 1939 . p 261

ولقد اعطي الذكر العلني للطريقة الفاضلية مظهرا ترويجيا جعل مريديها يتمايزون ، ويمكن اللحاق بهم نظرا لحلقاتهم المؤثرة في قلوب من لهم تعاطف مع الاسلام الممارس وهذا ما نوه به بعض الاداريين الفرنسيين معتقدين ان الذكر العلني كان من اهم العناصر الترويجية لهذه الطريقة القادرية الفاضلية(١)

ومن الممارسات الظاهرة للتربية عند الصوفية انهم كانوا يحضون مريديهم الي عمليات التجويع وتحمل المشاق في الاعمال ولقد اشتهر اغلب مشايخ التصوف في موريتانيا بصعوبة تربيتهم واخضاعهم لتعاليم مرهقة وكانوا يهدفون من وراء ذلك الي كسر شوكة النفس عند المريد وتحجيم نزواته الا ان القادرية كان لها تربية ميسورة اذا قورنت بالطرق الاخري لا سيما الشاذلية والبكائية حيث يطالعنا المؤرخون بممارسات حادة عند هاتين الطريقتين ولطيفة عند الفاضلية وقد روي بعض مريديهم ان شيخه ربما رقي بمجرد النظر او الهمة وقد ياتيه المريد فيصحبه من غير ان تكون له همة بالطرق الي الله تعالي بل انما مراده ان يقرا العلم او ينفق عليه الشيخ او يكسبه فينجح في اسرع وقت من دون ان يكون اوصل الي الشيخ احسانا ولا اهدي اليه عرضا

وتختلف الطرق الصوفية في مدة تربية المريد ويجمعون علي اخضاعه لفترة تربية تتراوح بين ليلة واربعين ليلة وربما اكثر في مكان منزو للعبادة ولم تختلف الطريقة القادرية في موريتانيا عن هذا السلوك المتعلق بالمريد المنتسب للطريقة في بداية انتسابة لها ويتباين اقطاب الطرق فيما يتعلق بالمظهر الخارجي من حيث البساطة والاهتمام بلبس الثياب الفاخرة ومن وصايا اقطاب القادرية وصية الشيخ محمد فاضل لابنة الشيخ سعد ابية بالتلطف بالمريدين قائلا لة (اوصيك بتقوى الله العظيم والرفق بالتلاميذ والمسامحة ان اخطأوا) (٢) .

وقد تميز اقطاب القادرية بلبس فاخر الثياب وجميلها وهم بذلك يختلفون عن بعض الطرق الذين كان لهم زى معين وهيئة مخصوصة .

١- محمد فاضل : مرجع سابق ، ص ١٧

٢- الشيخ سعد ابية بن الشيخ محمد فاضل : الاسنة النافذة ، مخطوط بالملحق .

الفرنسيون وعلاقتهم بموريتانيا قبل الاحتلال عام ١٩٠٣م :

شـهد القـرن الخـامس عشـر المـيلادي بدايـة التوسـع الأوربـي والاكتشـافات الأوربية وما صـاحبها من تأسيس المراكز التجارية علي الشواطئ الأفريقية العربية وهذا التأسيس غير تدريجيا أساس النظام التجاري في المنطقة (١) .

لقـد كـان أول حضـور للوافـد الأوربـي تمـثل فـي البرتغاليين وكـانوا علـي الشواطئ الأطلسية في جزيرة اكاديردوم ولـيس الحضـور البرتغالـي فـي هذه الشواطئ التـي تضم الشعب العربـي المسلم بالأمـر الغـامض فـي دوافعه ولا في مراميه وإنما يأتي فـي سياقه التاريخـي المتناغم والمنسجم . وقد أتيحت الفرصـة مبكرا للبرتغال من اجل التفرغ لان تسلك طريقها في الغزو لمتابعة حروبها الدينية ضد العرب المسلمين (٢) .

وقـد سـاعد البرتغال علـي هـذه المهمـة قـربهم مـن الشـواطئ الأفريقـية فكانـت ترسل البعثات التجريبية وترسم الخرائط علي ضوئها وقد استفادت البرتغال من خبرات العرب الجغرافية والفلكية(٣) ، وتوالـت الـرحلات البحرية علي الشواطئ الأفريقية بعد الإحتلال .

وقد وصل البرتغاليون بعد ذلك إلي الشواطئ الشنقيطية عل عهد هنري الملاح (١٣٩٤) وقد تمركز البرتغاليون عام ١٤٤٨م فـي اركيه الذي يعرف عند الشناقطة باكاديردور ثم توغلوا في البلاد حتى أدرار وودان (٤) .

CA , damasto : voyorges of cadamosto and of her documsents on wester af rice in the second of hald of thexvth cantary africoa in the , london 1937 , p. 125.

٢- شـوقي الجمـل : تـاريخ كشـف افريقيا واسـتعمارها ، القاهـرة ١٩٧١ م ص ١٥٤ .

٣- ليلى الصباغ : معالم تاريخ اوربا فى العصـر الحديث ، دمشق ١٩٨٢ ، ص ٢٥ .

٤ـ ودان احدى المدن التاريخية الموريتانية تقع فى منطقة ادرار بالشمال الموريتانى

وترجع الروايات التاريخية التى تبناها معظم الباحثين من يفترض انها تاسست سنة ١١٤١ م وقد اضطلعت بدور نشط فى التجارة عبر الصحراء وهى الان عاصمة مقاطعة من مقاطعات ولاية ادرار

ولقد رمي البرتغاليون من وراء ذلك إلي تحويل طرق التجارة من تمبكتو وعندما فشلوا في ذلك انصرفوا إلي تجارة الرقيق وكانت قلعة اركيه من أهم مواقع تصديره في هذا الوقت وقد واصل البرتغاليون اكتشافاتهم حيث احتلوا مواقع أخرى (الرأس الأخضر – ساحل الذهب) وطافوا حول راس الرجاء الصالح ووصلوا إلي شرق افريقيا (١) .

ولقد كان ذلك عام ١٤٩٧م والملاحظ أن حضور البرتغاليين كان علي الشواطئ فقط في بداية أمره ومرد ذلك إلي ضآلة عدد البرتغاليين وتواضع إمكانياتهم وكان الهدف من هذا الحضور تجارياً مع أهداف أخرى ، وقد استطاعت البرتغال أن تتصل بتجارة الشرق مباشرة وان تقوض القوة التجارية العربية وان تسيطر علي المسالك البحرية ولكن البرتغال لم تمكث في السيطرة علي هذا المنحني فترة طويلة ويرجع ذلك إلي ظهور قوي استعمارية أخرى مثل هولندا وفرنسا وبريطانيا مما أدى إلي احتدام الصراع بينهما وإلى تقسيم أملاك البرتغاليين التي ضمتها أسبانيا عام ١٥٨٠م واستمر ضم أسبانيا لها مدة تزيد علي سبعين عاماً (٢) .

ظهور قوي جديدة :

وقد تمكنت قوه جديدة هي هولندا التي أنشأت شركة الهند الغربية الهولندية من فرض السيطرة علي المحطات التي كانت بحوزة البرتغاليين وهكذا سيطروا علي ميناء اركين في مطلع القرن السابع عشر وكذلك ميناء هدي (٣) ، الذي يعرف في المصادر الأوربية ، **Portendick** , وقد احتدم الصراع بين القوي الأوربية حيث استطاع الفرنسيون من انتزاع الجزيرة من الأسبان عام ١٥٧٨ ثم تحولت السيطرة لهولندا عام ١٦٣٨م الذين انسحبوا منها تحت ضغط إنجلترا عام١٦٦٦م .

---

١ – ليلى الصباغ : مرجع سابق ، ص ٨٦ .

٢– شوقى الجمل : مرجع سابق ص ١٨٥.

٣- نسبة الي هدي بن احمد بن دامان ثاني امراء الترارزة.

وظل الصراع بين إنجلترا وفرنسا وهولندا للسيطرة علي هذا المركز ثم انسحبت هولندا من الصراع المحتدم بين إنجلترا وفرنسا والذى ظل محتدما حتى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي حيث ظهر مركز سانت لويس مركز الثقل التجاري الفرنسي والذى أسسته فرنسا عند مصب نهر السنغال عام ١٦٥٩ م وظلت انجلترا فرنسا تتعاقبان السيطرة عليه حتى استطاعت فرنسا السيطرة عليه عام ١٨١٧ م بموجب اتفاقية فيينا في ١٨١٥/٦/٩م في إطار استرجاع فرنسا لممتلكاتها بعد الحرب النابليونية وقد كان هذا المركز الذي ارتكز عليه الفرنسيون في أسبانيا لغرب أفريقيا فيما بعد (١) .

تأسيس فرنسا أول محطة عند مصب نهر السنغال :

لقد اقتربت فرنسا من منابع تجارة الصمغ العربى بين البيظان والتجار الأوربيين لتأسيس أول محطة لها عند مصب نهر السنغال واتخذت فرنسا من سان لويس مركزا لقيادتها وشيدت فيها حصنا وسرعان ما تعاظمت كمدينة.

لقد كان الحضور الفرنسي الذي بدا يتعاظم منذ تأسيس مدينة سان لويس التي تنامي دورها الاستعماري بدرجة أنها بعد احتلال فرنسا لبلاد شنقيط كانت مقراً الحكم الفرنسي للبلاد بها . كان الحضور إذا حضورا تجاريا ولكنه تطور لينتهي إلي التدخل المباشر فيه خاصة أمور السكان ومن ثم فرض هيمنتهم عليهم وخاصة عن طريق العلاقات التجارية مع الأمراء والمشايخ ، ومنذ عام ١٦٢٦م وصل الفرنسيون إلي مصب نهر السنغال بعد الحروب التي عرفت باسم حروب الكندر(٢) التي نشبت بين فرنسا وإنجلترا وهولندا وبذلك تم إرساء الوجود الفرنسي في سان لويس وتحويل سوق الصمغ من بورتنديك (Portendik) .

---

١ - محمد الامين ولد سيدي احمد : السلطة والفقهاء في امارة الترارزة خلال القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٦٦م ، ص ٧٠ .

٢ - حروب الكندر : الكندر هو الصمغ وتعني حروب الصمغ التي واجهت فرنسا الهولنديون فيها خلال الربع الاول من القرن ١٨ ثم بريطانيا خلال الربع الثاني من القرن نفسه ومن جراء تصدير موريتانيا للصمغ اصبحت تحتل مكانة بارزة في السياسة الاستعمارية الاوربية

ومنذ ذلك الوقت أصبح الفرنسيون فى سان لويس هم الجيران المقربون لموريتانيا وقد مرت فرنسا بفترة فتور بعد هزيمتها من بروسيا عام ١٨٧٠م ثم تجدد الاهتمام باستكشاف موريتانيا بعد ذلك بعد أن وطد الفرنسيون اقدامهم في مصب نهر السنغال وكانت الأهداف الفرنسية تتلخص في اجتذاب القوافل التي تحمل المنتجات المحلية وكان الصمغ علي راس هذا المنتجات ، لذلك قام الفرنسيون بعمل رحلات استكشافية إلي موريتانيا تلك الرحلات و البعثات التي كثفت من نشاطها خلال النصف الثاني للقرن التاسع عشر (١) . والتي كانت تحمل معها نوايا استعمارية تجاه البلاد ومن المرجح أن تكون هذه الرحلات قد ساعدت في بلورة مشروع كوبلاني(٢) الهادف إلي احتلال الأراضي الموريتانية ووضعها تحت الهيمنة الفرنسية وهو المشروع الذي خرج إلي الوجود في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر ومن هذه الرحلات رحلة بول امبرت الذي وصل إلي الشواطئ الموريتانية عام ١٦٣٠م (٣) ، وهذه الرحلات الاستكشافية لم تصبح حقيقة ملموسة إلا في القرن التاسع عشر مع ريني كابي الذي زار البراكنة وغيره من الرحالة الآخرين الذين زاروا مناطق مختلفة من البلاد .والواقع أن فرنسا كانت لا تفكر في احتلال موريتانيا لاعتقادها أن هذه الصحراء والتي تقع شمال السنغال فقيرة وان نفقات الاحتلال لا تساوي ثروات هذا الإقليم (٤) .

---

١ -محمد الراضي بن صدفن : السياسة الاستعمارية الفرنسية في موريتانيا واثرها علي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية (١٩٠٠-١٩٦٩) ، بيروت ١٩٨١م ، ص١٣.

٢- كوبولانى مهندس احتلال فرنسا لموريتانيا اتم دراستة فى قسنطينا وعمل كموظف للتصدير ثم عين سكرتير فى المجلس المختلط لمديرية وادى شرق بالجزائر ثم عين مساعدا لحاكم الفرنسى فى لجزائر سنة ١٨٩٦ م وكان لة اهتمام بالدين الاسلامى واللغة العربية وكان مشبع بروحا الاستعمار وكان ذلك سببا فى ترقية فى عملة . سعد خليل ص٢٣٢.

Janral , Christine : Desertfertile unnoveletat La Mauritanie , paris ,1926 p.76

٤- عبد المالك خلف التميمي : الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٧ ، ص٦.

ومهما يكن من أمر فان تعيين فيدرب جاكما علي السنغال عام ١٨٥٤م يشكل الانطلاقة الأولى لأعمال البعثات الكشفية الكبرى التي ستصل المغرب انطلاقا من السنغال وقد كان فيدر ب (١) يتطلع لجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات العلمية الجادة حول موريتانيا خاصة وان ممثلي المؤسسات التجارية المتواجدة كانوا يضعون آمالا كبيرة عليها باعتبار الشخصية القادرة علي تخليص السنغال من تهديد البيظان ولذلك فقد قام بدراسة المحتويات الأرشيفية في المستعمرة في الوقت الذي أقام فيه نظاما سياسيا يعتمد علي المعارف الدقيقة . (٢)

ومع نهاية الخمسينيات كان الشغل الشاغل بالنسبة لفيدرب هو كشف السواحل الموريتانية لأغراض تجارية لمعرفة ما إذا كان يمكن إقامة علاقات تجارية مهمة مع البيظان وفي فترة بيني لاباد الحاكم العام بالسنغال الذي حل محل فيدرب تواصلت حملات الكشف وتحصيل المعلومات حول غرب أفريقيا بشكل عام و موريتانيا بشكل خاص حيث أوفد هذا الحاكم بعثة لكشف مياه الراس الأبيض بحرا وذلك عام ١٨٦٩م (٣) وقد حدثت في هذه الفترة محادثات من جانب الفرنسيين مع أمراء الترارزة والبراكنة وغيرهم وعقدت فرنسا اتفاقيات ومعاهدات وذلك للحصول علي الصمغ العربي حيث اهتمت معاهدة بين ليونار دوران باسم ملك فرنسا وبين الأمير الترارزي وقد تكفل الأمير بتسهيل التجارة للفرنسيين بصفة عامة والصمغ بصفة خاصة كما تنازل عن ملكية الأرض اللازمة لإقامة مركز تجاري في منطقته وتعهد أيضا بتقديم المساعدة والحماية بشتي الطرق وذلك مقابل الحصول علي البضائع الغربية ويعتبر هذا الاتفاق هو أول اتفاق بين الفرنسيين واحد الأمراء الموريتانيين .

١- فيدرب (١٨١٨ -١٨٨٩) يعد من اكثر الضباط اهتماما بنشر الاستعمار الفرنسي فى غرب افريقيا والصحراء الكبرى ، بدء خدمتة بالجزائر سنة ١٨٤٢ الى ١٨٥٢ ثم نقل الى السنغال حتى ١٨٦١ ثم رجع اليها مرة ثانية سنة ١٨٦٣ حتى ١٨٦٥ ، ارسل العديد من البعثات الكشفية الى موريتانيا كما سعى الى تنظيم مستعمرة السنغال .(وثائق محمدو ص ١٠٧)

١ - Chailley ,Marcell : Histore de pao feeditiony baer fevrautt 1960 p 198.

٢- etlenne Aclurvell , Atravers : La Mauritanie occidentale Saint Loous apart vol partie generale et ecomeque editon lorozu , paris 1909, p 17

كما أن الفرنسيين بدأوا يتعاملون مع البراكنه الجيران الأقرباء للترارزة وذلك لأن صراعا علي الحكم نشا بين امراء الترارزة وعلي ذلك رأت فرنسا أن هذه فرصة مواتية للتدخل والحد من تسلط الأمراء علي التجار وذلك باتباع سياسة التحريض لاحد المتنافسين علي الاخر(١)

وقد تجددت فكرة الاهتمام باكتشاف موريتانيا بمناسبة طرح مشروع إنشاء سكة حديد تربط بين السنغال والجزائر وعلي ذلك أوفدت فرنسا بعثة استكشافية في عام ١٨٧٦ م ولم يستطع قائدها سوليبه الوصول إلي إقليم أدرار الذي كان هدف البعثة ثم أعقب ذلك رحلة فابرت وبلانتش وغيرهم كثيرون (٢) .

لقد كان للصمغ شأن عظيم وأثر خطير عند الأوربيين وتجلي ذلك فى احتدام الصراع علي هذه المادة لدرجة الحرب والمنهج الذي سلكته الشركات التجارية الفرنسية في الحصول علي الصمغ وكان في المقام الأول ابرام اتفاقيات مع أمراء البلاد واعيان القبائل وهذه الاتفاقيات التي فاءت بامتيازات علي هؤلاء الأعيان والأمراء فبموجب هذه الاتفاقيات سمحوا للفرنسيين بالمبادلة التجارية في المناطق المحددة (٣) ، ومقابل ذلك يتعهد الفرنسيون بإعطاء ٣% من قيمة الصمغ الذي يتم مبادلته علي ضفة النهر وقد وقعت فرنسا اتفاقية مع ادوعيش عام ١٨١٨م في عهد ادوغيش محمد بن محمد شين وفي عهد بكار اسويد احمد عام ١٨٥٧م ووقعت فرنسا اتفاقية مماثلة مع أمير الترارزة وأمير البراكنة عام ١٨٨٥م (٤) .

نتائج البعثات الكشفية في موريتانيا :

أن المتتبع للبعثات الكشفية في موريتانيا يلاحظ أنها كانت من الأهمية حيث افضت الي نتائج مهمة تحوم حول معرفة البلاد بما في ذلك معرفة القدرات الاقتصادية المتوفرة بها (٤) . ومن هذه الأهداف :

---

١ - سعد خليل : مرجع سابق ، ص ١٩٦.

٢ - ازيد بية بن محمد محمود : مرجع سابق ، ص ١٤٥.

٣ - صورة من نص المعاهدة بالملحق.

٤ - محمد الرازى : مرجع سايق ، ص ٤٩.

١ـمعرفة الناحية الطبيعية للبلاد :

لقد كانت معرفة التضاريس لموريتانيا تشكل إحدى المشاغل الرئيسية بالنسبة للحاكم الفرنسي الذي كان ينوي إنجاز خريطة للعالم ، وفي تقرير لقائد أركان القوات المسلحة الذي اوفده فيدرب في مهمة لادرار جاء ما نصه (لقد قدمت الرحلة معلومات هامة عن التضاريس)

ا- معرفة السكان :

لقد تركزت كل البعثات الكشفية علي معرفة السكان وعلي عاداتهم وتقاليدهم وكان الرحالة ينظرون إلي تلك العادات وتلك التقاليد باعتبارها من نوع خاص ومعرفة السكان يسهل للمستعمر كيفية السيطرة عليهم .

ب ـ جمع المعلومات الاقتصادية للمنطقة :

بالرغم من المحاولات العديدة والجادة التي قام بها البعثات الكشفية في سبيل جمع المعلومات عن الإمكانيات الاقتصادية المتوفرة في موريتانيا فانه لم تتوفر لدي الحكومة الفرنسية المعلومات الكافية المتعلقة بثروة البلاد المعدنية أو السمكية إلا من خلال السنوات الأولى من الاحتلال والذي يمكن القول هو أن هناك أصداء توحي بان الرحلات الكشفية في موريتانيا لم تكن مستقلة كل الاستغلال عن المسار الذي استخدمته السياسة التوسعية الفرنسية في البلاد منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وهي السياسة التي استهدفت تقويض النفوذ السياسي لدي الأمراء والحد من التجاوزات الناجمة عن هيمنة السكان البيظان الذين يهددون الأمن والاستقرار علي مستوي ضفة النهر وهو ما كان يستدعي من السلطات الفرنسية المتمركزة لدي السنغال كتطبيق السياسة التوسعية الجديدة عن طريق تهيئة الظروف المناسبة لذلك فان الرحلات الاستكشافية التي علي ما يبدو مهدت وساهمت إلي حد ما في إنجاح مشروع كوبولاني والذي حظي بالموافقة من الحكومة الفرنسية في السنوات الأولى

من القرن الماضي والقاضي باحتلال موريتانيا ووضعها تحت سيطرة الاستعمار . (١) لكن موقف الفرنسيين سوف يتغير وسياستهم ستستبدل خاصة فى النصف الثانى للقرن التاسع عشر (١٨٥٠- ١٩٠٠م) التى تعرف فى كتب التاريخ بفترة حرية التجارة وبداية التدخل الفرنسى .

لقد تغيرت من جهة الفرنسيين إذ ماطلوا في دفع الرسوم التي تعودوا علي دفعها سنويا للأمراء وتغيرها من جهة الأمراء الذين قاموا بسياسة النهب مما حدا بالتجار إلي رفع شكوي إلي الحاكم الفرنسي من وضعية الابتزاز والاغتصاب والتلصص وعلي ضوء هذه الشكاوي قام الحاكم الفرنسي بتدشين سياسة توسعية لا هوادة فيها وستلغي هذه السياسة الرسوم والمواثيق التي كانت قائمة بين الفرنسيين والإمارات البيظانية بخصوص تجارة الصمغ .وإلغاء الرسوم التي كانوا يدفعونها ولقد رأى أن يستعمل القوة في سبيل تحسين هذه السياسة (٢) .

ولقد دشن الفرنسيون بذلك سياسة مواجهة الأمراء وستفضي إلي التدخل المباشر في شئون السكان تمهيدا للسيطرة عليهم ولذلك في الواقع بواعثه علي المستويين الداخلي والخارجي ولن يتأتى للفرنسيين السيطرة ألا باتخاذ مجموعة من التدابير المختلفة كان من اهمها التغلغل في البلاد عن طريق الرحلات الاستكشافية التي تعتمد علي جمع مختلف المعلومات عن بيئة السكان وسجاياهم وكان هذا العمل عملا شاقا بل أحيانا ركوب خطر قد لا تحمد عقباه (٣) .

١- محمد الرازي بن صدفن : مرجع سابق ، ص ٥١ ،

٢- Janral , Christine : Op . Cit , p . 112

٣- ازيد بيه بن محمد : مرجع سابق ، ص ص ١٥٦ – ١٥٧ .

أوضاع موريتانيا الداخلية قبل قدوم الفرنسيين:

عاشت موريتانيا فترة طويلة من تاريخها ابتداء من القرن الثاني عشر الميلادي وحتى نهاية القرن التاسع عشر تحت تأثير مجموعة من العوامل التي فرضت عليها نوعا من الانعزال والانغلاق مما حرمها من التفاعل والتاثر بما حولها .

ومن هذه العوامل :

١- عدم وجود سلطة مركزية تضبط حدود البلاد الموريتانية بشكل دقيق نظرا لتوزيع البلاد السياسي بين خمس إمارات محلية ، شكلت كل منها علي نظام سياسي له حوزته الجغرافية شبه المتعارف عليها .

١ - تعدد المؤسسات الأهلية وضعفها وانغلاق كل منها علي ذاتها انغلاقا اجتماعيا ووظيفيا شبه راكد .

٣- قلة الاتصال بالعالم الخارجي بشكل قوي لا يسمح بالاستفادة من المتغيرات الخارجية ونظرا لهذه العوامل ظلت موريتانيا بعيدة عن التأثيرات التي توقظ الشعور الوطني أو التي تسمح لمفهوم القضية الوطنية بالنضج ولقد ظل تعدد الولاءات هو العائق الكبير أمام انتعاش الشعور بالحس الوطني فالأمير لا يهمه إلا مجال إمارته الجغرافي وشيخ الطريقة الصوفية لا يعتني إلا بالأفراد المتصوفين تحت لواء طريقته أو المتعاطفين معها . كذلك شيخ القبيلة كان اهتمامه منصبا علي أفراد قبيلته خاصة منهم أولئك الذين يدينون له بالولاء ويستفيد من خدماتهم ولقد ظلت هذه المؤسسات الأهلية الثلاثة (شيوخ الطرق- شيوخ القبائل- الأمراء) تحكم علاقاتها النسبية المصالح الآتية والتي تزكي في نفس الوقت الصراعات فيما بينها وداخل كل مؤسسة منها علي حدة وبقي الولاء الأوحد الذي يجمع هذه المؤسسات هو الولاء الإسلامي الذي يفتقر إلي قطب يوحد جهود هذه المؤسسات أو يوطدها أو تستمد منه شرعية ممارستها ، هذا الافتقار والفراغ هو ما ستحاول الطرق الصوفية سده في فترات متأخرة كنوع من البحث علي الشرعية الزمنية والروحية لتوحيد الجهود المحلية في وجه الهيمنة الفرنسية تحت شعار الجهاد الإسلامي خاصة بعدما فشلت جهود الدفاع عن الإمارات نظرا للاستهلاك من قبل في المواجهات مع الامارت الاخرى .

هذا الوضع هو ما انتبه اليه رواد الهيمنة الفرنسيين لما اعلنوا أن موريتانيا مستعمرة فرنسية في السابع والعشرين من ديسمبر عام ألف وثمانمائة وتسع وتسعون ١٨٩٩/١٢/٢٧م (١) . فبدءوا في تحديد علاقتهم مع كل طرف ومؤسسة أهلية حسب وضعية وإمكانيات ذلك الطرف وتلك المؤسسة بغية إجهادها أولا واستغلالها ثانيا لصالح الهيمنة الجديدة فاتبعوا في ذلك سياسة الإبقاء علي الهياكل الصورية للمؤسسات وتحطيم أي تعارض منها مع الأهداف الجديدة وتفضيل ما يخدم السياسية الفرنسية في دورها التوسعي لذا تميزت علاقاتهم بهذه المؤسسات بالتنشيط تارة والتجميد تارة أخرى مما احدث اختلافات غير طفيفة نشير إلي بعضها :

١ـمع الأمراء :

لقد بنيت العلاقة بين الفرنسيين وحكام الإمارات في البداية علي أساس أن الأمراء هم سادة الأرض وان الفرنسيين تجار يدفعون رسوما جمركية للأمراء من اجل تأمين التبادل التجارى وتطور هذه الضرائب مع الزمن وتنوعت وازداد كمها وكيفها حتى اصبحت تشكل العمود الفقري لاقتصاد الإمارات المحازية لنهر السنغال لكن تنوع آخر طرأ في دلالتها فبعد أن كانت رسوماً مستحقة أصبحت مكافأة من الفرنسيين للأمراء وورقة رائجة في يد الإداريين الفرنسيين بالضغط علي الأمراء للخضوع لشروطهم فاصبحوا يدفعونها لمن يرضيهم من الأمراء ويمنعونها عن خصومهم وهكذا شيئا فشيئا أصبحت كافة النظم الأميرية في نهاية القرن التاسع عشر تتمحور حول هذه الضرائب إذ كان التنافس عليها من الإمارات السبب الرئيسي في كل الحروب كما كان الدافع الخفي وراء اغلب النزاعات من الأفراد والأسرة الأميرية الواحدة بغية استئثار كل فرد منها بنصيب الأسد لما سمح الفرنسيون بان يتخذوا منها وسيلة لتغذية الصراعات الداخلية ويتمكنوا من خلالها من التسرب إلي التحكم في النظام الأميري خاصة مع احتفاظهم المباشر بالوحدات القبلية المكونة للنظام الأميرى . (٢)

---

١ ـ محمد فاضل : مرجع سابق ، ص ٢٠٧ .

A.N.M cearite dossier / sta colnistion deda mau ritairie

١-مع شيوخ القبائل :

في محاولة لتقليص قبضة الأمراء علي قواعدهم عمل رواد الهيمنة الفرنسية علي تدعيم دور رؤساء القبائل علي حساب الأمراء من خلال تقديم المساعدات المالية والعسكرية إليهم والتعامل معهم مباشرة دون الوسيط الأميري مشجعة حركة عصيانهم علي الأمراء في محاولة لتهميش المؤسسة الأميرية المتداعية كهدف أول ولإزكاء نار الصراعات الداخلية كهدف ثان مما جعل بعض الشيوخ في المرحلة الأولى للتدخل الفرنسي يرفضون دفع الغرامات للأمراء ويلوحون بالخروج علي طاعتهم مما سمح لبعض الإداريين الفرنسيين باعتبار موقف الشيوخ هذا نجاحا مشجعا لسياستهم في موريتانيا ، أن سلطة فرنسا قضت علي نفوذ الأمراء ومشايخ القبائل الذين كانوا في غاية التعاون معهم من اجل استخلاص ديونهم مقابل عطايا لقاء هذه الخدمة٢ وقد أورد كوبولاني نص شكوي أحد مشايخ القبائل قائلا:-

(لقد جئناكم رجاء أن تشرحوا لنا الطريقة التي يمكننا من الان فصاعدا أن نسترجع بها ديوننا الكثيرة من القبائل المحاربة والزوايا في ارض البيظان فلقد كان قبل احتلال الفرنسيين لهذه الأرض أمراء وشيوخ نعتبرهم ملاذا لنا نلجأ إليهم لاسترجاع حقنا مقابل هدايا تضاف قيمتها للديون المستحقة وتمنحها لهم لكن بالمقابل فانهم ينهبون أموال القبائل المتأخرة ويأخذون حقهم من هذه الأموال ثم يقضون ديوننا مما تبقي وكان لكل منا أمير أو شيخ أو علي الأقل بعض المحاربين تحت تصرفه مما يجعله في أمان من ضياع أمواله واليوم لم يعد هناك أمير أو شيخ والمحاربون يتحاشون القيام بمهامنا ولذا فان سيطرتكم علي ارض البيظان أصبحت علي حسابنا إلا إذا كان بوسعكم أن ترجعوا لنا حقوقنا دون إلزامنا باللجوء إلي أحكام القضاء أو الحكام الإداريين الذين ليس بوسعنا أن نرفع لهم امورنا).

١- ازيد بيه بن محمد محمود : مرجع سابق ، ص ١٧٣ .

٢- انظر لحقائق كوبولاني آنف الذكر الملحق رقم ٢ .

ولقد ازكى الفرنسيون الصراع بين شيوخ القبائل ورعاياهم فقاموا وفقا لمحاولتهم للابقاء علي الهياكل الصورية للمؤسسات الاهلية وتفاديا لعدم الاحتكاك المباشر مع الأهالي باتخاذ بعض الشيوخ جباة ضرائب علي تابعيهم مقابل نسبة معلومة الأمر الذي اعطي منصب الشيخ القبلي اهمية اقتصادية وسياسية جديدة استدعت الصراع علي هذا المنصب بين أفراد عائلات الشيوخ للانفراد به والاستحواذ عليه ومن جهة أخرى أثارت هذه الأهمية تذمر الأهالي خاصة وان إيكال جمع الضرائب إلي شيوخ القبائل آثار جشع بعضهم مما افقده التقيد بأي وازع إلى درجة انه كان يكره فتيات تابعيه ولو كن مسلمات علي الزواج من الفرنسيين يبتغي في ذلك مرضاتهم وعائدات الضرائب وهذا ما انتبهت إليه بعض القبائل وحاولت تفاديه قبل وقوعه فكتبت إحداها مخاطبا الإدارة الفرنسية في هذا الأمر قائلة (أن جماعة من بني ديمان تريد من أهل الدولة الفرنسية أن يكتبوا لنا كتابا ويجعلوا عليه طوابع فيه إلا يتعرضوا لنسائنا من قريب أو بعيد ولا بطلب أو بخطبة فان ذلك مؤذ للزوايا كلها ومنفر) (١)، هذا الإكراه وممارسات أخرى أدت إلي ازدياد تذمر الأهالي طرديا مع ضغوط المستجدات الاقتصادية التي زامنت دخول الفرنسيين وسارعت بتفكيك النهج الاجتماعي خاصة مع فئة التابعين(٢)

بقدوم الاستعمار الفرنسي إلي موريتانيا وادخاله النظم الجديدة للادارة الفرنسية في البلاد وجدت وسائل جديدة للعيش ومصادر للدخل كالراتب والمنح والتشجيعات والامتيازات ووظائف جديدة اثرت بشكل كبير علي السلم الاجتماعي كما اثرت علي نمط الاستهلاك المعيشي ووسائله حسب ما اوجزه حاكم فكانت في تقريرة السنوى والي حاكم موريتانيا بقوله (فقد تحرر البيطان العرب من مستلزمات وسطهم حيث تخلوا عن جلود النعام واصبحوا يستوردون الجديد من المواد الأوربيةالمصنعة) (٣).

١- غيثي بن امم : امارة اولاد يحيي بن عثمان (١٩٠٠- ١٩٣٢م) ، المدرسة العليا للتعليم ، انواكشوط ١٩٨٦ ، ص٢٧ .

٢- محمد فاضل محمد الحطاب: الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ، ص ٢ .

A.N M serie 2 dossier 116 reltions mautes et haratines dans rapporpport brakna 1943 p 511

هذا التحول الاقتصادي أدى إلى مزاحمة المنتجات المحلية وتعويضها بمنتجات أجنبية مما خلق اختلالات عميقة فرضت إعادة صياغة الهيكلة الاجتماعية أو إدخال مرونة عليها لتكييفها حتى تستجيب للظروف الجديدة وزعزعة هذه المستجدات كثيرا من الثوابت الاجتماعيةخصوصا مع عمل الفرنسيين علي تجريد المحاربين من أسلحتهم ليصبحوا عاجزين عن حماية المجموعات التابعة لهم مما شجع هذه الأخيرة علي التخلص من هيمنتهم هذه الهيمنة التي طالما عاني منها التابعين . وأدى هذا التجريد إلي انعدام مصادر دخل المجموعة المحاربة المتمثل أصلا في جمع الضرائب وسارع بعملية تفقيرهم ، وادخل خلخلة جديدة علي وظائف السلطة الأميرية التي بدا افرادها يزاولون انشطة كانوا يتافقون منها كالزراعة مثلا حتى اصبح حسان والعبيد يمارسون النشاطات الزراعية في كل المواقع جنبا إلي جنب ويتضح أن هذا الخلل من خلال التقرير السنوي الذي بعث به حاكم أدرار إلي حاكم موريتانيا بقوله : (لما سيؤدي إلي الاختفاء التدرجي للسلم الاجتماعي وظهور سلم اجتماعي جديد مبني علي أساس الثروة) (١) . وعموما فضلت مجموعة التابعين إلغاء العلاقات القديمة التي ترمز إلي البعد الاجتماعي وحبذت استبدالها بعلاقات جديدة تقطع الصلات مع السادة أو تدعو متذمرو التابعين من خلال دعوات السلطات الفرنسية إلي تحرير العبيد تلك الدعوة التي وجدت اذان صاغية فظهرت احياء من الموالي المحررين موازية لإحياء السادة سابقا لا تربطها بأسيادها التقليديين غير روابط صورية واصبح هؤلاء المحررون يفضلون العيش بمعزل عن أسيادهم وبذا قطع الكثير منهم علاقاته مع العبودية (٢).

وهكذا مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عرفت البلاد الموريتانية بداية لمرحلة جديدة من تاريخها السياسي والاجتماعي تمثلت في خضوعها للهيمنة الفرنسية بأساليب مختلفة طبعت كل مرحلة بسمات وخصائص مميزة . مما سمح في النهاية للنظام الفرنسي الجديد أن يحدث ارتباكا قويا علي النظام المؤسس المحلي .

---

١ - الخليل النحوي : مرجع سابق ، ص ٣٢٧ .

٢ – A.N M serie 2 dossier 116 reltions mautes et haratines dans rapporpport brakna. Op.cit. P. 512.

عموما أن هذا التسرب الفرنسي قد سبقه وصاحبه استكشاف نظري هام حول الواقع الديني والطرقي للبلاد كان له دوره البارز في اختراق هذه المؤسسات .وهو ما جعل الإدارة الفرنسية تحرص علي أن يكون مهندس استعمارها في موريتانيا هو كوبولاني أحد المختصصين في تاريخ الطرق الدينية ، ولم يتردد هذا المهندس في اجراء اتصالاته الاولية بالزعامات الدينية بغية انجاح مهمته التي كانت قد تمت التوطئة لها من خلال الرحلات والمستكشفين الفرنسيين (١) .

فكانت الرؤية واضحة له مما سمحت له بمعرفة الشخصيات الدينية التي سيتصل بها ويعتمد عليها في بداية توغله فبدا يهادنها ويكتب لها مبينا الوضع السياسي المنهار مركزا علي حالة الفوضى وعدم الأمن والصراعات بين الإمارات من جهة وبين القبائل من جهة أخرى ومبشرا بالأمن الذي ستفرضه فرنسا موحيا إلي الزعامات الدينية بان فرنسا لا علاقة لها بالمسائل الدينية مما جعل بعض الشيوخ يستشعر في إغداق الولاة الفرنسيين للهدايا عليه نوعا من تشجيع الدين والقائمين عليه بدلا من كونه تأليفا لقلبه قصد مباركة الهيمنة الجديدة مع أن هناك فريقا آخر من العلماء ورجال الدين ظلوا يرفضون أى وجود للفرنسيين بوصفهم كفارا ممتلكين لبلاد المسلمين هدفهم المساس بالدين بما تستروا به مما يسمح لنا بالتساؤل عن موقف الطريقة القادرية من هذه الهيمنة الجديدة أكانت مهادنة أم معارضة أم وجدت في الانسحاب من الساحة السياسية حلا ثالثا ؟ هذا هو موضوع الفصل الثاني من الرسالة.

---

١ – A.N M serie 2 dossier 116 reltions mautes et haratines dans rapporpport brakna. Op.cit. P 512.

الفصل الأول

الاحتلال الفرنسي لموريتانيا – الفترة من عام ١٩٠٣ – ١٩٣٤

ا ولا: الاحتلال الفرنسي لموريتانيا.

ثانيا : المخططات الفرنسية في موريتانيا.

ثالثا: السياسة الفرنسية في موريتانيا .

اولا :الاحتلال الفرنسي لموريتانيا – الفترة من عام ١٩٠٣ – ١٩٣٤:

يعد مشروع موريتانيا الغربية الحلم الذي شغل مساحة كبيرة في الدبلوماسية الفرنسية حيث كانت فرنسا الاستعمارية تعمل علي تكوين إمبراطورية استعمارية كبري في شمال وغرب أفريقيا ولم يتم لها ذلك إلا باحتلال موريتانيا التي تمثل حلقة وصل أساسية بين الطرفين(١) .

وتتطلب دراسة مشروع احتلال موريتانيا منا أن نعطي في البداية لمحة موجزة عن كوبولاني (Xavier Coppolany) ذلك الرجل الذي تجمع اغلب الدراسات المعاصرة بأنه هو الشخصية الاستعمارية التي تزعمت دخول الاستعمار الفرنسي هذه البلاد وتعزيز النفوذ الفرنسي فيها علاوة علي ذلك لا يمكننا أن نفهم خصوصيات السياسة التوسعية الفرنسية في موريتانيا دون الرجوع إلى أعمال الرجل ونشاطاته الاستعمارية تلك النشاطات التي كانت تستهدف تهيئة المجال لاستعمار شمولي لبلاد موريتانيا اخذ طابعا سلميا في مرحلته الأولى وطابعا عسكريا في مرحلته الثانية (٢) .

ولد كوبولاني في كرسيا بمنطقة مريانه في ١ فبراير ١٨٦٦م وقد استقر مع غالبية أسرته في الجزائر (قسطنطينة) وبعد أن اكمل دراسته في هذه الأخيرة عمل بمقاطعتها الإدارية بمثابة كاتب مراسل و في أبريل ١٨٨٥م عين كاتبا بالبلدية المختلطة لوادي الشرق وفي يوليو ١٨٩٦م عين إداريا مساعدا بنفس البلدية و أثناء فترة تدريبه في المكاتب العربية بالجزائر نشر بالتعاون مع ديبون كتابا كبيرا عن (الطرق الصوفية والدين الإسلامي) (٣) .

---

١ - الهيبة ولد سعد أبيه : الشيخ ماء العينين ودوره في مقاومة الاستعمار الفرنسي ، رسالة كفاءة ، كلية الآداب جامعة نواكشوط ، ص ٣٠ .

٢ - محمد بن صدفن : مرجع سابق ، ص ٥٣ .

٣ - ديبون قائد فرنسي لموقع اكجوجت وخلال فترة تعيين فرنسا للقائد جوروا وحاكما علي موريتانيا وقد قتل ريبون في أبريل ١٩٠٨ م وكان مقتله علي يد الوطنيين بمثابة انتهاء لفترة الهدوء التي مرت بها موريتانيا خلال هذه الفترة .

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب المهمة من بين أي دراسة عن الإسلام وقد مكنته معرفته باللغة العربية واطلاعه علي القرآن الكريم من إعطاء صورة عن الحياة الروحية للمسلمين بالجزائر (١) .

وقد توصل كوبولاني من خلال دراسته للطرق الصوفية إلا أن الإشعاع الديني لهذه الأخيرة قد يمتد إلى بقع شاسعة في المعمورة وذلك لأنها تنقسم إلى فروع متعددة كما توصل إلى أن العقيدة تحل محل الوطن في الأراضي الإسلامية وعلي هذا الأساس كان يري ضرورة إنشاء مصلحة خاصة بالشئون الإسلامية تتكلف مركزة كل المعلومات المتعلقة بالإسلام وتوفير المعلومات الأساسية التي تهم الحكومة الفرنسيية والمصالح المعنية بذلك في الوقت المناسب هذا في الوقت الذي تتكلف هذه المصلحة بإعطاء توجيهات عامة للسياسة الاستعمارية فيما يتعلق بمحاربة أو كسب ود الطرق الصوفية (٢).

وقد لاحظ كوبلاني أن التقليل من قوة التعصب لدي هذه الطرق سيكون خطا في حين اعتبر احتواءها من الحكمة بمكان ان كان بذكاء ويري انه من الأفضل عدم محاولة تحييدها بل كسب تعاطفها دون أن تشعر بذلك ، ويبدو أن سياسته كانت تنصب في اتجاه واحد هو التفاهم مع الطرق الصوفية بشكل يضمن كسب ودهم وذلك بوضع اليد علي الزوايا حيث يري انه باستخدامه للزوايا كواسطة يستطيع أن ينجح في إقامة علاقات سياسية وتجارية مع السودان الشرقي والغربي (٣) وهو ما يضمن دخول أفكار الحضارة الفرنسية إلى الدول الإسلامية (٤) .

- Desire' , Vuillemin : Contribution a' l' histoire de la Mauritaine , 1900 – 1934 , Dakar 1962 p p . 148 – 149 .

٢- Revu : op. cit ,P .264 .

٣ – تشكلت في ١٨٩٦/٧/١٦ وضمت ثمان من المستعمرات الفرنسية هي داهومي (بنين حاليا) – ساحل العاج – السنغال – السودان (مالي حاليا) – غينيا – فولتا العليا (بوركينا فأسو حاليا) – موريتانيا – النيجر .

٤ - محمد الراظي بن صدفان:مرجع سابق ، ص ٥٤ .

وقد كشفت التقارير في هذا الصدد عن عمق نظرية كوبولاني واتساع افقه وفهمه للإسلام وعن ميلاد ارهاصات المبادئ التي ستجعل منه في المستقبل منظرا للسلطة الاستعمارية في مجال سوسها للشعوب الإسلامية التي تخضع لسلطتها(١) .

لقد رأي كوبولاني في هذا الكتاب انه بالرغم من الخلاف الشكلي موضوع الدراسة فانه ثمة خيطا رفيعا يجمعها وهو مناهضة الوجود الأجنبي ومن رأيه انه يمكن تحقيق مصالح فرنسا وإخضاع القبائل التي تتألف منها هذه الطرق عن طريق الاتصال بالمشايخ ،(أصحاب السنن والآداب والتجارة ومحاولة كسبهم عن طريق الإقناع والأغراء (٢) ، وهي سياسة مارسها في بلاد شنقيط ومنهج سار علي هدي منه في التعامل مع سكانهم لقد رأى كوبولاني انه من اجل أن يصل إلى نهاية الأفق الذي رسمه ووضع تصوره في كتابه المشترك مع زميلة ديبون راي أن يكون مسئولا عن البعثات في البلاد الإسلامية من اجل التعرف علي فجاج البلاد وخاصة بلاد شنقيط وبلاد السودان ولقد راي انه لزاما عليه أن يحاول بقدر المستطاع إلا يواجه الرؤساء الدينيين بالعداء لان ذلك يزيد من نفوذهم بل رأي أن يجندهم الي جانبه . وخلال شهر نوفمبر ١٨٩٨م تم تكليفه من طرف حاكم السودان الجنرال ترنيتان للقيام بمهمة تقوده إلى السودان والساحل الجنوبي علي أن يلتقي بقبائل البيطان والطوارق(٣) من اجل الوصول إلى إخضاعهم .

ووجدت هذه البعثة دعمها المالي من طرف الحكومة العامة بالجزائر علي الرغم من أنها تكتسي طابعا مدنيا حيث لم يتم استخدام أي جهاز عسكري وقد انطلقت من سانت لويس(٤) . لتصل إلى قبائل :

Desire' , Vuillemin :Op .Cit , p . 132.

٢- الطوارق في الصحراء الوسطي بدو يرعون الجمال ويسكنون شمال منحني نهر النيجر و منطقة جرمة الداخلة فيه لهم نظام طبقي يقسم القبيلة إلى نبلاء وتوابع وعشائر خاضعة لنظم دينية وعبيد سود وطبقة أصحاب الحرف تماما كما في قبائل البربر وللمرأة في مجتمعهم حظوة ومكانة .

٣ – ازيد بيه بن محمد محمود : مرجع سابق ، ص ١٦٣ .

٤- أول مركز أسسه الفرنسيين بالسنغال في حدود سنة ١٦٣٨م وهو يقع في شبه جزيرة بمصب نهر السنغال وقد تمكن الإنجليز في نطاق صراعهم بالمنطقة مع الفرنسيين من انتزاع هذا المركز مرتين في منتصف القرن الثامن عشر وفي نهايته قبل ان يستعيده الفرنسيين منهم آخر مرة في يناير ١٨٠٧ .

الحوض أولاد علوش(١)- مشظوف(٢) ،وغيرها وقد استقبل كوبلانى بحفاوة من طرف البيظان وبفضل ثقافتة العربية الاسلامية نجح في إخضاع الكثير من القبائل التي زارها كما زار قبائل الحوض وتكانت(٣) وتشيت وكان الهدف الرئيسي من زيارة كوبولاني هذه الى الحوض كان هو اجراء بعض الاتصالات مع رؤساء القبائل هناك واقناعهم بجدوى الخضوع لفرنسا الذى يبنى اساسا على احترام وصيانة ممتلكات ومعتقدات هذة القبائل على حد زعمة ثم اطلاعهم على الدوافع الانسانية التى تدفع فرنسا إلى مواصلة مسيرتها نحو الشمال واثناء عودتة اثر انقضاء مهمتة عرض كوبلانى تقريرا عاما عن نتائج مهمتة ركز فية على مخطط شامل لتنظيم قبائل البيظان وعلى السياسة التى ينبغى انتهاجها فى الصحراء الغربية كما اورد فى التقرير دراسة مفصلة لمختلف المناطق التي جابها ولانماط معيشة سكانها وركز على الدور الذى يلعبة الشيخ الكبير ماء العينين فى الصحراء الغربية وعلى استراتجية منطقة الساقية الحمراء التى يقطن بها هذة المنطقة التى تشكل حسب راى كوبلانى ملتقى هام للطرق والقوافل ويضم التقرير كذلك اشارة الى اهمية ادرار الاستراتجية وضرورة انشاء مايسمى بموريتانيا الغربية التى تضم تحت قيادة واحدة كل القبائل (٤) .

وقد مكنتة هذه الزيارة من جمع معلومات متنوعة تتعلق بالناحية الجغرافية والاثنوغرافية وبناءا على نتائج هذا التقرير سيتم البدء برسم سياسة الخطوط الكبيرة لاحتلال البلاد الذى يعتبر مشروع انشاء موريتانيا الغربية الصادر فى ديسمبر ١٨٩٩ من وزير المستعمرات لبنتة الاولى .

---

١ - أولاد علوش إحدى قبائل موريتانيا ولها تاريخ طويل .

٢-قبيلة موريتانية لها وزن كبير خاصة في منطقة الحوض حيث أسس أحد فروعها مشيخة مستقلة بقيادة احمد محمود بن المختار (١٨٨٣م) الذي ترك الرئاسة في بنيه .

٣-مدينة موريتانية تاريخية اضطلعت بدور هام في التجارة عبر الصحراء بصفتها نقطة ربط في الطريق الواصل بين منطقتي السودان الغربي وشمال أفريقيا في فترة القرون الوسطي وهذه المدينة الان عاصمة مقاطعة ادارية تابعة لولاية تكانت الواقعة بوسط البلاد الموريتانية

٤ - أنظر تقرير كوبولانى بالملاحق .

هذا المشروع المحدد والمنظم تحت اسم موريتانيا الغربية ليشمل كل المناطق الممتدة من الضفة اليمنى بنهر السنغال والمناطق الواقعة من خاى وتنبكتو حتى راس جيبى غربا حتى تخوم المغرب ومن الشمال حتى جنوب الجزائر الا ان هذا المشروع الذى يستهدف وضع موريتانيا سيصطدم بمقاومة من طرف التجار في سانت لويس الذين لا يرون في المشروع من اساسه سوي مغامرة مضرة للغاية بمصالحهم التجارية . لان اى عمل عسكرى يقام بة ضد البيظان خلال هذة الفترة سيودى حتما الى قلب الاوضاع التى يزاولون فى ظلها انشطتهم التجارية .

كما اعرب الحاكم العام للسنغال عن معارضته للمشروع وكذلك وزارة الخارجية الفرنسية وهو ما يمكن اعتباره أحد المعوقات الأساسية للمشروع الذي كان يتارجح بين القبول والرفض (١) . وكانت وزارة الخارجية الفرنسية تعترض علي المشروع متذرعة بأنه قد يسئ إلى سياستها الخارجية وذلك بالحرج الذي يفضى إليه في علاقتها مع أسبانيا وبريطانيا وهما دولتان ترغب فرنسا في كسب ودهما من اجل إحراز النصر في معركتها البلوماسية مع ألمانيا وفي هذا الصدد وجه دلكاسيه delcassi وزير الشئون الخارجية رسالة إلى وزير المستعمرات يقول فيها (لم يفتني ما لهذا المشروع الإداري من مميزات وخاصة من حيث التنوع إلا انه ينبغي أن أذكركم بالوضع الدولي الذي تعيشه بعض الأماكن الواقعة في موريتانيا الغربية فهناك خصومات واقعة بين باريس ومدريد بشان الحدود الشرقية لوادي الذهب ومع ذلك فقد اعتمد المشروع وكان مرسومه ذا مغزى بالنسبة لتاريخ بلاد شنقيط اذ يقضي بإنشاء مستعمرة تحت اسم موريتانيا ١٨٩٩م . ثم اتبع هذا القرار بانشاء مكتب للدراسات للتعرف على هذة البلاد وكان مقرة سان لويس وعين علي رأسه كوبولاني وبمساعده روم الحاكم الفرنسي فيها وقد قام كوبولاني بتجسيد عزمة المتمثل في الحرص علي العلاقات مع أعيان القبائل البيظانية الذين تعرف عليهم خلال رحلته بين عامي١٨٩٨ – ١٨٩٩م (٢) .

١– محمد الراظى : مرجع سابق ، ص ٥٥ .

٢– Le Coppolani Ropport , p 14

وقد أعرب عن نيته هذه من خلال اقتراحه لنفسه مسئولا عن هذا المكتب يطيب لي أن التمس من حضرتكم أن تولوني مؤقتا علي هذه المصلحة لكي انتهز الفرصة في بقائي في باريس من اجل إعطاء البعد الذي تستحقه والدفع المناسب لها خاصة فيما يخص رؤساء القبائل البيظانية الذين تعرفت عليهم خلال رحلتي بين عامي١٨٩٨ – ١٨٩٩م ومنحوني ثقتهم و أعربوا لي عن ولائهم اذ التوقف اليوم عن الحرص علي استمرر مساندتهم وتبعيتهم سيكون خطا فادحا ليس من السهل تداركه في المستقبل(١) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن من اعمق أسباب نجاح مشروع كوبولانى تحويل الحاكم الفرنسى بالى Pally (٢) الذي كان يرى ان ارض البيظان لا تحقق نتيجة تساوى هذا الجهد الذي ذكر في التقرير الذي حرره كوبولاني وكانت معارضته شديدة لاستغلال هذه المنطقة فاستبدل هذا الحاكم بروم الذي ستتولد لديه قناعة باهمية مشروع كوبولانى وسيشاركه قناعة بعده الاستراتيجي .

لقد كان كوبولاني داهية ماكرا خداعا طموحا وقد استطاع بفضل هذه الصفات ان يحقق لفرنسا ما ارادت دون جهد عسكري يذكر علي الأقل في عهده قبل اغتياله عام ١٩٠٥ م وقد كتب كوبولاني في تقريره (٣) .

إن الفرنسيين هدفهم الأول والأخير من الاتصال بالسكان هو ازدهار الاقليم وان النوايا مقصدها في النهاية السلم والامن ثم بين جملة المشكلات التي قد تتعرض لها فرنسا في موريتانيا والمتمثلة أساسا في المصالح الخاصة لبعض التجار والمتعاملين والتي قد تفسد علي فرنسا ما اصلحه الفرنسيون وتفسد عليهم كذلك بواكير انجازاتهم بجهود كوبولاني .

---

١ - ازيد بيه بن محمد محمود : مرجع سابق ، ص ١٦٩.

٢- (تولي وزارة الخارجية الفرنسية من ١٨٩٩ الي ١٩٠٥م وهي نفس الفترة التي زاول فيها كوبولاني خطه في موريتانيا وقد كان هنالك ارتباط بين خطوات كوبولاني في موريتانيا بالسياسة الفرنسية التي اتبعها دلكاسيه في مراكش

٣- Coppolaniy rapport op. cit, P. 142.

(احتلال مائتين وخمسين الف كيلومتر وإخضاع تسعة مراكز وعمالات داخل شعوب عرفت بشراستها و اعتمادا على مشاركة هذة الشعوب نفسها محققين بذلك حماية لم يسبق لها مثيل لضياع الزنوج علي ضفة السنغال وان نطبق مبادئ حكمنا علي اكثر من ثلثمائة الف رجل من الرحل كنا بالامس القريب ندفع لهم ضرائب سنوية واليوم اذ تقدم هذه النتائج الايجابية التي قد حققناها عليهم دون اراقة الدماء ودون حرب او هجوم بواسطة نفقات نقدية محدودة يكن استرجاعها علي الفور بواسطة الدخل المساوي لجباية الزكاة الجارية حاليا فانه بوسعكم أن تعتبروا انه ان الاوان للتصدي لهذه المصالح الخصوصية الانفة الذكر بمختلف مصادرها من اجل ان توقف اذا كان ذلك امرا لامفر منة معارضتها للمصالح لعامة التي نحرص كل الحرص علي الزود عنها ومن جهة أخرى حافظ كوبولانى على الطابع السلمي للتوغل فلقد اكد في كتاباته أن الدولة الفرنسية ذات القوة والشوكة لا تريد الا مساعدة الضعفاء وتبجيل العلماء وعدم التعرض لاي أحد في دينه ولن تقدم علي تغير العوائد وتسعي جاهدة علي حماية الأموال والانفس ووضع حد لازهاق الارواح المتفق علي تحريمه في كل الشرائع ، ومن لم يتفق مع الفرنسيين في هذه السياسة فالدولة الفرنسية ستكون كفيلة بالرد عليه علي حد تعبيره جاء ذلك في رسالة كوبولاني للامراء و أهل الحل والعقد في موريتانيا (١) .وقد بوب كوبولاني في هذه الرسالة علي أن للعافية والأمن ثمناً مقبوضا يجب أن يؤديه هؤلاء الذين ينعمون بها إذ شرع في اخذ العشرات أو الذكاه كما يسميها هو وذلك تجسيدا منه للتعبئة الفعلية ، ويخلص كوبولانى للقول في كتابه ليثبت منهجه السلمي (واكرر عليكم أن المقصود بقدومنا المصلحة للكل واثبات العافية الدائمة فى الارض ومن سمع هذا ورغب فيه فليأتنا بغير سلاح وعلينا أن نعامله بما هو أهله ويكون في أمن وأما من لم يفعل فالله يحفظه والسلام) . ولكنه مع ذلك يصرح في التقرير انه قد يخرج عن منهج توغلة السلمى عند الاقتضاءاذاتطلب بعض المواقف نوعا من القمع او الاجراء البوليسى . لقد لجانا والكلام لكوبولاني وربما يتكرر ذلك إلى احتلال بعض لنقاط الاستراتيجية بواسطة قواتنا النظامية في حالة عدم وجود قوات اخري وبموجب استخدامنا لهذه القوات ظهرت بعض التصرفات في اوساط مناوئة لهذه السياسة)

---

١ - انظر تقارير كوبولاني بالملحق .

(، ولقد أكد كوبولاني في خاتمة تقريره أن كل النقاط التي احتلوها وحتى تلك التى ينوون احتلالها في المستقبل إنها لم تكلفهم اطلاق رصاصة واحدة اذ هم استقاموا على النهج السلمي واتبعوا السياسة التى رسموها والتى أشير إلى خطوطها العامة في ثنايا التقرير .

لكن كوبولانى كان غافلا عما ينتظره قد استهان بهؤلاء السكان البسطاء في نظره اذ افرط في الاعتماد علي التدابير السلمية التي كان يظنها ووثق فيها واعتبرها صمام أمان ولن تكلفه اطلاق رصاصة الا انه اغتيل في تجكجة في ١٢ مايو ١٩٠٥ علي يد المقاومة الموريتانية

<u>وسائل فرنسا لاحتلال موريتانيا:</u>

قبل الحديث عن مراحل احتلال فرنسا لموريتانيا نشير الى بعض الوسائل التى اتبعتها فرانسا فى تحقيق سيا ستها الاستعمارية لاحتلال موريتانيا .

لقد لجا المستعمر في وسائله واستراتيجياته الي الحيلة والدهاء بكل ما يعنيه ذلك من إظهار المثل الإنسانية الرفيعة والسماحة والوفاء كما كان يلجا الي جهة اخري وبالتوازي مع الوسيلة الانفة الذكر الي بذر النزاعات وتغذيتها علي جميع الاصعدة السياسية والاجتماعية والفكرية مثلما انة كان يلجا الي العمل العسكري المفتوح حسب الظروف وبخاصة في المناطق التي تصمد امامه وتابي الانصياع لضغوطه او أن تنخدع باساليبه الفتانة ، وقد اقتنعت فرنسا باهمية موريتانيا وشرعت في احتلالها وبدات في تنفيذ الاحتلال عام١٩٠٢ م (١) . وحتي تحقق فرنسا أطماعها في الاحتلال اتخذت عدة وسائل منها :

١- المرونة في المواقف وسياسة التغلغل في البنيان الاجتماعي والسياسي والفكري للمجتمع البيظانى قبل الإقدام علي احتلاله .

٢- سياسة فرق تسد والتي شرعتها الوضعية الاجتماعية والسياسية في البلاد فور ظهور هذا المستعمر علي السواحل الموريتانية ولعب المستعمر دورا كبيرا في اذكاء الخلافات والصراعات الاجتماعية مما كان له تأثره في أنهاك القوي النشطة في المجتمع وضعف مردوده الجهادى وذلك كله عزز من مواقع المستعمر ومهد له الطريق لتثبيت أقدامه في المنطقة(٢) .

١- فاطمة بنت الامام : المقاومة الدينية من خلال المحاظر ، بحث لنيل شهادة الكفاءة ، كلية الآداب جامعة انواكشوط ، ١٩٨٩ ص ٩.

٢ - عبد الملك خلف تميمى : مرجع سابق ، ص ٦٨ ، كذلك ، الهيبة ولد سعد أبيه : مرجع سابق ، ص ٣٣ .

٣- **الحملات العسكرية** : وكان يلجا اليها في إطار الجانب الردعي لفصائل المقاومة المنتشرة علي قمة الوطن ولقد كان الجانب العسكري اقل شانا من وسائل الاحتلال اذ عجز هذا المستعمر عن استئصال شأفة المقاومة المسلحة بالقوة دائما استاصلها عن طريق المكائد وزرع الشقاقات داخل صفوفها وامتصاص أفرادها فردا فردا عن طريق الاغراء المادى والمعنوى الذى بذله للعائد إلى أحضانه (١).

٤- **الإمتزاج العرقي** : وكان من أساليبهم التي اتبعوها لاحكام سيطرتهم علي البلاد الامتزاج العرقي فقد نصح كوبولاني رجاله منذ دخوله تجكجة بالسعي للزواج من مواطنات شنقاطة حتى يعزز الفرنسيون من مكانتهم الاجتماعية باتباع هذا الأسلوب الا ان الشناقطة رفضوا هذا الأسلوب حرصا علي التمسك بتقاليدهم حيث أن هذا يتنافي مع الدين الإسلامي (٢) .

أهداف فرنسا لاحتلال موريتانيا:

كانت أهداف كوبولاني وزملائه من التوغل واحتلال موريتانيا تتلخص في عدة أهداف منها :

١- تامين المستعمرات من هجمات البدو الرحل التي تهددها بين الحين والأخر وخاصة المتمركزة علي نهر السنغال من البيظان الذين كانوا كثيرا ما يتعرضون لها بالنهب والسلب .

٢- دعم السلم في موريتانيا من اجل حماية القوافل التجارية وتوسيع دائرة تجارة لمستعمر المستغلة لثروات البلاد من صمغ وملح واسماك ومعادن .

قطع الطريق أمام المقاومة المغربية وابقائها متمركزة وراء خطوطها الظهرية وعدم استفادتها من الصراع علي المغرب من فرنسا والدول الأوربية .

العامل الاستراتيجي:

ويتمثل أساسا في ربط المناطق المتصلة من المغرب العربي بأفريقيا الغربية حيث أن موريتانيا تعتبر همزة الوصل وقنطرة الجسر الرابط بين المستعمرات الفرنسية في شمال القارة الأفريقية وغربها من لجل الربط بين هذه المستعمرات

١- فاطمة بنت الإمام : مرجع سابق ، ص ٩ .

٢- الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ٣٣٤ .

فكان احتلال موريتانيا امرا ضروريا وهدفا منشوداً . اول الطرق ضرورة توفير الأمن والاستقرار في المنطقة وذلك يضع حدا للنزاع والخصومات وإيقاف إشعال الحروب بين الفئات الموريتانية (١) ،

- عرقلة المد الثقافي الإسلامي.

كان الفرنسيون يرمون أيضا الي محاصرة انتشار الدين الإسلامي الذي كان ينتشر علي أيدي علماء التصوف الموريتانيين فى القارة الأفريقية مما كان يترتب عليه انحصار الديانة المسيحية في هذه القارة ومن ثم وعيا منهم بهذة الحقيقة عملوا علي احتلال موريتانيا وعرقلة هذا المد الثاقفي الإسلامي الذي كان بشكل زراعا مانعا دون التغلغل الثقافي الفرنسي في الشعوب الأفريقية بل أن هذه الشعوب كانت فى اغلبها. وراء انتقاضات إسلامية ضد الغزو الفرنسي بالإضافة الي هذه الأهداف الاستراتيجية فان السيطرة علي منطقة مهما كانت صحراوية فان هذا يعني علي الأقل خلق رصيد للمستقبل(٢)

١- حيمد بن محمد على : المواجهة الثقافية الموريتانية للاستعمار الفرنسى (١٩٣٦-١٩٥٠) ، بحث لنيل شهادة الكفاءة ، كلية الاداب جامعة انواكشوط، سنة ١٩٨٩ ، ص ٨ .

٢ - Gouraud , Ge'ne'ral : Mauritaine (Adrar) , Souvenir d'un Africain , Paris 1927 , p . 121.

اولا :- مراحل احتلال فرنسا لموريتانيا :

لقد قررت فرنسا احتلال موريتانيا بموجب قرار صادر في ١٨٩٩/١٢/٢٧م بناءا على تقرير قدمه كوبولاني عقب قيامه بمهمة في البلاد(١)

ويمكن رد بداية احتلال موريتانيا واستعمارها إلى البعثات الكشفية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بغرض الحصول علي المعلومات الضرورية لتمكين المستعمر من التصرف في إمكانيات البلاد وكانت آخر هذه البعثات بعثة كوبولاني التي سبق الحديث عنها(٢).

أولا : مرحلة الاحتلال غير المباشر:

ان هذة العملية الكشفية تعتبر اولى مراحل الاستعمار الفرنسى لموريتانيا وتمثل في بداية الآمر في الرحلات الكشفية حيث كان المستكشف يتظاهر دائما باعتناق الدين الإسلامي .

وقبل الحديث عن الاحتلال المسلح او العملى لابد من الحديث عن موضوع آخر من الاحتلال يمكن تسميتة بالاحتلال غير المباشر تجسد اساسا فى السياسة المحكمة التي اتبعتها فرنسا في دمج السلطة التقليدية فى التبعية الاقتصادية ومحاولة أضعاف نفوذ الامارات بفعل التدخل في أمورها تمهيداً لفرض الحماية والتبعية السياسية والعسكرية للبلاد لاحقا الآمر الذي يستدعي المواجهة بين فرنسا ورواسب الامارات التي انهارت فترتها بفعل الحروب والاقتتال الداخلي وبفعل الضغط المترتب علي السياسة الاستعمارية وهنا تدخل في المرحلة النهائية والفعلية لاحتلال موريتانيا بعد فترات تأزم وانفراج وبعد مئات العقود (الاتفاقيات) التي كانت لا تنص فقراتها ابدا علي الحماية الفرنسية(٣) .

١- محمد الهادي ولد الطالب : المقاومة الموريتانية في مواجهة الإستعمار، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الأدب جامعة عين شمس ١٩٨٩ ، ص ١٠٦ .
٢- انظر خريطه رقم (١) بالملحق.
٣- مريم احمد الامين : النظم السياسية والادارية واثرها على التركيبة التقليدية للمجتمع البيظاني ١٩٠٠- ١٩٤٥ ، جامعة انواكشوط ١٩٨٩ ، ص ٩ .

ولكن فرنسا ظلت تحتال علي عوامل القوى في المجتمع المتمثلة في الإدارات والوحدات القبلية حتى إذا طلع القرن العشرين كانت كل القبائل وكل الامارات قد تم استنزافها في حروبها الداخلية وبالتالي توافرت كل الظروف الملائمة لاعلان فرنسا عن نواياها الحقيقة في احتلال موريتانيا فبدأت القوات الفرنسية الغازية توغلها في الأراضي الموريتانية بادئة بمنطقة القبلة وخاصة الترارزة . (١)

وقد اصبح رومroume حاكما عاما علي السنغال وكان متفقا مع كوبولاني علي احتلال موريتانيا وقد أيده الأخير في احتلال المناطق المحاذية للنهر بما فيها منطقة الجنوب الغربي الموريتاني وذلك تحت حجة وضع حد لعمليات النهب والسلب واعادة الأمن للمنطقة المذكورة وحماية المجتمعات الزنجية من اغارة البيظان(٢).

التدخل الفرنسى المباشر :

لقد جاء التدخل الفرنسي في ظروف قاسية من الفوضي والبلبلة ، فالإمارات متناحرة والقبائل كذلك بل إن القبيلة الواحدة تتحارب فيما بينها وحتى فى الزوايا المسالمة ،وهناك مقطوعة شعرية تبرز مثالا لذلك والتي قالها أحد طلاب المحاظر من مجتمع الزوايا وهو الطالب محمد بن سيد أحمد عندما جاء للعلامة محمد فال بن متالي من أجل طلب العلم ، لكنه لم ينس مقتل أخية وفكرة الثأر المقيتة تشغلة فقال شعرا يصف هذا الوضع المتردى فى اكثر من عشرين بيتا منها .

اشاقك تهتاف الحمام المغرد ... وايات رسم قد عفون لمهدد

ثم قال

اتيتك ارجو العلم والدين والهدى ... على اننى لم انسى مصرع احمد
ومصرع فتيان اماثل حولة ... وماحدث الركبان فى كل مشهد

الى ان قال:

وفى الدهر للاوتار اهل ومطلب ... اذا لم انل ثارى من اليوم او غد(٣)

وبالنسبة لأمارة الترارزة فإن الأمر أشد ، فمنذ أن قتل محمد الحبيب ظل ابناؤه فى صراع دموى على السلطة كل منهما يقتل الآخر مما جعل فرنسا التي تقف علي الحدود متفرجة يقلقها الوضع وخاصة عندما قتل سيدي بن محمد الحبيب علي يد أخية أحمد سالم سنة ١٢٨٨ هـ ، مما جعل أحمد سالم يرسل للحاكم الفرنسي بمدينة " سان لويس " التي يسميها الموريتانيون مدينة " اندر " رسالة يقول

---

١ ـ فاطمة بنت الإمام : مرجع سابق ، ص ١٣ .

٢ـ محمد الراظى : مرجع سابق ، ص ٥٦ـ٨٨ .

فيها : إن القتل علي الإمارة لا يعتبر أمرا مشينا عند العرب • ومما لا يخفي علي أن هـذا الصـراع والخـلاف والفرقة كان مبعثه التدخل الفرنسي الذي زرعة في صلب الأمة الموريتانية ، وكذلك إذكاء نار الفتنة ليكون بإمكانة السيطرة علي الأمة .

وكذلـك اتـباعه لسياسة فرق تسد وخاصة في الأمارة المجاورة له لأن الإمارات الأخـري إلـي حد ما كان يسودها الإستقرار ، ورغبة من الأستعمار الفرنسي في إضـعاف الولاية المجاورة له حيث إنه في سنة ١٣١٦ هـ/ ١٨٩٨م قام الصراع علي الأمارة بين أبناء سيدي بن محمد فال الحبيب وأبناء أعلي .

لقـد كانت البلاد كما رأينا عند دخول الاستعمار تعيش نوعا من الفوضي ، وأمـام هجمـة الاسـتعمار كان لابد أن تتوحد تحت قيادة الفقية والسياسي المحنك والزعـيم الحربي ومن هو موصوف بمقومات القيادة بحيث تخضع له كل الطبقات الموريتانية وعلي رأسها الزوايا وحسان ، وكان ذلك الزعيم المنشود هو الشيخ ماء العينين وهكذا استطاعت فرنسا أن تسيطر علي موريتانيا عسكريا لعدة عوامل لعل من أهمها :-

الـتفوق العسـكري ، واسـتمالتها لكثـير من الأفراد ، وبعض القبائل التي اسـتطاعت أن تجعل منهم جيشا من ركاب الابل ، وفقد الشيخ ماء العينين ، وتعدد الجـبهات القتالـية ، وعـدم توفر المجاهدين علي السلاح والمؤونة •• والحرب النفسـية التي كانت تشنها فرنسا في الأوساط الشعبية • أما الزعماء فلم يتأثروا بها ففـي إحـدي المعـارك أخذ الأمير سيد أحمد بن عيده أسيرا ، وأرسلته فرنسا إلي آدرار محـل إمارتـه لتـبرر أسرة «بسبب إنتصار الاستعمار قامت موجات من الهجرات وخاصة إلي الحرمين الشريفين لفتاوي بتحريم دخول المدارس الفرنسية .

لقـد حاولت فرنسا من بداية تدخلها أن تنتشر المدارس الفرنسية باعتبارها الوسيلة الجـيدة لبث دعوتها وأفكارها والتربة الخصبة لزرع مبادئها الاستعمارية وذلك في سياسة التعليم لمنظمة دول غفريقيا الفرنسية (١) .

حيث إشتملت هذه السياسة على ثلاث نقاط :

الأولـي : التحضر : وذلك لا يتسني إلا بإقامة المدارس الفرنسية وبغرس معتقدات لا تتنافي في ظاهرها مع المعتقدات المحلية •

الثانـية : الفرنسة وذلك بسلخ الأمة من تراثها الحضاري وجذورها الثقافية ولغتها وإبدالها بمعطي حضارى جديد مختلف في قيمه ومعتقداته عن الإسلام وأصوله •

الثالثة : اختيار النخبة : من أجل ايجاد فئات موالية للإستعمار •

وتحـت سـتار التحضـر انتشـرت المـدارس في غرب إفريقيا ورفضها الموريتانـيون بشـدة بوصـفها تهدد التعليم الإسلامي ، وتمسكوا بالمحاضر رغم الاغراءات الفرنسية .

---

١ – سعد خليل مرجع سابق ص ٥٢

ولـــم تكن الفتاوي في تحريم إرسال الأطفال للمدارس فقط بل كانت تشمل مقاطعـــة الإدارة الفرنســية ورفــض التوظيف بالإدارة الفرنسيية وقسمت الفتاوى الموريتانية المتصلة بالفرنسيين إلى قسمين :-

القســم الأول : عاصـــي وهو العامل المسالم الذي يعمل من أجل كسب قوتة ولا يعين الإدارة الفرنسية في نقل أي معلومات عن المسلمين ولا يساعدها علي ظلمهم ۰ والقسم الثاني : كافر ، وهو العامل الناصح للإدارة الفرنسية ويعطيها المعلومات عن المسلمين ۰

لقــد كانت فترة الإستعمار الحقيقي قصيرة ، ومن أجل توطيد الإستعمار ، قـــام المستعمر بتكوين مجموعة من الأتباع وسلمها السلاح وسلطها علي المواطنين الذيـــن ظلمـــوا الشـــعب وامـــام هذا الظلم تولدت حركة المطالبة بالاستقلال والتى ســـاهمت فـــيها عوامل عدة ، كظهور حركات التحرر بعد الحرب العالمية الثانية وتخيير فرنسا للمستعمرات فيما يعرف بالقانون الإطاري تحت شعار لا " أو " نعم " بمعني لا للبقاء مع فرنسا أو نعم للبقاء معها ، وكان ذلك سنة ١٩٥٨ ۰
كانت هذه نماذج من استراتيجية الدفاع المدني التي اتخذتها المحاضر أمام هجوم الإستعمار الفرنسي العسكري والثقافي .(١) .

المراحل التنفيذية لاحتلال فرنسا لموريتانيا (٢):
كانـــت إمـــارة الترارزة هي المتاخمة للسنغال وكانت تبسط نفوذها عليه وفي عهد الأمير محمد الحبيب ابن عمر بن المختار الذي حكم من سنة ١٨٢٧ - ١٨٦٠ قررت فرنسا محاربتة ودخلت معه في صراع لسببين :

الأول : أن الأمـــير محمـــد الحبيـــب كـــان أميرا عادلا محبيا عند الزوايا فمستشارة الشخصي محمد الصوفي بن محنض أحمد وقاضية محنض بابا ابن عبيد واعتـــبرتة فرنسا آله في يد الزوايا يسعون بها لإقامة دولة إسلامية وهذا ما ترفضة فرنسا .
الثانــية : هـــو أن فرنسا تعتبر السنغال أرضاً لها ، ثم قامت الحرب ودامت مدة طويلـــة وفـــي هذه الفترة اشرأبت النفوس إلي نصب إمام تتوحد تحت حكمة البلاد وكـــان الحنيـــن فـــي هـــذه الفترة إلي الدولة العثمانية رغم الإنقطاع عنها لأسباب جغرافـــية لقد نبه العلماء علي خطورة فرنسا وأنها لا محالة قادمة إلي البلاد ونادوا بالأســـتعداد للجهاد ، ولكن الأستعمار كان أمرا مقدرا وخاصة بعد التطورات التي نجمت عن قتل محمد الحبيب سنة ١٢٧٢ ه

١- محمد الصوفى - مرجع سابق ص ١٥٦
٢-انظر خريطه رقم (٢) بالملحق.

كما إدعت بعض الدول الإستعمارية الأخري بأن مبررات إستعمارها ثقافية ودينية لـرفع المستوي الثقافي لهذه الشعوب وتزويدها بالحضارة الأوربية وكان الأستعمار الفرنسـي من هذا النوع ثم اجتمعت الدول الأوروبية في برلين سنة ١٨٧٨ بزعامة بسـمارك علـي تقسيم أفريقيا ومن المعلوم أن الأستعمار كان أشكالا فالفرنسي منه اتخذ سلاح الثقافة كوسيلة لتثبيت الإستعمار السياسي والعسكري (١)

وكـان من الطبيعي أن تكون موريتانيا هدفا للإستعمار الفرنسي للأسباب السـابقة ولموقعها الجغرافي بين المستعمرات في إفريقيا الغربية بإفريقيا الشمالية ، ثـم بدأت فرنسا تخطط للسيطرة علي موريتانيا وأول عمل قامت به في هذا المجال هو أسلوب التجسس حيث عهدت إلي أحد جواسيسها بالجزائر المعروف باسم رنية كايية Renin kaye بهذه المهمة فتعلم العربية واعتنق الإسلام ظاهرا ثم اتجه إلي المغـرب ومكث به سنه كاملة يتدرب علي تأدية شعائر الدين ، فلما أيقن أنه أصبح جاهـزا للقـيام برحلـتة الخطرة تنكر في زي عربي متسميا باسم عبد الله ودخل موريتانـيا كطالب علم وتجول من محظرة إلي أخري ، وبعد فترة وجيزة تبحر في اللغة العربية والفقه وأصول الدين مما جعله يصبح إماما لمسجد ولما أنهي مهمتة التجسسية فر ليلا بعد أن كتب علي لوح قول خليل

"وبطلت باقتداء بمن بأن كافرا " (٢) .

ولقد تزامن الدخول الفرنسي لمنطقة الترارزة مع سلسلة من الأزمات الداخلية التي كانت تعيشها إمارة الترارزة والمتمثلة في الصراع علي السلطة الذي اشتد في وقت تولي احمد سالم ولد على السلطة في الأمارة (١٨٩١ ــــ ١٩٠٥) بعد أن تخلص من عمه الأمير السابق عمر سالم ولد محمد الحبيب الذي حكم الامارة من قبله لمدة أربع سنوات لقد بلغ الصراع اشده عام ١٩٠٢م وهي السنة التي أرسل الحاكم العام لافريقيا الفرنسي الرائد ديلابلان dela plane علي راس بعثة لتقصي الحقائق في الترارزة .

---

١ شكيب ارسلان : حاضر العالم الاسلامي ج٢ ط٤ دار الفكر بيروت ١٩٧٤م ص٥٢.

٢ - سعد خليل مرجع سابق ص ٢٧

وقد تمكنت البعثة من استقطاب ابناء محمد فال وهم أعداء احمد سالم وقد أعلن خضوعه لاحمد سالم بتوجيه من فرنسا التي وجدت هذه الخلافات فرصة نادرة لتدخلها في الشئون الداخلية للأمارة وقد أدى تأييد فرنسا لاحمد سالم الي هجرة سيدي خارج الترارزة الي إمارة البراكنة واصبح لفرنسا الحق في تعيين الامراء وحق تعيين مقيم فرنسي في المحظر الأميري .

ثم جاء كوبولاني في ديسمبر ١٩٠٢م والتقي بأحمد سالم الذي تنازل عن العرش للسلطات السنغالية المكلفة بإقامة العدل في دولته، كما عقد كوبولاني في ١٩٠٣/١/٧م اتفاقية مع الطرف المنشق (سيدي الذي اعلن تخليه عن سلاحه وخضوعه للسلطة الفرنسية كما أعلنت القبائل الزاوية والحسانية التي تضررت من واقع الأزمة عن خضوعها للاستعمار في الايام الأولى من يناير ١٩٠٣م .

وقد نصت الاتفاقية المذكورة على قبول أولاد احمد بن دامان الواقع الفرنسي والامتثال لأوامر السلطة الفرنسية وعدم مقاومتها وفي المقابل يحترم كوبولاني الدين الإسلامي والعادات والتقاليد المعمول بها وقبول اختيار اولاد احمد بن دامان من يحق له تاريخيا إدارة شئون الامارة وفق التقاليد الأميرية (١) ، وبهذه الإتفاقية تم وضع الترارزة بصفة نهائية تحت الإدارة الفرنسية ويفسر نجاح كوبولاني فى الترارزة باعتماده علي الزوايا وخاصة تحالفه مع الشخصيات الدينية ذات التاثير الروحي القوى في المنطقة أمثال الشيخ سعد ابية والشيخ سيديا باب (٢) .

وفي أعقاب خضوع سكان الترارزة السلمي تمت اقامة مركز اداري في اصويت الماء (٣)

---

١ - Desire Wuillemin .Op Cit p 85

٢ - سيديا باب : حفيد الشيخ سيدى الكبير المتوفى ١٢٥٨ هـ ، لمزيد من التفاصيل ، انظر ، محمد الراظى : مرجع سابق ، ص ٥٨ .

٣ - منطقة فى نهاية نهر الأركيز ، ينتهى اليها الماء وينتشر فى مساحة واسعة .

الا ان الأمن بالمنطقة لم يستتب بصورة نهائية ولذا قامت عدة حركات تمرد ضد المستعمر ثم تمكن المستعمر من إخضاع كل القوي السياسية بالترارزة تحت الحماية الأجنبية وحقق كوبولاني للنجاح الذي كثيرا ما كان يراوده هذا النجاح الذى يعتبر البداية الحقيقية لمسيرته الاستعمارية التوسعية والتي كان نجاحها يتطلب من ضمن أمور اخري ، توفير المئونة والعدة العسكرية والذخيرة العسكرية ولذلك كان لتحسين وسائل النقل أولوية بالنسبة إلى كوبولاني في ذلك الوقت وقد أسس كوبولانى عدة مراكز (باعتبارها نقاط استراتيجية) لعبت دورا أساسيا في حماية ضفتي نهر السنغال وهكذا يكون سقوط الترارزة في ايدي السلطة الفرنسية بمثابة سقوط حبات المسبحة علي التوالي .

احتلال البراكنة :

ان احتلال الترارزة لم يمنع قبيلتى (أولاد عبد الله) (وادو عيش اللتين تتجانبان علي التوالي الي كل من البراكنة(١)وتكانت(٢) من مواصلة أعمالها المعادي للنفوذ الفرنسي حيث كانت هذه القبائل تقوم بنهب القبائل الموالية للفرنسيين وتنظيم العمليات المعادية للوجود الفرنسي وذلك علي كامل امتداد منطقة النهر وقد ازدادت قوه هذه المعارضة اثر تحالف احمد بن سيدي على أمير البراكنة وبكار ولد اسويد احمدامير تكانت على اسر أعلن المصالحة بين سيدي ولد محمد فال (٣) واحمد سالم الذي تخلي عن تحالفه مع الفرنسيين كل ذلك دفع جاستون دوميريه jaston doumergue وزير المستعمرات الذى كان يعد من دعاة التريث فيما يتعلق باحتلال موريتانيا على الموافقة المرة لكوبولاني علي دراسة الطريقة التي يمكن بواسطتها احتلال منطقة البراكنة – تكانت – أدرار اشتهرت هذه القبيلة بأنها محل بغض القوم في الترارزة بسبب شراستها

---

١ – من الوادى الابيض الى المنطقة الواقعة بين بوتلميت وهى تغطى ولاية البراكنة اليوم.

٢-وتعني الغابة وهي حلقة كادرار يحفها من الجانبين جبل عظيم كجبل أدار ويسمونه سن تكانت وهي وادي يزرع زراعة موسمية .

٣ ـ مولود باركيز من ولاية الترارزة موريتانيا وكان مشتغلا بالفقه المالكي حتى ظهر فيه وهو متصوف وله مؤلفات منها – شرح مرتقي الوصول الي علم الأصول لابن عاصم .

وقد وضعت اتفاقية الترارزة السابقة امارة البراكنة تحت الحماية الفرنسية عندما تمكن كوبولاني في يوليو ١٩٠٢م من إقناع الأمير احمد ولد سيدى على بالتخلي عن إدارة القبائل وذلك في اجتماع ضم وجهاء البراكنة أعلن خلالها الأمير عن خضوعة للسلطة الفرنسية .

وقد بدا الاحتلال الفرنسي للبراكنة في ١٩٠٣/٣/٢١م وتتمثل الخطوة الأولى من عملية هذا الاحتلال في تأسيس مركز للتموين للتزوين والتزويد في بوكي خلال ١٩٠٣م وفي ديسمبر ١٩٠٤م رحل كوبولاني الي البراكنة حيث استقر في الاك انطلاقا من بوكى وقد تحمس أمير البراكنة وأمير تكانت لصد الغزو الفرنسي عن المنطقة الا ان جهودهما في نهاية المطاف باءت بالفشل حيث كان النصر النهائي لصالح الفرنسين وذلك في كثير من المواقع الحربية . وبتأسيس مركز الرقبة عام ١٩٠٤م وتعين ديريه Derey مقيما بالاك في مايو من نفس العام يتوطد النفوذ الفرنسي لهذه الجهة من الناحية الجنوبية الغربية من البلاد ، هذه الناحية التى بالإعتماد عليها كقاعدة ظهرية ومصدر أساسى من مصادر التموين سيستمر كوبولاني في المضي قدما لانجاح سياسته الداخلية في كل من امارتي تكانت وادرار وابتدا من ذلك التاريخ فبراير ١٩٠٤م اصبحت البراكنة مسرحا للحروب والفوضي وفقدت الكثير من أبطالها وقد كانت احتلال البراكنة مجرد تمهيد لاحتلال تكانت(١) .

احتلال الوسط والشمال (تكانت – ادرار)(٢):

لقد شكلت منطقة الوسط والشمال بعد الجنوب الغربي الموريتاني الشغل الشاغل بالنسبة الي كوبولاني لانها محل استقطاب شامل للمعارضة للاستعمار والمخبأ السياسي لجميع القوي الرافضة الخضوع (٣) .

---

١ – محمد الراظى : مرجع سابق ، ص ٦١. أيضاً ، فاطمة بنت الإمام : مرجع سابق ، ص ١٥.

٢- انظر خريطه رقم (٣) بالملحق.

3- Gouraud , Ge'ne'ral : Mauritaine (Adrar) , Souvenir d'un Africain , Paris 1927 P . 34 .

إحتلال الوسط (تكانت):

لم يكن إحتلال تكانت عن طريق الوسائل الدبلوماسية ولا بواسطة الطرق السلمية ، ذلك ان كوبولاني قد جهز حملة عسكرية لهذا الهدف وتعهد بمنح كل شخص يشارك في هذه الحملة ميدالية استعمارية عسكرية وقد استهدفت فرنسا من احتلال تكانت التوسع في وسط موريتانيا وكانت تكانت مركزا رئيسيا لمقاومة وطنية مسلحة ستجابه المستعمر الي حين ، كما كان احتلال هذه المنطقة استجابة لضرورة ماسة تقتضي السيطرة علي أعالي نهر السنغال وذلك باحتلال هضاب تكانت وبهذا الخصوص كتب (Christian laigret) يقول (لقد كان كوبولاني يري لتحقيق مشاريعه ينبغي عليه ان يواصل نفوذه السلمي بطريقة تضمن استقرارا شاملا بالنسبة لإمارتي الترارزة والبراكنة وينظر إلى تكانت بأنها تمثل نقطة مفتاح التوسع الفرنسي كما كان يعتبرها مركزا للتموين والنفوذ وفي حالة عدم مراقبته لا مجال لاى استقرار علي الضفة اليمني لنهر السنغال)(١)

كل ذلك دفع كوبولاني الي التدخل لإخضاع تكانت منذ اوائل ١٩٠٤م وقد ساعدته علي انجاح هذا التدخل وإنشاء بعض المراكز الاستراتيجية التابعة للاستعمار ، وقد وافقت بعض قبائل الوسط علي قبول الحماية الفرنسية مما دفع الحكومة الفرنسية الي إصدار مرسوم ١٩٠٤/١٠/٢٨م الذي ينص علي اعتبار موريتانيا منطقة مدنية والتخلي عن نظام الحماية وتعين كوبولاني مفوضا عاما للحكومة الفرنسية وكان من صدي هذا المرسوم ان اندفع كوبولاني في السنة التالية لمواصلة المرحلة الثانية من الاحتلال الاستعماري لموريتانيا فكانت حملة تكانت التي نجحت دبلوماسيا في القضاء علي قوة ادوعيش وتفريقها (٢) . كما تمكنت من القضاء علي بكار ولد اسويد احمد أمير تكانت الذي رفض الاستسلام والخضوع السلمي وذلك بتاريخ ١٩٠٥/٤/١م ونتيجة لهذا النجاح تم تأسيس مركز تكجكة الاداري خلال نصف السنة.

---

١ – فاطمة بنت الامام : مرجع سابق ، ص ١٥ .

٢ – Liagret ,crhistian : Naissance d une nation La Mauritnia imauine national Paris 1969 , p . 37 .

ولم يقدر كوبولاني البقاء طويلا بعد موت بكار حيث تعرض هو الاخر لمحاولة ناجحة لاغتياله ليلة ١٩٠٥/٥/١٢م أودت بحياته ،ويمكن ان نفسر سرعة هذا الانتقام بان المقاومين كانوا يرون ان وجوده في موريتانيا يشكل خطرا علي الدين وعلي رجاله وهذا ما دفع سيدي ولد الزين احد مريدي الطريقة القادرية الغطفية(١)٠الاقدام على تصفيته ويذهب مونتاية montane copdefosc الذي خلف كوبولاني علي ان المقاومة هي المسئولة عن قتل هذا الأخير وهو يحمل المسئولية علي كل من أمير ادرار ولد عيد والشيخ ماء العينين وقد أدى اغتيال كوبولاني الي بعث الحماس في صفوف القبائل التي كانت موالية لفرنسا والتي اعلنت عصيانها من جديد كما زاد هذا الحدث من قوة وعزم الشيخ ماء العينين علي مقاومة الفرنسيين (٢) ، وخاصة انه كانت فرصة لتقوية نفوذه وازدياد شعبيته في أوساط القبائل وصيانة لمكاسب الاستعمار خاصة في ظل هذه الظروف الوضعية الصعبة قامت الإدارة الفرنسية باتخاذ سلسلة من المراكز الدفاعية لحماية المناطق المحتلة وإخضاع عدد من الولايات لنفوذ فرنسا (٣) .

وخلال عام ١٩٠٦م تم انشاء مراكز باكجوجت وكان الهدف من انشاء هذة المراكز منها هو مراقبة الممرات التي تربط شمال ادرار بالإمارات الجنوبية .وبالرغم من مقتل كوبولاني فان مشروع الاحتلال سيتواصل من جديد وان كان سيأخذ الطابع العسكري اكثر من أي وقت مضي وذلك انطلاقا من تعليمات الحاكم العام لافريقيا

١١- (نسبة الي مؤسسها السيد سيد ولد الغطفي

٢- Gilier, Commandantdant: Penteration cot en Mauritani , Paris 1965, p 136.

٣ – Ba alitoun ibra les Mauritanies face a la penetration de 1900a la 2 eme gurre mondiale memore matrise nktti m r s 1975 , p 29.

الغربية الفرنسية وليم بونتى(١) (wiliam ponty) الذي حدد بقوله :

(ان القبائل البيظانية تنطلق في مقاومتها من مناطق وهي النهر ، تكانت ، ادرار وتنتقل هذه القبائل من هذه المناطق باستمرار ويكفي ان يصبح سيدا علي هذه المناطق التي هي مراكز للتموين حتى ينفرد بالسيطرة علي هذه القبائل المشار اليها ، اننا قد حصلنا علي النهر وتكانت ويبقي لنا ان نضمن سلطتنا على ادرارولتحقيق هذه السيادة والسيطرة علي ادرار اوفدت فرنسا حملة جوروا علي ادرار).

احتلال أدرار :

ان احتلال منطقة تكانت و التوفر علي سلسلة من المراكز الدفاعية قد مكن مونتاني الذي خلف كوبولاني من تحقيق السلام الي حد ما في الامارات التي شملها الغزو الفرنسي الا ان هذا السلام لم يستمر طويلا بسبب اضطرابات ادرار التي ستنفجر خلال هذه الفترة كما ان مقتل كوبولاني تسبب في أحداث موجة كبيرة من الحماس لدي المقاومين الموريتانيين الذين هجروا المناطق المحتله الي ادرار والتفوا حول أمير ادرار ولد عيد والشيخ ماء العينين في وقت كان هذا الأمير قد أعلن (الجهاد) دعوته للحرب المقدسة من اجل إيقاف التوسع الفرنسي (٢).

١- بونتي eugene pionnier كان الحاكم العام لفرنسا في السودان الغربى سنة ١٨٩٣ وقام بتنفيذ سياسة التهدئة واخماذ الفتن التى ستنتهجها فرنسا في المنطقة وقد تمكن من دخول تنبكتو سنة ١٨٩٣ بسهولة إلانة غادرها في يناير ١٨٩٤ لانقاذ فرقة فرنسية يقودها الضابط الفرنسى جوفر (joffre) من كمين اعدة له الطوارق الا ان بونتى وقع في كمين نصبة له الطوارق وابادوا جميع أفراد فرقتة وتوفي عام ١٩١٥م بعد مرض دام لبضعة اشهر عانا فيها الكثير ولكنه اخفي الامه ليستمر في موقعخ مراعاة لظروف الحرب وتولي اعماله بالنيابه كلوزيل .

٢ – Amadou Ba : Les Regueibatts , Bulletin de renseignement , col N.IET 2 Paris 1926 , P .298 .

و كان غزو ادرار قد تم بالطرق السلمية والدبلوماسية قبل ان يكون عسكريا حيث تمكن مونتاني وبواسطة هذه الطرق من تثبيت قوة المعارضين وذلك بكسبه ود بعض القبائل والافخاذ المعادية للإستعمار وسيقوم جورو الذي سيحل محله والذي سيستقر في اطار منذ يناير ١٩٠٩م (١) . كبداية فعلية لحملته العسكرية علي ادرار في هذه الفترة التي كان الفرنسيون خلالها يعدون عدتهم وقد استفاد جورو من تجربة كوبولاني السابقة عندما قام بدارسة شاملة للمجتمع الموريتاني وتأتي هذه الحملة علي ادرار بعد صدور مرسوم سبتمبر ١٩٠٨م والقاضي باحتلال المنطقة والذي تم فعلا في ١٩٠٩/١/٩م وقد كان جورو عند دخوله المدينة قد أعرب عن نواياه الطيبة نحو السكان وعن احترامه للدين والعادات المحلية الخاصة بالأهالي ولذلك توافدت عليه القبائل طلبا للسلم والامان وبذلك يكون قد وضع حجر الأساس للاستقرار الفرنسي فبي موريتانيا بعد تحطيمه لمراكز المقاومة في (اطار) (٢) .

الأحداث التي تمت عند احتلال فرنسا لإدرار:

في الفترة التي كان الفرنسيون يعدون فيها العدة علي قدم وساق للحملة علي ادرار كان المقاومون يكثفون من عملياتهم العسكرية ضد الفرنسيين وفي هذا السياق توجهت حملة فرنسية يقودها النقيب ريبو والملازم اشميت الي انشيري من اجل احتلاله فاستولت علي اكجوجت ثم أخذت في طريقها الي ادرار بقصد معرفة طريق المنطقة ومراكز تواجد المقاومين كما تهدف الي جلب انتباه السكان بغية تسهيل الظروف للحملة التي ستنطلق لاحتلال ادرار وعند اكرارت تقابلت الحملة الفرنسية مع مجموعة من الثوار بقيادة الأميرسيد احمد بن احمد بن عبده وكانت هذه أول معركة علي ارض ادرار وقد اظهر خلالها المقاومون شجاعة واندفاعاً لا مثيل لهما وكانت الخسائر الفرنسية مقتل قائد القوة واربعة من جنوده وجرح الملازم اشميت وكانت خسائر الثوار

استشهاد ثلاثة وبعد هذه العملية اتجه الثوار الي لكجوجت حيث توجد حامية فرنسية فهاجموها واستولوا عليها ثم خرج الثوار يطاردون الجيش الفرنسي الذي انسحب من

١- Juigret ,Crhistioan : Op . Cit , p . 135 .

٢-(اطار) مدينة موريتانية يقال انها بنيت لاول مرة غربي البطحاء في اواخر القرن التاسع الهجري وهي الآن عاصمة لاقليم ادرار .

المدينة واتبع الثوار في هذه الغارات طريقة تتمثل في الاستيلاء علي الجمال من الفرنسيين وذلك من اجل منع الفرنسيين من مطاردتهم (١) .

وقد فشلت الحامية الفرنسية وانسحبت من اكجوجت بسبب الجوع والمرض وشدة مهاجمة الثوار المتكررة لها و خلال هذه الفترة (١٩٠٨/٦) كانت فرنسا تعد حملة للاستيلاء علي إدرار ولما علم الثوار بذلك راواضرورة القضاء عليها في مهدها او شلها علي الأقل وعلي هذا الأساس أخذت فرقة المقاومين طريقها الي المجوية لتنفيذ العملية وتجابهت هذه الفرقة مع الحامية الفرنسية في واحة المنيان ودارت معركة اصيب من جرائها الفرنسيون بخسائر فادحة منها مقتل قائد الحامية مانجين ونائبه الرقيب ماتيا كما استولي الثوار علي عدد كبير من الأساحة والجمال وتوالت عمليات الثوار على القوات الفرنسية التي كلفتها الكثير من الجيش والقتال(٢) .

وبهذه العمليات المتتالية تكون المقاومة قد برهنت للفرنسيين أنها لاتزال شامخة رغم فقدانها لمصدر السلاح الوحيد من الشمال من المغرب بعد منع وصول الأسلحة الي الثوار من الشمال وفي هذه الأثناء تمكن الفرنسيون من الأعداد للحملة التي ستحتل ادرار والتي تضم ١٠٠٠ رجل من بينهم ٧٠٠من الرماة ٢٤٠من الجمال و من الفرسان ٣٠ من أصحاب المدافع الثقيلة ٣٠ و ١٥٠-٢٠٠من المجندين الموريتانيين وكان قائد الحملة جورويري ان هذه القوات كافية للقضاء علي الثوار وقد انطلقت هذه القوات منقسمة الي فرقتين الأولى منطلقة من تجكجة ويقودها جورو والفرقة الثانية بقيادة افريرجان (٣) ، وستنطلق من الترارزة علي ان تلتقي بفرقةجورو عند مشارف مدينة اطار ودارت

---

١ - محمد سالم بليفور : المقاومة في ادرار ، كلية الآداب ، جامعة انواكشوط عام ١٩٨٦م ، ص ٣٩ .

٢-انظر خريطه رقم (٤) بالملحق.

٣-(١٨٦٩-١٩١٧) louis frerejean احد ضباط الجيش الفرنسى كان من قادة حملة احتلال البلاد الموريتانية فى مطلع القرن العشرين نجح فى تجنيد افراد من قبائل المحاربين مثل قبيلة ابو السباع القوية وحملهم على طاعتة والخضوع لاوامرة كل ذلك ينبى انة خلق للنضال والقتال والعمل فى ميادين المعارك لافى المجال الدبلوماسى والواقع انة يمكن تشبيهة بلورنس الانجليزى فى الجزيرة العربية من حيث شدة التحمل والتاقلم مع البيئة البدوية والتعامل مع القبائل (سعد خليل ص ٢٩٢) .

معارك طاحنة بين الفرنسيين والثوار دامت لفترة طويلة وقد وقع قتلى كثيرون من الفريقين وخسائر فادحة في القتال والمعدات وبعد هذه المعركة انسحب المقاومون من بلدة اماطيل واتجهوا الي اطار ولما علموا بقدوم الفرنسيين انسحبوا منها ثم دخلت قوات فرنسا اطار في يناير ١٩٠٩م حيث طلب السماميد الامان من فرنسا ثم طلب سكان شنقيط الامان فاعطت فرنسا لهما الامان نظير دفع ١٥ طن من التمر من كل منهما – وكان المقاومون يتحينون الفرصة للهجوم علي الغزاة حيث تمكنت من قتل عدد من الجنود الفرنسيين وقتل بابلون (قائد فرنسي) وعدد من الرماة السنغاليين وبهذه العملية الفذة برهن المقاومون للغزاة على أن المقاومة رغم فقدانها لقاعدتها الاساسية فى اطار ما زالت قائمة وستظل كذلك حتى تحقق النصر ، ولكن قد بدا الضعف يدب في المقاومة بسبب الخسائر الفادحة التي منيت بها وقوة وحداثة اسلحة الفرنسيين (١) .

نتائج احتلال ادرار:

لقد حققت حملة ادرار من وجهة نظر الفرنسيين نتائج مادية حاسمة فقد تم غزو ادرار معقل الجماعة الخطرة وزاد عدد القبائل واقسام القبائل التي قدمت خضوعها وهربت عناصر المقاومة الي الشمال يتملكهم الخوف من العقاب في حالة عودتهم للهجوم وادي استعراض القوة الذي قامت به الحملة الي تثبيت الهيبة الفرنسية فالمحارب عادة يبجل مظاهر القوة ومن الطبيعي ان يؤدى ذلك الى زيادة نفوذ المرابطين المقربين الي فرنسا مثل الشيخ سعد ابيه والشيخ سيد يابا وكذلك زيادة عدد اتباعهم في الوقت الذي قل فيه انصار الشيخ ماء العينين وتوارى أى نفوذ اخر خلاف النفوذ الفرنسى ومع ذلك فان حملة جورو لم تكن كلها مكاسب فخلاف الخسائر في الارواح والتكاليف التي لم تؤثر في الواقع في البلاد فان موريتانيا قد دفعت ثمنا غاليا لتامينها ضد السلب والنهب كما ادعي الفرنسيون (٢).

---

١ - محمد سالم بلفريو: مرجع سابق ، ص٤٤ .

٢-سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٤٥٠ .

وخلاصة القول فان هذا الاحتلال الفرنسي للاراضي الموريتانية لم يكن احتلالا ثابتا ولا نهائيا قبل عام ١٩٣٤م ذلك انه على الرغم من الإنتصارات التي حققها في نهاية المطاف كل من كوبولاني في تكانت وجورو في ادرار فانها لم تسفر عن توفير جو الامان والاستقرار لينعم به الجميع كما كان متوقعا من طرف الادارة الفرنسية فى سانت لويس التى كانت ترى فى البداية ان الاحتلال الفرنسى العسكرى لهذة المناطق لن يكون مكلفا فعابوا على المعارضة الصريحة والمنظمة من طرف المؤسسات التجارية فى سانت لويس التى أثار حفيظتها مشروع الاحتلال وتردد الاوساط الرسمية فى الحكومة الفرنسية فى العديد من المرات إدانة مواصلة هذا الاحتلال فان المشروع كان يصطدم فى الواقع على مستوى البلاد الموريتانية لرفض مطلق من طرف بعض الاوساط السياسية والدينية ذات التاثير الاجتماعى الكبير.

وسيأخذ هذا الرفض فى النهاية شكل مقاومة علنية منظمة معادية للوجود الفرنسى فالمناوشات العسكرية التى ظلت قائمة حتى حدود سنة ١٩٣٤ ضد الاهداف الاستراتيجية الفرنسية خير دليل على صلابة هذة المقاومة وبرهان ساطع على مدى رفضها للاستسلام وذلك رغم تواضع امكانيتها المادية والعسكرية مقارنة بالجيش الفرنسى هذا عن احتلال فرنسا لموريتانيا اما عن خطط فرنسا فى موريتانيا حتى تثبت دعائم هذا الاحتلال على الارض الموريتانية فهو على الصفحات القادمة اما عن موقف القوى الموريتاينة من الاستعمار الفرنسى فيكون الحديث عنها فى الفصل الثانى .

ثانيا: المخططات الفرنسية في موريتانيا :

لقد بدا الحكام الفرنسيون يعملون علنا من اجل القضاء علي شكاوي التجار في سانت لويس ممن يدفعون الأتاوات اللازم دفعها لاهل الضفة اليمني لنهر السنغال وهكذا بدا بروتي ثم فيدروب من بعده سياسة تدخلية تهدف الي التخلى عن سياسة الاتفاقيات والاتاوات وسن سياسة جديدة تهدف الي فرض الوجود الفرنسي دلخل موريتانيا للدفاع عن حرمة التجارة وقد امتازت السياسة الفرنسية تجاه موريتانيا بالحركية والاستمرار أي ان هذه السياسة متغيرة من وقت الي اخر حسب الظروف وقد اخذت هذه السياسة شكلا تصاعديا من المهادنة الي الاحتلال العسكرى (١) .

وكان لفرنسا اسلوب عجيب تتبعه في اعداد رجالها للمهام المنتظرة له مثل ارسالها لجورو في اجازة قضاها في اعماق صحراء الجزائر بدعوة من الفرنسي ليوتى قبل ارساله قائدا لمستعمراتها في موريتانيا وقد بدات فرنسا تنهج سياسة كفيلة بتحقيق اهدافها في موريتانيا حيث سلكت سياسة المعاهدات والهدايا تجاه المجموعات الشنقيطية وهكذا بدات العلاقة تتغير واصبحت موريتانيا معرضة للتدخل الفرنسي الموجود عند بوابتها الجنوبية هذا التدخل الذي ينتظر من يخطط له ويقوم به حيث اقتنعت فرنسا باهمية موريتانيا وشرعت في احتلالها وبدات في تنفيذ الاحتلال خلال عام١٩٠٢م . وقد جاء تعيين فيدرب لويس faidherbe luws حاكما للسنغال مواكبا لطموح فرنسا في تاكيد سيطرتها عل مناطق غرب افريقيا وقد جاء تعيينه بعد موجة من الاضطرابات عرفتها المنطقة وقد كانت سياسة فرنسا في المنطقة قبل فيدرب تقوم علي سياسة التهدئة والسلام دون التورط في القيام بعمليات غزو للمنطقة(٢) .

---

١ ـ محمد عمار : مرجع سابق ،ص ١٧ .

٢ ـ الهام محمد على ذهنى : بحوث ودراسات وثائقية فى تاريخ افريقيا الحديث ، القاهرة ١٩٩٩ ص ٤٧ .

لكن هذه السياسة تغيرت بمجيئ فيدرب الذي طمع في تدعيم النفوذ الفرنسي في المناطق المذكورة حيث وضع فيدرب الخطوط العريضة لسياسته في التعامل مع مختلف القوي الوطنية تمثلت اساسا في سياسة الترغيب والترهيب (السلم ام الحرب) وعلي القوي الوطنية التعامل معه والاستسلام للنفوذ الفرنسي .

ولهذا وضع فيدرب هذه السياسة موضع التنفيذ وقد جاء تعيين فيدرب مواكبا لنزعة فرنسا وقد اتبعت فرنسا سياسة توسعية متمثلة في تنفيذ سياسة اكثر نشاطا في افريقيا وهي توسعية عسكرية سعت فرنسا من خلالها الي الربط بين ممتلكاتها في الشمال في الجزائر ومستعمراتها في غرب افريقيا وكان فيدرب يمثل النموذج الاستعماري وقد كان اهم عمل عند فيدرب هو تامين حدود المستعمرة ضد هجمات القبائل الشنقيطية التي كانت تهدد المستعمرة من جهة الشمال وقد قال في هذا (لابد ان نملي ارادتنا علي رؤساء المور من اجل تجارة الصمغ كما يجب الغاء مواني التبادل التجاري باستخدام القوة اذا فشلت سياسة الاقناع وينبغي الغاء كل الأتاوات وعلينا ان نكون اسياد النهر وكذلك انتزاع منطقة والو من الترارزة).

ومنذ بداية القرن العشرين وتسابق الاضراب جعلت موريتانيا تمتاز بمعطيات استراتيجية فهي البلد الوحيد في غرب افريقيا – والمغرب الاقصي – بدون احتلال او حماية واحتلال احدهما يعطي المحتل حق الحماية علي الاخر والاستئثار باحد البلدين لغير فرنسا قد يكون في غير صالح فرنسا حيث كانت تخطط لانشاء امبراطورية استعمارية متكاملة جغرافيا واداريا ومفتاح ذلك يتمثل في احتلال موريتانيا وهو ما يخول لفرنسا دخول المغرب من ناحية الجنوب (١) .

ومن المعروف ان فرنسا في حكمها للمستعمرات التي احتلتها كان حكما مباشرا الا ان هذا الاسلوب تغير في موريتانيا ويرجع ذلك الى كوبولاني الذي اسس الادارة غير المباشرة في بداية الامر عن طريق رؤساء الامارات الكبيرة كالترارزة والبراكنة وغيرها اذ لم يلغ نظام الإمارات بل العكس ثبت امراء لم يكونوا موجودين

---

١ – محمد عمار: مرجع سابق ، ص ٣٧ .

من قبل كما حدث في تكانت الا ان الملاحظ في المعاهدات التي عقدت عام ١٩٠٣م مع الترارزة والبراكنة كانت تخلع السلطات الفعلية عن الامراء حيث تنص علي ان تقوم السلطات الفرنسية بتحصيل الضرائب وتعيين القضاة وتقدم هذة السلطات مخصصات ثابتة للامراء مما تحصله من الضرائب (١) ، وقد حرص كوبولاني علي اشراك زعماء القبائل فى ادارة البلاد وكانت سياسة فرنسا الادارية في موريتانيا في مجال السياسة الاجتماعية تحرص علي تجنب وقوع هزات عنيفة للهياكل الاجتماعية القائمة او زعزعة الممارسات والمعتقدات (٢) السائدة ولقد وضعت فرنسا مجموعة من المخططات حتى تتمكن من تنفيذ اغراضها واطماعها في موريتانيا من فرض سيطرتها علي كل التراب الموريتاني ويظهر ذلك من خلال الوثائق الفرنسية ومنها هذه الوثيقةالموجودة بالملحق رقم .... والمرسلة من الجمهورية الفرنسية الي الحكومة العامة الافريقية الاجنبية الفرنسية بداكار ٣١ غسطس وبعد رحيل جورو وتولى الكلونلونيل باتى (٣) أعمال المفوض العام فى موريتانيا ابتداء من ١٩١٠ رأئ باتى ان الاحتفاظ بالنظام الادارى المباشر فى المناطق الجنوبية للبلاد حيث الأقاليم الزراعية المجاورة للنهر المزدحمة بالسكان كما راى ان تخضع المناطق الشمالية والتى تشمل (الترارزة – البراكنة – تجانت – ادرار) ٠ (حيث قبائل الرحل) لنظام خاص اشبة بنظام المحميات اساسه الاعتماد على المحاربين التقلديين ويتمشى بقدر الامكان مع طبائع البدو وعاداتهم وتقاليدهم وفى المجال الادارى عمل باتى على تحديد موقف كل قبيلة بالضبط مجتهداً فى مراقبة عدالة القضاة المحليين مع ترك الحرية لهم فى ممارسة اعمالهم ذلك لان الموريتانيين لايميلون الى القضاء الفرنسى .

١- نصر السيد نصر – مرجع سابق ص ٤٩

٢- صالح بكتاش رجع سابق ص ١٤٠

٣ – عمل مفوض عام فى موريتانيا سنة ١٩١٠ خلفا لجورو ولم يكن غريبا البلاد حيث عمل مدير المكتب العسكرى للحاكم بونتى كما تولى اعمال المفوض العام فترة سنة ١٩٠٧ قبل رحيل مونتانية وقد اهلتة خبرتة لمباسرة عملة خلفا لجورو وكانت معرفتة بالتيارات والاحداث قد زودتة بالكثيرمن الدهاء السياسى علاوة على الحزم الذى يتصف بة كرجل عسكرى ولذلك جاءت سياستة اساسا سار على نمطة كل من جاء بعدة (سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٤٥٦) .

ثالثا : السياسة الفرنسية في موريتانيا :

كانت فرنسا في بداية احتلالها لموريتانيا تعتمد علي الزوايا في تنفيذ سياستها الاستعمارية مما ادي الي تعاظم شان الزوايا نتيجة لأسباب الامن وتقلص الضغوط التي كان يمارسها الامراء في حين تقلصت قوة هؤلاء الامراء غير ان فرنسا بعد ١٩١٤م تحول اعتمادها إلى المحاربين من حسان بدلا من سياسة الاعتماد علي الزوايا وقام بتنفيذ هذه السياسة الحاكم الفرنسي الجديد باتي الذي كان يهدف من وراء ذلك إلى الإستفادة من البيظان المقاتلين من اجل تدعيم السلام الجديد وتهدف هذه السياسة إلى أمرين هما :-

١- الحصول علي محاربين يقومون بمساعدة قوات فرنسا في تعقب المجاهدين وليكسب هؤلاء البيظان خبرة قتالية ليصبحوا في النهاية جنودا عاملين في الجيش الفرنسي النظامي في موريتانيا (١) .

٢ - اعطاء غطاء من الشرعية علي الاحتلال الفرنسي لموريتانيا وقد نجحت فرنسا من جراء اتباع هذه السياسة في تحطيم الهياكل والبنية الداخلية للمجتمع الموريتاني وذلك بنمو طبقة من المنتفعين وقد كانت هذه الطبقة منبوذة اجتماعيا الا ان الانسان الموريتاني اصبح مجبرا علي التعامل معها بل واحترامها وفقا لمعايير غير واضحة لايريد الموريتاني الاصيل ان يفكر فيها كثيرا مخافة ان يقع في المساءلة وقد نجحت هذه السياسة في تزويد فرنسا بمقاتلين جدد حلوا محل الجنود السنغالين وعملت بذلك علي مرتنة الاستعمار .

وحتى يتمكن المستعمر من احكام قبضتة على المنطقة وعلى سكانها عين علي راس كل قبيلة رجل يدافع عن مصالح الاستعمار هذا بالاضافة الي استعماله لبعض الأشخاص ضعيفي الضمائر عرفوا محليا باسم (كميات) لاضطهادها المواطنين وانتزاع ممتلكاتها هذا بالإضافة الي حمايتهم العسكرية للفرنسين .

---

١ - مجلة الامة القطرية :عدد ٧١ ، سنة ١٩٨٦ ،ص ٧٥

وقد كان المستعمر يحاول من وراء هذه السياسة الخبيثة والقائمة علي الاعمال الوحشية التمثلة في اغتصاب المحاصيل الزراعية والماشية والابل يهدف الي دفع السكان الي الدخول في أحضانه فيزداد اعدا اتباعه الشئ الذي يساعده في الاعمال الحربية(١) .

وقد مر تنظيم الحياة السياسية بعد دخول الاستعمار باربع مراحل عرفتها جل المستعمرات الفرنسية في ذلك العهد وهي :-

١- سياسة الإجناس **٢- سياسة الادماج**

٣- سياسة الاشراك **٤-الاتحاد الفرنسى**

سياسة الاستيعاب (الفرنسة الاجتماعية) :

تعتبر هذة السياسة النمو الطبيعي والامتداد الاوحد لتمسك فرنسا بسياسة الحكم المباشر بعد ان ارتبط بمفاهيم وقيم الثورة الفرنسية وسياسة الاستيعاب تعنى ببساطة فرض ثقافة الفرنسيين ولغتهم ومفاهيم حياتهم ونظم موسساتهم السياسية والاجتماعية على الافريقين حتى يستوعبوها فيصبح كيانهم النفسى والثقافى متفرنسا تماما كالفرنسيين انفسهم فتتم هذة العملية كما تصورها الفرنسيون بواسطة عمليات تثقيف وتربية وتعليم طويلة الأمد .

وقد بنت فرنسا هذا الاعتقاد على اسس ان ماضى الثورة الفرنسية وما حققتة يفرض على فرنسا ان تقوم بهذا الدور ولكن المهم ان هذا الايمان الفلسفى العميق الذى انتاب السياسة الفرنسية بعد الثورة اصبح اداة للتوسع الفرنسى الاستعمارى ونهب وغزو أراضى اخرى فى افريقيا والتبرير الذى يقدمة مؤيدو السياسة الفرنسية الاستعمارية انة يجب على اهالى المستعمرات معرفة معالم ومحاسن النظم الفرنسية وان كل تقدم أو رقى يصبهم لن ياتى او يتحقق الاعن طريق الثقافة واللغة الفرنسية والمستوي الروحية والحياتية التى غرستها الثورة الفرنسية وحملت فرنسا رسالتها الى العالم

---

١ – محمد سالم بن بلفيريو: مرجع سابق ، ص ٥١ .

اجمع ولعل هذا هو مادعا كثيرين من الدارسين الى تسمية هذة الظاهرة الفرنسية باسم الاستعمار الثقافى النفسانى ومن اجل تطبيق هذة السياسة " الاستيعاب " استخدم الفرنسيون سلاح الخضوع لقانون الاحوال الشخصية الفرنسى بجانب المستويات الثقافية واللغوية والنفسية فقد اعتبر المشرعون الفرنسيون ان قبول الافريقى الخضوع لقانون الاحوال الشخصية الفرنسية والقانون المدنى والجنائى الفرنسى انما هو فارق ضخم يميزة عن الافريقى الذى يرفض الخضوع لهذا القانون ويتمسك لقانونة الخاص للاحوال الشخصية وخاصة الشريعة الاسلامية ، فالافريقى الذى يخضع للقانون الفرنسى يتمتع بصبغة المواطنة والافريقى الذى يخضع لقانونة الدينى او القبلى يظل رعية .

وقد ترتب على هذا ظهور ما يسمى بقانون (الانديجينا) وهو مجموعة من الا وامر الادارية والعرفية التى يطبقها الضباط والحكام العسكريون والمدنيون وتنطبق فقط على الرعايا الأفريقيين الذين لم يقبلوا مبدا الاستيعاب والاندماج فى البيئة الاجتماعية الفرنسية ومن ثم فهؤلاء الأفريقيون يحاكمون امام محاكم ادارية خاصة وعقوبات قانون الانديجنا قاسية وتتراوح بين الاعتقال وتنتهى بالنفى وغير المندمج لايتمتع باى ضمانات إو حريات او حقوق سياسية او ثقافية (١) .

وكان هدف الفرنسيين تطبيق سياسة الاستيعاب على جميع الأفريقيين بمختلف مستوياتهم ومراحلهم ومكانتهم الاجتماعية او بمعنى اوضح هو تنفيذ سياسة الفرنسة الجماعية لكل الافريقيين وفى خلال عملية الفرنسة الاجتماعية هذة يظل الحكام الفرنسيون هم اصحاب السلطة فى تصريف الامور وفى توجية وقيادة الأفريقيين حتى يصلوا الى مستوى الفرنسة الاجيماعية وليس لهذا المستوى تاريخ محدد او مراحل معروفة انما هو متروك لتحديد وتقدير السياسة الفرنسية وبمرور الزمن بدأ الفرنسيون يقلقون من نتائج تطبيق سياسة الاستيعاب لان نتائجها كانت قليلة لاتتفق مع ما عقدوة عليها من آمال وما ملأ نفوسهم من حماس وشعور بالثقة فقلائل من الأفريقيين هم

---

١ – سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٦١٧ .

الذين بذلوا الجهد للتمتع بميزات الاستيعاب والفرنسة بينما الكثرة الغالبة هم مسلمون اثروا التمسك باحكام الشريعة الاسلامية ولو كان في هذا خضوع لاحكام قانون الانديجينا وحتى منتصف القرن التاسع عشر لم يكن هذا الاستيعاب قد ظهر في افريقيا الافي السنغال (١) :

لم يجد كوبولاني صعوبة كبيرة في اقامة علاقة شخصية مع بعض الزعامات الدينية بل ان البعض اعتقد " وهذا خطا فاحش " أنه أي كوبولاني مسلم لتفقهه في الدين وحسن اخلاقة كما ان سياستة كانت تنصب في اتجاة واحد وهو التفاهم مع الزوايا حيث يرى انة باستحدامة للزوايا كواسطة يستطيع ان ينجح في التغلغل سلميا في البلاد ففضلا عن تفوق الزوايا المادى والعددى فانهم يملكون قوة مؤثرة على السكان ويكنون عداوة قديمة لبنى حسان اصحاب السلطة ورغم ان كوبولاني قد استثمر ثقافتة العربية ودبلوماسيتة الماكرة وعلاقتة ببعض زعماء الطرق الصوفية المحلية فان البعض الاخر وعلى رأسهم الشيخ ماء العينين قد اعلن الحرب المقدسة ضد الفرنسيين مستندين في ذلك على الادلة الشرعية ومهما حاول البعض ربط مقاومة الشيخ ماء العينين بعلاقاتة الطيبة بملوك ورجالات البلاط المغربى على اعتبار ان احتلال موريتانيا يمثل الخطوة الاولى الى المغرب

وكان الشيخ ماء العينين بدون شك قد استثمر تلك العلاقات بالإضافه الى مكانتة الدينية لتعطيل مشروع موريتانيا الفرنسية الغربية وكان لة دورة في مقتل كوبولاني الذى ادى الى التغيير في السياسة الفرنسية تجاة احتلال موريتانيا حيث بدأت فرنسا مراجعة خططها الرامية الى احتلال موريتانيا لتبدا مرحلة جديدة من المناورة انتهت باحتلال ادرار في يناير ١٩٠٩ ومما لاشك فيه ان الانتصار الفرنسي في اضرار مثل ضربة قاسية بالنسبة للمقاومة التى فقدت معقلها والكثير من انصارها الذين اعلنوا عن قبولهم للواقع الفرنسي.

وقد تولى مونتانية ادارة موريتانيا بعد كوبولاني حيث اتخذ كثيرا من التدابير بعد ان فطن الى خطا اتخاذ مواقع دفاعية ثابتة فعول على الاستفادة من اسلوب المقاومة

---

١ -عبد الله عبد الرازق ابراهيم – شوقى الجمل – تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر القاهرة ص ٢١٠

الموريتانية فى القتال واقتبس عنهم مايمكن ان يطلق علية نظام الدفاع الايجابى الذى يعتمد على خفة الحركة وسرعة الاختفاء ومن ثم بدء مونتانية فى تشكيل وحدات الهجانة التى صار لها تاثير كبير فيما بعد ومن اهم ماقام بة الفرنسيون فى تلك الفترة تقسيم نفوذهم الى دوائر ومقاطعات وكان هذا التقسيم قد تتبع التوزيع القبلى بدقة تامة حتى بقيت هذه الحدود الادارية دون تغير يذكر على مدى نصف قرن طوال فترة الاستعمار الفرنسى للبلاد .

وبعد استيلاء باتى patey . على تكانت وادرار وضع سياسة جديدة تقوم على اساس تقسيم البلاد الى منطقتين الاولى فى الجنوب غرب نهر السنغال وتدار بصورة مباشرة والثانية فى الشمال وتدار بواسطة الرؤساء التقليدين على ان يزودا بجيش خليط من البدو والزنوج السنغاليين وذلك حتى لاتحتاج فرنسا الى اقامة مراكز عسكرية كثيرة فى الشمال والواقع ان فرنسا لم تستطع ان تتخلص من الشيوخ المحليين واكتفت بتجريدهم من سلطاتهم ولعل فرنسا قدرت ان وجود اولئك الشيوخ يساعدها على تجنب الاتصال المباشر بين السكان والحكام العسكريين وبالتالى أصبح أولئك الشيوخ او الامراء بمثابة رؤساء اداريين مسئولين امام الادارة الفرنسية ، حقيقة ان كثيرا من هؤلاء أعلن تمرده على هذا الوضع ولكن البعض الاخر ظل يتعاون مع الفرنسيين (١) .

ويبدو ان السياسة الاستعمارية تجاة الطرق الصوفية فى موريتانيا فى الفترة الأولى قد اعتمدت على اسس غير مستمدة من واقع البلاد وإنما من خارجها وان ذلك من رصيد التجربة من الجزائر ثم تونس والفكرة المسبقة التى لبعض رموز الاستعمار تجاة المسلمين والواقع ان الطرق الصوفية فى الجزائر قد حددت ملامح السياسة الاستعمارية الفرنسية تجاة الطرق الصوفية بموريتانيا ذلك ان صعود بعض الطرق وقيادتها للعديد من الثورات بالجزائر جعل فرنسا تتوجس خيفة من ان تلقى من الطرق الصوفية فى موريتانا نفس ما لقيتة من مثيلتها بالجزائر والتى وان هادن البعض منها الاستعمار الفرنسى وكرس نفوذة الروحى لخدمة المستعمر كالطريقة التجانية مثلا فان البعض منها كان وراء العديد من

---

١ - نصر السيد نصر : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

الثورات التى عرفتها الجزائر طيلة الخمسين عاما الاولى من استعمارها كالطريقة القادرية وخاصة الرحمانية.

وبالتالى فان فرنسا ظلت حتى قبيل احتلالها لموريتانيا فى صراع مع بعض الطرق الصوفية وخاصة على الحدود بين موريتانيا والسنغال الامر الذى ادى الى لجوء بعض الزعامات القادرية الى الشمال حيث اسست زوايا لها .

ان المتأمل فى معظم الكتابات والدراسات التى قام بها بعض المختصين وبعض المكلفين من قبل السلطات الاستعمارية حول الطرق يتبين له اتفاقها حول خطورة الطرق على المصالح الاستعمارية وكانت الزوايا على حد قولهم لم تعد قط مكانا لتعليم القرآن الكريم بل أصبحت مركزا للثورة ترسم فى ظلام أركانها مخططات الإنتفاضة (١) .

أما شارل بروسلار فقد وصف اتباع الطرق بالميلشيات المسلحة للدفاع ونشر العقيدة مستعدة للانطلاق بمجرد اول اشارة من قائدها فكل هذة الاحكام وغيرها وان صدرت بعد تجربة الجزائر وتونس فانها قد صرح باغلبها قبيل إستعمار فرنسا لموريتانيا مما جعل الادارة الاستعمارية طيلة بقية القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وحتى قبيل الحرب العالمية الاولى تخشى الطرق الصوفية التى كان يرى الاستعمار الفرنسى انها قوة مجاهدة عن الاسلام تساهم فى نشر التعصب فى صفوف الموالين لها حسب د راستهم كل ذلك جعل بعض الاوساط الاستعمارية وحتى مصادر القرار فيها تهول وتضخم امر الطرق وترى فى كل تحرك جهادا مقدسا موجها اساسا نحو النصارى والمستعمرين تقف وراءة الطرق الصوفية الامر الذى حتم على فرنسا القيام بدراسات واحصائيات للتعرف اكثر على واقع موريتانيا وفق معطيات شبة ميدانية .

<u>سياسة فرنسا الاستعمارية تجاة الطرق الصوفية فى موريتانيا :-</u>

عملت فرنسا فى موريتانيا على تشديد الخناق على الطرق الصوفية اعتقادا منها انها مصدر الخطر وذلك بـ : -

---

١ – التليلى العجيلى : مرجع سابق : ص ٧٧ .

١ ـ مراقبة فرنسا مشايخ اطرق الصوفية:

ان التنظيم الداخلى للطرق و العلاقة الموجودة بين الطريقة وزواياها فى مختلف انحاء موريتانيا وما تتطلبة من اتصال شبه دائم حتى خارج حدودها بالاضافة الى الطاعة شبه المطلقة للاتباع تجاه مشايخهم وخشية استغلالها ضد الاستعمار دفع فرنسا الى مراقبة دقيقة انصبت بالدرجة الاولى على المشائخ وذلك فى عدة مستويات منها :-

أ ـ تدخل فرنسا فى شئون اقطاب القادرية :

فرضت فرنسا عن طريق الحاكم العام الفرنسى لمستعمراتها فى غرب افريقيا عدة اجراءات ادارية يجب توافرها فى شيوخ الطرق وخاصة القادرية حيث عملت على اختيار وتاييد نوع معين من الشيوخ الذين لهم مكانة اجتماعية ووجاهة ونفوذ على السكان حتى يتسنى لفرنسا توظيفهم لصالحها كما تمكنت فرنسا من اقصاء المشبوة منهم لعدم وضوح ولائهم وتبعيتهم لفرنسا وعلى سبيل المثال تأييدها للشيخ سعد ابية والشيخ سيدياباب والشيخ التراد بن العباس الذى جاء فى فترة لاحقة لهما وكذلك محاربتها للشيخ ماء العينين واولاده من بعده وبذلك تمكنت فرنسا من مساندة الذين لم يدخروا جهدا فى معاونة فرنسا ومساعدتها على السيطرة على البلاد (١)

ب ـ مراقبة فرنسا لتنقلات شيوخ الطريقة :

إن فرنسا رغم كل التحريات فى تعيين ومساندة مشايخ الطريقة القادرية فرضت عليهم عدة اجراءات تتعلق بتنقلاتهم حيث كانت فرنسا ترى لاقطاب الطريقة القادرية نفوذاً مادياً وأدبياً وروحياً على اتباعهم وهذا يشكل خطرا على اطماعهم الاستعمارية وكانت ترى فى تنقلاتهم وسيلة من وسائل الاتصال المباشر الذى قد لايهدف الى جمع الاموال من الاتباع فحسب بل يساهم فى نقل الاخبار وايصال المعلومات وتبادلها ضمن قنوات شكلت الى حد ما جهازا اعلاميا منظما ذلك ان زيارة الشيخ الى مكان ما ينتج عنها تجمع ضخم لجل الاتباع الذين قد يحرصون على الحضور لنيل البركة والثواب على ما يعتقدون اكثر من حرصهم " ربما " على حضور الاجتماعات الرسمية التى تدعو اليها السلطة الحاكمة نفسها .

---

١ ـ التليلى العجيلى : مرجع سابق ، ص ٧٩ .

ونظرا لكل هذة الاعتبارات وغيرها واضعافا للطريقة ولنفوذ اقطابها على أتباعهم عملت فرنسا على سن قوانين حددت الاجراءات اللازم احترامها والعمل بها قبل التنقل الذى صار ممنوعاً بدون ترخيص حيث سنت فرنسا عدة قوانين تلزم مشايخ الزوايا ونوابهم بالاعمال القانونية التى يلزمهم اتمامها قبل الانتقال من الدوائر المقيمين بها وبهذه الإجراءات فقد مشايخ الطرق الصوفية عامة والقادرية خاصة حرية التنقل التلقائى واصبحوا مطالبين قانونيا قبل تنقلهم بتقديم مطالب للمستعمر الفرنسى للتنقل داخل بلاده او خارجها جنوبا وشرقا وفى ذلك مهانة ومعاناة من البيروقراطية واضاعة للوقت وتعطيل للمصالح العامة والشخصية للشيوخ مما دفع بعضهم الى التنقل بدون اذن او ترخيص وقد عرضهم ذلك الى عقوبات ادبية ومادية ومعنوية .ولم تقف فرنسا فى مراقبتها لزعماء القادرية عند حد اجبارهم على تقديم مطالب تسمح لهم بالتنقل داخل البلاد او خارجها بل طالبتهم بإجراءات أخرى من أهمها :-

- ضبط مسالك التنقل وتوضيحها بذكر الاماكن التى ستقع الاقامة بها خلال الرحلة وتحديد مكان اقامة وتنقل الشيخ حتى يتمكن المستعمر من الامساك بكل القنوات التى تمكنه من مراقبة الشيوخ فى حلهم وترحالهم .
- توضيح اسباب وغاية التنقل حتى تقف فرنسا على الغايات الحقيقية لذلك عمدت الى التثبت منها بالبحث والغائها اذا ظهرت أسباب وغايات تختلف عن التى وضحها وبذلك تمكنت فرنسا من منع عدد هام من المشايخ من التنقل بتعلات واهية احيانا وفى ذلك اضعاف لدور الشيوخ فى جميع المستويات .
- السماح بالتنقل شريطة عدم جمع الزيارات (الهدايا) .(١)

- شددت فرنسا فى هذا الجانب مع كل المشايخ متعللة بالاوضاع الاقتصادية للسكان وخاصة فى سنوات الجفاف والكوارث الطبيعية فى حين كان هدفها الحقيقى من ذلك التخفيف على السكان حتى يتمكنوا من دفع الضرائب المقررة للمستعمر الفرنسى حيث ان السكان اذا منحوا اقطاب الطرق الهدايا والعطايا فانهم يصبحون عاجزين عن تسوية اوضاعهم المالية تجاة الاستعمار الفرنسى لذلك ضيقت فرنسا على المشايخ المنافذ الاقتصادية حتى لاينافسوها فى إبتزاز الرعية .

- **١ – منال عبد المنعم مرجع سابق ص ١١٨**

جـ – احتواء فرنسا لبعض اقطاب القادرية :

كانت فرنسا تهدف فى سياستها الاستعمارية تجاة الطرق الصوفية فى موريتانيا الى استغلال وتوظيف هذة الطرق" وخاصة القادرية " لخدمة مصالحها وتحقيق اهدافها وذلك لمكانة اقطابها بين الاتباع ولنفوذهم الروحى عليها ولتحقق فرنسا أهدافها خصت بعض الاقطاب للطرق بعدة امتيازات منها :-

أ – الاعفاءت :- كالاعفاءات من الخدمة العسكرية والاداءات الدولية

ب – التسهيلات وتتمثل فى التكتم على مخالفات بعض شيوخ الطرق وعدم فضح محاكماتهم علنيا مثل تهريب الاسلحة كما تمثلت الامتيازات احيانا فى منح بعض الشيوخ تسهيلات فى تسديد ديونهم هذا الى جانب منح المستعمر لبعض اقطاب الطرق مبالغ مالية فى شكل حوالات بدعوى مالهم ولزواياهم من الفضل والاعتبار وكان الهدف من وراء تلك الامتيازات الخصوصية احتواؤهم وحملهم على الوقوف الى جانب المستعمر مستعينا بهم لتحقيق اهدافة فى احتلال البلاد باقل خسائر وتكاليف ولم يتم للمستعمر ذلك الا بمساعدة الشيوخ لهم .

ج - التوظيف :- لقد تعددت المهام التى قام بها بعض الشيوخ لصالح الاستعمار الفرنسى مستغلة فى ذلك نفوذهم على السكان مثال ذلك كان انصار القطب القابل للمستعمر يحارب اتباع القطب الرافض للإستعمار وضرب بذلك المستعمر الشعب الموريتانى بعضة ببعض كما كلفت فرنسا انصارها من المشايخ حماية البعثات الفرنسية التى كانت تجوب البلاد للتجسس على احوالها وكذلك القوافل التجارية الفرنسية سواء على شواطى النهر او المحيط الاطلسى او فى الداخل ، لقدتمكن المستعمر بفضل توظيفة لبعض المشايخ من تحقيق عدة اهداف باقل التكاليف وفى مدة وجيزة كما وفرت لها الأمن والاستقرار فى اشد الاوقات حرجا وفى اماكنحدودية نائية من الصعب السيطرة على قبائلها وارجاعها الى الجادة وحملها على الانقياد والدخول فى طاعة المستعمر وبعد استيلاء باتى patey . على تكانت وادرار وضع سياسة جديدة تقوم على اساس تقسيم البلاد ولقد حد المستعمر من حريته الرؤساء الذين اصبحوا محملين بعبء فرض قرارات لم يشتركوا فيها وليس لديهم الوسائل لتنفيذها وهكذا عملت الادارة الفرنسية دون قصد علي تدمير هيكل اجتماعي دون ان يكون لهذا التدمير فوائد

محسوسة لدي الموريتانيين .اما ما قامت به الادارة الفرنسية من حفر الابار والعمل علي استقرار البدو الرحل فقد احدث نتائج عكسية وذلك ان الاستقرار استلزم تشجيع تربية القطعان بدلا من الجمال لتحديد مسافات التجول وخلاصة القول (ان الازمة الاقتصادية كشفت عن عيوب الادارة الفرنسية في موريتانيا التي زاد من تفاقمها الوضع العسكري في البلاد وبالرغم من كل هذه المحاولات والمخططات فان السكان بقوا ثابتين علي موقفهم المعادي لهؤلاء الغزاة وبهذا الموقف يكون قد حافظوا علي ثقافتهم وعلي الطابع العربى الاسلامى فى هذه الفترة .

اخطاء الادارة الفرنسية في موريتانيا

لعل من ابرز اخطاء الادارة الفرنسية في هذا الشان انهم لم يحترموا النظام الاجتماعي القائم في البلاد وعلي الاخص حقوق الحرمة(١) .

و التي فرضها المحاربون علي القبائل التي يحمونها ، ورغم ان جورو وباتي قد اوصوا منذ عام ١٩١٠-١٩١١ باحترام هذه الحقوق الا ان الادارة الفرنسية قد اهملت ذلك مع مضي الزمن وعلمت علي تخفيض هذه الحرمة باعتبارها ضرائب باهظة وعلي اساس ان انتظام دفعها يعوض تخفيضها ولكن عدم الانتظام كان من طبائع هذه البلاد وكان واضحا ان اجراءات الادارة الفرنسية في موريتانيا كانت تهدف إلى إحلال

التطور الاقتصادى محل النظم الاجتماعية الموروثة وهدم تقاليد عامة الشعب باسم قانون التطور الذى لم يفهمة احد لأن المشاكل بقيت كما هي فالمحاربون إستمروا مسئولين عن الدفاع عن الارض رغم فقدهم لامتيازتهم والعبيد صاروا مطالبين اكثر مما سبق بتحمل خدمة اسيادهم بالرغم من حريتهم قانونا والرؤساء اصبحوا محملين بعبء فرض قرارت لم يشتركوا فى وضعها وليس لديهم الوسائل لتنفيذها (٢) وهكذا عملت السياسة الفرنسية دون قصد على تدمير هيكل اجتماعى اوجدتة طبيعة الاشياء وهدم تنظيم سياسى فرضتة حقائق التاريخ دون ان يكون لهذا التدمير والهدم فوائد محسوسة لدى الموريتانين .

١-نصر السيد نصر مرجع سابق ص ٤٩

٢- سعد خليل مرجع سابق ص ٥٩٦ - ٥٩٨

الفصل الثانى

موقف الموريتانين من الاستعمار الفرنسى

اولا : القوى الموريتانية ومواقفها من الإستعمار الفرنسى .

ثانياً : القوى القادرية ومواقفها من الإستعمار الفرنسى .

(أ) الجماعات المؤيدة للإستعمار وأوجه التعاون معه .

(ب) الجماعات المعارضة ومواقفها المختلفة .

ثالثاً : علاقة القادرية بالسلطات المحلية .

رابعاً : علاقة القادرية بالقوى الخارجية .

عرفت بلاد شنقيط (١) مع مطلع القرن الماضي ، ١٩٠٣ م دخول الفرنسيين ، وهو حدث جليل بل خطب مهول كان له بالغ الأثر في سير تاريخها العميق ، وإذا كانت أحداث دخول الإسلام وقيام دولة المرابطين وإنسياح القبائل العربية الحسانية إلى هذه الربوع وهي كبريات الوقائع التي عرفتها البلاد قد مكنت الأهلين من أن يلعبوا أدوارا رائدة جعلتهم يحوزون عن جدارة إحتلال صفحات مشرقة في سجل المسلمين .

فإن دخول الفرنسيين بجهود الإستعماري المعروف كوبولاني ، قد أدى ذلك إلى إرباك ساكنيها ، وأفضى إلى نتائج وخيمة ، فقد إنشطروا طرائق قددا وتصدعت كلمتهم بين مقاوم لا يلوي على شيء ، ومسالم لا يكترث لشيء وإذا نظرنا الى خريطة البلاد نجد معظم الذين صفقوا لدخول الإستعمار كانوا في منطقة الترارزة والبراكنة في جنوب البلاد والذين وقفوا ضد دخول المستعمر البلاد في شمال البلاد في اماراتي تكانت وادرار

ولقد شكل هذا الحدث(قدوم المستعمر) نازلة فقهية ، إنقسم بينها العلماء بين مفتي بالمسالمة وأن الله ينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وبين مفتي بالجهاد والهجرة وإباحة مال من لم يهاجر وسبي ذراريه وكلا الفريقين تمادى في الوجهة التي يدور حولها موقف القطبين .

فالفريقان مسكونان بالبحث عن قيام الدولة وإستصرخوا بني جلدتهم في هذا السبيل ، (فتاوى وشعراونثرا وعملا سياسيا دعويا) ، ولكن فريق القبول يئس على الأفق القريب المنظور من قيامها وكانت البلاد في ذلك الوقت حبلها على غاربها يسود فيها السلب والنهب والإقتتال وكان هم حقن الدماء عندهم فوق كل إعتبار .

وعلى الرغم من الإجراءات التعسفية الفرنسية من طرف المستعمر ضد المقاومة فإنها لم تزد سكان البلاد إلا إستماتة في المقاومة ضد الإستعمار ، والتي بدأت تأخذ طابعا جديدا بعد عام ١٩١٠ م ، حيث أعلن محمد العاقب ولد مايابا حملة واسعة معادية للإستعمار مؤكدا على أن الواجب الديني يفرض عدم التعامل مع النصارى الغزاة وعلى صعيد آخر فقد أعلن الشيخ حماة الله في الحوض الجهاد ضد النصارى دون سلاح وبث الدعاية ضد المستعمر وقصر الصلاة سنتين معتبرا أن البلاد في حالة حرب فاعتقلوه ورحلوه إلى المزرزة . (٢) . وعلى هذا الأساس إنتقلت المقاومة من شكلها هذا إلى شكل جديد ومنظم ولم تعد المعارك عشوائية وإنما أصبح التخطيط لها يتم بدقة ، وإنتهج المقاومون حرب العصابات ضد المراكز الفرنسية ويبرز من خلال هذه الفترة المجاهد العظيم محمد تقي الله ولدا علي ، الملقب بوجاهة ، الذي كان على موعد مع إنتفاضة المجاهد ، عبد الكريم الخطابي في المغرب. وإشتبك وجاهة مع القوات الفرنسية في مارس ١٩٢٤ م .

١، وكان الموريتانيون ينطلقون منها للحج كل عام ويتعلق بهم كل من أراد الحج من كل البلاد المجاورة . — تأسست مدينة شنقيط على مرحلتين ، الأولى عام ١٦٠ هجرى في موضع ابير ، والثانية عان ١٢٦٢ هجرى . بناها رجل يدعى محمد وهو جد الأعلال
٢ — محمد الهادي ولد الطالب : مرجع سابق ، ص ١٠٧ .

وأوقع بهم هزائم كبيرة وظل هكذا يقود الجهاد إلى أن سقط شهيداً فى الخامس من شهر مايو عام ١٩٢٤ م .

ولقد كان لنجاح المقاومة فى هذه الفترة أسباب موضوعية من أهمها المركز الروحى والسياسى الذى يحظى به زعماؤها كما يحتمل أن تكون عدوى المقاومة قد تسربت إلى البلاد من الجزائر كما أن المقاومة فى الشمال إستفادت من التناقضات القائمة بين الدول الأوروبية حول المسألة المغربية . (١) .

ويحلول عام ١٩٣١ م ، شكل المجاهد المأمون ، شقيق وجاهة ، سرية كبيرة قامت بهجوم على الفرنسيين وتمكنت من قتل أربعين فرنسياً، (٢) . وبعد عام من الحادثة إشتبك المجاهد الأمير سيد أحمد ولد عبده وهو فى طريقه إلى حليفه فى الشمال ، إبن الشيخ ماء العينين بالنقيب لكو والملازم (ميسات) الذى قتله الأمير قبل إستشهاده فى وديان الخروب .(٣) .

أسباب المقاومة :-

من خلال الحقائق التاريخية الثابتة ان مراحل الكفاح والنضال الذى خاضته الدول التى إكتوت بنيران الإستعمار والإستبداد الذى عانت منه على وجه الخصوص الدول الأفريقية ، اتضح بأن الحرية والخلاص من السيطرة بطريق العنف هما الأسباب الحقيقية فى تاريخ أى شعب خاص مراحل الكفاح المختلفة ، وتعد موريتانيا واحدة من هذه الدول ، بالإضافة للأسباب سالفة الذكر هناك أسباب أخرى إختص بها المجتمع الموريتانى وهى تتمثل فى الآتى :-

أولاً : الأسباب السياسية :

كانت المناطق الشمالية وخاصة أدرار قبل الغزو الفرنسى تحميها سلطة سياسية تمكنت من بسط نفوذها على كامل تراب المنطقة كما تمكنت من إخضاع كل المجموعات البشرية الموجودة فى المنطقة عند دخول الإستعمار إلى المناطق الموريتانية الأخرى ، وذلك بسبب السلطة التى يتمتع بها الزعماء التقليديون. فأصبحت كل السلطة بيد الأوروبيين الغرباء على هذه الأرض المسلحة عندما أصبح السكان فى الشمال ، خاصة الزعماء التقليديون يخشون أن يلحق بهم ما لحق بالمناطق الأخرى من سلب للسلطة .

---

١ – Isselmou La Mauritani , Op.Cit , p . 188 .

٢ - الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ٣٤١ .

٣ – محمد سلم بلفيور : مرجع سابق ، ص ٤٧ .

ثانياً : الأسباب الإقتصادية :

كان الحضور الفرنسي إلى موريتانيا سببه إقتصادى ، وكان حرصه على إستنزاف ثروات البلاد ، وكانت المناطق الشمالية عبارة عن مجموعة من الواحات يشتغل أهلها بالزراعة والرعى ومنذ مجيئه إلى موريتانيا ظل المستعمر يأمل فى الحصول على هذه المنطقة نظراً لأهميتها الإقتصادية وموقعها الإستراتيجى ومن جانبهم كان سكان الوسط والشمال يخشون على مناطقهم وعلى إقتصادهم الذى سيقوم الغزاة بتحطيمه وفتح المجال أمام الموارد الإقتصادية الأوروبية ، وقد فرضت فرنسا على موريتانيا أن تقوم بتيسير الموارد الإقتصادية من أجل تغطية النفقات التى تحتاجها الإدارة ، لذلك وجد السكان أنه لابد من مقاومة المستعمر للمحافظة على إقتصادياتهم .

ثالثاً : الأسباب الدينية :

لقدإعتنق سكان موريتانيا الدين الإسلامى منذ القرن الثانى الهجرى وقد إعتنقوه عن وعى ، وظل هؤلاء السكان على مر العصور وأعون.بالمخاطر التى تحدق بهذا الدين ، وقد إنكشف هذا الوعى خاصة فى العصور الحديثة عندما بدأ الأوربيون يتوسعون على حساب البلدان الإسلامية ولما دخل المستعمر إلى موريتانيا رأى هؤلاء السكان ضرورة الإلتفاف وزراء الزعماء الروحيين .

وتسمى موريتانيا ببلد المليون شاعر ، وقد كان الشعرمن بين أسلحة المقاومة للمستعمر و كان من شعراء المقاومة الشيخ سيدى محمد بن الشيخ سيدى النذير تدوى صرخته المؤثرة التى يستنهض فيها الناس للجهاد فى سبيل الله لإنقاذ الدين من الخطر الداهم :

حماة الدين إن الدين صارا ... أسيراً للصوص وللنصارى
فإن بادرتموه تداركتوه ... وإلا يسبق السيف البدار.

ويعلل الشاعر أسباب الهجمة الإستعمارية المرتقبة ، ويقول إن الروم عاينوا ما عليه الناس من تهاون لدينهم وتشتت فأغراهم ذلك :

وروم عاينوا فى الدين ضعفاً ... فرامو لكل ما رموا إختياراً
فإن أنتم سعيتم وإنتدبتم ... برغم منهمو إزدجروا إزدجاراً
وإن انتم تكاسلتم وخبتم ... برغم منكم ابتدروا إبتداراً
فالقوكم كما يبغون فوضى ... حياراً لا إنتداب ولا إئتماراً (١) .

ولقد إلتف السكان حول أمرائهم وزعمائهم الدينيين للدفاع عن الدين الإسلامى الذى سيكون هدفاً للغزو الأوروبى المسيحى الجارف (٢) .

هذه هى بعض الأسباب التى إعتمدها السكان فى مقاومتهم للمستعمر فما هى مراحل المقاومة والنضال الموريتانى ضد المستعمر الفرنسى ....

---

١ – محمد سالم بلفريو : مرجع سابق ، ص ٣٢ .
٢ – الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ٣٨٤ .

أولاً : القوى الموريتانية ومواقفها من الاستعمار الفرنسي :

مراحل المقاومة:

لقد كانت للمقاومة الموريتانية فى طورها العسكرى أربعة مراحل أساسية ، إتسمت كل مرحلة منها بطابعها الخاص بها والذى يميزها عن المرحلة التى تليها ، وهى كالتالى :-

١ – مرحلة الإصطدام . (١٩٠٢ – ١٩٠٥) .
٢ – مرحلة إشتداد المقاومة (١٩٠٦ – ١٩١٣) .
٣ - مرحلة إسترجاع الأنفاس (١٩١٤ – ١٩٢٢) .
٤ – مرحلة الإنبعاث (١٩٢٣ – ١٩٣٤) .

لقد قام الفرنسيون بغزو البلاد فى مطلع القرن العشرين وقد واجههم السكان الموريتانيون بأساليب مختلفة من المقاومة ، تمثلت فى الإعراض عنهم تارة والإصطدام بهم تارة أخرى ، هذا مع إعتماد الفرنسيين على طريقة خاصة خلاصتها محاولة الإحتواء السلمى .(١) .

وبما أن الإستعمار دخل من الجنوب فإن البداية ستكون منه لكونه نال السبق فى الدفاع عن الوطن ، وهكذا كان للمجاهدين على ضفاف النهر معارك بطولية رائعة مع الغزاة .

فبعد تعيين كوبولانى مفوضاً عاماً للحكومة الفرنسية ، كون جيشاً قوياً وبدأ بالزحف نحو الترارزة ، التى كانت تعيش أزمة داخلية وعندما وصل دكانة عام ١٩٠٢ م ، أعلن أمير الترارزة الحرب عليهم وعلى أعوانهم ثم تتابعت المسيرة النضالية بعد ذلك فى الترارزة بقيادة احمد بن الديد . (٢) .

ولم تقتصر المقاومة على أرض البراكنة فقط بل إمتدت إلى ايدو عيش فى مرحلة لاحقة ، كما عمد سكان ايدو عيش للرد على كوبولانى الذى تمركز هو وقواته فى المنطقة الشمالية وبنائه لمراكز عسكرية بها وأعلن الجهاد بقيادة الأمير بكار ولد اسويد معلناً بذلك مرحلة جديدة وحاسمة إعتمد فيها على أسلوب الكر والفر والمباغتة وسرعة الإنسحاب .

وهذا هو ما دفع كوبولانى إلى الإستنجاد بخبير الدروب الصحراوية أفرير جان (٣)، للتنسيق بهدف القضاء على خطر بكار وتحالف ايدو عيش بقيادة عثمان بن بكار (٤) ، هذا التحالف الذى خاض به معارك طويلة .

---

١ -أزيد ابيه : مرجع سابق ، ص ١٦٢١

٢-احمد بن الديد هو الذى قتل احمد سالوم الترارزى عام ١٩٠٥ م أثناء إنشغال كوبولانى فى بعثة تجانت ، أدرار ومن جهة أخلاى كان قد أغار على بوتلميت فى السابع والعشرون من عام١٩٠٤ وقتل الملازم ريبو وأباد قوة من الفرسان كانت تتبعه .

٣ -افريرجان :- ملازم فرنسى قائد لسرية فرنسية مع جورو حاكم موريتانيا الفرنسى .

٤ – هو عثمان بن بكار ولد أسويد أحد أعظم وأقوى أمراء أدوعيش وربما البلاد الموريتانية ، تجوز نفوذه ابكاك ليصبح فى بعض الأحيان زعيماً لأدوعيش .

وإستعدادالصد حملات كوبولانى علىتكانت قام بكار بإحتلال الممرات الرئيسية المؤدية إلى المنطقة ، الا ان كوبولانى اجبر بكار على الإنسحاب وأمكن للمستعمر القضاء على بكار فى الأول من أبريل عام ١٩٠٥ م ، وقد كان موت بكار صدمة كبيرة للمقاومة التى كانت فى ريعان شبابها ، ومن نتائج موت بكار:-

١ – تفريغ قوة ايدو عيش ومصادرة الكثير من أملاكها .

٢ – كما أثر موته عقب إعلان بعض القبائل الموالية له عن خضوعها للإستعمار ، بما فى ذلك مجموعات ايدو عيش حيث جاء الحسين ولد بكار إلى كوبولانى مبعوثامن طرف مجموعتى أدو عيش " أشراتيت ، أبكاك " (١) . وذلك طلباللأمان .

وبعد إستكمال كوبولانى لإحتلال المناطق الجنوبية والمحازية للنهر ، والتى تتواجد بها أكبر نسبة من السكان ، دفع الغرور كوبولانى إلى الزحف شمالاً فى إتجاه بجاية التى قتل بها بعد عشرة أيام من وصوله فى وقت كان يعد فيه لغزو أدرار ..

وهكذا كان لعام ١٩٠٥ حدث كبير فى تاريخ المقاومة التى راح ضحيتها العقل المدبر لإحتلال موريتانيا .(٢):

ولقد كان مصرع كوبولانى وإنتصار أتميلان ، (٣) ، وحصار تجكجة وما صحب ذلك من ضربات متتالية ضد الغزاة كان ذلك بمثابة الفتيل الذى أشعل النار على إمتداد الأراضى الموريتانية ضد الغزو الفرنسى البغيض حيث إتخذت المقاومة أساليب متنوعة جديدة مسجلة إنتصارات كبرى وبعدها شعر الفرنسيون أن هيبة فرنسا قد مست وأنه من الضرورى أخذ الثأر لها ولا يكون ذلك إلا بإحتلال موريتانيا وخاصة إحتلال مناطقها الحيوية مثل أدرار وقد قاوم مشاريع الإحتلال أميرها سيدى احمد بن سيدى احمد بن عبده ، (٤) ، الذى تربى على مائدة الشيخ ماء العينين وخاض معارك طاحنةحتى

جرح فى تيشيت (٥) ، وأسر عام ١٩١٣ م وعلى الرغم من الضربات التى وجهها المستعمر الفرنسى إلى المقاومة فقد إستمر الجهاد (٦) .

---

١ – أشتراتيت معناها الدبية ولقبوا بهذا الإسم لأكلهم أموال الناس .
وابكاك معناها الصمغ الأسود ولعلهم لقبوا بهذ الإسم لكثرة مافيهم من أطراف الناس .

٢ – Isselmou La Mauritanie , Op.Cit , p . 183 .

٣ – موقعة اتميلان تبعد ٢٥ كم جنوب غرب تجكجة وحسب البيان الفرنسى خسر الفرنسيون فى هذه المعركة من الأوروبيين الكثير فتركت أجسامهم دون دفن فى العراء أما الموريتانيون فقد خسروا ١٥٠ رجل منهم ٣ من رؤساء و ٥ من أولاد بكار رئيس قبيلة أدو عيش .

٤ – ولد عبده هو سيدى احمد بن سيدى لحمد بن عبده ، الذى شغل منصب أمير أدرار عام ١٨٩١ م حتى وفاته عاو ١٨٩٩ م عندما سقط عليه داره حيث كان خصومه من أولاد غيلان يحاصرونه وقد إمتازت مدة حكمه بالكثير من الإضطرابات والحروب .

٥- تيشيت هى مدينة مشهورة بعد تكانت وهى قريبة من الحوض بينها وبين تجكجة نحو خمسة أيام وبها نخل وأهلها لهم نشاط تجارى .

٦ – الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ٣٣٦ .

وحتى تتمكن فرنسا من القضاء على المقاومة عينت جورو ، (١) ، خلفاً لكوبولاني نهاية ١٩٠٧ ، حيث إلتقى بوزير المستعمرات الذى أبلغه رسمياً خشية فرنسا من المقاومة المتنامية فى موريتانيا ورغبتها فى القضاء عليها ، لذا أعد جورو نفسه بحملة ضخمة لإحتلال أدرار ، والتى فشلت فى تحقيق أهدافها حتى أن جورو نفسه وقع فى كمين نصبته المقاومة ومات جميع الأفراد الذين كانو معه كما أن قائده الملازم أفرير جان وقع أيضاً فى حصار ، وتعرضت حملة ثالثة تحت قيادة الملازم بايلوه لهجوم قتل فيه بعض جنوده وجرح قائدها .ويصف جورو هذة المقاومه فى إجتماع أمام الجمعية الجغرافية الفرنسية المنعقدة يوم الثالث عشر من شهر يوليو عام ١٩١٠ م فيقول:

(لقد تم قتل النقيب ريبيو قائد حامية أكجوجت على يد جماعة من المجاهدين ، ثم يصف جورو مقاومة بقية القبائل ويختتم هذا الوصف السريع ، بقوله :

لقد تعرضنا فى هذه الفترة ، لما لا يقل عن مائة وخمسة وعشرون هجمة ، تمخضت عنها مقتل ثلاثة ضباط وخمسة ضباط صف و مائة وأربعة وثلاثين جندياً ، بالإضافة إلى جرح سبعة فرنسيين ، وثلاثين من الأعوان المجندين . (٢) .

ولقد كان تركيز المقاومة فى هذه الفترة على حملات جورو الإستعمارية وهاجموا أهمها وهى فرقة الملازم بالون ، الذى سقط قتيلاً إلى جانب عدد كبير من جنوده .

وفى سنة ١٩١٠ م ، عرفت المقاومة حدثين كان لهما أثرهما الواضح فى مسيرة المقاومة وردود الأفعال الناتجة عنها ، وهما :-

١ – وفاة الشيخ ماء العينين ، فلم تفقد قائداً أو مرشداديناً فحسب ، وإنما فقدت فيه عامل توحيد ومصدر تسليم لا غنى عنه ، الأمر الذى نشأ عنه فراغ لا يمكن سده وسياتى الحديث عنة .

٢ – تعيين العقيد باتى خلفاً لجورو ، وإنتهاجه أسلوباجديداً إعتمد فيه على التصالح ورد الإعتبار للمؤسسات التقليدية وتوظيف موارد البلاد فى خدمة الإحتلال الفرنسى خشية من سيطرة المقاومة على طرق التموين .

وعلى الرغم من التفوق الفرنسى لم يمنع المقاومة من مواصلة كفاحها ، حيث كانت المقاومة عرضة للعديد من عمليات النهب المدبرة من جهة مجموعات المقاومين التى كانت تنتظم فى شكل فرق محاربة لتنفيذ الأعمال التخريبية ضد الأهداف الإستعمارية . وحتى يضع المستعمر حدالعمليات التخريب المتواصلة ، كتب الإدارى الفرنسى بأدرار إلى حاكم موريتانيا ، يقول : -

---

١ – جورو قائد فرنسى أشرف على العملية الإستعمارية فى سوريا وقتل فى موريتانيا فى ثلاثينيات القرن العشرين .

٢ – Isselmou La Mauritanie, Op . Cit , p . 186 .

(فى الظرف الحالى إننا نفكر فى طريقة تمكن من إستخدام قبائل حسان فى أدرار فى حملة مضادة للتجمعات القبلية ، والتى يقودها الأمير السابق احمد ولد عبده ، وكذلك ضد جماعات أولاد غيلان . وأهل أحجوج المعادية والمحاربة لنفوذنا ، وأعتقد أن القبائل الحسانية يمكن إستخدامها فقط مع توفير الثقة الكاملة ضد قبائل الشمال ، الرقيبات ، أولاد أدليم و أولاد أبى السباع . وذلك عندما تكون الفرصة مواتية . (١) .

هذا بينما الرأى عند الرافضين هو ألا سبيل إلا إلى إمتشاق السيف وحمل السيف لتدمير العدو الغازى ، وذلك عن طريق جهاده أو الهجرة وأخذ أموال من قعد معه وسبى ذراريهم ولا يجدون وجهاً شرعيالولايته مهما كانت المصالح الدنيوية التى تتولاه عن موقف القبول ، وأن قيام الدولة أمر يمكن إدراكه دون أن يكون مطية التعامل مع العدو ، ولذا كان الحضور الأوروبى فى المنطقة حضوراً تجارياً بحتاً ، ثم بدا الطابع الإستعمارى متسللاً إليه إبتداءاً من القرن التاسع عشر حتى إستطاع فى النهاية تحويل المنطقة إلى منطقة نفوذ إستعمارى مع مطلع القرن العشرين على يد الفرنسيين .

وعلى الرغم من خطورة هذا التطور على البيظان فى المنطقة ، فقد ظل فقهاؤهم فى مواقفهم من ذلك الحضور منطلقاً دينياً بحتاً يعمل على حماية المسلمين وذم التعامل مع المخالفين فى الدين دون أن يكون للدافع الوطنى وحمايته ضد المحتلين حضوراً يزكر فى هذا الموقف فى الوقت الذى كان المستعمر يعمل على إحكام قبضته على البلاد . (٢) .

ولقد كان للفئات السياسية والدينية من مشروع كوبولانى ، والذى يقر البداية الأولى للإحتلال ، موقفاً كبيراً: ولقد كان من الطبيعى أن يصطحب التوسع الفرنسى فى البلاد الموريتانية مقاومة مسلحة تضع حداً لهذا الإحتلال تضعف شوكته على الأقل إن لم تكسرها من أساسها ، وفى هذا الإطار فإن أول حدث سجله المقاومون فى البراكنة عام ١٩٠٢ م على يد الأمير احمد حيث تمكن من مواجهة قوة عسكرية فرنسية مشكلة من ١٠٠٠ جندى ومقاتل تضم بعض القبائل الموالين للفرنسيين ، مدعوماً برجال الدين . وقد شكلت المقاومة المسلحة أحد أبرز عوامل الرفض التى جابهت بها فرنسا منذ بداية حضورها .

ولقد كانت القبائل الموريتانية فى مقاومة المستعمر الأوروبى تنظر إليه نظرة دينية تسرى فى كيان المجتمع بأكمله وشعور يصل إلى أعماق النفس فيرخص كل غالٍ لصون المعانى وكل نفيس . وإنطلاقاً من هذا المفهوم ، فإن المقاومة الموريتانية وإن لم تكن تظهر جلية إلا فى مطلع القرن العشرين ، فإنها قديمة قدم التواجد الأوروبى على هذه الأرض التى حملت زعامتها السياسة لواء مقاومة الأجنبى والتصدى له فى المناطق الإستراتيجية ، البحرية والنهرية ، فى حين كان لقادة الزعامات الروحية صنعاً آخر عرف بالمقاومة الثقافية حيث طالبت هذه الزعامات بمقاطعتهم ورفض لغتهم ورفع

شعار (من يتولهم منكم فانة منهم). (١) . الاية ٥١ سورة المائدة

١ ـ أولاد ابى سبع ، قبيلة يرجع نسبها إلى محمد بن ادريس ولها وجود فى موريتانيا والمغرب وقد إضطلعت بدور بارز فى النشاط التجارى واولاد غيلان والرقيبات واولاد ادليم من اشهر القبائل العربية الحسانية فى موريتانيا وكان له امارات ولهم سطوتهم وسلطتهم . .

٢ ـ الهيبة ولد سعد ابيه : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

عومل ضعف المقاومة ونهايتها :

لقد استمر الجهاد نحو اربعة وثلاثين عام منيت فيها القوت الفرنسية بهزائم عديدة وباع المؤمنون انفسهم غير هيابين الموت لكن المقاومة واجهت مصاعب متزايدة وصلت بها الي طريق مسدود فقد عمدت فرنسا في خطوه تالية وهي غلق حدود موريتانيا مع كل من الجزائر والصحراء الغربية لتضع حدا لجيوب المقاومة (٢) ، كما مرت البلاد بموجات من الجفاف القاسي الذي ادي الي تراجع المراعي وهو ما فرض علي رجال المقاومة طلب الامان بعد هزيمتهم في ميجيك .

وبنهاية هذه الفترة يكون الستار قد اسدل علي اخر مظاهر المقاومة المنظمة ولم يبق الا افراد لجاوا الي المرتفعات الجبلية والادغال وفي الثامن من مارس ١٩٣٤م تسابق الناس الي المنطقة الرئيسية في اطار ليشاهدوا زعماء الشمال الذين طالما اثاروا الرعب في ادرار والسودان وموريتانيا لقد جاء هؤلاء ليقدموا خضوعهم لحاكم دائرة اطار ديسية(Descnet) فخاطبهم حاكم الدائرة قائلا:
(لقد اصبح لزاما علينا ان نذكركم باننا نحن الاقوياء وانتم الضعفاء ونحن السادة وانتم الرعية ثم تلا عليهم فقرات الاتفاق الجديد) (٣ .

- الغنائم المستولى عليها تعاد .
- كل المرتبات والمكافأت التي كانت موجودة سابقا لاغية .
- مسئولية جماعية لافرع الرقيبات .
- الالتزام بدفع الضرائب مثلهم مثل كل الخاضعين للادارة الفرنسية.
- تحريم المرور شمال خط معين دون تصريح بذلك.

وبعد هذا الاستعراض الشامل لحركة المقاومة الباسلة التي واجهت التدخل الفرنسى يفرض ملاحظات منها :

١- ان سكان موريتانيا كانوا غيورين علي حريتهم واستقلالهم مفضلين استمرار أنظمتهم الاجتماعية والسياسية مهما كانت هشاشتها (الإمارات) .
٢- ان حركة المقاومة رغم افتقارها للسلاح والمال فقد تمكنت من إلحاق خسائر جسيمة بالمستعمر الفرنسي كما استطاعت ان تؤخر احتلال موريتانيا ولو الي حين.

لقد كان الفرنسيون يعملون علي تشويه صورة المقاومة الموريتانية في مراجعهم فيخلعون عليها اسماء مختلفة مثل عادات السلب والنهب او سرقات الصحراء او اعمال اللصوصية ، ولكن الموريتانين خاضوا حروبا طاحنة خلال الفترة من بداية القرن العشرين حتي عام ١٩٣٤م

---

١ – ديبون صديق حميم لكوبولانى وقد صحبه فى بعثة إلى تكلنت وأدرار ، وإلتحق بالبعثة الحسينية فى مارس ١٩٠٥ م ، وقد ألف مع كوبولانى كتاب كبير عن الجماعات الدينية الإسلامية .

٢ – سعد خليل : مرجع سابق ، مرجع سابق ، ص ٢٣٥ .

٣ – أزيد ابيه : مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

٤ - حميد بن محمد على : مرجع سابق ، ص ١٣ .

ثانياً : القوى القادرية ومواقفها من الاستعمار الفرنسي:

لقد لعبت الطرق الصوفية دورا بارزا في الجتمع الموريتاني لا سيما الطريقة القادرية ذات الانتشار الواسع والنفوذ المتحكم (١) .

ولقد كانت الاوضاع الداخلية السيئة التي جاءت كنتيجة لظاهرة السيبة وغياب السلطة قد وضعت الفئة المستنيرة والزعامات الروحية في البلاد الموريتانية امام اشكالية معقدة حسب اعتقادهم والتي ادت الي جدل كبير بين هذه الزعامات وهي هل يجب التصدي للاستعمار الفرنسي رغم ما يلوح من شعارات كاحلال السلم والامن الذي يتوق الجميع اليه وضرب ايدي الناهبين اللصوص وتوفير الظروف الملائمة للعيش ؟ ام انه يجب التصدي بكل الوسائل بوصفه غزوا خارجيا (٢) .

هذه الإشكالية التي طرحت مع مطلع القرن الماضي بمجئ الاستعمار الفرنسي جاء الرد عليها متضاربا ادي الي ظهور انقسام واضح بين الزعامات الروحية الدينية في البلاد والتي كانت تشكل السلطة التشريعية (٣) .

ولقد حملت لواء رفض الاستعمار وقبوله زعامات من الطريقة القادرية ومثلت بذلك قطباً للرفض واخر للقبول والمتامل في علاقات الطريقة القادرية بالاستعمار الفرنسي سلبا وايجابا لا يستطيع ان يجد مبررات ذلك الا في السياسة الاستعمارية تجاه الطرق الصوفية بصفة عامة و الطريقة القادرية بصفة خاصة واذا نظرنا الي خريطة البلاد نجد معظم الذين صفقوا للاستعمار بل ودافعوا عنه من منطقتي الترارزة والبراكنة في جنوب البلاد (٤) .

وهناك من وقف من الاستعمار موقفا عدائيا ووقف في وجهه مستخدما في ذلك جميع الوسائل وقد حمل لواء المقاومة ابناء المناطق الشمالية التابعين لامارتي تكانت وادرار (٥) .

---

١ – حميد بن محمد على : مرجع سابق ، ص ١٦ .
٢ – حماد ولد مولاى : تحقيق مخطوط رسالتين للشيخ سيدى بابا ، ص ٥ .
٣ – حماد ولد مولاى : نفس المرجع ، ص ٧ .
٤ – محمد الهادى ولد الطالب : مرجع سابق ، ص ١٠٧ .
٥– حماد ولد مولاى : مرجع سابق ، ص ٥٣ .

ولقد كانت هناك اسباب متعددة ادت الي تواجد زعماء وانصار القطب القادري المؤيد للاستعمار في الجنوب ووجود زعمات وانصار القطب الرافض للاستعمار في الشمال
ولعل ابرز هذه الاسباب :

١- **تاثير الوسط الطبيعي:**

فمناطق الشمال تخضع لمناخ شديد القسوة يضاف اليه فقر التربة وتوالي الكوارث الطبيعية مثل الجفاف وهبوب رياح السموم وغير ذلك والتي من شانها ان تجعل النفس البشرية ذات شفافية دينية مستعدة للجهاد هذا بالاضافة الي ان هذه المناطق الصحراوية كانت بمناي عن الرحلات الاولي للأوربيين وبعيدة عن مناطق الساحل التي الفت الوجود الاوربي الذي كان يغير لونه من وقت لاخر حسب التطورات الراهنة .

٢- **الوسط الاجتماعي :**

وفي المقابل فان اتباع الطريقة القادرية في الجنوب علي سواحل نهر السنغال والارض الخصبة فاننا نجد الوضع الاقتصادي والتركيبة الاجتماعية لسكان هذه المناطق لا ترتبط حياتهم بالعوامل الطبيعية وانما يعتمدون علي بعض الحرف وخاصة التجارة وما تتطلبه من علاقات واتصالات وتفتح علي الخارج وما يرتبط بذلك بالتأثير علي نمط حياة السكان هذا بالاضافة الي حياة المدنية وما تفرضه عليهم من جهد يومي تتوقف غليه حياتهم ويضاف الي ما سبق وجود نخبة مثقفة في المناطق الجنوبية تبعا للتنقلات والعلاقات الاجتماعية التي يفرضها عليهم نمط الحياة (١) .

مما سبق يتضح ان اتباع الطريقة القادرية والرافضين للاستعمار هم من ابناء البدو والريف والمؤيدين هم من ابناء الحضر .

وفي النهاية قد تمكنت الطريقة القادرية من الانتشار في كافة ربوع موريتانيا بل تعدت الي خارجها وهذا الإنتشار لم يخل من عقبات تمثلت في علاقة هذه الطريقة بالمؤسسات السابقة لها والتي حاول بعضها التصدي لهذا الانتشار ولكن التوجه الهام لهذه الطريقة قلل طابع المسالمة والقبول من الطرف الاخر قبل ان تدخل البلاد تحت الهيمنة الفرنسية تلك الهيمنة التي ادت الي انقسام الطريقة القادرية علي نفسها نظرا لمعطيات كثيرة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وجغرافية جعلها في الشمال تحمل السلاح وتدعو الي الجهاد بينما اثرت في الجنوب الغربي حيث التسابق الي التعامل مع هذه الهيمنة ووفرة قبائل الزوايا وحيث العجز عن المواجهة وانعدام سلطة خارجية داعمة للجهاد .

---

١ – محمد فاضل محم خطاب : مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

ب - الجماعات القادرية المؤيدة للاستعمار واوجه التعامل معه :

لقد عانى أتباع الطريقة القادرية الكثير من العنف والإعتداءات ، وذلك بسبب حالة السيبة (وتعنى بلاد سائبة بغير حكومة مركزية)التى تعيشها البلاد وكانت معاناتهم و الإعتداء عليهم من السلطة الزمنية ، هذا الوضع الذى رغب الكثيرين فى حمل السلاح من أجل الحصول على عائدات حملة او الدفاع عن النفس فقط ، وهذا الوضع جعل الطريقة القادرية على العكس من ذلك تتذمر من حملة السلاح وتعتبره عدو لأعن أخلاق الطريقة القادرية إلى أخلاق المجموعة المحاربة وهو ما حدا بالشيخ سعد أبيه (١) ، إلى أن يعتبر حمل السلاح لأى هدف كان لابد وأن يؤ دى إلى التخلق بأخلاق المجموعة المحاربة من الحسانية والقائمة على الإيمان الكاذب وترك العمل .

وقد تزعم هذا الاتجاه المؤيد للاستعمار الفرنسي بعض المشايخ والزعماء وكان علي راسهم سعدابيه والشيخ سيدي ياباب و الفريق الاخر كان معترضا ومقاوما للاستعمار الفرنسي وكان لكل فريق حجته التي استند اليها ، ولو تتبعنا موقف المجموعة المؤيدة نجد انها تستند الي بعض اراء الامام مالك الذي تنص علي (جلب المصلحة ودرأ المفسدة) (٢) .

لقد كانت كل تصرفات ومواقف هذا القطب قائمة علي تشخيص لواقع بلادهم السياسي والعسكري وانهم نشروا الامن وحفروا الابار وأتوا بالاطباء كما ان هناك العديد من الاعتبارات منها: .

الجهاد والسببية :

لقد انتقد الشيخ سيد الخير بن الشيخ محمد فاضل الوضع الامني السابق للهيمنة الفرنسية وكان يستغبط ما فرضه الفرنسيون من نظام مخاطبهم :
(كان الحوض قبل مجيئكم ما بين غارة وسبي وخوف واخذ اموال ولما سكنه أبناؤكم حفظوه ومنعوه وصاروا كل مايطار علي موضع او مال تبعوه وقتلوا صاحبه وارجعوا المال لاهله)

---

١ ـ الشيخ سعد ابيه : النصيحة العامة والخاصة ، مخطوط بالملحق .

٢ ـ محمد فاضل : مرجع سابق ، ص ٢٢٣ .

أما الجهاد في هذا المجتمع المفتقر الي السلطة فان مجموعة كبيرة من اتباع الطريقة القادرية إعتبرت أن إعلان الجهاد هو بمثابة فتنة كبيرة وذلك لأسباب منها :

١- **تفوق فرنسا العسكري :**

إهتمت القوي المؤيدة للاستعمار الفرنسى بتوضيح امكانيات المستعمر وقدرتهم البشرية والاقتصادية وطالبوا الذين يعلنون الجهاد بالانتباه الي هذه المعطيات فمن ذلك ما نجده من مخاطبة الشيخ سعد ابيه لأخيه الشيخ ماء العينين :

وتفكر في امر هؤلاء النصاري فان قصرا من قصورهم التي في للبر مثل كاندر وخاي (١) ودكار (٢) . وغير ذلك ليشمل علي ما لا يحاط من السلاح والنفقات والجنود مما لا يكون الا للعثمانيين وامثالهم وبهذه القدرات إستطاع الفرنسيون أن يقتحموا القري والممالك الزنجية التي اعترضت علي هيمنتهم دون عناء الامر الذي جعل المؤيدين يحتاطون ان يفعل بهم مثل غيرهم .
اما المجتمع الموريتاني وقواده فقد كان اعلنهم فيهم الجهاد مثار استغراب الشيخ سعد ابيه متسائلا بقوله مخاطبا المجاهدين (٣) .

(فما ظنكم بمن لا جيش له ولو قل ولو بسبعه رجال يثق بهم ولا سلاح له ولا زاد) .

٢- **الأحوال الاقتصادية :**

لقد بحث الفرنسيون عن تسويق لمنتجاتهم في اسواق خارجية وكانت هذه المنتجات تزاحم المنتجات المحلية وربما قضت عليها وهو ما ثم ينتبه اليه المؤيدون للاستعمار بل علي العكس عد اغراق الفرنسيين للسوق المحلية بمنتجاتها انجازا ومساعدة طالما افتقرت اليها البلاد ولقد صاحب هذا فوائد كثيرة تمثلت في خفض الضرائب حيث عانت الزوايا من الضرائب الباهظة التي كان يفرضها الحسانيون عليهم لما الطوائف الاخري من الاتباع فقد كانت هي وما تملك يعتبرها الحسانيون ملكا لهم وهو ما عبر عنه احد الفرنسيين بقوله (ان حسان اكتفوا بامتلاك المالكين) .

---

١ ـ مدينتان سنغاليتان وماليتان .
٢ ـ لا تعتبر دكار عاصمة السنغال وحسب بل عاصمة افريقيا الغربية كلها من حيث أهميتها البحرية والجغرافية ، ويرجع الفضل فى تطورها المتواصل إلى المهاجرين اللبنانيين ، ويعد مر فئ داكار أكبر مرفئ على ساحل الأطلنطى . وخاى ودكار مدن مالية وسنغالية
٣ ـ الشيخ سعد أبيه : الجواب المحتوم ، مخطوط بالملحق .

٣- عدم التعرض الي الدين :

واذا كان الاستعمار الفرنسي قد نشر الامن وحسن من الظروف المعيشية الخشنة فانه لم يهدد الجانب الديني بل ربما قدم له خدمات كان يفتقر اليها ، فقد كانت القوي القادرية المؤيدة للاستعمار يعتبرون انفسهم المسؤلين عن المؤسسات الدينية وعن حماية الدين وتنقيته من البدع والخرافات والزود عنه (١) .

وبالتالي فان عدم التعرض لدورهم يعتبر بمثابة دعم للجهود التي كانوا يقومون بها يعد من وجهة نظرهم محمودا لدرجة ان الشيخ التراد اعتبر أن فرنسا اعانت المسلمين علي اقامة المساجد والمدارس التعليمية وتيسير الحج وايصال المؤلفات والتصانيف المطبوعة الشرقية والغربية الي البلاد وأكرمت أئمة الدين من الفقهاء وشيوخ التصوف ومكنت لشريعتهم الاسلامية علي اعتبار ان الدين هو غذاء المسلمين .

وهناك أكثر من شيخ أيد الإستعمار منهم الشيخ سيديابابا وهناك مخطوط يضم رسالتين من الشيخ سيديا بابا للشيخ سعدابية عندما سئل الثاني عن شان مسالمة النصاري في بلد لا يتعرضون فيه للدين الاسلامي (٢) .

والرسالة الاولي عبارة عن سؤال حول تعلم اللغة الفرنسية والثانية اجابة علي سؤال :

" هل ينبغي للمسلمين ان يجاهدوا النصاري في ارض هم بها غير متعرضين لهم في شئ من دينهم بل يساعدونهم علي اتباع الدين بنصب القضاه وما شابه ذلك وهذا مع علمهم ان المسلمين لا حول لهم ولاقوة علي الجهاد كاهل الجهة القبلية من ارض المغرب".

لقد كان هذا السؤال موجها من الشيخ سعد ابية الي الشيخ سيديا وجاء الجواب علي السؤال

" في هذه الحالة يتعين علي المسلمين ان يهادنوهم والا يتعبوا انفسهم بالتصدى لهم ومحاربتهم " ولقد استخلص هذه الاجابة من تأويل بعض ما ورد في كتب الفقه المعتمدة لدي المسلمين وخاصة المالكية ومنها مختصر خليل وشروحه وبعض كتب التفاسير مثل تفسير البيضاوي والنسفي وغير ذلك وكانت هذه الرسالة بتاريخ الخامس من شوال عام ١٣٢٠هـ (٣) .

---

١ - محمد فاضل : مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .
٢ – حماد ولد مولاى : مرجع سابق ، ص ١١ .
٣ - أنظر نص الرسالة بالملحق .

ويجب ان ننوه بـان الشيخ سيدياباب ابن لرجلين هما الشيخ محمد والشيخ سيديا الكبيرحيث كـان لهمـا ادوارهمـا فـي مواجهـة الحضـور الاوربـي ولعبت ادوارا سياسية وفكرية هامة علي مستوي المنطقة التي كانا يعيشان فيها
فالشيخ سيدي الكبير (١١٩٠-١٢٨٤هـ) بما عرف عنه من علو الهمـة وسعة المعارف قارع الفرنسيين عبر جهوده الشخصية ومراسلاته وحاول جمع كلمة البلاد في وجه هذا الخطر محاربا النزعات والاقتتال بين القبائل الذي كان سمة هذا العصر وقد سلك سبيله ابنه الشيخ سيدي محمد (١٢٤٥- ١٢٨٥هـ) وكان عضده وكان خليفته غير انه لم يعمر بعد ابيه ولما قوي عود صاحبنا ولامس مقضده في المعرفة ابان عن خصال حمدها قومه (اولاد ابييري) فاجمعوا علي تعيينه رئيسا لهم .

ولقد كان قوي الذاكرة يستحضر المعلومات التي تتناسب مع المقام عند الاقتضاء ووقت الحاجة لها. وكان رفيع الاخلاق يذم الكسل ويرغب في العمل وفي مساعدة الضعفاء هذه الخصال التي نوهنا عنها والتي ينعقد عليها اجماع المعاصرين له من أقوى أسباب التأثير وغلب الألباب والسيطرة علي وجدان الناس . وكان صاحب علاقات من الطراز الاول فقد كان يحب الاخوان والاصدقاء ويرغب في الإكثار منهم وكان له نظامه الخاص فقد كانت له تشريفات فلا يقابل احدا الا علي موعد ولا يقضي بالنوادر وكان له حرس مؤلف من الاتباع والتلاميذ واعتمد في الوصول الي الاجابات علي امهات الكتب الشرعية .

<u>الشيخ سعد ابيه والفرنسيون :</u>

وهو من اقطاب الجماعات المؤيدة للاستعمار وقد ولد بعين الفتح بمنطقة الحوض الشرقي(١٨٤٨ – ١٩١٧م) (١) ، في موريتانيا وهو ينتمي الي اسرة عريقة ، درس القرآن والتجويد وعلوم الشرع في سن مبكرة وقد ابان عن ذكاء حاد في مراحله الاولي وكان سلوكه يوحي بذلك فكان يفاخر اقرانه بحفظ مائة بيت في حكاية واحدة (٢) .

وقد درس علي يد علماء كبار وكذلك علي يد والده الشيخ محمد فاضل كدأبه مع ابناءه الذين استخلص من نظره اليهم مخايل النبوغ والمشيخة فاشار اليه بان يسافر الي منطقة الجنوب الغربي من البلاد وكان ذلك في عام ١٨٧٣م وقد وصل الي هذه المنطقة وهو يتشوق الي نشر العلم وقد صادفت دعوته استجابة عريضة من الناس فالتفوا حوله ولكن لم يلبث ان غادر القبلة الي منطقة اينشيري اذ استقر ببلدة اتويزكتحيث انثالت عليه الجماعات والافراد من كل الانحاء ثم رجع الي منطقة القبلة التي قضي فيها مرحلته الثالثة وبقي فيها حتى مات في النمجاط (٣) .

---

١ – الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ٥١٨ .
٢ – الشيخ سعد أبيه : النصيحة العامة والخاصة ، مخطوط بالملحق .
٣ -ازيد بية بن محمد محمود – الزوايا في بلاد شنقيط (مرجع سابق ص ١٩٧.

الشيخ التراد ابن العباس :

هو الشيخ التراد ابن العباس بن الشيخ الحضرامي بن الشيخ محمد فاضل ولد عام ١٨٨٧م ، في بلدة اوري الواقعة بين مدينتي النعمة وولاته وتربي في كفالة جدته لامه واخذ علومه المحظرية علي يد خاله محمد المختار وهي العلوم الظاهرية اما علومه الباطنية فقد ذكر انه ذهب الي عمه الشيخ سعد ابيه لياخذ عليه طريقته الطوفية ويحدد بصحبته له اهم ملامح شخصيته ومواقفه السياسية والصوفية بعد ان مكث مع عمه اربع سنوات كانت كافية لاستيعابه منهج عمه الصوفي ولقد اسس الشيخ التراد محظرته .

واستطاع في رحلاتة حيازة بعض العلماء الاجلاء الي جانبه فضلا عن جمعه لمكتبة عامة ولقد كان عامل الاستقرار ذا أهمية كبرى فى تنمية المعارف وتطويرها هذا فضلا عن التحسن الاقتصادي الذي ساعده علي اداء المحظرة لدورها التربوي والعلمي ولم يقصر التعليم عند الشيخ التراد علي المحظرة اذ اقر الاكتتاب في مدارس النصاري وذلك بارساله لابنه اليها انطلاقا من قاعدة من تعلم لغة قوم امن مكرهم ولقد استطاع ان يكتسب معرفة تحسنه في مواجهات المستقبل وان يثري ثانيا محظرته التي يدعمها دور حضرته الصوفية (١) .

أما عن اثاره العلمية الزاخرة فلم تخرج عن مجال التصوف والعلوم الشرعية والمطبوع والمخطوط منها يزيد علي اربعين مؤلفا وقد تاثر كثيرا باراء شيخه وعمه الشيخ سعد ابية الذي كان يري في التعامل مع فرنسا هو الضامن الوحيد لسلامة الدين نظرا لعدم تعرضها له حسب اجماع الجميع بل والاعانة عليه كما وضحنا سابقا (٢) .

٤- التقية والموالاة

كانت القوي المؤيدة للاستعمار الفرنسي تري موالاة الظلم والكفرة مستندة إلى مبررات دينية تجعل أحكام الشرع تتناقض إذ تحرم إن كانت بالقلب وتجوز بغيره علي وجه التقية (تتقي البأس بالمداراة) .

وقد تصل الموالاة حد الوجوب يأثم تاركها خاصة إذا علم العالم أو ظن أنه لا سبيل الي الحكم بما امر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك لكافر وفاسق فله ان يستظهر به استنادا الي القاعدة الشرعية التي ترى إرتكاب أخف الضررين وقد تصدت القوي المؤيدة للهجرة عندما تيقن أهل البلاد من عدم قدرتهم علي دفع الغزاة عن بلادهم (٣) .

---

١ – محمد فاضل : الشيخ التراد ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .
٢ – أزيد بية بن محمد محمود – الزوايا فى بلادشنقيط مرجع سابق ص ١٣٨.
٣ - محمد الأمين ولد سيدى احمد : السلطة والفقهاء ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

ولقد ذهب هذا الفريق من الطريقة القادرية صراحة الي الدعوة الي موالاة الفرنسيين اذ كانوا يقولون (يجب علينا حفظ عهدها وموالاتها ولزوم ودها وطاعتها واعانتها علي مطالبها) . وقد سلك الشيخ التراد مسلك الفريق المؤيد للاستعمار متاثرا بعمه الشيخ سعد ابية وكان يقول (فلما كبرت ودخلت مداخل الدنيا تحققت من ذلك مشاهدة وعيانا) (١) .

ولقد كان الشيخ سعد ابيه نظرا لتمركزه في الجنوب الغربي الموريتاني التي اخترقها الفرنسيين اولا من اهم الشخصيات الدينية التي تعاملت مع الفرنسيين وقدمت لهم خدمات جليلة وقد كتب رسالة عنوانها (النصيحة العامة والخاصة) (٢) .

والتى يحس فيها اخوه الشيخ ماء العينين الي عدم التصدي للفرنسيين وان يبقي علي الطريق القويم الذي تركه له والده وهو ترك حمل السلاح ولقد كان الشيخ سعد ابية في بداية امره من المعارضين للوجود الفرنسي في موريتانيا يدل علي ذلك ما تركه من اثار علمية شعرا ونثرا ، الا انه مع احتكاكه مع الفرنسيين اظهر فكرة اخري بدا يتعامل بها معهم مستقرئاً للواقع الإقتصادى والسياسى والبديل الذى يمكن ان يوفره الفرنسيون من خلال نقاط اهمها:

١ - **العدل :**

مثل حماية المظلوم ودفع الجور عنه والانتقام له وكانت الدولة الفرنسية دولة العدل والانصاف وقد كان يري ان القوي الحسانية تقوم علي ابتزاز الرعايا واهانتهم فلما جاء الفرنسيون لهذه البلاد استراحت الزوايا من ظلم اولئك الظلمة وهذا العدل كان مبررا عند الشيخ سعد ابيه للتعامل مع الفرنسيين .

٢ - **الامن :**

اعتبر الشيخ سعد ابيه ان الحروب التي كانت حامية الوطيس بين الامارات وبين الامراء في الامارة الواحدة فيما بينها كلها حروب عائقة امام تاسيس المجتمع الاسلامي القائم علي الوحدة والالفة والقبول بالاستعمار سيؤدي الي اشاعة الامن والاستقرار المفقودين ما سيرافق ذلك من تحسن علي جميع الأصعدة (٣).

---

١ - محمد فاضل : الطريق الفاضلية ، مرجع سابق ، ص ٢٢٨ .
٢ - مخطوط بالملحق.
٣ - حماد ولد مولاى : مرجع سابق ، ص ٦ .

لقد كان الشيخ سعد ابية و الشيخ سيديا يريان أن الإستعمار مرفوض لذاته وهو شر لابد منه او هو شر مفيد (١) ، وبقدومه وفرضه الامن استطاع عامة المسلمين العيش بسلام طالما تشوقت نفوسهم اليه .

٣ -**السلطة المركزية:**

كانت حالة السيبة التي تعيشها البلاد والتي انتشرت الفوضي بحكمها وقد كانت البلاد بين خمس امارات متصارعة فيما بينها وطوال الفترة التي سبقت قدوم الفرنسيين كانت البلاد في حالة فوضي وافتقار دائم الي سلطان يوحده وهذا العجز عن افراز قيادة موحدة جعل مساعى الأهالى مختلفة دائما باختلاف أمرائهم وشيوخهم وهو فراغ قد يسده وجود الفرنسيين (٢) .

٤ -**الفتنة :**

لقد كانت حاجة البلاد الي امير واحد موحد يجعل كل دعوة للجهاد هي بمثابة اعلان للفتنة لان الجهاد لابد وان يكون تحت راية سلطان وبامره وان يكون لإعلاء كلمة الله فقط وهذا لايتحقق في مقاومة الفرنسيين لانهم لا يعترضون على الدين ولا أهله (٣) . ولذا صار جهادهم اقرب الي الفتنة خاصة وان محاربيهم غالبا ما يفتقرون الى الثقافة الدينية التي تسمح لهم بالتميز بين الفساد في الارض والجهاد من اجل اعلاء كلمة الله .

لذا رأى الشيخ سعد ابية ان نفوس المحاربين تحتاج اولا الي التدريب حتي تكون مستعدة للجهاد الحقيقي استعدادا غير مرجوع فيه اما الاندفاع الاول والعاطفي فغالبا ما ينسحب اصحابه عند اصطلاء الحرب ويتراجعون نظرا لضعف العقيدة وعدم التكافؤ العسكري والمؤسس بين المتحاربين هذه العوامل وغيرها دفعت بالشيخ سعد الي فتح مجال التعامل مع الفرنسيين بشكل تدريجي يتنافس حسب تدرج الفرنسيين انفسهم فقد طلب الفرنسيون منه عند بداية توغلهم ان يلتزم بحمايتهم وتامين الرحالة والمكتشفين وارسال احد ابنائه مع هؤلاء لتامينهم فرفض اكثر من مرة رغم الاغراءات المادية والمعنوية التي قدمت له (٤) . إلا أنه وبناء علي موقف فقهي يسمح باجازة الكافر قبل في مراحل تالية انقاذ بعض الفرنسيين من القبائل التي اعتقلتهم وتعلل الشيخ هذا الموقف بعدة عوامل :

١- ان قتل فرنسي في بلاد موريتانيا او عدم تامينه سيضر ضررا بالغا بالموريتانيين المقيمين او المتاجرين في البلاد السودانية التي تهجم عليها فرنسا

---

١ – الهيبة ولد سعد ابيه : الشيخ ماء العينين ، مرجع سابق ، ص ٣٩ .
٢ – محمد فاضل : الشيخ التراد ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .
٣ – الشيخ سعد أبيه : النصيحة العامة والخاصة ، مخطوط .
٤ – الشيخ سعد أبيه : الجواب المحتوم ، مخطوط .

وقد يعرض اموالهم وانفسهم للخطر ولذا وجب صونا لاموال المسلمين ودمائهم حماية الكفار.

٢ - ان قتل فرنسي واحد قد يؤدي الي اراقة دماء كثيرة من المسلمين وانقاذ كافر واحد اولي من قتل اكثر من مسلم .

٣- اعتبر الشيخ سعد ابية ان الرحلات التي كان يقوم بها الفرنسيون ليس لها غير دافعين الاول روح المغامرة وكل ما يسعي اليه هؤلاء الرحالة هو المفاخرة بين بعضهم البعض وأما الثاني فهو أن يكون لهم نوايا سيئة تجاه المسلمين ولذا كان الشيخ سعد ابيه يحجزهم عنده ويبالغ في اكرامهم مهما طال مكثهم عنده فمنهم من يقيم في محلته اكثر من خمسة اشهر ويقوم بارسال من يقوم بمهامهم التي يتظاهرون بها حرصا من الشيخ علي ان لا يطلع هؤلاء علي عورات المسلمين ولا يحتكون بهم مباشرة فيستبينوا تداعي مؤسساتهم ويستوضحوا نقاط ضعفهم (١) .

يقول الشيخ سعد ابيه (هذا هو ما غاب عن اذهان اعدائنا واعتبروا اننا نكرم النصاري طمعا في مالهم او رغبة اليهم ويقسم الشيخ بالله الذي لا اله الا هو انه ما داهن فرنسيا قط بكلمة يخافها علي دينه او مروءته ويورد هذه المبررات في سياق دفاع مستميت عن موقفه الذي يعتقد انه لم يسهل للفرنسيين امرا بل قدروا امورهم من دونه (٢).

.وبعد التوغل الفرنسي في موريتانيا اصبح التعامل مع هذه السلطة الجديدة واجبا يمليه واقع الغلبة المعيشي ويتطلبه الامل الامني والاقتصادي والديني الذي بعثه رواد الهيمنة الفرنسية في نفوس مشايخ الطرق الصوفية خاصة وان المتعامل معهم حسب راي الشيخ سعد ابيه لا يحصل له الذل بل يصبح ماوي للخائفين فكان اهل هذه البلاد المتاخمة للسنغال اذا علموا بقدوم الشيخ سعد ابية انتظروه حتى يدخلون في جملة المسافرين معه فيجعل لهم الامن بذلك ومنهم من يرتبط به دائما نظرا لإعفاء آل الشيخ محمد فاضل مطلقا من الضرائب وكذلك من دخل في جملتهم من التابعين او من المريدين (٣) .

تقييم موقف القطب المؤيد للاستعمار الفرنسي :

لقد اتخذ موقف هؤلاء الفقهاء شكلا متدرجا بدأ بالدعوة الي المهادنة وانتهي بالدعوة الي طاعة السلطان الفرنسي مرورا باسقاط الجهاد والهجرة عن بلادهم ويرجع موقف هؤلاء الي ان للفرنسيين دور كبير في تسريب هذا التصور الي أذهان أولئك الفقهاء بما وفروه لهم من معلومات عن واقع البلدان الاسلامية الواقعة تحت الاستعمار الاوربي وعجز العثمانيين عن تخليصها بالاضافة الي ما بثوه من رعب في نفوسهم من خلال ما اطلعوهم عليه من معدات حربية غير مألوفة عند فقهاء عزل يعيشون في مجتمع صحراوي تقتصر معداته علي البنادق والخناجر (٤

---

١ ــ محمد فاضل : الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٩ .

٢ ــ الجواب المحتوم مخطوط بالملحق

٣ - محمد فاضل : نفس المرجع ، ص ٢٢٣ .

٤ــ محمد الأمين : مرجع سابق ، ص ٢١٠ .

ومن اهم الاسباب لهذا الموقف الذي اتخذه هؤلاء المؤيدون :

- **الحفاظ علي المصالح :**
- **التناقضات الداخلية**

يبدوا من مواقف القطب المؤيد انهم كانوا مدفوعين بدافع الحرص علي صيانة المصالح المادية والروحية والتي يقتضي الحفاظ عليها والعمل علي إستتباب الأمن كما ان فترات الحروب والفتن من شانها ان تتسبب في اتلاف المحاصيل الزراعية وإفقار الأتباع وبالتالي حرمان زوايا القادرية ومشايخهم من مواردهم الطبيعية .

كما يمكن القول ايضا ، ان بعض مشايخ الطريقة القادرية كانوا مدفوعين بدافع الطمع في بعض الامتيازات ونيل المكانة والحظوة تدعيما لموقفهم وتوسيعا لنفوذهم المادى والأدبى وإن هذا كله يوضح ان السياسة الاستعمارية قد عملت علي التمكين لمشايخ الطرق الصوفية الموالية لها ، كمكافأة لهم علي ما صنعوه من مواقف وسعت الي احتوائها حتى تخضع للامر الواقع وتتقبل التعامل معهم وهم بالجملة مدركون للمواقف التي كانوا يقفونها ومن اجل ذلك فقد تسلحوا له باحد الاسلحة بالنصوص الشرعية واجادوا وامضاها اعمالهما وايرادها في ادق مقاصدها (٢) .

وأيا كان الأسباب الكامنة وراء هذا الموقف فإن هؤلاء الفقهاء قد خدموا السياسة الإستعمارية وأوهنوا عضد السكان فى الدفاع عن بلادهم بل أحالهم إلى متقابلين فيما بينهم خاصة بعد فتوى وجوب طاعة السلطان الفرنسى ، حيث إنضمت مجموعة كبيرة إلى الخدمة الفرنسية فتحولت فى عيون المجاهدين إلى أعداء بحكم موالاتهم للنصارى على حساب المسلمين ، التى نهى الله تعالى عنها كما أن حرص الفرنسيين على سلامة جنودهم وضرب السكان بعضهم ببعض ، كان وراء إسناد مهمة متابعة المجاهدين إلى الجنود البيظان ، مما أدى إلى كثرة الصدامات والأضرار فى صفوف السكان .

ب : <u>القوى القادرية المعارضة للاستعمار الفرنسي في موريتانيا :</u>

في مستهل القرن العشرين انتهت مرحلة الاستعداد لاحتلال موريتانيا وشرعت فرنسا في العمليات العسكرية وكان كوبولاني يضع الخطط السياسية والعسكرية للاستيلاء علي مقاطعات البراكنة وتكانت وادرار وفي هذا الصدد يقول (وفي موريتانيا بالذات اعتبر نفسي راضيا لان مشاريعي قد تحققت واعتقد انه في خلال بضعة اشهر سنتمكن من كشف ادرار والتعرف علي محلة اجل وهنا تبرز الأهمية الكبري التي تجول في نفوس الفرنسيين تجاه الاقتصاد الموريتاني وربط المناطق الحساسة وشل منافذه (٢) .

وبدأ دخول الاستعمار الفرنسي الي موريتانيا من جهة المناطق الجنوبية المحازية لنهر السنغال في مراحله الاولي والمناطق الواقعة علي حدود مالي في المرحلة الثانية (٣) .

وهكذا دخلت موريتانيا منذ السنوات الاولي من القرن العشرين مرحلة جديدة من تاريخها ويرتبط هذا التحول في نجاح الفرنسيين في التوغل داخل الاراضي الموريتانية

---

١ ــ ازيد بيه : مرجع سابق ، ص ٣٣٧ .
٢ــ الهيبة ولد سعد ابيه : الشيخ ماء العينين ، مرجع سابق ، ص ٣٤ .
٣ــ محمد فاضل : الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٨ .

وما صاحب ذلك من تسلط المستعمر الذي لم يكتف هذه المرة بالسيطرة علي السواحل وانما حرص علي التوغل في الداخل مستنزفا لثروات البلاد واضعاف مقوماتها المادية والبشرية (١) .

ولقد استغل كوبولاني المنافسات والصراعات علي السلطة داخل الامارات الموريتانية واحتدام الخلاف بين الامراء وشيوخ الطرق الذين كانوا يعانون من ابتزاز الامراء للشعب وحسب الروايات الفرنسية كان هؤلاء المشايخ يعبرون عن قسم كبير من الراي العام .

ولقد إستنتج كوبولانى من خلال دراسته للطرق الصوفية أن المتصوف فيها له الأثر البالغ فى تنفيذ مشاريعه ، وقد بدأت الزوايا تستعيد نفسها بعد أن فقدت السلطة الحسانية جزءاً من قيمتها السياسية تجاه المستعمر ولكن كانت هناك مشيخات هامة فى المنطقة ولديها من السلطة الكثير .

استطاع كوبولاني ان يستقطب بعض شيوخ الطريقة القادرية الي جانبه مثل الشيخ سعد ابيه والشيخ سيديا باب بعد ان شكلا قطبى القبول القادري للاستعمار وكان لظروف امامة الشيخين في المناطق الجنوبية اثر في موقفهما من الاستعمار ولم يكن صحيحا ان جميع شيوخ الطرق الصوفية عامة وخاصة الطريقة القادرية رحبوا بالاحتلال الفرنسي فسوف نري كيف تزعم الشيخ ماء العينين وهو زعيم طريقة قادرية قطب الرفض للاحتلال الفرنسي وحاربهم .

واذا كانت المناطق الجنوبية قد خضع بعضها سلما للاحتلال فان المناطق الشمالية ظلت بعيدة الي حين عن خطر الاستعمار وساعدها علي ذلك طبيعة تضاريسها الجبلية الوعرة ومن الناحية السياسية فان الشمال الموريتاني قريب من مركز القيادة في المغرب وهذا القرب دفع الاهالي الي التعلق بسلطات المغرب بوصفها تسد فراغ السلطة المركزية عندهم (٢) . وهذان العاملان ، الجغرافى والسياسى قد أعاقا تجاسر القوات الفرنسية نسبيا على المناطق الشمالية ، وحصنت المناطق الشمالية حتى تمت الهيمنة على المناطق الأخرى لتصبح السيطرة على الشمال للمرحلة المقبلة أو الأخيرة فى إكتمال إحتلال فرنسا لموريتانيا (٣) .

وهذا التأخر النسبى فى إحتلال مناطق الشمال سمح لها بان تكون ماوي لفلول المقاومة الوطنية ولكن القوات التي تريد ترتيب امورها بعد كل مواجهة وبهذا اصبحت المنطقة الشمالية مركز المقاومة وعليها يدور رحاها ويبدو ان هذه الصيغة الجهادية لعملية المقاومة هى ما سمح لرجال الدين دون غيرهم من شرائح المجتمع الموريتاني ان يلعبوا دور الوسيط بين الاهالي والسلطة المركزية في المغرب وهو دور استاثر به الشيخ ماء العينين مقدما مصوغات الشرعية لعملية الجهاد علي النحو التالي فقد تمكن من تامين حاضرة احتشد فيها المقاومون من حسان المنطقة ومن زواياها بالاضافة الي الذين قدموا من زوايا اخري وقد قاد الشيخ ماء العينين القوي المعارضة للاستعمار وهو

١- الهيبة ولد سعد أبيه : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

٢ – نصر السيد نصر وأخرون : مرجع سابق ، ص ٤٣ .

٣– محمد فاضل : الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ، ص ٢١٥

قائد الرفض الذى كان علي النقيض من موقف دعاة المهادنة واستل المعارضون اقلامهم لتسفيه آرائهم وتحريم الانصياع لدعوتهم وقد استندوا الي الآيات الكريمة والاحاديث النبوية الشريفة الداعية الي الجهاد وعدم موالاة اليهود او النصاري سلاحا لتاكيد موقفهم من الاستعمار حتى انه وجد منهم من حمل السلاح وجمع المتطوعين ونظم صفوفه وشن الغارات علي الفرنسيين (١).

لقد كان الشيخ ماء العينين يري ان الامر بالقتال وإباحته في القران الكريم ناسخ لجميع ما جاء بالقرآن قبل ذلك من الصبر علي الاذي من المشركين واللين معهم والصفح عنهم وذهب الي تقسيم يبين فيه عينات اهل الكتاب والكفار الذين يجوز العهد معهم والتعامل معتبرا ان دخول الفرنسيين البلاد الموريتانية لا مسوغ له شرعا خاصة وانه لم يكن باذن من سلطان ولا من مسلم قادر علي دفعهم ولذا وجب قتالهم نظرا لدخولهم علي الذين لا قدرة لهم علي دفعهم وخروجهم علي بلاد المسلمين السائبة التي لا سلطان فيها يقيم الحدود وليس فيها من يتلقي العساكر النصارى بل فيها شئ من المسلمين بين زوايا لا حيلة لهم وعرب لا قدرة لهم علي التصدي للمعتدي (٢ . ومن هذا المنطلق رفض الشيخ ماء العينين أن تكون له أية صلة مع الفرنسيين خاصة بعد احتلالهم منطقة الطرخاية وايضا من هذا المنطق ذهابه الي التهديد لهم بان من خرج منهم الى ارضه بغير شروط فانه سيقطع رأسه (٣).

أما مداهنة النصارى بحجة انهم لا ضرر علي المسلمين من وجودهم فانه علي حسب راي الشيخ ماء العينين وانصاره ان النصارى من وجهة نظره هم اعدي الاعداء لان عداوتهم دينية وهي اشد من البدنية واحري اذا (اجتمعا معا) والقول بعدم عداوتهم وجواز مداهنتهم انما يرجع حسب هذا الرأى إلى جهل المداهنين بما فعل النصارى بالاندلس ومصر . وإستندوا فى موقفهم هذا على عدة عوامل أهمها:

الولاء للإسلام :

لقد انطلقت رؤية القوي القادرية المعارضة للاستعمار الفرنسي من أبناء الطريقة القادرية وعلي راسهم الشيخ ماء العينين من مبدا ان العامل الوحيد الذي يربط كافة مكونات المجتمع الموريتاني ويمكن ان تقوي لديه مقاومة الاستعمار هو عامل الدين ويعزز هذا المبدا مع تاثير ابناء الطريقة القادرية بالمحيط السياسي من حولهم خاصة لما تأثر الشيخ الخليفة بن الشيخ محمد فاضل بحركة الحاج عمر الفوتي (٤) ، الجهادية وحمل مدفعه اثناء الصلاة بوصفه في حالة حرب واستنفار دائم يحفزه ايعاز الحاج عمر اليه ان يتامر علي جميع اهل الحوض والتزامه بمؤنة الجيش وتجهيزه غير ان والده قد

---

١ - محمد الأمين : مرجع سابق ، ص ٢١٠ .
٢ – الشيخ ماء العينين : هداية من حار فى أمر النصارى ، مخطوط .
٣– محمد فاضل : الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ، ص ٢١٧ .
٤ –ولد عام ١٧٩٧، فى قرية القار من بلاد بتبار وهو تيجانى الطريقة ، قاد جهاداً كبيراً لإقامة دولة إسلامية فى فوتى ولتوحيد السودان الغربى . لمزيد من التفاصيل عن الحاج عمر الفوتى التكزورى ، أنظر ، عبد الله عبد الرازق : الإسلام وتحدى الإستعمار الأوروبى فى غرب افريقيا .

اخذ عليه هذا وامره عدة مرات باعادة صلاته نظرا لبطلانها الا ان الابن اصر علي عدم الاعادة سبع سنوات لتمسكه حسب راي الشيخ سعد ابيه بظاهر الحكم ، فلم يزل والده يامره حتى استجاب له (١ ، واعادة الصلاة ولقد أفتى كثير من فقهاء البلاد الموريتانية بحرمة التعامل مع الغزاة وحثوا علي اداء طريق الجهاد وشاركوا فيه وفي هذا الف سيد محمد الصغير بن جبت رسالة عنوانها " في حكم من غلب علي وطنه النصارى " .

وبدأ يدعوا الى اعتزال النصارى مثل الفقيه محمد عبد الجليل وولده الشيخ المصطفي ، ونظرا لبيعة الشيخ ماء العينين للسلطان المغربي وقد كلفه رسميا بادارة شئون الجهاد في الصحراء ولا سيما قيام قبائل الشوكة ليلتحقوا به من اجل الجهاد ومن اجل ذلك كاتب الشيخ ماء العينين جميع رؤساء القبائل في موريتانيا وناشدهم الله ان يحملوا السلاح وتنقل مبعوثوه بين مخيمات وتكانت والحوض معطيا لهم الوعد بامداده لهم بالاسلحة والذخيرة وتامين السلطان لهم .

وقد لبي نداءه امير ادرار وامير الترارزة وامير تكانت وامير البراكنة وامير الحوض ولقد ذكر الشيخ النعمة في حديثه عام ١٩٠٥م هو عام الذي اتت فيه الوفود الصحراوية الي الشيخ ماء العينين وفيه بعث البعوث للجهاد وخاصة ابنيه الشيخ الولي والشيخ حسانه (٢) ، الي ادرار وامر تلاميذه علي الغزوات .

لقد انحازت اغلب القبائل الي صلح الزعامة الشمالية المجاهدة واعلنت مبايعتها له وقبولها المقاومة وفي ذلك دلالة علي مدي تاثير الروح المجاهدة في عموم المجتمع الموريتاني علي ان قدرة الشيخ ماء العينين القيادية جعلت من السمارة معقل لبعث الرسائل والفتاوي الداعية الي مقاطعة ومقاومة الاستعمار(٣) لقد أعلن الشيخ ماء العينين الجهاد المقدس لإعلاء كلمة الله ودفاعاً عن الوطن ضد الإستعمار بمختلف أشكاله وأنواعه وإرسالياته التنفيذية ، فأعلن النفير بذلك فى أوساط القبائل الصحراوية وبدأ يطوف عليها واحدة تلو الأخرى ، وهو يقول :-

(الجهاد أيها المسلمون ضد أعداء الله ورسوله وأعداء الإسلام الذين يتربصون بكم وبوطنكم الدوائر) .

فاجتمعت له وحوله الجموع الغفيرة والتفت تحت راية الجهاد المعلن له قبائل لا تعد ولا تحصى معروفة بشجاعتها وبسالتها ، وغيرتها ومكافحتها عن الإسلام وعدم الإنطواء تحت راية الإلحاد والشرك ، فخاضت تحت رايته حروباً شرسة مع الإستعمار مكبدة إياه فى معارك متعددة وحملات متكررة أفدح الخسائر وأشنع الهزائم فى الرجال والعتاد والمال ، ولقد ظل الشيخ ماء العينين هو الروح المغذية للجهاد والمقاومة فى شمال البلاد فى مواجهة الإستعمار بحزم (٤) .

١ـ الشيخ ماء العينين : النصيحة العامة والخاصة ، مخطوط .

٢ ـ الشيخ حسانه،تولى الرعايه الروحيه للامير الشاب ولد عايده ولقد عمل على نشر نفوذ والده الشيخ
ماء العينين وله دور كبير فى مقاومة التغلغل الفرنسى ،أنظر:سعد خليل :مرجع سابق،ص٣٠٨.

٣ـ فاطمه بنت الامام (المقاومه الدينيه من خلال المحاظر) مرجع سابق،ص٢٨.

٤ ـ حميد بن محمد على : مرجع سابق ، ص ١٦.

كذلك كان للشيخ دوره القيادى فى حركة الجهاد فقد تبادل المراسلات مع أعيان البلاد حول الموقف من الإحتلال ، فكان يحث على الجهاد مستعرضاً أدلة وأجوبة شرعية وبسعيه إستطاع أن يقنع الزعيم الكنتى محمد المختار بن الحامد ،
بالإنضمام إلى المقاومة ، وقد كان لموت كوبولانى دفعاً كبيراً لحركة المقاومة لدى الشيخ ماء العينين وتعطيلاً كبيراً للسلطات الفرنسية التى كانت تعمل على شل حركة الشيخ ماء العينين وجهاده الواسع النطاق وقد أشاع مقتله روحاً من الإرتياح بين القبائل المعارضة مثل ، ادرار المعارضة والرافضة للتوغل الفرنسى (١).
فقد قامت القبائل بمبايعة الشيخ ماء العينين بعد دخول الفرنسيين منطقة القبلة ، وبعد ظهور طلائع الإحتلال الفرنسى قامت هذه القبائل بالدعوة للجهاد ، حيث تحولت أسمارة إلى عاصمة للجهاد فبعد أن ظهرت طلائع الجيوش الغازية مطلة على إمارات كل من الترارزة والبراكنة وتكانت والحوض ، تحرك أعيان ووجهاء هذه البلاد مكونين فيما بينهم وفوداً كثيرة بلغت أكثر من ألف فارس من العلماء والأمراء والأعيان ، وتدل كثرة هذه القبائل على الولاء التام الذى تعطيه للشيخ والإستعداد للجهاد (٢).
خاض الشيخ ماء العينين كثيراً من المعارك والتى كلفت الفرنسيين ثمناً غالياً ، ومن هذه المعارك ،(معركة اكصيدالفرسان)، التهبلات ، وتجكجة ، وغيرها من المعارك التى نظمها الشيخ ماء العينين ووجهها صوب الهدف فتقهقر الفرنسيون فى بادىء الأمر ، إلا أن وصول تعزيزات فرنسية جديدة ومتلاحقة أثرت نوعا ما على الجهاد و بعد فترة مد وجزر ، وجهت الحكومة الفرنسية حملة كبيرة إلى منطقة أدرار كمرحلة أولى بالوصول إلى مركز الشيخ ماء العينين مصدر المقاومة (٣).
وقد لاقت هذه الحملة مقاومة شرسة قادها الشيخ ماء العينين وأتباعه ولكنهم هزموا ، وقد حققت حملة أدرار من وجهة نظر الفرنسيين نتائج مادية ومعنوية حاسمة فقد تم غزو أدرار معقل الجماعات الخطرة.
وبعد وفاة المناضل والبطل الشيخ الكبير ماء العينين ، فى الثامن والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩١٠م ، عرفت المقاومة الكثير والكثير من الصعوبات سواء على المستوى الخارجى أو على المستوى الداخلى ، فقد توفى الشيخ ماء العينين تاركاً الخلافة لإبنه الهيبة .

إستمرار المقاومة بعد وفاة الشيخ ماء العينين :

هل توقفت ينابيع الجهاد الموريتانى ؟ وهل ثبطت همم المجاهدين بعد وفاة الأب الروحى له ؟ هل هناك من جاء ليخلف الشيخ ، ويحمل لواء الجهاد من بعده ليكمل مسيرة الكفاح ؟
لقد سار خلفاء الشيخ ماء العينين علي منهجه في معارضة الاستعمار الفرنسي

١- سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٣١٧ .
٢- أنور زغلول : موريتانيا عربية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٥ .
٣ - الهيبة ولد سعد ابوه : الشيخ ماء العينين ، مرجع سابق ، ص ٥٠ .

ومقاومته ومراسلة القبائل في الشمال لمقاومة الاستعمار . لقد كانت اسمارة مقر تجمع الشيخ ماء العينين تجمع كافة الوجهاء والنبلاء تحت رئاسة الشيخ ماء العينين وقد توجهت هذه الجموع الي العرش المغربي حيث استقبلوا بحفاوة من قبل السلطان مولاي عبد العزيز(١) ، الذي أمدهم بالسلاح والعدة فأرسل معهم أحد أبناء عمه كمشرف ومنظم(٢) والذي قوي المجاهدين في الصحراء ما اشيع من خبر بين سكان الصحراء مفاده ان سلطان المغرب سيوجه نداء الي المسلمين يطلب منهم ايقاف الاقتتال والتناحر بينهم . وان يوحدوا صفوفهم ضد الغزو الفرنسي { النصراني } فزاد المحاربون من جرأتهم ونشطوا في عمليات السلب والنهب علي سواحل السنغال املا في استعادة سيطرتهم علي النهر .

وبهذا الإقبال الرسمي من السلطات المغربية علي يد الشيخ ماء العينين وثقة الاهالي في جهوده واعتقادهم الروحي فيه استطاع ان يكون من اقوي رجال الجهاد وابعدهم اثرا في توجيه الجهاد وقيادتة إلى درجة أنه لا تخلو فترة من عملية جهادية في انقرة عام ١٩٠٥ ـ ١٩١٠م وهذا ما تشير اليه التقارير الفرنسية الي دوره فيها سواء بشكل مباشر او بإيعاز او بدعم منه ، حتى اذا عقد السلطان المغربي مولاي عبد الحفيظ(٣) معاهدة مع فرنسا . حاصر المجاهدين في الجنوب وقطع الامدادات عنه والتي كانت بمثابة الضربة القوية للشيخ ماء العينين والمجاهدين معه وكان سر هذا الانقلاب من اثار مؤتمر الجزيرة ثم وقوع المغرب تحت الاحتلال الفرنسي والذي حرم المقاومة من الإستفادة من استغلال تناقض المصالح الاوربية علي السواحل الاطلسية والمتوسطية وحرمها من التزود بالعتاد من مختلف الدول الاوربية التي كانت تعقد معها صفقات عسكرية .

ووجد هناك عامل اخر اثر في المجاهدين بالغ الاثر الا وهو موت الشيخ ماء العينين شبه المفاجئ في اكتوبر ١٩١٠م .

لقد أحدثت وفاة الشيخ ماء العينين تاثيرات عميقة علي المقاومة التي فقدت علاوة علي قيادتها السياسية والعسكرية موحدها الروحي ومنظمها الحزبي الامر الذي ادي فيما بعد الي تمزيق كبير في صفوف القبائل المناهضة للاستعمار فأغلبية هذه القبائل اصيبت بخيبة امل نتيجة للاوضاع الصعبة التي كانت تحيط بنشاط المقاومة في تلك الفترة وفي هذا السياق كتب المقيم الفرنسي (نحيف الي حاكم موريتانيا يقول ان المناوشات التي لا يمكن الا ان تشجعنا قد قسمت أعداءنا ....) .

لقد حمل لواء الجهاد ابنه وخليفته الشيخ احمد الهيبة الذي حاول متابعة جهاده رغم استئثار وضع العرش المغربي باغلب جهوده وعلي الرغم من ذلك واصل مساعيه

---

١ ـ من سلاطين المغرب كان له صله بالشيخ ماء العينين وله علاقه روحيه وسياسيه به.

٢ ـ محمد فاضل ،الطريقه الفاضليه ،مرجع سابق ص ٢٢١.

٣ ـ تولى الحكم فى المغرب بعد مولاى عبد العزيز وزادت صلته وتعاونه مع الشيخ ماء العينين وكان له دوره فى مقاومة الاستعمار الفرنسى فى بداية حكمه .

الداعمة الي المقاومة والرافضة لاي اعتداء فرنسي وعقد ولاء مع الفرنسيين خاصة بعد ضغطهم علي الشيخ الطالب اخيار بن الشيخ ماء العينين لبذل الوسعة من اجل موالاة اخيه .وقد ظل الشيخ احمد الهيبة علي رفض الموالاة وآثر الكفاح والتنسيق مع رجال المقاومة وتبادل الخبرات معهم وتلقي المساعدات منهم ولذا نجد ان عبد الكريم الخطابي زعيم الكفاح المغربي (١) ، يمده بالسلاح لمتابعة كفاحه .

ثم ضعفت المقاومة أثناء قيام الحرب العالمية الأولى حتى نهايتها وقد ساعد علي ضعفها وفاة الشيخ احمد الهيبة وكانت هذه الفترة من اصعب الفترات علي المقاومة وبعد وفاة الشيخ احمد الهيبة ١٩١٨م تولى أمربيه ربه (٢) أمور الجهاد وحاول انعاش روح الجهاد وارسل الرسائل الي القبائل وهذا نص رسالة من رسالتين اكتشفتهما السلطات الفرنسية في متاع محمد المأمون .

رسالة من الخليفة الثاني للشيخ ماء العينين وهو الشيخ امربيه ربه يولي علي قيادة القوات المقاومة للاستعمار بن عمه محمد المامون وهذا نص المخطوط : .

(لله الحمد وحده وأصلى على من لا نبى بعده ، ليعلم من مسطورنا هذا أسمى الله قدره وجمعه الصالحات طيبة ونشره اننا بحوله وقوته وشامل يمنه قدمنا بن عمنا الشيخ محمد الامامون علي الغزوات في الجهة الصحراوية بعد ان اوصينا بمراعات التقوي لانها السبب الاقوي وان يقيم بالسوية بين الرعية بعد اخراج الخمس علي حسب ما امر به الله كان الله معنا ومعه واعاننا واياه علي رعاية ودائعه ويعطي ما اودعنا من شرائعه فنأمر الواقف من عمالنا وقبائلنا ان يعلم هنا ويعمل بمقتضاه ولا يدعه ولا يتعداه بل يعينه علي ما هو بصدده من جهاد اعداء الله اعان الله كل من اعانه) (٣) .

صدر به امرنا القائم بالله في ١٥ شوال عام ١٣٤٣هـ

الطابع – محمد المصطفي المربيه ربه. وبالفعل ، قام الشيخ محمد المامون واخوه وجاهة ، بعدة عمليات ضد الفرنسيين وبعد وفاة الشيخ امربيه ربه اجتمع ابناء الشيخ ماء العينين من اجل انتخاب مدير شئون خلافتهم بعده ، ولما استعصي عليهم الامر اتفقوا علي ان لكل واحد منهم الجهة التي يقطنها بما يراه فتوزع اغلبهم في المناطق الغربية بينما اثر الشيخ الطالب اخيار السكن في منطقة ادرار الموريتانية(٤) .

ولقد استغلت فرنسا في موريتانيا عدم وجود ادارة مركزية لابناء الشيخ ماء العينين وتفرقهم في الانحاء وحاولت تعميقه وكانت تحث اداريها علي الفصل

١-الهيبه ولد سعد ابيه مرجع سابق ص٥٣.

٢ – عالم جليل ، وهو أحد ورثة الخلافة الصوفية الموروثة عن الشيخ ماء العينين ، كما أنه كان أحد أقطاب حركة الجهاد الصحراوية ، التى إنطلقت من البلاد السائبة ووقفت فى وجه الغزو الفرنسى للمغرب
والصحراء وله مؤلفات كثيرة فى التصوف .

٣ – أنظر نص المخطوط بالملاحق .

٤– محمد فاضل : الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ، ص ٢٢١ .

بين ال الشيخ ماء العينين في أدرار وأبنائه في المغرب ، وذلك بالحد من التزاور بينهم بمنعهم من تراخيص السفر وزيادة الضغوط عليهم ومراقبه تحركاتهم وتفتيش رسائلهم واحداث الوقيعة بينهم باساليب مختلفة حسب ما اوجدته رسالة من رئيس المكتب السياسي الفرنسي في ادرار الي الوالي العام في موريتانيا بهذا الصدد .

ومع بداية الثلاثينيات من القرن العشرين برزت شخصية اخري وهو اخر من حمل لواء الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي وهو الشيخ محمد المامون بن الشيخ محمد فاضل والذي توجه في بداية حياته الي المشرق الغربي عام ١٩٠٣م وعاد الي المغرب والتحق بعبد الكريم الخطابي وتاثر بحركته وقفل الي الصحراء عام ١٩٣٠م معلنا الحرب المقدسة ضد الفرنسيين مما تطلب من الفرنسيين ان يضغطوا على معاهديهم من اجل قبوله الموالاة .

وكان من كتبوا اليه الشيخ الطالب اخيار يعده ويمنيه حالة قبول الموالاة ويبين له عدم صواب موقفه خاصة بعد أن تخلت اسرة الشيخ ماء العينين بعد وفاته ووفات ابنائه عن الجهاد قائلا له بالحرف الواحد :

(ما تفعله ليس جهادا ما دام اهل الشيخ ماء العينين ليسوا معك) (١) .

ولم تلق هذه الدعوات قبولا من لدن الشيخ محمد المامون الذي بدا في بعث الرسائل الي الامراء حاثا لهم علي الجهاد ومتوعدا بالعقوبة الدنيوية والاخروية الوخيمة للذين يوالون الفرنسيين.

ونتيجة لما تقدم امام خطر الاحتلال الفرنسي والذي بدا في الجنوب في الترارزة والبراكنة وامتدت انظاره الي المناطق الشمالية من تكانت وادرار وامام هذا الموقف الذي اصبح يهدد بلادهم بداوا مقاومة شديدة للفرنسيين وكانت هذه المقاومة صورة معبرة عن كراهيتهم ورفضهم للمستعمر وقد تواصلت هذه المقاومة التي بذل فيها الاهالي كل نفيس وغال حتى عام ١٩٣٤م وبالرغم من تواضع وسائلهم فقد تمكنوا من تحقيق العديد من الانتصارات .

لقد تمكنت الطريقة القادرية من الانتشار علي كل التراب الموريتاني وخارج موريتانيا في الدول المحيطة بها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ولقد كان التوجه العام لهذه الطريقة القادرية هو المسالمة والقبول من الطرف الاخر (حسان) وذلك قبل ان تدخل البلاد بشكل فعلي تحت الهيمنة الفرنسية تلك الهيمنة التي ادت الي انقسام الطريقة القادرية علي نفسها نظرا لمعطيات عديدة سياسية وثقافية واقتصادية واجتماعية وجغرافية جعلها في الشمال تحمل السلاح وتدعوا الي الجهاد بينما في الجنوب اثرت تبني خطاب فقهي يجيز التعامل مع الفرنسيين ووجد هذا الخطاب الاخير قبولا واسعا من طرف انصار هذه الطريقة خصوصا في الحوض الموريتاني .

١ـ فاطمة بنت الإمام : مرجع سابق ، ص ٩ .

ثالثاً علاقة القادرية بالسلطات المحلية :

فى الحقيقة ليس هناك على مدار التاريخ دولاً وشعوباً لا تخلو من الإضطرابات أو التفاوت الإجتماعى ، وتعد موريتانيا واحدة من هذه المجتمعات ، لذا فإنه من الضرورى الرجوع نسبياً إلى تركيبة المجتمع الموريتانى والتى نستشف منها العلاقات الداخلية لتركيبة هذا المجتمع على مدار تاريخه مروراً بمرحلة الإستعمار والكفاح والنضال من أجل إثبات الحق والحرية .

يتسم المجتمع الموريتانى شأنه شأن أغلب المجتمعات الأفريقية بصفة القبلية ، والتى تمثل النمط الغالب على حياة سكانه ، وتوصف موريتانيا بأنها أرض المور أو البدو الرحل ، وهم ينتمون إلى البربر ثم جاء العرب الفاتحين لهذه البلاد وهم بنو حسان .(١)

ومن هنا ينقسم المجتمع الموريتانى إلى فرعين أساسيين هما، الفرع البربرى وهم سكان المنطقة الأصليين قبل مجىء العرب ، والفرع العربى ، الذين جاءوا للبلاد مع الفتح الإسلامى للمنطقة وإندمج الفرعان معاً ونتج عنهما البيظان الذين يمثلون غالبية الموريتانيين . وتتميز موريتانيا بالطبقية فى المجتمع ، ويرجع ذلك لأسباب عدة لعل أبرزها مجىء بنى حسان إلى المنطقة وحرب شربية (٢) ، التى وقعت فى منطقة القبلة ثم إهتمام بعض القبائل بأنشطة معينة من قبل مجىء بنى حسان للمنطقة .

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المجتمع الموريتانى إلى ثلاث طبقات أساسية وهى : -

حسان : ويتولون الناحية العسكرية .

الزوايا : ويتولون الناحية الثقافية والدينية .

اللحمة : ويتولون النواحى الإقتصادية من زراعة ورعى وغير ذلك من الأمور .

وحول التقسيم الطبقى للمجتمع الموريتانى يقول صاحب كتاب الوسيط :-

" سكان شنقيط من حيث الأصل والجنس ، قبائل من البربر كانت تقطن صحراء المغرب ثم دخلها العرب فى الفتوح الإسلامية فتغلبوا عليهم فساروا قسمين عرب وبربر ثم تجنسوا جنسين حسان وزوايا " .

وإنقسمت حسان إلى قسمين ، العرب واللحمة ، فصاروا بهذا الإعتبار سكان شنقيط ثلاثة أجناس فالأول كان يتوغل فى البلاد وينشر الإسلام وهم المجاهدون ، والثانى يشتغل بإحياء العلوم ، والثالث ، يشتغل بإصلاح الأموال وكان يدفع للمتعلمين الزكاة ويعطى الإعانة للمجاهدين ، فلقب الأول بحسان والثانى بالزوايا والثالث باللحمة (٣) .

---

١ – جمال زكريا قاسم و صلاح العقاد : موريتانيا ، دراسة مسحية ، ص ٤٦٧ .

٢ – حرب شربية وهى حرب بين المغافرة وبعض الزوايا ، إستمرت حوالى ثلاثون عاماً ، ويسميها البعض بحرب المغافرة والزوايا وشر تعنى الحرب وببه اسم شخص كان سببا فى قيام هذه الحرب.

٣-احمد الأمين : التوسيط فى معجم بلاد شنقيط ، القاهرة ، ص ٤٧٥ -٤٨.

إن ظهور المجتمع الموريتاني بتركيبته الثلاثية جاء وليد تفاعل منظومة من العوامل إمتدت على فترات تاريخية طويلة تبدأ بالعوامل الطبيعية في المجتمعات التقليدية وإنتهاء بالصراعات والحروب على إختلاف مقاصدها ووسائلها (١) .

وتعد قبائل حسان هي المسيطرة عسكرياً وسياسياً ، وقد إقتسموا البلاد إمارات وإحتكروا إسم العرب لأنفسهم ولا يسمي بهذه اللفظة غيرهم كالزوايا مثل الطبقة الوسطى منهم أنفسهم ٢) .

ولم تكن التركيبة الإجتماعية الموريتانية تقتصر على ثلاثية حسان والزوايا واللحمة السابقين فقط ، ولكن كان هناك فئة أخرى لم يعتمدها المؤرخون في تصنيفاتهم للمجتمع ، وذلك بسبب حضورهم في كافة الفئات وعدم وجودها في أحياء أو كيانات مستقلة إلا في فترات تاريخية لاحقة نسبياً وهم فئة الشرفاء ، التي حرمها تداخلها السكني مع الفئات الأخرى وعدم تمايزها الديني الوظيفي من التصنيف المؤسس الذي مر بنا ، ولقد كان لفئة الشرفاء مكانتها في المجتمع على قمة الهرم الإجتماعي وسمحت لها مكانتها هذه بالإنفتاح على جميع الفئات فالشريف يستطيع الزواج من أي فئة بل ويرتفع رصيد أصهاره بالزواج منهم وهذا ما إستغله الشرفاء الموريتانيون وإتضح ذلك من كثرة أنصارهم الذين يدعمونهم مادياً ٣) .

رأينا فيما سبق أن المجتمع الموريتاني ينقسم إلى عدة فئات تسيطر إحداهما سياسياً وعسكرياً ، والأخرى تسيطر ثقافياً وروحياً وهم الزوايا والثالثة اللحمة والتي لها الجوانب الإقتصادية ، وغير ذلك وتعتمد عليها الفئات الأخرى في توفير مستلزمات الحياة من مأكل ومشرب مقابل الحماية دنيوياً من جانب حسان ودينياً من جانب الزوايا (٤) .

من هنا كانت نظرة الزاوي للحساني نظرة لص وسفاك ولا مانع من سفك دمه لظلمه وكان الزاوي في نظر الحساني جبان متملق مملوك له .

وقد كان الزوايا منقسمين إلى قسمين :-

ا – زوايا الشمس تعبيراً عن حيويتهم وسطوتهم .

ب – زوايا الظل ويستظلون بغيرهم نظراً لضعفهم وخمولهم .

والعلاقة بين حسان والزوايا معقدة فالمحارب الذي يشعر بقوته المادية أمام رجل الزوايا والذي يمثل نموذجاً تقليدياًلرجل الدين الأعزل كثيراًما يشعر برهبة إذاء قوة الزاوي الروحية المتمثلة في سلاح الخوارق ، التي يمكن أن تتخذ في إنتقام إلهي عندما ينتقم لعبده الضعيف ، وقد تمكن الزوايا من إستخدام هذا السلاح الذي أثبت جدارتة في المعتقدات التقليدية للمجتمع (٥) .

وهذه العلاقة المعقدة بين حسان والزوايا أدت إلى حرب شربية المشهورة .

١- احمد الأمين : التوسيط في معجم بلاد شنقيط ، القاهرة ، ص ٤٧٥ -٤٨.

٢ – ٤-محمد فاضل : الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ، ص - ١٧ -٦١.

٣– محمد الأمين ولد السيد : السلطة والفقهاء ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

٥ – محمد فاضل : الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

حرب شربية:

إندلعت هذه الحرب فى منطقة القبلة وإستمرت ثلاثين عاماً على وجه التحديد مابين عامى ١٦٤٤ م – ١٦٧٤ م ، وقامت بين العرب والبربر وسببها الرئيسى محاولة الزوايا إزاحة العرب من حسان عن كاهلهم حيث كانوا يثقلونهم بالضرائب الباهظة، وربما تكون بسبب تأثير التواجد الحسانى وما سببه من مضايقات للزوايا ومن حالة نفسية مضطربة ، خاصة عندما أصبحوا عاجزين عن التصدى لحسان المتغلبين .

وقد تعود هذه الأسباب أيضاً إلى تراكم التناقضات داخل المجتمع الصنهاجى خلال فترة الإستقرار النسبى التى عرفت فيه القبائل الصنهاجية نمواً ديموغرافياً لم يعد يتناسب مع الموارد الشحيحة غير المتوفرة مما جعل التنافس على الموارد بين القبائل يشتد ، كذلك هناك إختلاف وخلاف بين الزوايا حول الموقف اللازم إتباعه تجاه السيطرة الحسانية التى قد تكون الأسباب لتلك الحرب (١) .

هذا إلى جانب السبب الدينى الذى رجحه بعض الباحثين ، وذلك نتيجة للسيطرة الفرنسية الإقتصادية وما تبعها من إقامة مراكز تجارية وترتب على ذلك ثورة دينية شملت بالإضافة إلى زوايا موريتانيا علماء وحكماء السنغال المسلمين .

لقد كان إرتباط الزوايا بالحسانية (المحاربين) أمر إقتضته صعوبة الحياة فى الصحراء وقوة المعارك التى خاضها المحاربون فهم الذيين يحمونهم ويدافعون عنهم ولهذا كثيرا ما ساندهم الزوايا وقدموا لهم العون المادى وأمدوهم بحاجتهم من الخيول والجمال وأمدوا أسرهم بالطعام والمأوى .

وقد حمل الزوايا فى قبائل عديدة السلاح إذا إقتضت الحاجة وغالباًما تحارب ببسالة هذا إلى ما لهم من دور تعليمى وعقائدى وثقافى ، وهم إلى جانب ذلك لهم دور سياسى هام لدى رؤسائهم من المحاربين وهذه الأدوار لم تكن ثابتة دائماً ، كما يبدو ذلك ، وعلى أية حال كانوا على درجة عالية من المهارة السياسية ويعرفون كيف يستخدمونها جيداً فى علاقاتهم مع القبائل الأخرى (٢) ، وحماية المحاربين للزوايا لاتعنى خضوعهم للمحاربين أو تبعيتهم لهم وإنما جاءت هذه الحماية من دورهم المنوط بهم فى حياتهم القبلية وهو حمل السلاح للدفاع عن أفراد القبائل المتحالفة ومصالحها لحماية القبائل المتحالفة ، بينما كان دور الزوايا هو نشر التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية .

فإذا كان المتحاربون هم رجال الحرب للمور فالزوايا عندهم رجال الدين والقضاء والعلم والثقافة .(٣) .

وعلى الرغم من التفوق الذى أحرزه بنى حسان فىأعقاب حرب شربية إلا أن درجة التنظيم والوضع الإقتصادى والإنقسامات القبلية لم تسمح بإقامة دولة موحدة ، فكل ما حدث هو تكوين بعض الإمارات على أساس قبلى فإنه ما كاد النصر يكتمل لبنى

---

١ - احمد حبيب الله : مرجع سابق ، ص ١١ .،

٢ -محمد المختار ولد السعد : الإمارات والمجال الأميرى البيظانى خلال القرنين ١٨ و ١٩ م ، إمارة الترارزة نموذجاً ، حوليات كلية الأداب والعلوم الإنسانية ، أنواكشوط ١٩٩٠ ،ص ٤١ .

٢- الخليل النحوى ، مرجع سابق ، ص ٣٣٣ .

حسان حتى تفرقوا إلى إمارات متنازعه ومع ذلك فقد أصبح هناك وضعاً سياسياً للقبائل أخذ طريقه إلى الإستقرار منذ القرن السابع عشر ففى ذلك الوقت قويت عملية الإمتزاج بين العرب والبربر فى الصحراء ولذا فان القرن السابع عشر يعتبر بحق عصر تكوين الإمارات الموريتانية .

ناصر الدين :

لقد إندلعت هذه الحرب فى منطقة القبلة التى وقعت قبائلها بأكملها فى فوضى شاملة نتيجة إنتقال السلطة من أولاد رزق ، الذين هم من أوائل القبائل الحسانية ، وقد حكموا منطقة القبلة والمناطق الواقعة شمالها إلى أن هزمهم المغافرة الذين هزموهم بقيادة لحمد بن دامان فى معركة أنتيتام(١) عام ١٦٣٠ م ، وكذلك نتيجة للثورة التى أشعلها ناصر الدين والتى وجهها ضد المغافرة ، وبدأ ناصر الدين(٢) نشاطه كداعية للإسلام بين القبائل الزنجية وعندما أحرز نجاحاً باهراً فى نشر الإسلام وإجتذب مجموعة من الزنوج ، بدأت القبائل العربية تشعر بالخطر يهدد مركزها خاصة وأنه أخذ يدعو إلى فرض الزكاة إلا أن دعوته لم تلق فى البداية نجاحاً بسبب معارضة وإنكار الفقهاء لدعوته وقد أقام ناصر الدين فورة مبايعته مجتمع تشمش(٣) النموزجى، وشرع فى تكوين الجهاز التنظيمى لمشروع دولته فعين القضاة والوزراء وجباة الضرائب كما قام بجمع ما إستطاع من السلاح وحث أتباعه على التدريب وإستخدام السلاح إستعداداً للمعركة .

دوافع الحرب :

لقد كان لهذه الحركة دوافع دينية وسياسية يستحيل الفصل بينهما ، وكذلك كان للحركة دوافع إقتصادية وإن كان له دور ثانوى جداً فى هذه الحركة .

أما عن الوسائل التى إعتمدت عليها الحركة فهى التعليم والوعظ والجهاد ، والتى إستخدمها ناصر الدين لتحقيق أهدافه المتمثلة فى إصلاح المجتمع تبعاً للنموذج الإسلامى الأول وتخليصه من الشوائب والعادات المخالفة والقضاء على الظلم الذى يعانى منه أبناؤه وصد الخطر الأوروبى الذى يداهمه .

١-موقعة انتيتام:حرب بين القبائل الحسانيه مع بعضهم بين أولاد رزق وأولاد مبارك وأولاد رزق هم أول القبائل الحسانيه التى دخلت موريتانيا ويسطو نفوذهم على سكان القبله حتى كسر أولاد مبارك من الترارزه شوكتهم برئاسة أحمد بن داحان المتوفى سنة ١٠٥٠هجريه.

٢-ناصر الدين:هو أبو بكر بن أبهم بن القغ،عالم من علماء أبناء ديمان وزعيما للحركه الاصلاحيه فى منطقة القبله فى النصف الثانى من القرن ١٧ والتى كانت تهدف قلب الاوضاع السياسيه والاجتماعيه والاقتصاديه على ضفتى نهر السنغال وكان تأثيره بالغا وقيل عنه أنه كان تقيا نقيا عفيفا مشاركا فى جميع الفنون ،واستطاع أن يجمع كلمة زوايا المنطقه حوله ،وأولاد رزق الذين أطاح بهم أولاد مبارك ،بعث برسائل الى الممالك السودانيه فلما لم يستجيبوا له بالحكام وولى غيرهم ثم اصطدم بالقبائل الحسانيه وكانت حرب شربيه التى استشهد فى احدى هذه المعارك وكانت وفاته خساره كبيره على الزوايا الذين فرض بنى حسان عليهم سلطانهم وسيطرتهم .

٣-تشمشه :معناها بالعربيه الخمسه وسبب تسميتهم تشمشه أنهم خمسة رجال أنجب كل واحد منهم خمسة أولاد عقبوا كلهم وتعاقدوا على أن يعيشوا فى منطقة الترارزه منذ القرن ٨ الهجرى ١٦ الميلادى وكانت لهم أدوار ثقافيه وسياسيه بارزه فى المنطقه .

وقد حظيت هذه الوسائل الثلاثة بكامل إهتمام مؤسس الحركة فقد كان يحض كثيرا على العلوم ويذم الجهل ويقول :

" من ركب منكم فرسه فليجعل لوحه بينه وبين سرجه فإن الجهل هو أقبح ما يأتى به المرء للأخرة " .

وقد إستخدم بعض أساليب أهل الطرق فى إنجاح دعوته الإصلاحية .

أسباب هزيمة الزوايا فى شرببة

لقد كان عدم إنضواء كل القبائل الزوايا فى بداية الحرب ، وكذلك إغتيال ناصر الدين ، بمثابة هزيمة سياسية للزوايا ، فقد قتل مساعدوه الثلاثة وقد برزت مشكلة سياسية تتعلق بمسألة الخلافه أدت إلى تخلى بعض الزوايا عن الحركة والإلتحاق بالمغافرة ، هذا فضلاًعن تخلى المجموعات التابعة للزوايا عن الحركة " أولاد رزق والسودان .....(١)

نتائج حرب شرببة :

. لقد كانت لهذه الحرب نتائجها فى شتى النواحى أهمها :

أولاً : الإقتصادية :

فقد أسفرت الحرب عن أزمة إقتصادية نتيجة لنهب وإبادة المواشى وإحراق المزارع ، مما أدى إلى مجاعة كبرى وفاقة حادة ، كما تعزز مركز سانت لويس .(٢) .

ثانياً : الإجتماعية :

لقد أخذت الأوضاع الإجتماعية شكلها النهائى من تشكيل طبقات المجتمع من حسان وزوايا ولحمة ، وثبت على هذا التقسيم الهرم الإجتماعى .

ثالثاً : الدينى :

أسفرت الحرب عن تعميق دينى لا بالرجوع إلى الأصول بل بالتشبث بالفروع التى توفرت بشكل نسبياً وإن أدى ذلك إلى الجمود وغلق باب الإجتهاد ، كما أدت الحرب إلى إشاعة روح التعاليم الدينية وتعميق عقدة الشعور بالذنب وغرس روح الجهاد فى المنطقة وفتح باب إفريقيا الغربية ، حيث ظلت هذه الروح متيقظة رغم الهزيمة (٣) .

رابعاً: الثقافى :

إضطر جيل الهزيمة من الزوايا إلى تجريد أنفسهم للعلم والتعليم ، بعد أن رجع فائض الإهتمام بالشؤن السياسية والعسكرية فتوجهوا شطر العلم وبدافع من الغيرة على الثقافة الإسلامية .فقد تمسكوا بها وبرعوا فيها ونشروها فى غرب افريقيا كما ازدهرت المخاطر التى كان لها دورها فى مقاومة الاستعمار عسكريا وثقافيا .

خامساً: السياسية :

لقد تطور المجتمع فى هذا الصراع إلى درجة من التنظيم شبه المركزى ، تتمثل فى بروز هيكل سياسى جديد كإطار تتم داخله الهيمنة السياسية فى القبائل الحسانية على العناصر الأخرى ، وهكذا تجسدت سيطرة بنى حسان فى منطقة القبلة فى بروز وحدات سياسية عرفت بالإمارات فظهرت إمارة الترارزة والبراكنة ، وغيرها...(٤) .

---

١ – ٢-٣ Mohamed El Mokhtar : Op . Cit , P. 170 -135-156.

٤ – محمد احمد حبيب الله : مرجع سابق ، ص ٩٤ .

علاقة القادرية بالقبائل والإمارات :

كانت الطريقة القادرية تخضع بجانبها الروحى والسياسى إلى الشيخ محمد فاضل دون منازع فى موريتانيا فى منطقة الحوض ، وبعد وفاته ١٨٦٧ م، ظل مريدوا الطريقة القادرية فى إزدياد مطرد ، وظل مجالها الجغرافى فى إتساع دون تحرشات كبيرة من القبائل والمجموعات المجاورة ثم تسربت من منطقة الحوض فى الشرق إلى الجنوب الغربى فى موريتانيا وإلى الشمال .

وتتمثل السلطات الزمنية فى موريتانيا فى القبائل وأمراء الإمارات (١).

علاقة القادرية بالقبائل :

أما عن صلة القادرية بالقبائل ، لقد أملت طبيعة نشاة الطريقة القادرية وبحثها عن الأنصار وحرصها على عدم خلق نزاعات مع مجموعات قبلية بعض أفرادها منطوون تحت لواء الطريقة القادرية ، وقد كان شيوخ القادرية يعملون على نسج علاقات قبلية رصينة تمكنهم من التموقع أولاً ثم الحماية (٢)

لقد كانت أغلب القبائل تربط صلتها بالقادرية عل أساس روحى إما لإحترامها للشرفاء والأسر الدينية أو لمبايعة قائدها لأحد شيوخ هذه الطريقة ، وسمت العلاقة بين بعض شيوخ القادرية وبعض القبائل إلى حد التآلف الروحى كما حدث مع قبيلة تكانت التى كان الشيخ محمد فاضل يشيد بعلاقته بها ويقول :

" إن لكل ولى أنصار وأنصارى تكانت " (٣) .

وخلاصة القول ، أن الشيخ محمد فاضل بمجهوده الخاص وبعلاقة أبنائه ومواقفهم الإجتماعية والروحية إستطاع أن يشكل حرماً أمناً يأوى إليه المفزوعون من أى مكان مما جعل قبائل الزوايا تؤمه لتحتمى به من بطش حسان وتجمع المصادر على أن أبناءه ومقدميه للمجموعات الأخرى كانوا يقومون بهذا العمل حتى أصبح هذا العمل عرفاً فى الطريقة أكسبها مهادنة أغلب القبائل ومع هذا لم تكن العلاقة القادرية بكافة القبائل ودية فقد كانت هناك بعض التحرشات التى لقيها الشيخ سعد أبيه من الجنوب الغربى الموريتانى فى إمارة الترارزة (٤) .

وغير ذلك من هذه التحرشات ، وعموماً سجل القادريون بحيازتهم النسب الشريف نقاطاً من السلم الهرمى الإجتماعى مكاناً عالياكان سبباً فى جذب الأنصار إليهم وجعل القبائل تنظر إليهم بعين الإجلال مما وفر لهم سلطة روحية .

١ـانظر الخريطه رقم (٥) بالملحق.

٢ ـ محمد فاضل : الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

٣ ـ تكانت إحدى قبائل الزوايا التى أجمعت بين السيف والقلم ، لها نفوذ إقتصادى وعلمى مهم وهى منتشرة فى مختلف أنحاء البلاد الموريتانية ، وخاصة منطقة العصابة

٤ ـ الداه ولد الشيخ سعد ابيه : جمع وتحقيق رسائل الشيخ سعد ابيه ، كلية الأداب ، جامعة أنواكشوط ١٩٩٠ ، ص ٢٣ .

علاقة الطريقة القادرية بالإمارات :

العلاقة مع إمارة الحوض :

كان القادريون موضع تقدير إمارة أولاد مبارك وسلاطينها وجاء بروز الطريقة القادرية فى الحوض متزامناً مع فترة تراجع إمارة أولاد مبارك ودخولها فى صراعات داخلية وخارجية أذنت بزوالها وبروز إمارة مشظوف الذين رغبوا فى ربط علاقات مبكرة مع الطريقة القادرية وبعد إنتصار أمير مشظوف احمد محمود ، عمل على التقرب من الشيخ محمد فاضل ، إذ كان يهدى إليهم ولم تشهد العلاقة بين الطريقة القادرية وإمارتى الحوض (مبارك ومشظوف) أى تأثر أو تحرش أحد الطرفين بالأخر خلافالما شهدته مع قبائل أخرى .

العلاقة مع إمارات الجنوب (الترارزة – البراكنة) :

إتسمت علاقة القادرية بإمارة البراكنة بالإحترام المتبادل والإعتراف الرسمى وهو ما تم تجسيده واقعياً بالإقبال على الشيخ محمد المأمون ابن الشيخ محمد فاضل ، وقد تعرض الشيخ سعد أبيه لبعض التحرشات والمضايقات فى منطقة الترارزة كما سبق ذكره ولا سيما بعض الزوايا الذين حاولوا وأد الطريقة القادرية عن طريق زرع الفتن بين الأمير الترارزى والشيخ سعد أبيه وذلك عندما بنى الشيخ سعد أبيه مسجده وداره فى منطقة فم أوتيل .

فأوعز الوشاة إلى الأمير بأن هدف هذا التقرى هو تأمين الفرنسيين وإمدادهم أثناء توغلهم فى المنطقة . وقد حصر الشيخ دوافعه فى ثلاث نقاط :-

١ – إعتبار أن الأرض هناك لا تصلح للحرث .
٢ – الموقع الإستراتيجى لهذه المنطقة على ملتقى الطرق التجارية والصحراوية .
٣ – لعل الله يقرى به ضيفاً أو جوعاناً .

لم تقنع هذه الدوافع الطرف الأخر وخاصة مع إزدياد هدايا الفرنسيين للشيخ سعد أبيه أكثر من هداياهم لغيره والذين نظروا إلى هذه الهبات الكثيرة على أنها مقابل خدمات أو معلومات سيقدمها للفرنسيين مساعدة منه لهم على التوغل والتغلب على خصومهم بالسياسة أو المدفع .

ولأن الفرنسيين مسخرون له من الله تعالى من غير حول لهم ولا قوة ،يقول :

(ثم أن الله تعالى لم يزل يسخر النصارى عاماً بعد عاماً وشهراً بعد شهراً)

وأن مودتهم له دون غيره إنما تعبير عن كثافة إيمانه مقارنة بالأخرين مستدلاً بالآية الكريمة :

(ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) المائدة آية ٨٤ .

وقد تطورت هذه الأحداث إلى حد عقد مناظرات بين الفقهاء والشيخ سعد أبيه إنتهت بإعتراف الفقهاء وبصواب مذهب الشيخ سعد أبيه ونزول الأمير سيد ولد أبيه محمد الحبيب على حكمهم ، وإعتذر الشيخ سعد أبيه وقد كانت تحرشات الأمير التروزى السابقة وتهديداته المنكرة تركت أثراً سلبياً فى نفس الشيخ سعد أبيه ، وأثرت على مواقفه منه . ولكن بموت الأمير فتحت صفحة أخرى من العلاقات بين الشيخ والأمراء التالين وحدوث تطورات إلى حد أن بعضهم كان يجلة ويهدى الية بنفائس ممتلكاتة مما جعل الشيخ يسعى لتحسين علاقته بالإمارات الأخرى من ناحية الشمال .

علاقة القادرية بإمارة أدرار :

بدأت هذه العلاقة منذ وجود الشيخ محمد فاضل ولد عبيدى فى المنطقة مستقلاً عن شيخه التقليدى عام ١٨٤٦ م ، وظل تأثيره يتنامى على الإمارة وعلى القرار الأميرى نفسه وحاول الشيخ سعد ابيه تدعيم دور الشيخ محمد فاضل ولد عبيدى ، ولقيت هذه المحاولة ترحيباً من أمراء أدرار ، والذين ظلت علاقتهم به تتدعم حتى كان الوسيط بينهم وبين السلطات الفرنسية ، وأشرف على توقيع معاهدةسلام بينهم(١).

وتوطدت علاقة أمراء أدرار بالطريقة القادرية مع ضغط التدخل الفرنسى وإتجاه المقاومة إلى الشمال رغبة إلى الشيخ ماء العينين الذى كان منذ قدومه الأول إلى أدرار عام ١٨٥٦ م ، وزيارته لإبن عمه محمد فاضل ولد محمد ، وقد لقى قبولاً من طرف السلطة الأميرية جعلت دوره فى الإمارة يزداد بشكل مطرد ، وقد تدعمت هذه العلاقة بين الإمارة والطريقة القادرية مع الدور الذى منحته السلطات المغربية للشيخ ماء العينين وما وفرت له من خطوات أكثر من نظرائه من الزعامات الدينية والسياسية (٢).

لقد دققت أساليب ممارسة الفئات السائدة فى المجتمع الموريتانى (بنى حسان) ، لسلطتها من المجموعات التابعة قاعدة تتطلع إلى البديل كما أن الفئات السائدة نفسها ، نظراً لصراعاتها الداخلية وإحتكار قسط محدد منها كعائدات السيادة جعل القسط الأخر يرغب فى أى مؤسسة جديدة قد توفر له السيادة المسلوبة . هذا التطلع إلى البديل كان العامل الخفى وراء تقبل الأهالى للطرق الصوفية وحضور مشايخها فى كافة الإمارات الموريتانية غير أن غالب هذه الطرق لم تفلح فى تقديم بديل ملموس لقاعدتها الطامحة إلى الأمثل .

ومن هنا ، تمكنت الطريقة القادرية من إختراق الوسط الحسانى مفككة التخصص التقليدى معلنة أن العبادة والعلم ليسا حكراً على فئة معينة لما أصبح الحسانى فيها يطمح إلى التمشيخ ،إذأن التلصص والإستغلال ليسا حرفة وظيفية تحدد موقعاً إجتماعياً بعينه ، ونجحت إلى حد ما فى تحليل سدى لحمة القبيلة والإطار بين الزاوى والحسانى وذلك بتجاوزهما فى إطار أوسع وأشمل حتى من الجنس والعرق .

١ـ الجواب المحتوم ـ مخطوط بالملحق

٢ـ محمد فاضل ـ الطريقة الفاضلية ـ مرجع سابق ص ١٩٨

ومـع هذا فقد عجزت الطريقة القادريـة عن خلق خطاب إجتماعى جديد يدعو إلى تغيير المؤسسـة الإجتماعية ولعل عدم بـروز هذا الخطـاب يـرجع إلـى إستفادة أفـراد القادريـة من مكاسب التراتبية التقليدية ، تلك التراتيبية التى أدخلت عليها الطريقة القادرية مرونة خاصـة فى مدونـة الأحوال الشخصية من خلال الإنفتاح فى الزواج من المريدين ومن خلال فرضها للمريدين مهما كانت إنتماءاتهم على تقديم الخلاف للشيخ بغض النظر عن مواقعهم الإجتماعية السـابقة كما نجحت فـى إرتباط مريديها بها أكثر من إرتباطهم بأطرهم التقليدية .

وهكذا إستطاعت الطريقة القادريـة أن تجد لنفسها مكانـة فى التاريخ الموريتانى تخرج بها عن التعميم الذى يربط التصوف تاريخياً بالسلبية والعجز عن ممارسة الفعل التاريخى فجعلت مـن نفسـها عـاملاً مؤثـراً فـيه حـيوية ثقافـية ودور سياسـى وحـركة إقتصادية وإن كانت بحجم غير كثيف .

رابعاً : علاقة الطريقة القادرية بالقوى الخارجية(فى افريقيا) :

لقد انتشر الوجود القادري في المجال الموريتاني والمغرب وفي دول افريقيا السوداء وحظي بمحاولات لتحديده كان اهمها ما ذهب اليه الفرنسى (بول ماري) (١) ،عندما قال :

(من الاطلسي الي البحر المتوسط وحتى تمبكتو الي جنوب المغرب فنهر غينيا الشعوب تحترم اسم الشيخ محمد فاضل ان لم يكن الكل يتبعه ولطريقته انتشار متسارع مع ابنائه في افريقيا الانجليزية والبرتغالية) ولقد استطاعت القدرات التي وفرها الشيخ محمد فاضل خاصة وشيوخ القادرية عامة لابنائهم واتباعهم أن تجتذب عددا من التيجانيين والشاذليين والناصريين الي طريقتهم حتى اصبحت الطريقة القادرية من اوسع الطرق الصوفية انتشارا داخل التراب الموريتاني وخارجه .

ولقد كان انتشارهم علي كل تراب السنغال :

في الشمال:

ولما بلغ الشيخ محمد فاضل (١٢٢٨هـ - ١٨١٩م) من العمر عشر سنين حفظ القرآن وقضي بعلمه القرآني بالسفر علي عادة اهل التصوف فسافر الي تشيت ثم الي شنقيط وبعد فترة استقل واصبح شخصية دينية في الشمال الموريتاني حيث اقام علاقات طيبة مع السلطات المحلية ومع سلاطين المغرب والتي سوف ينميها ويقويها الشيخ ماء العينيين بن الشيخ محمد فاضل .

---

١ ــ بول ماري ، هو أحد الإداريين الفرنسيين ، وهو من رواد المدرسة الفرنسية الإستعمارية ، شغل منصب رئيس مصلحة الشؤن الإسلامية بمستعمرة السنغال ، نشر ثلاثة كتب تتضمن نتائج عمله فى الإستخبارات بالمنطقة .

في الجنوب الغربي والشرقي :

لقد كان لوجود الشيخ سعد ابيه في منطقة الحوض الغربي الموريتاني فاعلية واثر ، فقد استطاع ان يغزو باوراده ومريديه منطقة السنغال ومن بين الشخصيات الاكثر حضورا والتي شكلت حاضرة مؤثرة تدين له بالولاء ابن اخيه الشيخ المحفوظ بن الشيخ الطالب الذي امره والده بالذهاب الي عمه الشيخ سعد ابيه فامتثل وخدم عمه عشرة أعوام وبعد ذالك رجع الي الحوض .

ويري ابنه محمد شمس الدين انه بعد تحرش (اهل الغيب) به في الحوض أمره والده بالتوجه الي بلاد السودان وبعد تطواف بين ارض موريتانيا ومالي والسنغال وناميبيا وغينيا كوناكري وغينيا بيساو وقفل ثانيا الي الشيخ سعد ابيه الذي اصدر اليه الامر بالرجوع حيث اراد رب العباد وهو ما حدده محمد شمس الدين بقوله (وهو حقيقة هذه الارض ، التي اصبحت بالنسبة له فيما بعد ارضا له يجب بناءه داعيا الي تاسيس دولتها وبناءها) .

كما لعب الشيخ المحفوظ دورا هاما في كل من ناميبيا الإنجليزية وغينيا البرتغالية وكانت له تاثيرات علي السود المسلمين والسودانيين المتعلقين بالتصوف .

علي الحدود مع مالي :

اما علي الحدود مع جمهورية مالي فقد تمكن الشيخ سيد الخير محمد فاضل من جمع كثير من الانصار مشكلا ظهيرا للطريقة استوجب من السلطات الفرنسية التعامل معه في بداية تغلغلها كممثل علي القادرية الفاضلية وقام هذا الشيخ بتقديم خدمات هامة الي كوبولاني خاصة في شمال تمبكتو كما استفاد كوبولاني من خدمات الشيخ سيد الامين في رحلة الي اروان عام ١٨٩٩م بوصفه وجيها روحيا له بالغ التاثير علي تلك المنطقة ومن اشهر اقطاب الطريقة القادرية والذي له دوره الظاهر في العلاقات القادرية الخارجية هو الشيخ ماء العينين الذي وثق صلاته مع سلاطين المغرب كما كانت له علاقات مع اسبانيا (١) .

فمن علاقاته بسلاطين المغرب والتي بدات عندما كان سنه الثامنة والعشرين وقد خرج لرحلة الحج ١٨٥٨م من الحوض فمر بشنقيط وبادرار الي اصويرة فمراكش ومن هنا سوف تبرز علاقاته الطيبة مع ملوك المغرب حيث ولي العهد سيد محمد بن عبد الرحمن فلاقاه واكرمه ثم في مكناس التي دخلها في شهر رمضان من نفس السنة فتلقاه مولاي عبد الرحمن ملك المغرب بكل إجلال.(٢)

---

١ – A.N.M. Serie E2 .dossiers 67 – 68 .

٢- محمد فاضل – الطريقة الفاضلية – مرجع سابق ص ١٦٤

ولم تنقطع الصلات والزيارات من الشيخ ماء العينيين الي مراكش فمن بين الزيارات التي زار فيها مراكش زيارته عام ١٣٠٤هـ حيث تلقاه الملك المغربي بالاجلال وحين جالسه الشيخ قال له (اني زرت جدك مولاي عبد الرحمن فجعلني ابنا له ثم زرت اباك بعد ذلك فجعلني اخا له) فقال له مولاي الحسن (وأنا أجعلك أبا) (١) .

لقد كانت علاقة الشيخ ماء العينيين بملوك المغرب طيبة شملت اكثر من مجال حتى ان مولاي الحسن جعله عام ١٨٨٤م ممثلا له في المخزن في الجنوب الصحراوي ومساعدا لا غنى عنه في تنسيق الاتصال بين المخزن وقبائل شنقيط وادرار كما كان يقوم بين الحين والاخر بزيارة لمراكش وفاس يلتقي فيها فيها بالسلطان ليقدم زكاة القبائل ويتزود بالمؤن والمال والسلاح في فترة الحرب ، وقد عمل الشيخ ماء العينيين علي تامين الطرق التجارية الموصلة بين المغرب والسنغال ولم تكن الروابط بين الشيخ ماء العينين وملوك المغرب مادية فحسب وانما كانت هناك وشائج روحية فقد كان رجال الدولة يتغربون ويسعون لاستقطاب خاطرة رجاء بركة دعواته حيث كانت الدولة تفرح بمقدمه.(٢) .

ولقد كان هدف الشيخ ماء العينيين من توجهه الي فاس هو انقاذالعاصمة وتحرير البلاد من قبضة الفرنسيين المتزايد وفك الحصار عن السلطان وكان رائد الشيخ في ذلك الإخلاص للبيعة الشرعية التي في عنقه لسلطان البلاد المولي عبد العزيز فلما طلب المولي عبد العزيز من الشيخ العودة واتخاذ الموقف الذي يراه مناسبا قال الشيخ :

(الحمد لله الذي كانت المبادرة منه ولم تكن مني ....)

وتعني هذه الكلمة من بين ما تعني ان فسخ البيعة جاء من السلطان نفسه ولم تكن منه وكان ذلك مما اتاح للشيخ مبايعة اخيه السلطان عبد الحفيظ الذي ارسل الي الشيخ يستقدمه الي مراكش لتزكية بيعة علمائها وسكانها . وهكذا بدات علاقة حميمة جديدة بين الشيخ والسلطان افضت إلى إجازة السلطان له فى التصرف في جميع كتبه واستعماله لما فيها وهو تقافي لم يسبقه اليه سلطان اخر مما يوحي بمنزلة كل منهما عند الأخر، هذه الحركة في العرش المغربي وموقف الشيخ منها كان مصدر عدة تفسيرات :

١- راي يفسر تصرفات الشيخ بمحض الاخلاص للعرش وينفي كل تهمة تتعارض وهذا المبدأ .
٢- راي يري ان الشيخ انقلب علي العرش وأعلن نفسه سلطاناً دافعه الي ذلك البحث عن حقوقه الشريفة تحفزه قاعدته البشرية المتنامية وقد تبني هذا الرأى الساسة الفرنسيون الذين فسروا كافة تصرفات الشيخ بالطمع السياسي والتخطيط للمستقبل الواعد رفاهيا.

١- الهيبة ولد سعد ابية الشيخ ماء العينين مرجع سابق ص ٢٢
١ - محمد فاضل : الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ، ص ١٩٩ .

٣- فريق اخر يري ان الشيخ ماء العينيين ادرك ان تغيير الحكم في المغرب من شانه ان يحرر المغرب ويحرر موريتانيا وان تخلي عبد الحفيظ عن المبادئ التي وصل بها إلى العرش ينادى بها كان كافيا لتنصيب الشيخ نفسه سلطانا واتجاهه الي فاس في يونيو ١٩١٠م التي كاد ان يدخلها لولا تدخل الفرنسيين الا ان موت الشيخ المفاجئ في اكتوبر من نفس السنة اعاقت نسبيا مسيرته لولا ان ابنه الشيخ احمد الهيبة قام بتجديد طموحات سلفه فاحتل سوس وواصل حتى احتل مراكش واسر القنصل الفرنسي بها عام ١٩١٢م وتابع مسيرته حتى توفى في ٢٣يونيو ١٩١٩م ، وابتداء من هذا التاريخ سيبدا التيار العام المعارض للتدخل الفرنسي في الذبول وستتراكم رسائل الموالاة للفرنسيين خاصة من ابناء الشيخ ماء العينين نفسه .

الا ان الضغط الفرنسي وتخلي العرش عن المواجهة مع الفرنسيين وبالتالي تخليه عن الفاضليين الذين ظلو متمسكين بموقفهم المجاهد كلها عوامل اثرت سلبيا علي امكانيات الفاضليين بصفة حرجة وللوقوف اكثر علي اسباب نشاط العلاقة بين العرش والفاضلية يطالعنا رايان اساسيان :

١- مناصري الشيخ وكتبه مناقبه لا يترددون في الاشادة بالعلاقة بين الشيخ والعرش واستطراد مراحلها والتنويه بالهدايا واساليب الاجلال التي كان الشيخ موضعا لها . كما لا يترددون في اعزاء هذه العلاقة الي ما حباه الله به من القبول في الأرض والنصرة والتمكين والتصرف الباطني .

٢- رأى مناهضى الشيخ خاصة من الفرنسيين الذين يحاولون بسط هيمنتهم علي الاراضي المغربية والموريتانية والذين شكل لهم الشيخ ماء العينيين مصدر ازعاج هؤلاء رأوا لاقبال السلاطين عليه سببا اخر راجع الي السياسة المغربية العامة في المدن البعيدة وعن المراكز خاصة في المناطق الصحراوية القاحلة .

وبناء علي هذه المناهضة ومبررات اخري لم يتردد هذا الفرع من الفاضلية في اتخاذ موقف للتعامل مع الفرنسيين فجاءت اول اتفاقية بين الشيخ سعد ابية و الفرنسيين توضح مجالات اهتمام كل واحد منهم ونقاط السيادة التي لا يقبل النيل منها :

١- ان يؤمن ~~الشيخ سعد ابيه~~ كل من وصل بلدا هو فيه من بني حسان ما دام لم يقع الحرب بينهم وبينه والهدف من هذا العنصر هو توفير الامان وهو الهدف نفسة الذي برر الكثير من الفقهاء تعاملهم مع الفرنسيين .

٢- لا يصد الفرنسيون أحداً عن الجهر بالذكر وقد علمنا مركزية الذكر عند هذه الطريقة .

٣-ألا يؤذى من في ارض الفرنسيين من تلاميذ الشيخ مما يوحي انه كان يصر علي احترام لطاره الروحي الفوق قبلى والفوق اماراتى كى يشعر الاخر بفاعليته .

وتطبيقا لهذه الاتفاقية اخلص الشيخ سعد ابية في القيام بما تمليه الاتفاقية :

فقام بالوساطة بين الفرنسيين وادرار لعقد اتفاقية هدنة بينهما، كما قام بإنقاذ المستكشف سولية(soleiller) ، ورفاقه بعد ما كانوا من الموت بمكان علي يد احد القبائل الموريتانية وفي نفس المسعي اطلق سراح فابير (faber) واستضافه فى مخيمه كما رافقه شخصيا مهندس الهيمنه الفرنسيه على موريتانيا وأرسل معه مرات عديده بعض أبنائه وقد حذا حذوه فى هذا الدور أخوة الشيخ سيد المين

---

١ – احمد بن الأمين : مرجع سابق ، ص ٣٦٦ .

والشيخ سيد الخير بن الشيخ محمد فاضل على التخوم المالية والمناطق الشرقية الموريتاني كما قام ابن أخيه الشيخ المحفوظ ولد ابيه بإنقاذ بعض الفرنسيين من السودان الذين كانوا ينوون قتلهم مستغلاً وزنه الكبير الذى حظى به خاصة فى دولتى مالى والسنغال ، وكذلك كاص ماصة وغينيا بيساو وجامبيا ، مما أثار حفيظة الوجود الإستعمارى فى هذه المناطق على أن تتوخى الحذر منه هذا عن علاقة الطريقة القادرية بالدول الأفريقية(١) .

علاقة القادرية بالقوي الخارجية الاوربية :

لعب الشيخ ماء العينين دورا حساسا مستفيدا من التغيرات السياسية الأوربية فمن هذه التغيرات الاتفاق الودي بين انجلترا وفرنسا ، ومؤتمر الجزيرة الذي كان له اثر علي الاوضاع في موريتانيا.

وقد كان الاتفاق الودي (٢) بين انجلترا وفرنسا قد وصل صداه الي الصحراء فتطلع الشيخ ماء العينين الي شعور الحسد الذي نشأ عند القوي الاوربية الاخري وخاصة المانيا واسبانا

وكان الشيخ ماء العينين يراقب بمرارة جهود فرنسا للإستقرار فى المغرب وما يترتب على ذلك ، ففى مراكش أصبح معرضاً لخطر فقدان نفوذه ، وفى موريتانيا كان وصول كوبولانى إلى أدرار معناه وصول نفوذ الشيخ سيديا باب إلى هذه البلاد ، وبعد مقتل كوبولاني عام ١٩٠٥م بدأ الشيخ ماء العينين يتحرك علانية حيث استطاع بمهارة ان يحتفظ بعلاقات طيبة مع السلطات الاسبانية التي اغمضت عيناها عن اعمال تهريب الاسلحة حيث لم يكن لديها وسيلة لمنعها . اما عن مؤتمر الجزيرة(٣) عام ١٩٠٦م والذي كان من قراراته التي طبقت : ضرورة استدعاء المغرب للمولي ادريس، ابن عم السلطان ونائبه في ادرار في موريتانيا بدعوي انه يعمل علي مهاجمة النفوذ الفرنسي في هذا الاقليم ايضا ضرورة توقف المخزن عن مد ماء العينين بالسلاح ، وكان الشيخ ماء العينين قد حضر إلى المغرب من موريتانيا وأخذ فى إثارة الأهالى للجهاد ضد الفرنسيين بعد أن شرح أخطاره على المغرب الجنوبى ، وطالب المغاربة بضرورة البذل والتضحية.

فكانت ردود فعل مؤتمر الجزيرة حركات العنف في الاوساط الوطنية وتشابكت الاحداث تماما في المغرب و موريتانيا مع اتساع حركة الشيخ ماء العينين التي اصبحت تهدف الي عاملين هما :

١- محمد فاضل – الطريقة الفاضلية مرجع سابق ص ٢٠٥

٢-الاتفاق الودى عقد بين انجلترا وفرنسا بعد حروب طويله عسكريه ودبلوماسيه دارت بينهما وكات مضمون هذا الاتفاق ان تطلق فرنسا يد انجلترا فى مصر على أن تطلق انجلترا يد فرنسا فى المغرب مع مراعاة مصالح البلدين فى مصر والمغرب

٣-دعت اليه المانيا لتقف ضد احتلال فرنسا للمغرب ولكن المانيا لم تستطع منع فرنسا من احتلال المغرب .

١- تخليص مراكش من الضغط الاجنبي من جهة .
٢- ايقاف التوغل الفرنسي في موريتانيا من جهة اخري .

وكانت اولي ردود الفعل في موريتانيا تفجر الحركات المعادية للزحف الفرنسي في صورة قتال عنيف تولي قيادته في مراحله الاولي مولاي إدريس العائد من المغرب كما كان من نتائج هذا المؤتمر تخلي المانيا عن المغرب واذا كانت معظم قرارات هذا المؤتمر تؤثر بصورة غير مباشرة علي الوضع في موريتانيا فان قرارات منع تهريب الاسلحة بالذات سيكون لها اثر مباشر عليه فقد كان من بين قرارات المؤتمر توزيع مسؤلية مكافحة تهريب الاسلحة بين فرنسا واسبانيا (١) .

وعن علاقات القادرية الخارجية بالاسبان فان الاسبان كانوا يدفعون مرتبا شهريا للاغدف شقيق الهيبة بن الشيخ ماء العينيين وقد جاء تقرير جاد ان(٢) حاكم الحكومة العامة بداكار في ١٩١٨/١٢/٢٩م ذكر القنصل الالماني برويستر (proobstor) أنه قد وعد اهل الشيخ ماء العينيين بمليون فرنك وقد اخذ الاسبان هذا المبلغ علي اساس انهم سبق ودفعوا منه ٤٠٠,٠٠٠ فرنك في المرتبات الشهرية المنوه عنها والباقي احتجزوه لانفسهم.

اما عن التغيرات السياسية الداخلية ففي اطار تغيير المواقع في السلطة المغربية في مراكش ووصول احمد بن موسى الي الوزارة الذي اكثر علي الشيخ ماء العينيين من الهبات والمساعدات الكثيرة ولكن هذه العلاقة قد اخذت بعدا حقيقيا في اطار الهدف المشترك من المحاولات الاوربية لاحتلال المنطقة فقد شعر الشيخ ماء العينيين بهذا الخطر الجديد في الوقت الذي لا يمكن ان يكون بدون رد فعل ولم تكن المبادرات الاسلامية كي تتحاشي الخطر لتستطيع ان تحدث بغباوة ولم تكن الروابط الجيدة من طرف الشيخ ماء العينيين والسلطة الشريفة بدون فوائد حيث توطدت مع مولاي الحسن في عام ١٨٩٠م ثم مع خليفته عبد العزيز مساعدا من وزيره الاول ابي احمد قد تمت باستقبالات كبري .

ولقد تعززت هذه العلاقة خصوصا تحت راية الطموحات السياسية اما من طرف الزاوية العينية او السلطة المغربية فالغزو هو الذي عمل علي تعزيزهاوهذا لا يعنى أنها كانت غير قائمة فهذه العلاقة شملت الكثير من المجالات وتعززت من كل طرف الي ان توفى الشيخ ماء العينيين عام ١٩١٠م واستمرت العلاقة المرسومة مع احفاده الي هذا اليوم.

---

١ – الهيبة ولد سعد ابيه : مرجع سابق ، ص ٢٤ .
٢-عين مفوضا لفرنسا فى موريتانيا سنة ١٩١٦ ولم يكن غريبا عن المنطقه فقد كان سنة ١٩٠٨ قائدا لدائرة الترارزه (سعد خليل ص ٥٠٠).

الفصل الثالث

الدور الثقافي للطريقة القادرية ودورها في المقاومة

أولاً : المحاظر في موريتانيا .

ثانياً: الصلة بين القادرية والمحاظر .

ثالثاً : النظام التعليمي الصوفي في مواجهة النظام التعليمي الفرنسي .

رابعاً : الشيخ ماء العينين ودوره في المجال الثقافي والروحي وأثره علي المقاومة .

لقد كان التعليم الاسلامي في موريتانيا نقطة لجتذاب لجميع مسلمي غرب افريقيا حيث تدهور التعليم العربي الاسلامي بشكل ملحوظ في جميع المستعمرات الفرنسية الاخري ولذا كان كثير من المسلمين في غرب افريقيا يغدون الي شنقيط وبو تليميت التي برزت كمراكز للثقافة الاسلامية العربية لتلقي العلوم فيها (١) ، وكان الزوايا هم رواد الثقافة في موريتانيا يعيشون قبيل قدوم الاستعمار في تيارات تقتسم الشعور العام حول الوضعية للبلاد (٢)

ولم يقدر مجتمع من المجتمعات الثقافة في ظل الدولة وفي غيابها كما كان الشناقطة يقدرونها فلقد كان العلم لهم وطنا ونسبا وحسبا لا بالعرق ولابالسلالة فبلورت بنية المجتمع الشنقيطي ونسجت خيوطه فشعر الهاشميون والاميون والصنهاجيون والفوتيون وقد اخذوا الكتاب بقوة واووا من المعرفة الي ركن شديد حيث كانوا اولاد ام حنون تؤلف بينهم الثقافة هذا وقد شهدت بلاد شنقيط منذ القرن العاشر الهجري نهضة ثقافية شاملة وانتشرت المحاظر بوصفها الركيزة الاساسية لمنبع هذه الثقافة ومغذية لهذا التراث الثقافي الزاخر (٣) .

وقد دخلت عدة طرق صوفية بلاد شنقيط والتحم الصوفية بالعلم في رحاب المحاظر وكانت الزوايا الصوفية التي في البلاد سندا للمحاظر في تدريس علوم القرآن والحديث والفقه المالكي اصولا وقواعد ومن ابرز الطرق الصوفية التي استقطبت الناس في موريتانيا الطريقة القادرية والطريقة التيجانية وغيرهما من الطرق الصوفية الاقل انتشارا واستقطابا للاتباع .

وعندما بدا الاوربيون الزحف الاستعماري الكاسح علي المعمورة كانت ركيزتهم الاساسية لهذا الاكتساح هو ثقافتهم التى حاولوا بها تبديد ومسخ ثقافات الشعوب الاولي وكان الطريق امامهم سالكا في كثير من الاحوال وخاصة في بلاد افريقيا السوداء ذات التكوين الثقافي الضحل والشعور الوطني الخافت عكس الموريتانيين

---

١ ــ نصر السيد نصر : مرجع سابق ، ص ٥٢ .

٢ ـ الهيبة ولد سعد أبيه : مرجع سابق ، ص ١٢ .

٣ـ فاطمة بنت الامام ــ المقاومة الموريتانية ــ مرجع سابق ص ١ .

الذين شهدوا خبراء ومخططوا الاستعمار انفسهم انهم كانوا الصوت النشاز الصارخ في جدران البنيان الاستعمارى (١) .

وكاد يجمع المؤرخون علي ان الاستعمار الفرنسي كان متميزا بطابعه الثقافي وكان اهتمامه بالانماط الثقافية والحضارية للشعوب التي يخطط لغزوها وقد كان للمحاظر دور اساسي في مقاومة الاستعمار و رفضه لدرجة التغيب الكلي لاي خيار غير الرفض والمقاومة ، وتحصين المجتمع ضد الثقافة الاستعمارية ولئن انقسم علماء موريتانيا في المقاومة المسلحة فقد اوجبها البعض وعمل بها ولم يوجبها البعض ولم يعملوا به الاانهم اتفقوا علي رفض هذا الغازي ثقافيا فلم تستميلهم اغراءاته ولم يكن ضعفهم المادي وتفوقه العسكري عليهم بل ووقوعهم تحت السيطرة يمانع من لفظه شكلاً ومضموناً ومحاربته فكراوسلوكاً واستهجانه عقيدة وأخلاقاوبتعالى عليه إلى حد الإستقذار (٢) .

واذا كانت المقاومة المسلحة لم تفلح في صد المستعمر عن احتلال موريتانيا فان المقاومة الثقافية افلحت في صده الي حد كبير فشكلت بذلك اده صمود امام المسخ الثقافي والحضاري المصاحب للاستعمار.

لقد إمتدت فترة الإستعمار الفرنسى المباشر لموريتانيا حتى سنة ١٩٦٠ ، حاول المستعمر خلال هذه الفترة أن يعمق جذور حضارته كعادته في البلاد التى إحتلها لكنه وجد هذه الأرض التى قصدها قد تعمقت فيها جذور الحضارة الإسلامية .

---

١ – الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ٧٠ .

٢ – عثمان ولد الشيخ ابو المعالى : الفكر الأصولى عند علماء شنقيط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا فى الفقه وأصوله ، كلية الأداب ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٩٨ ، ص ص ٩٨ – ٩٩ .

٣- فاطمة بنت الامام – المقاومة الموريتانية – مرجع سابق ص ٢٧ .

ان فرنسا لم تتغلغل في البلاد الا بصعوبة شديدة ولم توفق في نشر لغتها في البلاد مثل جارتها السنغال وغرب افريقيا كله حيث يمكن القول بان هذه المنطقة كانت اقل مناطق غرب افريقيا تاثرا بالثقافة الفرنسية رغم محاولاتها فرض التعليم الفرنسي علي السكان بشتي الطرق ولكنهم تمسكوا بالتعليم بالمحاظر وظهرت معارضة واضحة من جانب السكان الذين راو في المدارس الفرنسية تهديدا خطيرا لشخصيتهم العربية الاسلامية ، وان المقاومة الثقافية التي قام بها العلماء والتى أشرنا إليها من قبل كان لها تاثيرا قوي في تحصين الجسم الموريتاني ضد الغرباء ولغتهم وحضارتهم (١) .

---

١ - عثمان ولد الشيخ ابو المعالى : مرجع سابق ، ص ٩٩ .

أولا :المحاظر في موريتانيا:

تعد المحاظر الموريتانية مؤسسات للتعليم الاسلامي في الجمهورية الاسلامية الموريتانية تمتد جذورها التاريخية إلي نحو الف عام ، وقد مرت هذه المحاظر بظروف حرجة في تاريخها الطويل ولا سيما في الفترة ما بين الغزو الفرنسى لموريتانيا عام ١٩٠٣ واستقلالها عام ١٩٦٠ ، وما واكب ذلك من قيام الغزاة المستعمرين من محاولات شتي لفرنسه الموريتانيين وبلادهم ، تارة بالترغيب وتارة بالترهيب ، واضطرار علماء المحاظر إلي اعلان الجهاد للذود عن عقيدتهم ودفاعا عن لغة الكتاب المستبين ، وهما معا يشكلان قوام كيانهم وجوهر شخصيتهم .

ونظام التعليم الحديث الذي أنشأة الفرنسيون ابان حكمهم للبلاد لتخريج اعداد من الموظفين ليستعينوا بهم في إدارة حكمهم البلاد ، والذي شهد تطورا كبيرا من ناحيتي الكم والكيف في عهد الاستقلال ، وهو في الجوهر ، نظام مختلط ، ويهتم أساسا بالعلوم النظرية والتطبيقية واللغة الفرنسية كلغة أجنبية أساسية يمثل من وجهة نظر طائفة من المنظرين والمخططين أكثر تلبية لخطط التنمية الاقتصادية للدولة كما يمثل تحديا كبيرا لنظام المحاضر الذي يعمل الشكاك ولا سيما المتغربون أو المتفرجون منهم علي الاقلال من شأنه كقوة سياسية واجتماعية واقتصادية في تقدم البلاد ودعم خططها التنموية هذا بالاضافة إلي ما ترتب علي زحف الجفاف واتساع رقعته في البلاد عاما بعد عام ولا سيما في السنوات الأخيرة من اضطرار كثير من المحاظر إلي أن تهجر مواطنها الاولي في ذري الصحاري أو تقليص اعدادها بشكل ملحوظ (١).

ولقداستهدف هذا الفصل أن تتبع نشأة المحاظر الموريتانية وتطورها وما جابهت من تحديات مع التوكيد علي الاستعمار الفرنسي وصراعها المرير معه واعلانها الجهاد عليه وحصول البلاد علي استقلالها ، وما تركه ذلك كله من آثار تربوية في المجتمع الموريتاني .

---

١ – محمد الصوفي – المحاظر ص ٤.

وتحيقا للهدف المذكور فقد وضع ذلك الهدف في صورة تساؤلات كالآتي :-

١) ما الظروف التي أدت إلي نشأة المحاظر الموريتانية وكيف تطورت تاريخيا ؟٠

٢) كيف نقارن المحاظر الموريتانية بمؤسسات التعليم الاسلامي في بقية البلدان الاسلامية ؟

٣) ماذا كان موقف المحاظر الموريتانية من الاستعمار الفرنسي وما نتائجة ؟

٤) ما الآثار التربوية للمحاظر في المجتمع الموريتاني ؟٠

٥) ما التحديات التي تواجه المحاظر الموريتانية حاليا وما النتائج لذلك التحدي ؟

ولقد اعتمدت الدراسة في بعض منها علي منهج البحث التاريخي ، من حيث تتبعها لنشأة المحاظر وتطورها وتحليلها الكمي والكيفي لمصادر المعلومات ٠

<u>تعريف المحظرة :</u>

اشتق هذا الاسم من مكان إلقاء المحاضرة وجاء في تاج العروس : ويقال للمقيمين علي الماء حاضر وجمعة حضور وهو ضد المسافر وكذلك يقال للمقيم شاهد وحاضر وفلان حاضر بموقع كذا أي يقيم به ، ويقال علي الماء حاضر ، وهؤلاء حضار إذا حضروا المياه ومحاظر ، قال لبيد :

فالواديان وكل مغني منهم وعلي المياة محاضر وخيام(١)

وقيل انها مشتقة من الحظيرة (الزريبة) وهي ما يحظر به علي المال من شجر وغيره (٢) .

ورود فـي لسان العرب : المحضر عند العرب المرجع إلي اعداد المياة والمنتج : الذاهب في طلب الكلأ ، وكل منتج مبدي وجمع المبدي مباد وهو البدو والبادية أيضا : الذين يتباعدون عن أعداد المياة ذاهبين في النجع إلي مساقط الغيث ومنابت الكلأ والحاضرون الذين يرجعون إلي المحاضر في القيظ وينزلون علي الماء ولا يفارقونة إلي أن يقع ربيع بالأرض يملأ الغدران فينتجعونه (٣) ، أما المحاظر اصطلاحا : فهي مؤسسة تعليمية عالية يقودها عالم في فن واحد أو عدة فنون يسهر عليها وعلى طلابها اخلاقيا وادبيا وماديا حسبة منه لوجه الله تعالي

ومن حيث المقارنة بالمؤسسات التعليمية الحديثة فان المحظرة هي مدرسة بمستوي المرحلة الثانوية أو العالية في الأوساط البدوية الموريتانية ٠

والمحاظر تتكون من ثلاث أصناف :

---

١ - مرتضي الزبيدي : تاج العروس المجلد ٣ ، بيروت ١٣٨٦هـ ص ١٤٨.

٢ - حيمد بن محمد علي : مرجع سابق ،ص ٢٠ .

٣- ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الاول ، القاهرة عام ١٩٨٠ ، ص ٣٧ .

الصنف الأول :

المحاظر القرآنية ومهمتها تحفيظ القرآن الكريم للأطفال وتنتهي بأجازة متصلة السند.

الصنف الثاني :

المحاضــر بمعناها الحقيقي وتتكون في العادة من العالم الأستاذ الذي يكون قد وقــف نشــاطة علــي الــتدريس وحولة يلتفت الطلبة الذين يدرسون علوم القرآن والحديــث والفقــة والــنحو والمنطق ٠٠٠ ويبدأ الانتساب إلي هذا النوع من سن التكلــيف ولغايــة سن الأربعين ، وبعد هذه الفترة علي طول خمسة وعشرين عاما يصبح الطالب عالما أو شيخ محضرة ٠

الصنف الثالث :

المحاظــر الأسرية حيث لا يوجد حي من قبائل الزوايا إلا ويوجد من انتصب للــتدريس وحــتى في قبائل حسان فلا بد من " المرابط " للتدريس وهناك محاظر للنساء من هذا النوع تلتحق بها الفتيات بعد أن يكن ناهزن سن البلوغ٠

وبالنســبة للــنوع الأول فإنــه وجــد منذ بداية الإسلام وأصبحت له مدارس متخصصــة مــثل الكتاب الذي شاع في الأقطار الإسلامية الأخرى ٠ وفي العادة تتولــي النســاء التعليم في هذه المرحلة للبنين والبنات ما دامت أعمارهم قبل سبع ســنين ، وبعد هذه السن يدفع البنون إلي الرجال والبنات إلي النساء ٠ وعادة تكون مساكن المحضرة عبارة عن مجموعة من الخيام والعرش يسكنها طلاب جاءوا من جهات مختلفة .

والمحاظر إما أن تكون في البوادي أو المدن ، ومحاضر البوادي أكثر شيوعا مــن محاظــر المــدن ، وكلاهمــا معترف به رسميا ومسجل لدي وزارة الشئون الإسلامية التي أنشئت أساسا لهذا الغرض ٠

وكانــت المحاظــر عند بداية دخول الاستعمار الفرنسي البلاد سنة ١٩٠٥ م ثمانمائة محظرة خمسة وأربعون منها علي مستوي أكبر الجامعات الإسلامية وتمثل مؤسسة تفردت بها موريتانيا استطاعت أن تجد وحدة الفكر واللغة والدين بين أفراد الشعب الموريتاني الذي يتكون من أجناس مختلفة (١) .

ومــن حيــث الاصطلاح هناك جملة تعريفات منها ان المحظرة هي المدرسة الاولي التي عرفتها موريتانيا والتي تعود البذرة الاولي لها الي دولة المرابطين في

---

١ – محمد الصوفي محمد الامين : مرجع سابق ، ص ٢٦ .

بدايـــة القرن الحادي عشر الميلادي لقد اطلق لفظ المحظرة علي كل جهاز تعليمي يشمل لوازم المدرسة بحيث لا تخرج من نطاق اللغة العربية والدين الاسلامى(١).

ولا زال هـــناك خلاف حول اشتقاق الكلمة ، هل هي مشتقة من الحضور أو الحضـــرة ، أو هـــو اسم مكان لمجموعة من الحظائر يحيط بها الطلاب مساكنهم ، وهـــي اســـم مكان من الحظر الذي هو التجريم ، إذ يحظر أن يؤتيي في مساحتها تصـــرف يحظرة الشرع • وأن الظاء فيها أصلية وتكون مشتقة من محل الحظائر لان الطلاب يحيطون مساكنهم بحظائر تحفظها •وسبب نطقها بالظاء هو أن اللهجة الحســانية تبدل الضاد ظاء •وقد عرفتها وزارة الشئون الإسلامية بالظاء التعريف• التالـــي (المحظـــرة) هي المؤسسة التي جعلت مشعل الحضارة الاسلامية والثقافة العربية منذ تسعة قرون ونيف ، وما زالت تتابع رسالتها •

وعلي كل حال فان المحاظر في عرف الموريتانيين تطلق علي أية قرية أو حـــي مـــن الأحياء البدوية يقدم فيه أحد الرجال المشهورين بالعلم أو بحفظ القرآن اســـتعدادة لتعليم العلم أو لتحفيظ القرآن لا فرق في ذلك بين الأحياء البدوية المتنقلة علـــي مدار السنة أو تلك التي تنتقل ببطء بين بئر وبئر والتي تقيم في الأرياف أو القري •

ونستنتج من التعريفات السابقة أن المحضرة أما مشتقة من القاء المحاضرة أو الحظيرة التي تحيط بها ، وأنها عبارة عن وجود شخص مؤهل نصب نفسه لتدريس العلم ابتغاء وجه الله • أما الباحث فيري ان اسم المحضرة مرادف كلمة المدرسة ، والدليل علي ذلك أن الشعراء الموريتانيين يعبرون عن المحضرة بالمدرسة •

نشأة المحاظر :

جـــاءت المحظـــرة كفكـــرة الي موريتانيا مع بداية الفتح الاسلامي الذي كان بقيادة حبيب بن عقبة بن نافع الفهرى وابنه عبد الرحمن وذلك حوالي عام ١١٦هـــ الا ان الـــبداية الفعلية للتعليم المحظري يعود فضله في ذلك إلى دولة المرابطين في منتصـــف القرن الخامس الهجري حيث مثلت محظرة عبد الله بن ياسين(٢) الرباط الروحي للزعامة السياسية وحافظت علي مكاسب الفتح الاسلامي في المنطقة الا ان الإزدهـــار الحقيقـــي سيكون في القرن التاسع عشر (٣) ، ولعل الصلة القوية بين نشـــوء المحظـــرة ودولـــة المرابطين يظهر من خلال تسمية شيخها بالمرابط حتي اليوم.

والمحظـــرة مؤسسة من مؤسسات التربية العربية الاسلامية الاصيلة تحمل بعـــض خصـــائص وســـمات الـــنظام التربوي الذى نشأ في احضان مدن الثغور وحواضر الخلافة والثقافة ولكنها تتميز بسمات هي فيها أبين وأبرز أو هى خالصة لها دون غيرها من المؤسسات التربوية العتيقة .

١–حميد بن محمد على :مرجع سابق ،ص٢٣.

٢– لمـــزيد مـــن التفاصـــيل عن عبد الله بن ياسين ودوره ، أنظر ، عبد الله عبد الـــرازق : عـــبد الله بـــن ياسين ودوره فى نشر الإسلام فى غرب أفريقيا ، إتحاد المؤرخين العرب ، نوفمبر٢٠٠٢ .

٣–فاطمة بنت الامام – مرجع سابق ص ٤١

وتسـمي بـالمدارس القرانية والتي انتشرت في البلاد آنذاك والتي تختص بتعليـم القـرآن الكريم وخاصة في مدينة (أودغست) الموريتانية مع نهاية القرن الثاني للهجرة ٠وأقدم من أرخ للتعليم في " أودغست " وغانة البكري الذي حدد لنا بالضـبط تلـك الفـترة بقولة " وفي سنة ست وأربعين وأربعمائة غزا عبد الله ابن ياسـين أودغست ٠٠٠ إلي أن قال : " وبها جامع ومساجد كثيرة آهلة في جميعها المعلمون للقرآن ٠

والمحاظـر أول مـا عرفـت في القرن السادس الهجري ، بينما المدارس القرآنية جاءت إلي البلاد الموريتانية مع الفتح الاسلامي وتعود نشأة المحاظر ،إلي المحظـرة الأم ،التـي أسسها عبد الله ابن ياسين والتي كانت نواة الدولة المرابطة والشيء الفريد هو نشأتها في البادية ثم انتقلت إلي المدن ٠

وفى العصابة كانت محاضر لمتونة وفي القبلة محاضر الصفراء والكحلاء ولـداب لحسن " وايدا وعلي " وتشمش " وفي ضفة النهر كانت محاضر " سليمان بال " والمامي لي ولي عبد القادر كن الذين قاموا بنهضة علمية ٠

وهكـذا نلاحـظ أن المحاضـر ما عرفت بهذا الاسم الا في القرن السادس الهجـري وأن كانـت النشـأة تعود إلي نهاية القرن الخامس ويمكن تحديد الزمان والمكان لهذه النشأة وذلك كالتالي : -

١- محظـرة عبد الله بن ياسين الأم وتأسست سنة ٤٥١هـ في مكان يسمي " تيدرة " قرب العاصمة الموريتانية انواكشوط .
٢- محظرة الامام الحضرمي بازوكي قرب مدينة اطار ، وتأسست سنة ٤٨٩ هـ ٠
٣- محظرة تشيت : أسسها الشريف الإدريسي عبد المؤمن في تشيب سنة ٤٣٦هـ.
٤- محظرة ودان أسسها الحاج عثمان جد قبيلة ايدو لحاج سنة ٥٤٤ هـ.
٥ - محظرة آيل كن المتوفي سنة ٦٦٣ هـ "في تند كسم " .
٥- محظرة شنقيط التي تأسست سنة ٦٦٠ هـ ٠
٦- محظرة ولاتة تأسست في القرن الثامن الهجري علي يد يحيي الكامل جد لمحاجيب

ثـم بعد هذه التواريخ بدأت المحاضر تنتشر في طول البلاد وعرضها منتقلة من البادية إلـي المديـنة مـن أجـل الاستقرار حتى قيل أن العلم والثقافة حضريان ، ولكن المحاظر أثبتت عكس هذه القضية حيث نشأت أساسا في البادية (١)

أهداف المحاظر :

بعـد عبد الله بن ياسين وقدوم العلماء المدرسين أمثال الإمام الحضرمي والحـاج عـثمان وتكوين المجتمع الاسلامي الجديد ، كان لابد أن تبرز المحضرة التـي تلائـم طبيعة الصحراء بغية ترسيخ العقيدة والتمكين لها ونشر الإسلام بين الطوائـف والشعوب التي لم يبلغها بعد ٠ وكذلك ترسيخة في المسلمين الجدد نظرا لـبعدهم عـن مراكز التوجية الاسلامي ، وقد وصل رجال المحاضر إلي مختلف شـعوب القـارة الافريقية داعين إلي الاسلام ، مما جعل هذه الشعوب تتحصن من الذوبان في ثقافة المستعمر.

---

١ - محمد الصوفى : مرجع سابق ، ص ٣٥ .

وقامـت المحظـرة بجهود خارقة في هذا المجال حيث دخل رجالها الأدغال الإفريقـية مبشـرين بالأسـلام وحامليين مشعل الحضارة الاسلامية · كما وصل رجالها إلي آسيا ، أما أهدافها اليوم فهي تهدف الى تكوين شباب قادر علي النهوض بالوطن في إطار ديني ، وعلي المحظرة أن تعلم الشباب طريقة العيش في ظروف الحياة الجديدة ، وأن تكون جيلا محافظا علي الاسلام ومواكبا للعلم والتطور .

وأهم أهداف المحظرة :

هـو طبع القيم الاسلامية والأخلاقية بصفة نهائية غير قابلة للإزالة في أذهان الشباب ، وتكوين الأجيال وإعدادهم ثقافياً وروحياً للمستقبل ، ونشر الإسلام في كل الطـبقات الشعبية وصون التراث الأصلي، ومن أجل التربيةلان التربية والجهاد لا يفترقان (١)

كما تعلم الطالب كيف يعيش في المستقبل ، وكيف يتعامل مع مجتمعة ، وكيف يواجـه الحـياة · وبالتالي فإن هدف المحظرة هو هدف المرابطين وهو التعليم ثم الإصلاح ثم الرباط لتربية جيل قادر علي حمل الدعوة ثم الجهاد ثم الإلتزام بالتعاليم الاسلامية ·

وهذا ما جعل المحاظر تقض مضاجع الاستعمار الصليبي في كل مكان .

تطور المحاظر عبر التاريخ (٢) :

قـبل الدخـول في مراحل التطور لابد من الإشارة إلي بعض العوامل التى ساهمت في تطور المحاضر ومن أهمها : نشأة المدن الثقافيية والعلمية وهى :

١- **شنقيط** : وهي المدينة التي سميت بها البلاد وقد بنيت سنة ٦٦٠ هـ وكان بهـا احد عشر مسجدا ومعناها عيون الخيل بالبربرية (٣) ، وعاش في هذه المدينة كثـير من العلماء مثل الشيخ بن حمني وسيد بن اسيدات الذي كان له تسعه مجالس دراسـية فـي الـيوم الواحد ومنها اتجة دعاة الإسلام إلي الجنوب والشرق وكان الحجاج يتجمعون فيها وينطلقون منها سنويا ·

٢- **ولاته** : وتأسست في القرن السابع الهجري علي يد الفقية يحيي الكامل ·

٣- **تشـيت** : وقد أسسها الشريف عبد المؤمن بن صالح جد شرفاء تشيت سنة ٥٤٤هـ.٣

٤- **ودان** : وقـد أسسها " ايد ولحاج " سنة ٥٣٥ هـ وتذكر المصادر أنه كان يمكن حصر أربعين دارا متتالية في هذه المدينة يوجد في كل منهما محظرة(٤) ·

١- سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٤٧١.

٢-انظر الخريطه رقم (٦) بالملحق.

٣-احمد بن الامين :مرجع سابق ،ص٤٢٢.

٤ - محمـد عـبد الفـتاح ابراهيم : أفريقيا من السنغال إلى نهر جوبا ، القاهرة ١٩٦١ ،ص ١٠٤ .

علاقة المحاظر بالمعاهد الدينية الأخري :

لقد كانت مدينتا جنة وتنبكتو " مراكز دينية وعلمية من أهم مراكز إشعاع الحضارة الاسلامية ، وأصبحت " تنبكتو " مع بداية القرن الثاني عشر مركزا للدراسات الاسلامية يؤمها الطلاب للتفقه في الدين ، وكانت مدينة " ولاتة " تمدها بالعلماء(١) أما علاقة المحاظر بالأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين فقد كانت قوية في الوقت الذي نجد فيه المحاظر تتحدي هذه الجامعات ، فالشيخ محمد المامي نظم مختصر خليل في عشرة آلاف بيت وقال بأن المصريين والتونسين يقصد الأزهر والزيتونة لا يستطيعون مثل هذا الإنجاز وكان التحدي لجامع القرويين أكثر بكثير من ذلك حسب قول العلامة محمد عثمان بن اغشممت المجلسي .

لقد كان العلماء الموريتانيون يمرون بهذه الجوامع وهم في طريقهم إلي الحج عادة وقل من درس منهم فيها ومن الذين تعلموا فيها العلامة المجاهد محمد الأمين ادارمي الذي درس فى تونس ست سنوات. كما مر بتونس محمد يحي الولاتي في طريقة إلي الحج وجرت بينه وبيين علمائها مشاحنات حول إثبات رؤية الهلال بالتلغراف، " وضمن له بعض أغنيائهم مؤنتة ما دام حيا أن سكن المدينة المنورة ليعمرها بعلمه الجم (٢) .

وبالنسبة للأزهر فقد مر به كثير من العلماء في طريقهم إلي الحج وناظروا علماءه وأظهروا تفوقهم عليهم مثل عالم الرياضيات والفقية زين العابدين بن الفغ الأمين الذي التقي بعلي الأجهوري وراجعة في بعض المسائل . وراجع الحاج احسن بن آغبد العلامة الخرشي شارح خليل في أربعين مسألة ، وكذلك تلميذة الشريف حماه الله فقد راجع هو الأخر الخرشي في أربعين مسألة .

وبالنسبة لعلاقة المحاظر مع جامع القرويين فهي صلة قوية وقد أخرتها لأهميتها ، حيث كانت علاقة متبادلة فقل أن يحج عالم إلا وإنتهز الفرصة ومر بفاس حتى أصبح المثل الشعبي شاسعا وهو " لكري في الرأس ماه افاس ولاه في مكناس " يعني أن من أراد القرآة فسيتعلم ولو لم يذهب إلي فاس او مكناس .

وهكذا كانت العلاقة بين المحاظر وهذه الجوامع علاقة أخذ وعطاء وفي بعض الأحيان علاقة تحدٍ من طرف المحاظر .

١- أنظر الخريطة رقم (٧) بالملحق .

١- محمد الصوفى : مرجع سابق ، ص ٤٨ .

الفرق بين المحاظر و الجوامع أو المعاهد بصفة عامة :

الشـــيء الفــريد في المحاظر هو نشأتها في البادية وكونها نوعا من التعليم لا يمكــن أن يســمي – كما يقول الفرنسيون – إلا بالجامعات ، وهى مراكز للتعريب بقــدر مــا كانت مراكز للتعليم لحملها رسالة الإسلام واللغة العربية وقضائها على الأمية (١).

وكــون نظام حلقات المساجد إمتداداً طريقة التحديث ،حيث كان المحدث يملي والناس يسمعون ويكتبون ، بينما نشأت المحظرة في الخيمة المتنقلة تبعا لحياة البدو الــرحل أيام المرابطين • ومما تتميز به وجودها في البادية حيث طالب العلم يترك المدينة ويذهب إلي البادية لطلب العلم وكونها كتلة فوق القبيلة تمثل إدارة الأمة ولا يستطيع أحد أن يحارب أى محضرة منها وكونها تمثل التكافل الاجتماعي حيث كل شيء فيها مجاني وأن الشيخ فيها يدرس ماشيا وراكبا ويعمل في حاجتة كالسقي من البئر أو عند رعي حيوانه وكان الأستاذ يدرس في النهار ، وفي الليل يؤلف الكتب في ضوء النار ، كمثال علي ذلك ، فقد كان محمد بن محمد سالم يرعي إيلة ويجمع الحطــب ويكتــب عليه ليلا وبهذه الطريقة ألف كتابة الريان في تفسير القرآن في أربعة مجلدات ، والنهر الجاري علي صحيح البخاري كذلك ، واللامع شرح خليل ، كذلــك أي كــل منهما أربعة مجلدات كل مجلد يقع في سبعمائة ورقة من الحجم الكبير •

وممــا تتميز به المحاظر أن عمداءها يعملون بكسب أيديهم حتى أن القادم إذا رأي عمــيد المحظــرة يــنكره لمظهرة كعامل •والتواضع أيضا ظاهرة غريبة في عمداء المحاظر ومنهم من يخدم نفسه وضيوفة ولا يقبل من طلابة أن يخدموا أحدا نظراً لكونهم طلاب ، علم جاءوا من أجل هذا الغرض فقط •

ومــن أهــم مميزات المحاظر أن عميدها يدرس كل فن وإذا درس في إحدي المؤسسات الحكومية فهو مثال لأستاذ الأدب والحديث والأصول •

والفــرق بين المحظرة وغيرها أنه في حلق المساجد يلقي الدرس جملة علي الطــلاب وفي المحظرة كل طالب علي حدة يقرأ حسب مستواة العقلي والعمري ، ومن حيث المدرسون فاستاذ الجامعة متخصص يدرس مادة واحدة وأستاذ المحضرة موســوعة يــدرس كــل مادة •ومن جهه أخري فدراسة الحلقات في المسجد طول الوقت فهو لا يمل من التدريس • كما أن نظام المسجد يقوم على ربط الطلاب مع بعضــهم مع بعض لأن الأستاذ لا يكرر بينما أستاذ المحضرة يعيد للطالب الدرس متى طلب منه ذلك •

كما أن الأستاذ الجامعي والمدرس بالمسجد كل منهما يحضر الدرس بينما أستاذ المحظرة لا يحضر(٢).

١- الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ٢٨٤

٢ – محمد الصوفى : مرجع سابق ، ص ٥٤ .

الرحلات :

مــن العوامل التي ساعدت في تطور المحاضر الرحلات التي قام بها العلمــاء الموريتانــيون ، إما لطلب العلم أو الحج أو الجهاد ، ويعود تاريخ الرحلة الموريتانــية إلي بداية القرن الخامس الهجري ، حي كانت الرحلة الأولي الميمونة التي قام بها الأمير إبراهيم بن يحيي الكدالي الذي رحل إلي الحج وأثناء عودته مر بــتونس وحضر دروس أبي عمران الفاسي وسأله هذا الأخير ما يمنعك من التعلم فقــال ياسيدي إن بلادي قوم عمهم الجهل فهلا بعثت معي من يعلمهم القرآن والسنة وعــند ذلك كتب أبو عمران إلي تلميذة وجاج أن يبعث مع هذا الأمير الصالح من يعلم له ببلدة (١) .

وفــي القرن العاشر كانت رحلة سيدي أعمر الملقب بالشيخ ، حيث صحب الإمــام المغيلــي والسيوطي وأثناء عودته مر بالشام وأخذ عنه أهلها العلم هناك ثم توالت الرحلات ٠

المكتبات :

مــن العوامــل التي ساعدت كذلك في تطور المحاظر وجود مكتبات ضخمة اقتــناها الــرحالة وجلبوها إلي موريتانيا ، كما ساعدت المكتبات في حركة التأليف التــي غــدت شــرايين العلــم والمعرفة ، حيث كان لا بد لعميد المحضرة كأستاذ موسوعي أن يؤلف لطلابه المراجع التي يحتاجون إليها في شتي أنواع المعرفة وقد ضــربنا مــثلا سابقا بالعلامة محمد بن محمد سالم الذي ألف علي ضوء النار أهم مــراجع التفســير والحيــث والفقــة (٢) ، ومن أهم المكتبات مكتبة تشيت ويعود تاريخها إلي سنة ٥٣٦ هــ أي تاريخ تأسيس هذه المدينة ، وفيها أهم الكتب ٠

ومكتــبة ولاتــه التي أنشئت في القرن السابع الهجري وبلغت قمتها في مطلــع القرن الثالث عشر الهجري علي يد العلامة سيدي محمد الكبير أحد علماء أسرة حبت الذي اقتني الكتب من المغرب ومصر والحجاز .

وعند مجيء الاستعمار قام العقيد "مودات " Moudat الفرنسي باحصائها فوجــد فيها سبعمائة مرجع وفي أبي تلميت مكتبة أهل الشيخ سيدي وهي من أكبر المكتــبات ٠ وفــي المــذرذرة كانــت مكتبة محمد بن الهاشمي التي تضم نوادر المخطوطــات وكانــت تــزيد علــي ١٠٠ مخطوط ، وكذلك مكتبة محمد فال بن امباركي التي أهداها له سلطان المغرب سيدي محمد بن مولاي سليمان ٠

---

١ – ابن ابى زرع : مرجع سابق ، ص ٩ .
٢– محمد الصوفى : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

كما كانت الكتب تأتي لموريتانيا عن طريق التجارة مثل رجل أندلسي جاء بديوان المتنبي بخط مزركش و اشتراه من عنده الفلالي بعبد كما كانت الكتب تستورد من طرف الحجاج والتجار ، ومن أهم المكتبات علي الأطلاق مكتبة الشيخ ماء العينين التي تضم جميع الكتب وأنواع الخط وأنها جمعت بين مؤلفات المشارقة والمغاربة ، ويصف كيف أحرقها الفرنسيون ، وأنه رأي منها بعد حرقها كتب متناثرة تبلغ أربعة ألاف كتاب ٠ولقد كانت محنة المكتبات في عهد الاستعمار الفرنسي عصبية لما تعرضت له من الحرق والنهب والسرقة ، فيوجد منها الآن كتب بالمعهد الفرنسي لافريقيا السوداء بداكار ٠ لأن الاستعمار الفرنسي كان استعمارا صليبيا حاقدا .

تطور المحاظر:

لقد مرت المحاظر في تطورها بثلاث مراحل : الأولي قبل المرابطين وهي نشأة المدرسة التي ذكرناها من قبل ٠ والثانية من بداية عصر المرابطين والثالثة من عهد ناصر الدين إلي قدوم المستعمر الفرنسى (١) .

وبما أن المرابطين هم الذين أنشأوا هذه المحاظر التي تعتبر من إنجازاتهم الخالدة فلا بد أن نمر بهذا العصر الزاهر لنعرف من هم المرابطون ؟ يطلق هذا الاسم علي سلالة المرابطين أي سكان الرباطات الذين رابطو في سبيل الله للجهاد أولا ثم للعبادات والاعتكاف بعد ذلك ٠ وكانت الرباطات مقامة في الثغور والحدود وأصبحت مع الزمان عبارة عن زوايا أو مدن ، فالمرابطون عبارة عن سكان الزوايا ومن هذا الاسم اشتق المرابط ٠ وهذا الاسم ليس بدعا بل هو مشتق من الآية الكريمة : " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم " . الانفال اية ٦٠.

إذا فالرباط هو بناء يجتمع فيه من تفرغ للعبادة من الزهاد والصالحين استعدادا للجهاد في سبيل الله ضد أعداء الدين فهو يجمع بين الصفتين الدينية والحربية ٠

ويسمي من سكنة مرابط ٠ وقد بني واجاج بن زلو اللمطي السوسي بالسوس دارا سماها دار المرابطين كان بناها لطلبة العلم ومن بينهم عبد الله بن ياسين ، وليس من الغريب أن يكون ابن ياسين سمي مكان رباطه فيما بعد بهذا الدار تيمنا بها ٠وقد تركزت حركة المرابطين علي دعامتين هما رجل الدولة ورجل الدعوة ، فرجل الدولة يحى بن إبراهيم الزعيم الورع المطاع في قومة ، ورجل الدعوة عبد الله بن ياسين المؤهل بالعلم والخلق ٠

---

١ – مجلة العربى الكويتية : العدد ٣٦٣ ، فبراير ١٩٨٩ ، ص ١٩٢ .

أمـــا الـــرجل الثاني للدوله فهو أبو بكر بن عامر ومن ذكائة أنه أخر فتح امـــبراطورية غانا ست سنوات أما الرجل الثالث لهذه الدولة فهو يوسف بن تاشفين الـــذى يقـــول ابـــن خلكـــان : " كان يوسف تاشفين مؤثرا لأهل العلم والدين كثير المشـــورة لهم ويحكمهم ويعمل بآرائهم ولما بلغ الامام الغزالي عدلة رحل إليه من بغداد ولما وصل الاسكندرية وصلتة وفاة يوسف وعندها رجع "(١) .

وفـــي عهـــده أصـــبحت الأندلـــس جزءا من دولة المراطين بعد إزالة ملوك الطوائـــف بفتوي العلماء الفقهاء وأهل الشوري كالغزالي والطرطوشي ،ولم يكتف المـــرابطون بالـــتحول الاســـمي للإسلام لبث العقيدة الصحيحة ٠ ولازالت آثارهم الفكـــرية مقـــررة في المحاضر الموريتانية ، واخيرا يكفي دولة المرابطين شرفا عـــداء المستشـــرقين لهـــا ٠ إذ يقول بركلمان بأنه عهد " سادت موجة عارمة من التعصب للسنة ٠٠(٢)

حرب شربية و ازدهار المحاضر :

بعد سقوط دولة المرابطين أصبحت موريتانيا شبه فوضي ، حيث لا يوجد هـــناك حـــاكم شرعي تخضع له البلاد ويقيم العدل فيها ويحكم بالشريعة الاسلامية وعظـــم علي الموريتانيين عدم وجود دولة إسلامية مع أنهم يعرفون أن قيام الدولة الإســـلامية ضـــرورة وتجب بالاجماع وخاصة بعد انقطاعهم عن دولة الخلافة مما جعلهـــم يقيمون دولة في الجنوب الموريتاني علي هدي الكتاب والسنة مطابقة للعهد الراشدي بإمامة الإمام ناصر الدين أبو بكر بن أبهم الذي أقام مجتمعا يشبه المجتمع الإسلامي الأول وكان جهازة الإداري بكاملة مستمد من التعاليم الإسلامية ٠

وبمـــا أن الحالة السياسية والفكرية لأي أمة مرتبطتان ، فلا بد أن نقف قليلا مـــع ناصر الدين ، فقد ولد ناصر الدين في بيئة علمية ، وذلك أن قبيلتة " تشمش " قـــد سكنوا منطقة "إيكيدي " بالجنوب الموريتاني في بداية القرن الثامن الهجري ، ومـــا أن كـــان القـــرن العاشـــر الهجري حتى أصبحوا مجتمعا مستقرا منكبا علي تحصـــيل العلم ونشرة ٠ وكان فيه خمسة جوامع وهذا المكان يعرف با (المسدة) جمـــع مســـجد باللهجـــة الحسانية ٠ وكانت " تشمشش " لا تسمح لأحد من أبنائها بمغادرة ايكيدي الا إذا كان عالما أو على الأقل انتهى من دراسة خليل ٠

وفـــي هـــذه البيـــئة ولد الأمام ناصر الدين ٠ولما رأي الناس ما به من العلم والأهلية بايعوة كلهم ٠ وفي ذلك يقول محمد اليدالي :

" اعلـــم رحمك الله أن أكبر آيات ناصر الدين وكراماته إقبال الناس إليه من كل وجه بدويهم وحضريهم وعربيتهم وعجميهم ٠٠٠

١- ابن خليكان : وفيات الاعيان ، ج٧ ، القاهرة ١٣٦٧هـــ ، ص١٢٥ .
٢- محمد الامين الصوفى – مرجع سابق ص ٦٧

وفـور بيعــتة " من طرف أهل الحل والعقد من الزوايا وعرفاء الناس وأجلة العلمـــاء ••• " شـــكل مجلســا للشوري من العلماء " وأصبح لا يقضي أمرا دون مشورة العلماء " • ثم بدأ علمه وكان أول خطوة قام بها إرسال الجيوش إلي غرب أفريقــيا لفتحها وتخليصها من الوثنية ، حيث كانت الحدود الجنوبية لموريتانيا هي حــدود الاســلام(١) وفي الداخل قام بجباية الزكاة وإلزام الناس بالجماعة وأحييت السنة في البلاد كلها .

وقــد كـــان ناصـــر الدين رجلا فريدا يقوم بجميع المهام ، فهو واعظ ومحدث ويومبا يقوم بإعطاء درس من صحيح البخاري ، يروي الحديث ويشرحة ••وكان يوصـــي المجاهديـــن بأن يحملوا معهم ألواحهم ويقول في إحدي خطبة " من ركب فرسة فليجعل لوحه بينة وبين سرجة فان الجهل هو أقبح ما يأتي به المرء الاخرة .

" لكـــن هــذا العهد الزاهر لم يدم طويلا بسبب الحرب المعروفة بـــ شربب؟" التـــي دامت ثلاثين سنة ، وسببها أن قبائل حسان أرتكبت ثلاث جرائم : منع الزكاة ، والبغـــي والحرابة ولم يبق أمام ناصر الدين إلا أن يتصرف ويخرج الزكاة قهرا من مانعيها كما فعل أبو بكر الصديق ، وأن يبث الأمن والعدل والنظام وقبل دخوله الحـــرب أعلـــن عـــن برنامج دولته محذرا بني حسان من الحرب ومناشدا لهم بأن يسـلموا الزكاة ويخضعوا لأحكام الشريعة وجاء في هذا التحذير علي لسان رسولية : الأمين بن الفاضل ومحمد بن باب أحمد :

" اتـــركونا نحيي السنة ونقيم حدود الله ونخدم العلم ونعبد الله ونعمر لكم البلاد ونعدل فيها " .

ثم قامت الحرب ودامت ثلاثين سنة وتولي الامام ناصر الدين قيادتها إلي أن استشـــهد فـــي الســـنة الثانية من الحرب بعد أن فتحت جيوشة التي أرسلت لغرب أفريقيا ، السنغال " وفوته " وفي ذلك يقول المختار بن جنك :

وظـــل الأمـــراء من بعده علي نسقه في الفتح ونشر العلم بل أصبح الجيش يتـــناوب علي القتال نصفة يخوض المعركة يوما وليلة والنصف الثاني يعكف علي دراســـة الحديث النبوى الشريف يوما وليلة ثم انتهت هذه الحرب سنة ١٠٨٥ هــ بهـــزيمة الدولـــة الفتية وانهزم الزوايا عسكريا وذلك بسبب اصطدام الإمام ناصر الدين بجهتين هما : فرنسا في السنغال وغرب أفريقيا وبني حسان داخل موريتانيا(١) فكـــان علـــي الامام ناصر الدين عندما بدأت الحرب في الداخل ضد بني حسان بســـبب مـــنع الزكاة والبغي والحرابة أن يوقف الجيوش التي في غرب أفريقيا أو يرجعها ليستعين بها في الجبهة الداخلية •

١- القلقشندي : صبح الاعشي ، القاهرة ١٣٣٧هــ ، ص ٢٨٤ .

ومـــن المعلــوم أن الســـبب المباشر في هزيمة الزوايا أن بني حسان كانت تــزودهم فرنســا بالســلاح الــناري والمؤنة بيمنا كان الزوايا يخوضون المعارك بالســـلاح الأبيض وفي إحدي وثائق داكار : أن أحد الفرنسيين كتب إلي فرنسا بأن فـــي موريتانيــيا حرب بين جهة إسلامية وأخري معادية للأسلام وأن من مصلحة فرنسا أن تزود المعادين بكل وسائل ، وأن فرنسا بدأت تبحث عن أقرب مكان تبنى فــيه مدينــة تظل من خلالها تمد بني حسان بكل ما يحتاجون إليه ، وكان ذلك هو سبب بناء مدينة سان لويس " السنغالية بوصفها أقرب نقطة من موريتانيا ولوقوعها علي المحيط الأطلسي عند مصب نهر السنغال ٠

ومن الثابت بالتواتر أن المحاظر بشكلها الحالي عرفت منذ القرن العاشر الهجري فقد كانت محظرة سيد الفالي المتوفي سنه ١٠٤٥ هـــ كبيرة تضم عشرين كوخا في المكان المعروف اليوم با " التكأتن "٠

ومـــن نهايـــة الحـــرب التي قادها الإمام ناصر الدين توطد الاسلام وخاصة في غرب أفريقيا وأصبحت المحاظر تستقبل أبناء أفريقيا وآتت جهود الإمام ناصر الدين أكلهـــا ، حيـــث لعبـــت المحاظـــر دورها في الإعداد للتجارب الجهادية من مقاومة للإستعمار عسكرياوثقافياً (٢) .

ومـــن الغريـــب أن وســـائل كثيرة قدمت في موريتانيا السنواوكتابات تجعل سبب ازدهـــار المحاضر ونشر العلم هو أن الزوايا لما هزموا في حرب (شربب؟) انكبوا علـــي طلب العلم وهي فكرة مأخوذة من " ابول مارتي " أحد الجواسيس الفرنسيين ، أخذوهـــا كمســلمة وللأســـف لم يمحصوها وهي مردودة لعدة أسباب منها أن " ابول مارتي " حديث وكان اهتمامة بدراسة قبيلة كنته ٠ ومنها ان العلم منتشر في قبائل لم تشـــارك فـــي هذه الحرب بل وبعيدة منها جغرافيا مثل " تجكانت ومسوفة " ٠٠ فلقد كـــان العلـــم منتشـــراً قبل ناصر الدين وليس ناصر الدين إلا وليد مجتمع معين خلد الكتاب والشعراء صفتة .

الازدهار الحقيقي للمحاظر :

بدأت هذه الفترة من عهد الإمام ناصر الدين إلي ق.٢٠م ممثلة في وجود الأنواع التالية من المحاظر :

١) وجد محضرة بشيخ واحد يدرس كل فن وهو ما يعرف بالمرابط (كدم) أى أن الشـــيخ يقول للطالب قدم أي نص تريد قراءته ، فأنا مستعد لتدريسه لك .مثالة محظرة يحظية بن عبد الودود ٠

٢) وجـــود محظـــرة يدعـــي لها علماء متخصصون كل واحد منهم يدرس فنا واحـــدا فقط ، مع سعته وقدرتة علي تدريس الفنون الأخري ، وظهر هذا النوع في محظـــرة الكحـــلاء والصفراء ، وحضرة أهل محمد محمود بن بية ومحضرة أهل الشيخ سيديا.

---

١ – سعد خليل : مرجع سابق ، ج١١ ، ص ٣٨٦ .

٢ – محمد احمد حبيب الله : مرجع سابق ، ص ٣٢ .

٣) وجـود محاظـر متخصصـه لفـن واحد فقط ، مثل محضرة محمد حيد المسـومي المتخصصة في القرآن الكريم ، حيث لا يدرس الطالب إلا القرآن فقط ، ومحضرة أحمد بن اداد التي تدرس لطالبها النحو فقط ٠
ومحظـرة الناجـي بن محمود الفقهية واللغوية والتى تتعلم فيها النساء ٠ ومحظرة الشيخ ماء العينين الحربية التى تعد للجهاد في سبيل الله(١)

مظاهر اذدهار المحاظر :

ويظهر ذلك في وجود :

١) الآف المخطوطات وبالملحق بعض من اهمها . ٠
٢) وجود حياة عقلية غذت الفكر الإسلامي في موريتانيا .

وتمثلت في المدارس التالية : (٢)

أولا : مدرسة القرآن الكريم التي اعتنت بالقراءة و التفسير:

ثانيا : مدرسة الحديث :

وفي مجال الحديث هناك النهر الجاري علي صحيح البخاري لمحمد بن محمد سالم وشرح البخاري لمحمد الخضر بن ما يابي ٠

ثالثا : المدرسة الأصولية :

بـزعامة محمـد يحيـي بن سليمة السابق وباب بن الشيخ سيدي والشيخ محمـد المامى العلامة المجتهد الذي يري أن فتح باب الاجتهاد مفتوح وأن الاجتهاد واجب وبما أن الفقه وخاصة المالكى مدني وفقهاء المدن تكلموا عن مشاكلهم فلا بد من إيجاد فقة يخدم البادية ، مما جعله يؤلف كتابا سماه كتاب البادية .

رابعا : المدرسة السلفية :

ومـن أقطابهـا محمـد بن حبيب الله الملقب لمجيدري بن حبل ٠ ومن المعلـوم ان مـنهج السلف الصالح في الإيمان بالمتشابه ظل هو السائد في عصر المرابطين حتى جاء المهدي بن تومرت ، وفرض الأشعريه ، وكانوا قبل ذلك علي مذهب أهل الظاهر في منع التأويل (٣) ٠ وظل هناك أنصار لكل من المدرستين ٠
ومن أقطاب هذه المدرسة المأمون اليعقوبي ، الذي يقول مخاطبا العلامة المختار بن بون الأعرى بأنها خليط من المنطق اليوناني ٠

خامسا : المدرسة الأشعرية :

ومن أقطابها العلامة المختار بن بون أخذها عن شيختة العالمة خديجة بنت محمد العاقل التى لها شرح مهم على عقيدة محمد بن يوسف السنوسي والمسمي بأم البراهين ٠

سادسا : المدرسة الفقهية :

فقد ألف في الفقة ما لم يؤلف في غيرة ٠ وذلك نظرا لأهمية هذه المدرسة وكثرة تشعبها وكثرة ما خاضت فيه ونظرا لأن الفقة وليد البيئة كثرت المؤلفات فى هذة البيئة ٠

---

١ – الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ٢٨٧ .
٢ – محمد الصوفى : مرجع سابق ، ص ٧٩ .
٣– القلقشندى : مرجع سابق ، ص ١٩١ .

سابعا : مدرسة السيرة النبوية :

ومن أهم أقطابها العلامة محمد فال بن متالي ، وأحمد البدوي صاحب نظم عمود النسب والغزوات والبعوث ، وحمد فال بن أحمد بن العاقل الملق ببها والبشير بـــن امباركي صاحب الأنظام الكثيرة في السيرة النبوية • فلقد نظم المهاجرين إلي الحبشة وأهل بدر ونظم أنساب الأنصار .

ثامنا : مدرسة التصوف :

لقـــد انتشـــر التصوف في موريتانيا مثل سائر الأقطار الأسلامية لكن الطرق الصـــوفية تعرضـــت لعدة محاكمات واتهمت بعدة اتهامات ، فقد حوكمت الطريقة القادريـــة وكـــان المتهم هو العلامة الشيخ سعد أبيه وكان ذلك في العقد الثامن من القـــرن ١٣ هـــ كما حوكمت الطريقة الصديقية وكان المتهم الشيخ محمد عبد الحي وأخوة الشريف وكان ذلك سنة ١٣٣٦ هـــ •ايمل بن افا

كمـــا حوكمـــت الطريقة الشاذلية وكان المتهم اعلن آفا وحوكمت الطريقة التيجانية وكان المتهم هو محمد فال بن باب..

تاسعا : المدرسة النحوية :

ومـــن أقطابهـــا المختار بن بون والحسن بن زين ومحنض بابه بن أعبيد وقال صـــاحب الوسيط فيه لما اصلح لمشيخة بن بون وما ظنك بمن كان يصلح لابن بون وهو من هو (١) .

عاشرا : المدرسة الاصلاحية :

وهي من أهم المدارس حيث اتجه كثير من العلماء إلي الاصلاح وذلك بتغيير المنكرات والبدع والكلام عن أشنع هذه الظواهر كظاهرة التيمم بين الأصحاء حيث أصبح كثير من الأفراد يتيممون لا لعذر ، وفشت هذه الظاهرة وما تزال ويلاحظها الزائـــر اليوم في موريتانيا • كما اتجهت هذه المدرسة إلي اصلاح التصوف وكان من بين المصلحين بها العلامة الشيخ التراد بن العباس بن الشيخ الحضرمى •

وهذه أهم المدارس علي الاطلاق ولذا أخرها الباحث ومن أهم أقطابها الشيخ محمد المامي الفقية والسياسي المحنك •

١- لقـــد اتهم المختار بن بون محمد المجيدري بالبدعة عندما دعا هذا الاخير الي التمســـك باكتاب والسنة وكان المختار بن بون يري بان طريقة التقليد هي الافضل وهـــذا مـــن الغريب جدا لان المسلم به ان يتبع الكتاب والسنة ، أنظر ، احمد بن الأمين : الوسيط ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

أثر المحاظر في المجتمع الموريتاني :

لقــد وضــعت المحاظر بصماتها علي المجتمع الموريتاني ويتجلى ذلك فى التطبــيع الإجــتماعى ، حيــث جعلــت عادات وتقاليد هذا الشعب إسلامية صرفه وخاصــة فــي الســلوك والملــبس والمــأكل والمشرب (١) ، وإذا كانت أهداف الاســتعمار الفرنسي هي مسخ الشخصية وخلق شخصية أخري تحاكي المستعمر ، فــإن الشيء الذي يستحق أن يذكر هو أن الاستعمار وخاصة الفرنسي الذي لم يمر ببلد إلا وترك عليه طابعه باستثناء المجتمع الموريتاني ٠

وهذا ما شهد به الحاكم الفرنسي لموريتانيا المسمي لفرية في أحد تقاريره عن المحاضر وجاء في هذا التقرير السري رقم ٢٦٨ – ١٥٥٠ بتاريخ ١٩٤٤/١٢/٢٦ ما يلي :-

إن مشكلة التعليم التي وجدت منذ اليوم الأول للإحتلال ظهرت جد مستعصية وفــي الوقت الذي وجدنا فيه أنفسنا بالنسبة لبقية المستعمرات في مواجهة بلاد نكرة وسكان متعطشين لتقليدنا وجدنا أن المقاومة الاسلامية في موريتانيا ضد نمو تأثيرنا عن طريق التربية الفرنسية قد ظهرت قوية شديدة إن البيظان المسلمين منذ قرون والذين ما زال عندهم اقوي من الدول الأخري ، أكثر من ذلك فان موريتانيا كانت مــنطقة تمــثل فــيها الثقافة أعلي مراقي المجد وعلي ذلك تبرهن مدارس عديدة ، ومكتــبات مهمة من بينها مكتبة شنقيط التي ما زالت مكتبتها تملك٧٠٠٠ مجلد .كما أدت خدمــات جليلة ليس فى موريتانيا فقط بل فيما حولها وساهمت فى كسر العزلة عــن الــبلاد المحــيطة بها بإنشاءها المراكز التعليمية التى كانت محطات تجارية وعلمية تنافس كل المراكز العلمية فى العالم الإسلامى (٢) .

ومن أهم أثار المحاظر علي المجتمع الموريتاني اختصاص النساء بالتعليم في مــرحلة الكتاب ووجود عالمات منهن وشاعرات ، وهذه الظاهرة ليست غريبة عند من يعرف هذا المجتمع ٠وفي أحد التقارير الاستعمارية عن محظرة آطار المتفرعة من محظرة الشيخ ماء العينين العالم الحسن بن مختار النش اليعقوبي يقوم بالتدريس فى هذه المحظرة وتساعدة في مهمة التدريس زوجتة ٠

هــذا وقد تميزت النساء الموريتانيات بتدريس الطفل في مرحلة الكتاب للقرآن الكريم وتربيتة علي الولاء للدين وسيرة الرسول صلي الله عليه وسلم ٠قبل أن يبلغ سن دراسة القرآن الكريم ، كما يقمن أيضا بأنواع التربية الاخري وهذا إن دل علي شئ فإنما يدل علي الأثر الذي تركته هذه المحاظر علي المجتمع الموريتانى (٣).

١- سعد خليل : مرجع سابق ص ٤٧٧ .

٢ – مجلة العربى الكويتية : العدد ٣٦٣ ، فبراير١٩٨٩ ، ص ١٨٣ .

٣ – محمد الصوفى : مرجع سابق ، ص ١٠١ .

مراحل تطور المحاظر:

مرت المحاظر بثلاث مراحل :-

الأولــى : منذ دخول الإسلام حتى عصر المرابطين ، والمرحلة الثانية : من عصر المرابطيــن حتى عصر الإمام ناصر الدين ، وأن المحاظر استقرت وانتشرت في هــذه المرحلة وعرفت بهذا الأسم والمرحلة الثالثة : وتبدأ من عصر ناصر الدين إلي مرحلة الإزدهار التي أخذت فيها المحاظر شكلها الحالي .

وهــذه الصــفحات تهتم بالتعرف علي وضع المحاظر في عهد الاستعمار الفرنسى وكــيف تحولــت هــذه المحاظر من مرحلة التحدي إلي مرحلة الدفاع تحت وطأة الاستعمار الفرنسي الصليبي ، وعن حقيقة هذا الإستعمار ، وحاله البلاد قبل دخوله وكيفية دخولها إليها ، وعن الخطة التي انتهجتها المحاظر لمواجهة الاستعمار وأهم المحاظر في ذلك العصر .

وفي القرن الثامن الهجري دخلت قبائل بني حسان إلي موريتانيا بعد أن أجليت مــن شــمال إفريقيا ، وهي قبائل من عرب المعقل تنتمي إلي بني هلال وبني سليم اللتيــن كانــتا في الجزيرة العربية ، وعندما ضيقت عليهما الدولة العباسية الخناق بسبب غاراتهما على نجد العراق والشام اتجهوا إلي شمال أفريقيا في العهد الفاطمي ســنة ٤٤١هـ ، ومــنذ ذلك الوقت أصبح بنو حسان يهتمون بشؤون السلطة والزوايا بنشر العلم

وقد قسم بنو حسان البلاد علي شكل إمارات من أهمها :

- إمارة أولاد أمبارك في الحوض ، وعاصمتها النعمة.
- إمارة الشراتيت في تكانت ، وعاصمتها المجرية.
- إمارة أولا يحى بن عثمان في آدرار ، وعاصمتها ألاك .
- إمارة الترارزة في الترارزة ، وعاصمتها المذرذرة (١) .

المواجهة بين المحاظر والاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا خارج موريتانيا :

وبعــد ســقوط دولــة ناصــر الديــن السابقة توقف الفتح الإسلامي في غرب أفريقياوعــند ذلك نشطت المحاظر في أرسال رجالها إلي الأدغال الإفريقية حاملين رســالة الإسلام ثم أصدرت فرنسا سنة ١٨٥٧ م أمر بمراقبة المرابطين في غرب إفريقــيا ومتابعة قدراتهم التعليمية ومحاولة استقطابهم في نفس الوقت حيث جاء في الخطة

المرســومة للســيطرة على غرب أفريقيا الفرنسية بشكل البول Peulls والتكلور Toucouleurs والولوف Ouloffs نخبة ثقافية ومحاربة ، ستكون مسرورة باهــتمام الحكومــات المحلــية بعقيدة الأسلام ، لتباشر تربية أولادهم علي الشعور بالإحــترام لفرنســا ، ولتساهم مع المرابطين علي تربية الشباب دون التطرق إلي تقاليد عريقة ، لكي نوجه دعمنا باتجاة تطور النفوذ الفرنسي ،

١- سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٢٧ .

فـإذا لـم نلـتزم هذا الأسلوب سيظل المسلمون يربون أولادهم خارج نفوذنا وإذا تركـناهم سـتحافظ المدارس القرآنية بأساليبها المعتادة علي صفتها الدينية غير أن إلغـاء المـدارس القرآنية يشكل خطرا ، وبقاءها علي ما هي يشكل تهورا ، وإذا اخـترنا لهـا الـبقاء فلماذا • لا نساهم في تحسينها بقدر الأمكان ؟ إن أول وسيلة تخطـر إلـي البال هي الحاق مرابط تم اختيارة من قبل الإدارة الفرنسيية فهو من ناحـية يـتعلم لغتـنا ومن ناحية ثانية يطمئن الأهالي علي نوعية دراستنا ونفوذها المعنوي •

ومـن أهـم أسـباب المواجهة بين المحاظر والاستعمار الفرنسي الصليبي في غـرب إفريقـيا أن المحاظـر لم ترسل رجالها إلي الأدغال الافريقية فحسب بل استقبلت خيرة الطلاب المسلمين ودرسوا فيها ولما تخرجوا أو عادوا إلي بلادهم قام كل منهم بثورة إسلامية

كان هذا السيل الجارف من خريجي المحاظر يقض مضاجع فرنسا الصليبية التـي تريد نشر المسيحية فضلا عن إيجاد الأسواق ولذا قررت فرنسا أن تحاصر الإسلام وتوقف مد المحاظر خارج حدودها (١)

يمكن تلخيص أهم نتائج الدراسة علي النحو الآتي :

١)أن نظـام المحاظـر يعـد ظاهـرة موريتانـية خالصــة ، ذلـك أنهـا نشـأت وتطـورت كمحصـلة لعوامـل دينـية ، وجغرافـية ، وتاريخـية وسياسـية مجـتمعة • وقـد وردت الاشـارات إليها وإلي أهميتها فيما أوردة الرحالة الاندلسي ابن جبير في أسفار رحلاته •

٢)أن المحاظر الموريتانية لم تنشأ مثل بقية مؤسسات التعليم الاسلامي ، كالمدارس ، والبيمارستانات ، والمراصد الفلكية ، والزوايا ، والخانقاه في المدن والحواضر ، ولا في الثغور – كالربط – ولكنها نشأت في كنف القبائل في البوادي والقفار •

٣)أن المحاظـر الموريتانـية ، بحكـم نشـأتها وتطورهـا ، وعلـي نحـو مغايـر تمامـا لمؤسسـات التعليم الاسلامي المعروفة لا تتقيد بحدود المكان ، إذ أنها مؤسسات متنقلة متنقل مـع القبيلة حيثما ارتحلت فـي طلبها للمـاء والمرعي وأماكنها الخيام وطلابها أبناء القبيلة ، ذكورا وإناثا ، وأساتذتها علماء القبيلة أنفسهم ،الا ما شذ ونذر •

٤)أن المحاظر في تنظيمها وأساليب التعليم فيها تتصف بالمرونة المتناهية لظروف الصحراء وأحوالها ومـا فيها من صعاب وشظف عيش • فعالم واحد وطالب واحد يكونان مدرسة ، أو محظرة •

وقد يلقي الدرس – لا سيما بين الرجال – والاثنان راجلان أو ركبان ٠

(١)أن المحاظر أفلحت بشكل لافت للنظر حقا في نشر التعليم ، من تحفيظ للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وتعريف بأصول الدين ٠٠٠ وبالقراءة والكتابة ، بين بدو رحل ٠ وتلك ظاهرة فريدة ٠ ومن ثم فإن الموريتانيين ، وهم أكثر المجتمعات التي تغلب فيها صفه البداوة ، بعدا عن الأمية وجهلا بقواعد الدين وأحكامة ٠

١) إن المحاظر لم تكتف بأن نشرت التعليم وأصول الدين بين جل أفرادها من الرجال والنساء ، وذلك من أعظم آثارها التربوية لا جرم ، ولكنها جعلت من الموريتانيين قوة متماسكة في الدفاع عن العقيدة الاسلامية واعلاء كلمة الله والمحافظة علي شخصية بلادهم ، ومقارعة الاستعمار الفرنسي دون هواده وتلك نعمة عظيمة واثر تربوي باهر آخر للمحاظر في المجتمع الموريتاني ٠

٢) أن المحاظر كانت المصدر الرئيسي في بناء الدولة الحديثة ، ولا سيما عهد الاستقلال ، وفي مدها بالرجال في شتي القطاعات ٠

٣) أن نظام التعليم الحديث في البلاد يعد بحق أكبر تحد أو منافس للمحاظر الموريتانية والتقاليد العريقة – كما أن زحف الجفاف وانتشار رقعتة يمثل خطرا حقيقيا يهدد مصير المحاظر ٠

ولقد خلصت هذه الدراسة إلي المقترحات الآتية :

١) أن نظام المحاظر اثبت جديته وفاعليته تربويا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا علي مدي قرون عديدة ، لذا فإن من الضروري جدا المحافظة علي هذا النظام وتطويرة علي نحو يجعلة قادر علي أداء مهامة وفقا لمتغيرات العصر الحاضر وهذا يتطلب من الدولة أن تدعم جهودها وما خصصتة للمحاظر من ميزانية مستقلة ليستطيع أداء تلك المهام بيسر وسهولة .

٢) أن تشجع الدولة ابتعاث خريجى المحاظر في البلاد الاسلامية ليتخصصوا في فروع المعرفة الاسلامية والحديثة حتى يمكن الاستفادة من خبراتهم تماما كما استفادت الدولة الحديثة ابان تأسيسها وما تزال من خريجي المحاظر في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

---

١ – محمد الصوفى مرجع سابق ص ١١٢.

٣) أن تنشأ دراسات مختلفة سواء داخل البلاد أو خارجها لجمع ما رفدتة المحاظر الموريتانية التي تنتظر التصنيف والتبويب لتكشف للعالم أجمع كيف أن مجتمعا بدويا عاني من شظف عيش لأحقاب من الزمن استطاع أن يقدم للانسانية روائع فقهية وأدبية وغيرها ٠

٤) أن تجري دراسات مقارنة لنظام المحاظر مع بقية أنظمة التعليم الاسلامي في الماضي والحاضر وما يمكن أن تسفر عنه مثل هذه الدراسات في الماضي والحاضر وما يمكن أن تسفر عنه مثل هذه الدراسات المقارنة من نقل للتجارب بين الشعوب الاسلامية والاستفادة منها علميا في اصلاح نظمها التعليمية ٠

وقد رافق التعليم دخول الاسلام موريتانيا علي يد حبيب بن عقبة بن نافع ٠ وكان أول معلم عرفته موريتانيا هو عبد الله بن ياسين الذي أرسلة عالم السوس واجاج بن زلو اللمطي إلي شنقيط سنه ٤٣٠ هجرى ليعلم الناس أصول دينهم ٠ وبعد ذلك انتشرت العلوم الاسلامية مثل القرآن وعلومة من قراءات وتفسير الحديث النبوى الشريف والفقة ٠٠٠ وخاصة في قبائل الزوايا مثل قبيلة " مدلش " وتاجكات ٠

وكان هذا من أهم الأسباب في نشاط المحاظر ٠ أما التعليم النظامي الحديث فهو تعبيم مختلط لأنه موروث عن الاستعمار الفرنسي وهو تعليم متعدد التخصصات ، حيث توجد ست شهادات ثانوية بتخصص الطالب فيها من البداية وهي : الدراسات الاسلامية ، والأدبية ، والرياضات ، والعلوم الطبيعية والفنية والزراعية ٠

ثانيا :الصلة بين القادرية والمحاظر :

إذا كان الدور الذي لعبتة المحظرة رائدا فقد ساهمت إلي جانبهما الزوايا التي يمكن اعتبارها إحدي تجليات هذه المحظرة في إطارها وشكلها الديني المقاومة للاستعمار لأن هذه الزوايا ظهرت في تشكيلات الطرق الصوفية التي دخلت بلاد شنقيط والتحم التصوف بالعلم في رحاب المحظرة ، وكانت الزوايا الصوفية في البلاد سندا للمحاظر في تدريس علوم القرآن والحديث والفقة المالكي وقواعد العقائد والسيرة النبوية والتاريخ وعلوم اللغة وغيرها (١) .

ولابد من الاشارة إلي الارتباط العضوي والتاريخي بين المحاظر كمؤسسات علمية تربوية والحركة المرابطية كأعظم حركة جهادية يعود إليها الفضل في تمكين الإســلام فــي موريتانــيا وبقية دول غرب أفريقيا ، لقد نشأت المحاظر ابتداء في أحضــان الــزوايا أومــا أطلق عليه اسم الرباط ولم يكن الرباط صومعة للتعبد أو النســك أو مدرسة لتعليم أولئك الذين انضموا فيما بعد لصاحبها فقط وإنما كان إلي جانب ذلك مهدا لإعداد المجاهدين في سبيل الله كما أثبتت الأحداث فيما بعد(٢) .

فكانــت الطرق الصوفية رغم اختلاف أورادها ونظمها الخاصة تسعي نحو غايــة واحدة هي الوصول بالنفس الإنسانية إلي درجة الكمال وكان التعليم الصوفي أحــد الوســائل لتحقــيق هــذه الغايــة وكان خير عون لذلك المحاظر البدوية في موريتانيا(٣) .

لقــد أثــرت الحــركة الصوفية فى حركة العلم والمعرفة في البلاد فقد كان مشايخ الطرق الصوفية علماء تضلعوا من معارف المحظرة قبل التصدي للمشيخة والدعوة إلي الله ، وكانوا يرفضون تربية المريد ما لم يكن قد أخذ بنصيب وافر من علوم الشريعة واللغه ، وقد أثري هؤلاء المشايخ المحظرة بأنفسهم ، لقد كانت جميع هــذه الطــرق روافد للتعليم المحظري ، ذلك أنها تفاعلت مع المحظرة تفاعلا حيا تمــت فيها ونمتها ، كما شجعت حركة الأخذ والعطاء فساعدت المحظرة في النمو والإنتشار ، لقد مكنت الطرق الصوفية للمحظرة بما يسرت لها من أسباب الحماية ، فللعــالم مــن حيــث هــو نصــيب مــن الهيبة والاعتبار في المجتمع الموريتانى والمجتمعات المجاورة.

---

١ - محمــد الصــوفي بن محمد الامين : المحاظر واثارها التربوية في المجتمع الموريتانــي ، رســالة ماجستيرغير مشورة ، جامعة محمد بن سعود بالرياض ، عام١٤٠٦هــ ، ص ١٤٤.

٢ - مجلة الامة القطرية : عدد ٦٠ ، السنة الخامسة ، ص ٥٣.

٣ - شــوقي الجمــل : الحضارة الاسلامية العربية في غرب افريقيا ، مجلة المناهل ، عدد ٧ ، نوفمبر ١٩٧٦م ، ص ١٤٥.

ولكــن نصــيب العـــالم من التقدير إذا صار شيخ طريقة صوفية أو مقدميها يتضـــاعف بشكل مذهل ، لقد استطاعت الطرق الصوفية والمحظرة من خلالها أن تخــرق كــل الحواجز وتمد الجسور بين قبائل شتي وأجناس وأراض مختلفة وأن تـــنظم قـــوي بشرية لا تستطيع القبيلة تنظيمها ، وكانت بمثابة أحزاب سياسية قوية يسودها الانضباط والطاعة والمحبة (١) .

وقدمت المحاظر والطرق الصوفية تيارا مناهضا للاستعمار الفرنسي وحولت المحاظـــر والطرق الصوفية الشعب الموريتاني من مجموعة من الرعاة إلي شعب يملـــك تقاليد ثقافية عميقة الجذور ودعاة وسط الصحراء وعند التخوم لحمل رسالة الاســـلام وبسبب هذا الدور الثقافي للزوايا عامة . والطريقة القادرية خاصة – فقد اعتمد المستعمر الفرنسي في بداية حضورة علي أقطاب الصوفية من الزوايا ليتمكن من احتلال البلاد بأقل التكاليف إلا أن باتى الحاكم الفرنسى الجديد في موريتانيا منذ سنة ١٩١٤ اعتمد علي قبائل حسان وعمل علي استبعاد الزوايا ، وكان القصد من وراء ذلـــك القضاء علي العناصر الثقافية الاصلية التي بد أنها يعتبر الملجأ الاخير للمقاومة (٢).

وكان من أشهر وأكثر وأوسع المحاظر التي انتشرت في التراب الموريتاني هـــي المحاظر القادرية والتى منها محظرة (أو حضرة) الشيخ محمد فاضل في مـــنطقة الحـــوض ومحظرة أو مدرسة الشيخ ماء العينين في آدرار ومنطقة شمال موريتانـــيا ومحظـــرة الشيخ سعد أبية وكذلك محظرة الشيخ سيديا ياب في منطقة الجـــنوب والجنوب الغربي الموريتاني وكذلك محظرة الشيخ التراد بن العباس في مـــنطقة الحوض الشرقي ، وقد شكلت المحاظر التي أقامها أقطاب القادرية الاوعية التـــي يتلقي فيها أبناء الطريقة خاصة والشعب الموريتاني عامة علومهم ومعارفهم(٣) .

ولقـــد اســـتطاع أقطاب القادرية نظرا لموقفهم الاجتماعي ويراعتهم الذهنية وخوارقهم – حسب مريديهم – أن يؤسسوا هذه المجموعة الكبيرة من المحاظر في كـــل أنحاء التراب الموريتاني ، وأن يجمعوا في هذه المحاظر مجموعة من العلماء ذوى الاختصاصـــات العلمـــية المـــتعددة ، والذين التفوا حولهم بدوافع مختلفة منها الهروب من بطش الاخر والطمع في النوال والمبايعة الروحية ووجود فضاء جديد قد يحقق فيه المرء ما عجز عن تحقيقه في فضاءات أخرى وحصول الشيوخ علي فائض انتاجي واعالتهم فيه الطلاب القائمين علي تكوينهم (٤) .

١- فهمـــي هويـــدي : مجلـــة العربي الكويتية ، استطلاع ، العدد ٢٩٣ ،ابريل ١٩٨٣ ، ص ١١٠.

٢- محمد الهادي : مرجع سابق ، ص ٢٢٠.

٣- حيمد بن محمد علي : مرجع سابق ، ص ١٩.

وقـد لعـب التصوف في المجتمع الموريتاني في أدوارا مشابهه لتلك التي لعـبها فـي المغرب حيث أنه – أي التصوف – قدم عن طريق الشمال ، فقد لعب دورا بارزا في نشر الاسلام في أفريقيا الغربية بالطرق السلمية كالاقناع والاستقامة في الدين لما كان للقادرية دور معلوم في مواجهه الاطماع الاستعمارية في المنطقة عن طريق توحيد صف الامارات في اجتماع تتدوجه التصالحي الذي أشرف الشيخ سـيديا الكبـير لتأمين ظهر امارة الزرزة في حالة حربها مع الفرنسيين ، أما علي المسـتوي الاجتماعي فقد استطاعت القادرية أن تخترق كل الحواجز وتمد الجسور بيـن قـبائل شتي وأجناس وأعراق مختلفة وأن تنظم قوى بشرية لم تستطع القبيلة تنظـيمها فكانت بمثابة أحزاب سياسية – مع بقية الطرق – قوية يسودها الانضباط والطاعـة والمحـبة ولقـد بدأت طلائع القادرية الأولي تلج بلاد البيظان في القرن العاشر الهجرى – ال١٦م الاإن اتباعها وانتشارها لم يظهر الا في نهاية القرن ال ١٨ مع ظهور الشيخ سيد المختار الكنتي المتوفي سنة ١٨٢١م .

ومـن ثم عمت القادرية جميع انحاء البلاد وتشعبت وكثر مريدوها وارتبطت ارتباطا وثيقا بالمحظرة حتي أصبح التصوف عامة والقادرية خاصة من المقررات التعليمـية في الكثير من المحاظر كما كان حضورها – القادرية – فعالا في الانتاج الثقافـي في البلاد خاصة في القرن ال ١٩ فكان أشياخها فقهاء بارزون وأصحاب محاظر كبيرة كما كان انتاجها الفكرى والفقهى والأدبى عم البلاد سواء عن طريق مؤلفاتها أو عن طريق محاظرهم الكثيرة الانتشار (١) .

كمـا كـان علي رأس أقطاب القادرية الشيخ محمد فاضل الذي استطاع من خـلال العوامـل التي سبق ذكرها وبفضل جو الأمن الذي توفرة القداسة الروحية للشـيخ علـي انتعاش محظرتة التي كان يدرس فيها شخصيا ويوجه الاساتذة نظرا لعـزازة علمـة الكسبي والوهبي حتى بلغ مبلغ الاجتهاد لقد تضافرت مجموعة من العوامل التي كان لها الدور الاساسي في خلق نواة هذا العطاء الثقافي والعلمي من خـلال تشكيل محظرة الشيخ محمد فاضل ومحاظر أبنائه من بعدة وحسب توجيهه لهـم(٢) . فقـد اسـتطاع الشيخ محمد فاضل أن يرسل ابنة الشيخ ماء العين إلى الشمال الموريتاني (٣).

١- محمد الامين – السلطة والفقهاء – مرجع سابق ص ٧٦/٧٥

٢- محمد فاضل بن محمد الحطاب : الطريقة الفاضلية ، مرجع سابق ص ٩٧ .

٣- الهيبة ولدسعد ابيه : الشيخ ماء العينين : مرجع سابق ، ص ٢٥ .

كمـــا أرســـل إبنه الشيخ سعد أبيه إلى الجنوب الغربى ويستقر إبنه الشيخ محمـــد تقـــي الله بمنطقة ولاته غير بعيد عنه علي ملتقي طرق القوافل القادمة من الغـــرب إلـــي الســـودان الغربي ، إذا توحى هذه المناطق التي أرسل إليها الابناء الـــثلاثة بعـــدم العفويـــة في إختيار مناطق استقرارهم وتسمح بتفسير هذا التوزيع الجغرافي علي أنه كان بدافع ايصال خطاب الطريقة الصوفي وتثبيت مدرستها في كافـــة المجال الموريتانى أو خارجه وتأسيس آرائها وعلومها ونشرها خاصة و أن كـــل واحد من الابناء أمام محظرة ليعلموا الناس دينهم ابتغاء الدار الآخرة وليس بدافـــع أخـــر ، وقد كان للشيخ محمد فاضل مؤلفات قيمة أسست للجانب الصوفى للطـــريقة وبينت مجالات إهتمام الطريق ، وقد تعددت المحاظر القادرية بعد وفاة الشـــيخ محمـــد فاضـــل بـــتعدد بنـــيه وأحفاده وإن تفاوتت بشكل ما بين أحجامها وعطاءاتهـــا ولعـــل مـــن أهم هذه المحاظر المتأخرة زمنيا تلك التي أسسها الشيخ التراد بن العباس بعد استقرارة في منطقة اكوينيت في الفترة (١٩٣٣/١٩٤٥) (١) ،وتخرج منها علماء ما يزال بعضهم حيا متشبعاً بآراء المدرسة الترادية .

لقـــد ازدهرت هذه المؤسسات وازذهر معها العطاء الثقافي في موريتانيا حتى ظهـــر مـــن بيـــن أهلها فطاحلة غلماء وأدباء لا يقلون شأنا عن مشايخ التنوير في المشرق العربي (٢) .

وقـــد قـــدم هـــؤلاء العلمـــاء القادرييـــن مجموعـــة غير بسيرة من التآليف والمصـــنفات الـــتى تـــنم عن سعة اطلاع أصحابها كما كانت هذه المؤسسات هي الاوعية العلمية التي اضطلعت برسالة التعليم في موريتانيا ، وكانت مؤلفات شيوخ الطـــريقة تتضـــمن الموضـــوعات المثارة مرحليا ويتطلبها وضع الطريقة الزمانى والمكـــانى وهـــذه المؤلفـــات وفرت المرجعية الفكرية والاطار النظري للطريقة وممارساته وعلاقاتها البينية كما وفرت المستند الشرعي الذي يبرر ويقنن علاقاتها بالآخـــر ، وقـــد وضعت المحاظر التى أقامها أقطاب القادرية الاسس التي اعتمدت عليها الطريقة القادرية خاصة محظرة الشيخ سيدنا ياب الذي مكنة مستواة التعليمي المحظـــري وثقافتة الموسوعة أن يلعب هذا الدور العلمي والثقافي علي أكمل وجه ولقـــد أولي الشيخ سيدياباب محظرتة والتي عرفت ازدهارا عظيما في عهد الشيخ ســـيديا الكبير وابنه محمد عناية خاصة وساهم مساهمة فعالة في جعلها تستمر في بـــث اشعاعها الثقافي والتعليمي بوصفها واحدة من أشهر محاظر القادرية فى بلاد شنقيط.

---

١ – محمد فاضل بن محمد الحطاب : الشيخ التراد ، مرجع سابق ص ٣٢.
٢ – الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ٣ .

فلجـأ إلي اتباع طريقة شبه مجدثة في التدريس بمحظرتة مثل القاء الدروس حسب جدول زمني محدد ومرسوم وجعل الدروس تشمل جوانب مختلفة من العلوم كتدريس المنطق إلي جانب الأدب والفقه والمعارف الشرعية الأخري كما كان يعقد اجـتماعات دورية مع الاساتذة والوجهاء ليتدارس معهم المشاكل المطروحة وأخذ يجلـب الكتـب الـنادرة من المغرب والسنغال مما جعل مكتبة المحظرة تأخذ نفسا جديـدا مـع قائمة الكتب النادرة والنفيسة التي جلبها لها ووفرت لطلاب محظرتة فرصـة الاطلاع علي بعض نفائس الكتب التي سمعوا بها الا أنه لم يكن بمقدورهم الحصـول علـيها لعلائهـا وبعدهم عن أماكن توفرها، وقد استعاد من اقتنائه لتلك الكتـب لـيس فقط بما يتعلق بالعلوم الشرعية والادب بل أنه تمكن من خلالها من الاطلاع علي أحوال العالم في ذلك الوقت السياسية والاجتماعية والثقافية(١) .

كمـا اسـتطاع الشيخ سيديا بفضل جهوده هذه أن يجعل من محظرتة محط انظار التلاميذ من أصول شيء أكبر قسم يأتي من تجمعة القبلي (أولاد انتشايت و أولاد ابـيري) فضـلا عن التلاميذ الذين يأتون من الترارزة والبراكنة والعصابة وإدرار وتكانـت بـل أن صـيت محظرتة تجاوز حدود بلاده شنقيط إلي الاقطار المجـاورة وغير المجاورة ومن أهم الاقطار التي كان التلاميذ يفدرون فيها بكثرة علي محظرة الشيخ سيدي السنغال وغينيا ومالي وغيرها ، ولم يكن يحدث مثل هذا الاقبال لولا ما يلقى في هذه المحظرة من دروس علي مستوي علمى رفيع ولولا ما تلقـي مـن اهتمام ورعاية من القائمين عليها وخاصة شيخها الشيخ سيديا باب ولم يقتصـر دور الشيخ سيديابا علي التدريس والاشراف علي نمو وازدهار محظرتة بـل امـتد إلي الاسهام في إثراء الساحة الثقافية بالتحقيق والتأليف وحتي الاجتهاد الـذي مال إليه وهو في العشرين من عمرة أو لجأ وهو في تلك السنة المبكرة إلي الـرجوع إلـي المـنابع الاصلية للشرع (الكتاب والسنة) والتعمق في دراستها... والإبتعاد عما سواهما وقد ألف الشيخ في العلوم الشرعية وخاصة الفقه كما ألف في التاريخ وغيره من العلوم الأخري (٢) .

أمـا عـن محظـرة الشيخ ماء العينين فأنه بعد أن قضى المرحلة الأولى فى تحصـيل العلـوم وتلقـي التربية الروحية على يد والده وقد أذن له شيخة ووالدة بالرحـيل إلـي منطقة جديدة بعيدا عن منطقة والده دخل الشيخ في المرحلة الثانية وهي مرحلة العطاء العلمي والروحي وتمثل مرحلة العطاء العلمي وتظهر في كثرة تآلـيفة العلمية وما تتلمذ عليه من الجموع الغفيرة من البشر بمدرسة باسمارة حيث أصـبحت كعـبة للطـلاب وسوق العلم والادب رائحة حتى فاق عدد تلاميذ عشرة آلاف .

---

١ – حماد ولد مولاي : تحقيق مخطوط ، رسالتين ، ص ٧-٩.
٢– محمد فاضل : مرجع سابق ، ص ١١٠ .

وكــان لأســماره مميزات خاصة فى قلب الصحراء الغربية حيث كانت رباطاً روحيا وفكريا تنشر فيه المعارف الدينية واللغوية ومركزا للجهاد ونظرا لما لمحظرة الشيخ ماء العينين من مكانه عظيمة في موريتانيا أطلق عليها اسم مدرسة ، وانطلاقا من حرص الشيخ علي الهوية العربية والدين الاسلامي باعتبارة الوحدة العقائديــة التــي يلــتف جولها المسلمون فجر الشيخ فكرة الجهاد ، ومثلت اسمارة الوجــة الأكــثر نصاعة وأوضح وأكثر أهمية من حيث أنها خرجت مريديها علي فكــرة كراهية الاستعمار الاجنبي وكما كانت اسمارة جامعة علمية ومكتبة كان لها اشــعاعها الرائدة في هذه الصحراء المترامية الأطراف ورغم وقوعها تحت قبضة الاستعمار سنة ١٩١٠ وفقدها بذلك الكثير من ذخائرها العلمية وكنوزها الدينية غير أن ذلك لم يفقدها قوتها الثقافية واشعاعها الديني بل أصبحت تشع به على الكثير من المــناطق الشمالية التي إستقطبت الكثير من الزعماء فى رفع الإشعاع الثقافى ضد الغزو الفكرى الإستعمارى .

أمــا عن مؤلفات الشيخ ماء العينين فقد اهتمت بالجانب الفقهي واللغوي كما اهتمــت بالتأسيس لأصول الطريقة ومادتها وكان له في التصوف مباحث هامة ، ومــن أقطاب القادرية الذين اسهموا في الحياة الثقافية والعلمية في موريتانيا الشيخ الــتراد بــن العباس الذي عاش في منطقة الحوض يتلقي تعليمية في محظرة عمة الشــيخ سعد أبيه ثم جاءت مرحلة العطاء مبكرة في حياة الشيخ التراد وكان لطبيعة المجتمع الموريتاني الترحالية وطبيعة التعليم فيه والمطبوعة بسمات الظعن جعلت الشــيخ المحظــرى يلقــي دروسةماشيا مسرعا مرة ومرة جالسا في بيته ومرة في المســجد ولا يعــرف تاريخ ولا مكان محدد لبداية مرحلة العطاء العلمي لمحظرة الشــيخ التراد والذي يبدو أنه بدأ منذ مغادرة محظرة خاله محمد المختار ولد أحمد الا أن هــذا العطــاء لم يصبح مركزا وبشكل فعال إلا مع مرحلة الاستقرار والتي انتهت بالاقامة في منطقة أفوبنية سنة ١٩٣٣ (١) .

وقــد أسس الشيخ التراد محظرتة حيث تضافرت عوامل جديدة كان لها دور أساسي في تشكيل هذه المحظرة إذا استطاع الشيخ التراد في ترحالاته حيازة بعض العلمــاء الاجــلاء اليجانــبة فضلا عن الكتب التى استطاع الشيخ جمعها وعامل الاستقرار الذى يعتبر ذا أهمية قصوي في تنمية المعارف وتطويرها هذا فضلا عن التحســن الاقتصــادي الناجم عن انشاء سد افوبنية يضاف إلي كل ما سبق الاهمية القصــوي التــي أولاهــا الشيخ للعلم والمتعلمين (٢) . محييا ذلك وداعيا بتقريب العلمــاء وايثارهم بالحديث والمال وتشجيعهم علي توجيهم بالاضافة إلي نفقتةاللا معوضــة علــي طلبة العلم لتصدق به مرة أخري رؤية الخليل النحوى التي يقول عنها (وغالبا ما ينفق شيخ المحظرة بدوية كانت او حضرية من ثروتة الخاصة أن وجــدت في اعاله الطلبة ، ينفق عليهم بسخاء دون أن يطلب علي بره جزاءا وذلك من كمال استاذيتة (٣) .

١-٢- محمد فاضل :الشيخ التراد مرجع سابق ، ص ٢١-٢٢.

٣ - الخليل النحوي : مرجع سابق ، ص ١٤٢.

أمـــا مؤلفـــات الشـــيخ التراد المتأخرة زمنيا فقد اعتنت بالدفاع عن الطريقة نظـــريا بتنقيتها من الشوائب التي لحقتها محاولا ربطها بالاصول في نزعة لا تخلو مـــن نـــزعة ســـلفية ، وهذه المؤلفات المؤسسة والمدافعة وفرت المرجعية الفكرية والاطار النظري بهذه الطريقة وممارساتها وعلاقتها بمن حولها كما وفرت المستند الشـــرعي الذى يبرر ويقنن علاقاتها بالآخرين ، ولم يتوقف نشاط الطريقة القادرية علي تلقين الأوراد بل تخطت ذلك إلي اعتبار التعليم عملا أساسيا في دائرة نشاطهم وصـــارت زوايـــاهم ومحاظرهم ومدارسهم بمثابة مراكز للصلاة والذكر جنبا إلي جنـــب مـــع الدراســـة والتعليم وأصبحت مصدرا للفتوي والتعليم تعقد فيها جلسات القضـــاء المحلـــي ولعبـــت دورا هاما في نشر العقيدة الاسلامية وتنقيتها من البدع والشوائب التي امتزجت بها (١) .

ولقـــد كان للموقع الاجتماعي الذي تبوأه أئمة القادرية في موريتانيا ومحاولة مـــنهم لتأصـــيل هذه المكانة عمل شيوخ القادرية علي خلق منظومة ثقافية وفكرية وعلمـــية ، وعلي الرغم من حداثة تأسيس هذا المجتمع فإن مجهود رجال القادرية كان واضحاً وظاهراً ومؤثراً فى المجتمع الموريتانى ، فعلى المستوى الفكرى تبنت القادرية خلق مؤسسة دينية ثقافية تعمل علي نشر العلم المتداول محليا حتى خرجت مجموعة متعلمة ومعلمة علي مستوي العلوم الظاهرة ، ولقد تضافرت مجموعه من العوامـــل كان لها الدور الأساسي في خلق نواة هذا العطاء الثقافي من خلال تشكيل ما عرف بحضرة الشيخ محمد فاضل ، ويطلق الموريتانيون علي المدارس الاهلية المتخصصـــه فى تعليم القراءة والكتابة والعلوم الظاهرية اسم محظرة كما يطلقون علي المؤسسات الصوفية اسم زوايا ، بينما اختصت مدارس الشيخ محمد فاضل في وكـــرها الأصـــلي بـــالحوض (علي الأقل) بإسم الحضرة وهو مصطلح ذو دلاله روحـــية وهـــو يعـــنى الحضرة إذا كان الشيخ ومن ينوب عنه قائما عليها ، وهذه التآلـــيف والمصنفات تضم مادة ثقافية وتاريخية شاهد إلي حد ما في اعطاء صورة للمســـاحة الفكرية الموريتانية وتداخل الازمة الثقافية والسياسية بها خلال القرن ال ١٩ والنصف الاول من القرن العشرين .(٢)

---

١ – محمد فاضل – الطريقة الفاضلية – مرجع سابق ص ٩٨

٢ – عودة عبد الرحمن – مرجع سابق ص ٣١٩.

ثالثا :النظام التعليمي الصوفي القادري :-

تتمحور عملية التربية الصوفية عند الشيخ ماء العينين علي أربعة أطراف (أ) الداء وتجسدة ، رباعية (النفس والهوي والشيطان والدنيا) (ب) ويمثلة المريد (ج) ويمـــثلة الشيخ وهو بمثابة الطبييب الذي يقوم علي عملية التربية . (د) المادة الدينية النقية من كل الشوائب التي لحقت النصوص عن طريق التأويل أو الدس(١) ، ولتفعـيل العلاقـــة بين هذه الأطراف الاربعة جاء علم التصوف كفن متخصص يرتــب قوانين هذه العلاقة وتفاعلاتها ، لأنه علم به صلاح القلوب وبه تهذيبها وبه إنكشاف الحجب عنها ، ومن هذا المنطلق حاولت الطريقة القادرية خلق نسق فكرى خـــاص بها يحدد ويضبط آليات هذه العلاقة ليقوم بدور التصوف لانتشال المرء من كــثرة الاهـــواء ورعونات النفس إلي صفاء المشاهدة وضياء الحق حسب ما يري أقطاب الطريقة لتحقيق هذا الهدف التهذيبي (٢) .

وللطـــريقة القادرية آداب وضعها إقطابها والتي يجب علي المريد أن يتخلق بها ، يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني أنه لابد لكل مؤمن في سائر أحوالة من ثلاثة أشياء أمر يمتثله ونهى يجتنبه ، وقدر يرضى به (٣) .

وكان لهذه الطريقة أنماط من السلوك تحكم عمليه تربيتها لمريدها طابع هذه الأنمـــاط الجـــبرية والإلزامـــية حتى أصبحت شعارا لها تعرف به ، يغبطها عليه المـــتعاطفون معها لاتفاقهم وإياها في أرجحيته وربما قدسية المصادر التي تستوحي مـــنها شـــرعية ممارســـاتها ويأخذ عليها المتمسكون بظاهر الخطاب الشرعي من الفقهاء الذين يعتبرون أن سن آداب ما والالتزام بها وإضفاء صفة الواجب واللازمة علـــيها وهو بمثابة إبتداع في الشرع غير مبرر ، وردا علي هذا الاعتراض كان الشـــيخ محمـــد فاضل يري أن الشروط والآداب في طريقة إنما هي التزامات مما يلـــزم أصـــلا ، إلا أنه لما كان أهل الدنيا ضبطوا أمر دنياهم ورتبوا فيها لانفسهم أمـــورا مكملة لأغراضهم ، وضبط أهل الآخرة أحوالهم في وجهتهم إلي الله تعالي مـــن جهـــه الآداب لهـــا علي جهه اللزوم ، وجاراه إبنه الشيخ ماء العينين فى هذا الرأى حيث يقول :-

---

١- الشيخ ماء العينيين : نعت البدايات وتوصيف النهايات ، الرباط عام ١٤٠٢ هـــ ، ص ص ٣-٢٥ .

٢- الشيخ عبد القادر الجيلاني : فتوح الغيب ، القاهرة ١٩٦٩م ، ص ٦ .

٣ - - الشيخ ماء العينيين : نعت البدايات وتوصيف النهايات ،مرجع سابق ، ص ٢٥

" إن كـــل مـــا يروي من الشروط والآداب إنما هو علي وجه الكمال لا علي وجه اللـــزوم ، ومن إستدام ذكر الله لا بد من نجاحة إلا إنه مع الشروط والآداب أسرع نجاحـــا وجملـــة ما تهدف إليه هذه الشروط و الآداب هو أن يكبح جماح طموحات الـــنفس وكســـر شهوتها وميولاتها المخالفة للشرع وفق عملية يتعارف عليها أهل التصوف بتسميات عديدة من بينها جهاد النفس أو عملية التربية أو السلوك وغيرها"

جهاد النفس :

تعتـــبر القادرية أن جهاد النفس هو لب عملية التربية الصوفية وهو ما تسميه أحياناً بالسير على الصراط المستقيم أو المنهج النبوى من أجل تحقيق الكمالات والوصول إلى الغاية العليا والهدف الأسمى.

ومن أهم أمراض النفس حسب منظومة مطية المجد للشيخ محمد فاضل:

١- الـــنفس موطن الشهوات وكهف الظلمات وحتى يخرج المريد من هذا الوضع عليه قرع باب التوبة بالأذكار والطاعات .

٢ – مـــن عوائـــق الترقى التسويف والإصرار على الذنوب والغفلة والتوانى فى التوبة وعلاج هذه الأمراض بالذكر جهراً.

٣ – التظاهر بالخشوع والعبادة من غير أن يكون ذلك فى السريرة .

٤ – الإفتخار بالعلم ومباهاة النفس به من أجل الرياسة والتكبر على الأفراد ونيل الفوقية علـــيهم والعـــلاج يكون بتذكير النفس بان ما وصلت الية هو منة من الجليل وعلى النفس الشكر لة بالتواضع .

٥ – كـــثرة الكلام من أجل إظهار الفضل أو الرفعة أو القدرات الذهنية المادية والعلاج يكون بزجر النفس وتذكيرها بالحساب فى الأخرة والحض على كثرة الصمت.

٦- استحسان النفس لكل ما تقوم به من أعمال واستهجانها للاعمال والآراء المخالفة لها ، وذلك لجهلها بالعاقبة ولو علمت أنها مستورة عن الجميع والعلاج زجر الـــنفس و إتهامها بأن ما تشعر به هو من الشيطان لأن من كرمت عليه نفسة هان عليه دينة وقل يقينة . (١) .

٧ – الشـــبع الذي يعتبر السبب الرئيسي للكسل وعنه ينجم كل داء وكلما يشنع وتترقي النفس في هذه الحالة بالجوع الذي يورث علو الهمة واستعدادها بالطاعة وتذكيرها بالافتقار إلي خالقها والرغبة والرهبة إليه وكانت هذه الاداب القادرية التي وضعها اقطاب الطريقة القادرية علي جهة اللزوم .

---

١ – محمد فاضل : الطريقة الفاضلية مرجع سابق ، ص ٢٤ .

وغير ذلك من أمراض النفوس مثل كثرة اتباع الهوي والتنطع في الطاعة والرغبات الشخصية وكثرة الذنوب والانغماس في اللذات والمخالفات مما يجر القسوة للقلب والجهل والغباوة ، وكذلك الاهتمام بالرزق وهو مضمون سلفا وأيضا إظهار الطاعات للناس كي يخشوا المرء نظرا لعبادتة كما أن من أمراض النفوس الرغبة في الراحة والدعة كما أن انسهابالصالحات من أعمالها والهروب من الشرع إلي الدعاء و الاحوال .

هذه نماذج من أمراض النفس التي اعتني بها الشيخ محمد فاضل بإبرازها ومحاولة إيجاد حلول وأدوية ناجحة لها مع أن أمراض النفس عنده لا تقف عند حد يمكن معه حصرها لأنها تتعدد بقدر ودرجة تلبس الفرد بالمخالفات كما تتعدد حيل الشيطان ومكائده الموصوفة في القرآن الكريم . وبصفة عامة يمكن علاج هذه الأمراض باتباع الآداب والالتزامات التي تنظر الطريقة لها كالخلوة بعيدا عن الناس والجلوس للذكر علي هيئة تقتضى الخضوع والذل لله وإغماض العينين في الذكر والسهر والصوم وغيرها وهي رياضة قل من سلم منها حتى أن مؤسس الطريقة الفاضلية القادرية ذكر مالآقاة في رياضاتة الروحية في التعب والشدة ، وهذه المجاهدة بشروطها الالزامية واجبة علي سالك الطريقة وهذه المجاهدة شروطها الالزامية واجبة على سالك الطريق الذي يفلح غالبا معها بسرعة خاصة إذا أقبل علي شيخ قادر علي تربيتة متسمة بسمات القوم المنشودة في الشيخ المربي وهي حديث الفقرة القادمة .

<u>خصائص الشيخ عند القادرية :</u>

تنطلق الطريق القادرية من مسلمة مفادها أن هذه الامة اتفقت خلفا عن سلف أن أول ما يجب علي المريد بعد انتباهه من الغفلة أن يعمد إلي شيخ ناصح عليم بعيوب النفس وأغراضها كي ينقذة من دنس الشهوات ورعونات الاهواء ويكشف له عن أمراضة النفسية ويصف له علاجها بما يناسبها من أداب وتربية القوم ويري الشيخ عثمان بن فودى ، أن للشيخ المربي خمسة شروط هي الأول علم صحيح مأخوذ من الكتاب السنه والثاني ذوق صحيح والثالث همة عالية والرابع حاله مرضية موافقة للكتاب والسنة علي حسب ما عليه مشايخ الطريقة بتلك البصيرة النافذة والخامس بصيرة نافذة يتستدل بظواهر الاشياء على بواطنها بتلك البصيرة (١)

---

١ -عثمان بن فودى : كتاب أصول الولاية ، نيجيريا ، ص ٩ .

وشـيخ الطـريقة الشيخ عبد القادر الجيلاني يرى أن شيوخ هذه الطائفة بنوا قواعـد أمرهم علي أصول صحيحة من التوحيد صانوا بها عقائدهم من البدع ودانوا بما وجدوا عليه السلف وأهل السنة من توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل(١) .

ومـن مهـام الشـيخ الاساسية إيقاظ روح المريد من الغفلة وكشف الجانب الروحـي الكامـن في نفس المريد ومثالب النفس وثقائلها من منطلق حديث (من عرف نفسه عرف ربه) قيل حديث وقيل للامام علي بن أبي طالب والأخذ بأيديهم في السير علي طريقة الله خطوة خطوة للوصول إلي المعرفة (الصوفية).

ونظرا لأهمية علاقة الشيخ بالمريد في الطريقة فقد تم تقنين عدد من القواعد الأساسية التي تحكم هذه العلاقة منها وجوب تعظيم المريد لشيخة واحترامة وتوقيرة فـي حضـورة وغيابة وتقديمة علي غيرة وعدم الالتجاء لغيرة من الصالحين وألا يجلـس وشـيخة واقف ولا ينام في حضرتة الا باذنة الا في محل الضرورات ولا يكثر من الكلام بحضرتة ولا يمشى أمامة ولا يعترض عليه في شيء فعلة معه أو مـع غيرة ولا يتجسس عليه وغير ذلك من الآداب ، ومن القواعد التي أجمع عليها أهل الطريقة والتي تعتبر دستوراً للمريدين تتمثل في الطاعة التامه والتسليم الكامل للشـيخ في كافة الامور الدينية والدنيوية . كما أن علاقة الشيخ بالمريد علاقة ذات طبيعة خاصة لا يعرف أبعادها إلا من عاشها ، ومن ثم يتضح أن تنشئة المريد في الطـريق الصـوفي لا تعتمد أساسا علي الدراسة والعلم وهذا ما جعل الصوفية في موريتانـيا – وفـي غـيرها – يقولون هذه العبارة (الشيخ يربي المريد بالحال لا بالمقال) (٢) .

ويحـدد القادريـة مفهوم الشيخ بأنه شخص حدثت نقلة في تكوينة الذهني وانعكسـت علي تصرفاتة العضوية سواء حصل ذلك عن طريق عناية باطنية وهو ما يسمونة بالجذب الألهي أو عبر الترقي بواسطة السلوك والتربية أي ما يسمونة بالجذب بالسلوك وخاتمة هذا الجذب الالهي أو السلوكي هو أن يكتسب المرء القدرة علـي ضـبط الحالـة وتربيتها وفق مسطرة التقويم الشرعي النصي منه خاصة ، ويـبرع فـي معـرفة أمراض النفوس وأدويتها بحيث يتخرج حازما في اكتشاف تلبسات الاهواء وإستدراجات الشيطان للمريد .

١- القشيرى : مرجع سابق ، ص ٣ .
٢- منال عبد المنعم جاد : مرجع سابق ، ص ٢٠١ .

حـــتى يصـــبح ســـلوكة وتعاليميه أو ربما حتى مجرد بيعتة ولو عن ظهور غيب يعلمـــك بمقاله وينهضك بحالة وهو الذي إذا طليت همتة سبقت، لا من إذا دعوتها أدركـــت ولحقت وهو الذي يحفظ المريد بكلاءتة ويريحية من العناء بعنايتة ، ويلزم ذلـــك حسبما رأينا سابقا عند إقبالة علي عالم الآخرة وتنكبه للدنيا أن يعمد إلى شيخ خصائصـــة كالسابقة فيبايعة علي ما بايع عليه الصحابة الرسول المعظم صلي الله علـــية وسلم وتعتبر الطريقة القادرية أن هذه البيعة واجبة في الطريق وسبيل الشيوخ فـــي البيعة هي سبيل الصحابة لأنهم حسب رأيهم وراثهم وانطلاقا من هذه الوراثة تلـــزم الطريقة القادرية المريد بمجموعة من الآداب والإلتزامات الشرعية وتفرض علـــيه استجابة غير مشروطة للقائد الروحي لكي يتمكن الشيخ من ترقيتة وإنتشالة والـــنظام التعليمي القادري يحث المريدين علي السير فى المنهج الإسلامى المستقيم وإصـــلاح قلوبهم بالتقوي والطاعة لله ولرسوله في حياتهم وسلوكهم امتثال الأوامر واجتناب النواهى وإصلاح القلوب حقيقية بابتعادها عن كل ما يشينها حتى تنقى مما فيه من القاذورات التي تبعدها عن ربها من المحرمات والمنكرات التى نهى الشرع عنها .

ولقد لعبت تعاليم المدرسة القادرية دورا كبيرا في ربط حركة التصوف في موريتانيا بنظيرتها في العام الإسلامي بعد أن كانت مرتبطة بالبيئة المحلية وموقوفة علـــيها كمـــا أسهمت مؤلفات أقطاب القادرية في جذب المريدين نحو العلم مما أدي إلي إتساع مدراكهم وأشتهر ذلك فى نقل التصوف من الجانب الروحى إلي الجانب الفكري وصارت أفكار رجال القادرية فى مويتانيا مزيجا من أفكار العلماء ورجال التصـــوف ولا يقـــل الاثـــر الاجتماعـــي الذي أحدثتة تعاليم المدرسة القادرية فى موريتانيا أهمية عن أثرة السياسى والفكرى .

ولقـــد ظهر أن تعاليم المدرسة القادرية قد أثرت تأثيرا ملموسا علي العديد من الطرق الصوفية الأخري في موريتانيا ، كما أسهمت التعاليم القادرية في دخول التصوف في السودان الغربي في طور جديد يبث روح التجديد والاصلاح فيها بعد أن كانـــت تعانـــي مـــن الركود والتفكك ، وقد ظهرت نتيجة لتلك التعاليم التجديدية فـــروع للقادرية ذات قيادات مركزية وراثية وأدي حصر الزعامة في أسر مؤسس هـــذه الطـــرق إلـــي إحـــتفاظها بمكانـــتها وتماسكها خلال العصور المختلفة حتى الاستقلال(١).

إلا أن أمـــر المربي غالبا ما يلتبس علي غير ذوي الاختصاص ولا سيما عـــند الجمهور ، فكلمة شيخ مثلا تستخدم عند الأهالي مرادفة لكلمة ولي كما تختلط بمصطلح الشريف أو غيرها من الكلمات الدالة علي القيمة المضافة ذاتيا أو اسقاطيا علي فرد .

١- ابو بكر القادرى : مرجع سابق ، ص ٢٩٣ .

شروط الشيخ:

لا يشــترط في الشيخ أن يكون صاحب كشف فالطريقة القادرية لا ترى فى الكشف شروطا لأن يكون الشخص شيخا كما أن الطرقية القادرية تري أن الشيخ – نسبا – لا يمكن أن يصبح تلقائيا مربيا بمجرد حوزتة نسبة الانتساب إلى ذرية النبى صــلى الله علــيه وسلم ويتضح ذلك من إجابة الشيخ المحفوظ علي هذه المسألة لما سئل ، هل يجوز للشريف أن يشيخ من غير إذن ولا أهليه أم لا ؟ فأجاب إن ذلك لا يجــوز ولا يصح ولا معني له في الاقتداء إنما يكون بواصل يصلح للتأديب قد فرغ من تأديب نفسة وتهذيبها علي يد طبيب ماهر بالقلوب والنفوس والأرواح فالبيعة لا ينبغي أن تأخذ إلا علي كامل في نفسة مكمل لغيره(١). .

المريد :

ومعنــي المــريد عند القادرية هو لفظ يعني الاقتداء بشيخ صوفى بغية الترقى فى الســلوك وجهــاد الــنفس للــتحقق بمقامات العارفين وهو ما يُعرف بمنهج المريد الصادق

آداب المريد:

وللمــريد عــند القادرية آداب مع شيخة تلزمة بها وهي مجموعة من الآداب مــنها أن يصحب شيخة بالاحترام والتعظيم ويتابعة في المنشط والمكره ويكشف له عما يعرض له في سيرة إلي ربة أو يحظر في ضميرة وباله ولا يعصي له أمراً .

ومــن اداب الطريقة القادرية التي يجب علي المريد ان يتخلق بها كما يقول الشــيخ عبد القادر الجيلاني :– انه لابد لكل مؤمن في سائر احواله من ثلاثة اشياء امــر يمتثله ونهي يجتنبه وقدر يرضي به ، وعلي المريد الصادق ان يحرص علي التواصي بالخير والصبر عند البلاء والغني عن الخلق والعمل بجد للتقرب الي الله عــز وجل والتسليم لامر الله وان يعيش بين الخوف والرجاء وان يرضي بما قسمه الله تعــالى له ومن الصفات التي يامر بها الشيخ عبد القادر مريديه ان يتصفوا بها ان لا يحلــف بالله عز وجل صادقا ولا كاذبا عامدا ولا ساهيا وان يتجنب الكذب لا هــازلا ولا جادا وان لا يخلف الوعد وان يتجنب ان يكون لعانا وان يتجنب الدعاء علــي احد من الخلق وان لا يقطع الشهادة علي احد من اهل القبلة بشرك ولا كفر ولا نفــاق وان يتجنــب النظر الي المعاصي ويكف عنها جوارحه وان يقطع طمعه مــن الادميــن وان يكون متواضعا وان يكون بالخلق جميعا رحيما وكان من آخر وصاياه لاحد تلاميذه (عليك بتقوي الله عز وجل ولا تخف سوي الله ولا ترج احدا ســوي الله وكــل الحوائج الي الله عز وجل ولا تعتمد الا عليه واطلبها جميعا منه تعالي ولا تتكل علي احد غير المولي سبحانه وتعالي) (٢) .

---

١ – عبد القادر الجيلاني : فتوح الغيب ، مرجع سابق ، ص١٧٦ .
٢ – محمد فاضل : مرجع سابق ، ص ١١٩ .

والمدرسة القادرية فى موريتانيا كسائر المدارس الصوفية التجديديه التي حملت لواء الاصلاح الديني خلال القرن التاسع عشر نادت بضرورة تنمية الدين وتطهيرة مما علق به من شوائب وبدع وخرافات ، وقد ضمنت تعاليم تلك المدرسة في معظمها كتب رائدها الأول الشيخ محمد فاضل وأبنائه وعلي رأسهم الشيخ ماء العينين وأساس تعاليم المدرسة القادرية كما يتضح في كتب أقطابها هو اتباع الكتاب والسنة مع التحذير عن الاهتداء بغير هديها والاشتغال بغيرها .

النظام التعليمي المحظرى :

لقد استطاعت الطريقة القادرية من خلال عملها الاجتماعي والتعليمي وبدعم من قدرات مؤسسيها الشيخ محمد فاضل الوهبية والكسبية أن تخلق إطاراً جديداً يشكل بديلا أفضل أسستة نظريا من خلال عطائها الثقافي .

وقد حددت من خلال هذا العطاء الثقافي خصائص المُريد (التلميذ) والشيخ (المعلم) وعلاقتهما البينية ساعية إلي صقل الشرع من الدخن الذي أصابة .واحيت من الدين ما رأته غافيا ومركزة من خلاله علي ممارسات أسست لها نصيا حتى أصبحت نظرا لانفرادها بها تشكل أهم خصائصها المميزة التي سمحت لها بالانتشار حتى أقاصي الحدود الموريتانية ولتتسرب عبر هذه الحدود إلي البلدان المجاورة كماأسهمت القادرية في النشاط التعليمي في مجتمعهم وشاركوا بجهد كبير في تعليم الصبيان في الزوايا بالإضافة إلى دورهم في تدريس العلم في المساجد كما كان لهم مؤلفاتهم العديدة في مختلف فنون العلم العقلي والتي طبع منها العديد والباقي لا يزال مخطوطا ، وقد استفاد من هذه المؤلفات شرائح واسعة من الشعب الموريتاني وغيرة من شعوب غرب أفريقيا الذين جاءوا إلي هذه المحاظر والزوايا لينهلوا من تلك العلوم ويتعلموا علي أيدى هؤلاء الشيوخ القادرية (١) .

و لعبت هذه الزوايا والمحاظر القادرية دورا ثقافيا وإجتماعيا هاما في تاريخ موريتاناويتضح مما سلف ذكرة أن بعض الطرق المنبثقة عن القادرية لعبت دورا بارزا في المحيط السياسي خلال فترة حكم الامارات والدارس للطريقة القادرية يري ان هذه الطريقة القائمة علي التربية والتكوين والإرشاد خالية من كل بدع او طقوس غير شرعية وان وصايا اقطابها تحض علي اتباع الكتاب والسنة وعدم الانحراف عنهما وان غايتهم هي تربية المريدين علي السير في المنهاج الاسلامي المستقيم واصلاح قلوبهم بالتقوي والطاعة لله ورسوله في حياتهم .

---

١ – حسين سيد عبد الله – المتصوفة فى المغرب الاقصى ص ١٣٣.

السياسة التعليمية الفرنسية في موريتانيا :

في واقع الأمر لا يمكننا أن نفصل بين السياسة الاستعمارية في مجال التعليم والسياسة الاستعمارية المتعلقة بتنظيم المستعمرة الفرنسية لموريتانيا ذلك أن السياسة التعليمية الفرنسية هي أساسا أداة للهيمنة الثقافية علي الشعوب و إحلال القيم الفرنسية والحضارة الفرنسية محل قيمها وحضارتها ، ومن هذا المنطق فإن التعليم الفرنسي في موريتانيا يشكل ضرورة عملية بالنسبة للفرنسيين لا لانه وسيلة لاستلاب السكان ثقافيا فحسب بل لانه يساهم في تكوين عمال الإدارة الاستعمارية الناشئة مثل وكلاء إداريين – معلمين مترجمين – ٠٠٠٠٠٠ إلخ) وهو ما يبدو جليا من خلال أهداف السياسة الفرنسية من التعليم ٠وقد بذلت السلطات الفرنسة في موريتانيا جهوداً جبارة من أجل إنشاء مدارس منذ بداية الاحتلال وكانت وقتها لا تتحصل إلا علي النذر اليسير من أبناء الموريتانيين وذلك بسبب العراقيل الكثيرة والتي منها كما هو معلوم

١- معارضة العلماء للتعليم الفرنسي .

٢ - انتشار المحاظر القرآنية .

٣- اعتبار كل التعليم الأجنبي مخالفا للشرع الإسلامي ، قائلين إن الفرنسيين يعلمون عقيدتهم التلاميذ الذين يدخلون مدارسهم (١) .

٤- شخصية الفرد الموريتاني : والتي تتميز بطبيعتها التقليدية التي تغلب عليها البداوة وتسيطر عليها البراءة وتطغى عليها النزعة الدينية المتشددة .

٥- صعوبة الاستقرار في البلاد :- وذلك نتيجة لكثرة كثبانها وأقطارها وصحاريها فهي تية ومضلة لمن لا يعرفها ٠

٦- صعوبة الموصلات ، والتي تكاد أن تنعدم فهذا الطابع المتحرك المتنقل الجارى وراء الماء والكلأ منع من وجود المدارس العصرية لأنها تقتفي أول ما تقتفي الاستقرار والسكون (٢).

١

sselmou ould Mohamed el hady .op .cit. p . 52-١

٢- حمدين محمد على - مرجع سابق ص ٤٧ .

لذلك وجدت الإدارة الفرنسية نفسها مرغمة أمام هذه الظروف والعراقيل التي لا تيسر تجاوب الأهالي مع التعليم الفرنسي إلي غلق هذه المدارس، ولما تم لفرنسا احتلال موريتانيا سنة ١٩٣٤ فتحت المدارس الفرنسية أبوابها من جديد بعد أن زودتها السلطة الفرنسية بمعلمين أفارقة علي أمل أن يتجاوب السكان معهم ، وقد اقتصرت علي السود فقط ، ولذلك قررت فرنسا إرسال عدة أطفال من أبناء رؤساء القبائل إلي كل مدرسة فرنسية ثم ازداد عدد التلاميذ في السنوات اللاحقة وخاصة أيام الاستقلال وما بعدها .

<u>أهداف السياسة الفرنسية من التعليم :</u>

إن هيمنة النظام الاستعماري في المجال السياسي والإداري والاقتصادي تتطلب منه العمل علي تكوين طبقة من الأطر المحليين لاستخدامهم في الأغراض الاستعمارية العامة، وهذه الطبقة المكونة تكوينا أيديولوجيا ، استعماريا في المدارس الفرنسية سترتبط بالجهاز الاستعماري أكثر من غيرها وستدين له بالولاء التام (١) ، كما أنه يمكن القول بأن سياسة فرنسا التعليمية قد حاولت بشكل واضح للقضاء علي الهياكل الثقافية التقليدية (٢) .

ويما أن سياسة التعليم عموما في نظر الإدارة الاستعمارية قد تؤدي إلي تشجيع الوعي السياسي لدي الشعوب المستعمرة فقد كان ينبغي استخدامها لتحقيق أغراضها الاستعمارية ، التي تهدف أول ما تهدف إلي طمس الهوية الثقافية لهذه الشعوب ، مقابل إظهار عظمة أوربا وثقافتها وفي هذه السياق بالذات كانت أهداف السياسة التعليمية الفرنسية تتمحور أساسا حول ثلاث نقاط أساسية هي :-

أ) التمدين :

يعتبر تمدين الشعوب هو الهدف الأول بالنسبة للاستعمار علي اعتبار أن أفريقيا تشمل الشعوب المتوحشة وينبغي تمدينها ، وعلي الرغم من طبيعة هذه الأهداف فإن السياسة الاستعمارية في مجال التعليم كانت سلبية إلي حد ما علي الشعوب المستعمرة حيث عملت علي تحطيم القيم الأفريقية التقليدية (٣) .

١- محمد الراظي : مرجع سابق ، ص ص ٨٥-٨٦ .

٢- حيمد بن محمد علي : مرجع سابق ، ص ٤٤.

٣- محمد الراظي : مرجع سابق ، نفس الصفحة .

وفي هذا الخصوص ورد في تعميم الحاكم العام بريفية (Brevie) "بواسطة المدرسة يمكننا أن نجر الأفريقي إلي تقبل إرشاداتنا وأن يهتدي يهدينا ،إنها حضارتنا التي تنحني إلي الأمام نحو حضارته وتتكيف معها لدعم مجهوداته وبالتالي دفعة إلي طريق التقدم الاقتصادي والاجتماعي بطريقة بطيئة ، ولكن بالتأكيد ستتغير عقليتة كما أن فكره سيتحرر من أعباء سلاسل العبودية وماضي الخوف والتشاؤم ، كما سيتلقى تأثيرهنا ومنهاجها ••• فيدخل في مستوى حضارته الخاصة (١) .

وعلي ذلك الأساس ، فقد اتجه تعليم التاريخ والجغرافيا إلي البرهنة علي أن فرنسا أمه غنية ، وقوية وقادرة علي أن تصون هيبتها ، وفي نفس الوقت عظيمة لنبل أفكارها ولم تكن أبدا قد تراجعت في السابق عن تقديم تضحيات مادية وبشرية لتحرير الشعوب المغلوب علي أمرها أو من أجل استجلاب فوائد الحضارة بالنسبة للشعوب المتوحشة وذلك بواسطة توفير الأمن .

ب) التفرنس (أو الفرنسة) :

ويعتبر هذا الهدف وسيلة لتحقيق الهدف الأول الذي هو التمدين ، ويتعلق الأمر هنا بوضع اللغة الفرنسية كلغة وحيدة وإجبارية في المدارس الاستعمارية ، فهي اللغة الرسمية للتعليم كما هو واضح من خلال مرسوم ١٠ مايو ١٩٢٤م ، هذا المرسوم الذي يمنع المعلمين القائمين علي التدريس من الكلام مع تلاميذهم باللهجات المحلية وفي هذا المعني كتب دشاش يقول " إذا كان التعليم الاستعماري يبذل كل جهدة ليعلمك أن تفكر وأن تحس بكل ما هو فرنسي ، ذلك أنه قبل كل شيء يفرض عليك أن يتكلم الفرنسية وهو ما يشكل مذهبا وطريقه ثابتة للمستعمر الفرنسي خلافا للطريقة الإنجليزية والبلجيكية من أفريقيا فلغته هى اللغة الوحيدة الإجبارية بالنسبة للتعليم الرسمى وذلك بداية من السنة الأولى من المدرسة الابتدائية (٢) .

---

١ - ٢

CIRCULAIRES BREVIE 1933. VOIR F .(DECHASSEY) MAURITANIE 1900. 1975 ,OP ,CIT .P.106.-107

وهذا الإنتشار بالنسبة للفرنسة حسب راى(بريفي هو ضرورة عملية ، حيث أن القوانين والتشريعات منشورة بالفرنسية كما أن سياسة المشاركة التي تبنتها الإدارة تعطي للأفريقي حق المشاركة في الجمعيات الفرنسية شريطة أن يتكلم الفرنسية ، فاللغة الفرنسية إذن هي قاعدة التعليم وكل الدروس مقدمة بها .

ج- الانتقاء :

وهنا نتوصل إلي الهدف الثالث بالنسبة لسياسة التعليم الاستعماري الفرنسي بأفريقيا الغربية الفرنسية الذي هو انتقاء بعض الأطراف وتكوينهم حسب حاجات الحياة الإدارية والاقتصادية للبلاد المستعمرة ، وهذا ما يفسر الأهمية الاقتصادية والسياسية للمدرسة الاستعمارية ، التي لاحظها وزير المستعمرات ألبرت سار إليه (Albert sarrault) بقولة أن تثقيف الأهالي هو ضمان لواجبنا لكن هذا الواجب يتناسب بصفة متزايدة مع فوائدنا الإدارية والعسكرية والسياسية الأكثر بديهية ، فالتثقيف إذن يهدف أولا علي مستوي النتائج إلي التحسين من قيمة الانتاج الاستعماري ، وذلك مضاعفة لنوعية الذكاء في صفوف مجموع العمال من الأهالي ، ثم مضاعفة القدرات بشكل عام ، علاوة علي ذلك الوصول إلي انتقاء من بين الجماهير العاملة النخب المتعاونة القابلة لخدمة الأهداف الاستعمارية كوكلاء تقنيين – مراقبين مسيري إدارة إلخ وهو ما من شأنه أن يساهم في تعويض النقص العددي للأوربيين في الوقت الذي يلبى فيه الطلب المتزايد من طرف المؤسسات الزراعية الصناعية والتجارية الاستعمارية (١) .

ومن الجدير بالذكر أن الفرنسيين قد أعدوا كل الوسائل محاولين إدماج تعليمهم داخل المحاظر ، فنادوا بإنشاء مدارس عربية فرنسية محاولين بذلك التلبيس علي الناس والتدليس متذرعين بأن المدارس الجديدة تجمع القرآن إلي جانب اللغة الفرنسية وبذلك يكون أقرب إلي الروح الإسلامية.

1- A , Sarrauit : LA MISE EN VALEUR DES COLONIES , FRANCAISES PAYOT , 1932, P 95

ولم تتغلغل فرنسا ثقافيا في موريتانيا إلا بصعوبة شديدة وبذلك لم توفق في أن تنشر لغتها فى موريتانيا بحيث يمكن القول أن هذه المنطقة كانت أقل مناطق غرب أفريقيا تأثرا بالثقافة الفرنسية ، ولقد حاولت فرض التعليم الفرنسي علي السكان وأغرتهم بشتي الطرق ، ولكنهم تمسكوا بالتعليم في المحاظر التقليدية ، وظهرت معارضة واضحة من جانب الموريتانيين الذين رأوا في المدارس الفرنسية تهديدا خطيرا لشخصيتهم العربية والإسلامية – وهم محقون في ذلك – حيث أن للموريتانيين تقاليد عريقة في التعليم ، وقد كان التعليم في موريتانيا نقطه اجتذاب لجميع المستعمرات الفرنسية الأخرى ولذلك كان بعض المسلمين يفرون إلي شنقيط وبوتليميت التي برزت كمراكز للثقافة الإسلامية العربية لتلقي العلوم فيها خاصة بعد أن تأسس فيها معهدا اسلاميا كان يعد قبلة للمسلمين في أفريقيا السوداء ولقد لجأت السلطات الفرنسية إلي إغراء المدارس التقليدية بإدخال اللغة الفرنسية في برامجها (١) ٠

ولقد كتب وليام بونتى في تقريره السنوى لعام ١٩١١م " مهما كان الحال فلن يكون هناك مجال لتشجيع المدارس الفرنسية وتعلم اللغة الفرنسية لما ينجم عن ذلك من دعم نفوذ الفئة المرابطين فإن العكس هو الصحيح " كما يقول بونتي " إن بناء المدرسة التي تدرس حصص من العربية والتربية الإسلامية إلي جانب اللغة الفرنسية هو هدف سياسي قبل كل شيء وعليه فإنها تخاطب قوما يختلفون كل الاختلاف عن شعوب غرب أفريقيا كلها ، وذلك يرجع إلي عوامل تاريخية وعرقية فإن مجدنا – مجد فرنسا – يجب أن يحل محل خصوصية هؤلاء الاجتماعية ولكن بصورة تدريجية (٢).

ومن جهه أخري فإنه صدر مرسوم محلي صادر بتاريخ ١٩٠٦/٦/٢٠ والذي تقرر فيه منح منح سنويه قدرها ٣٠٠ فرنك لكل شيخ محظرة يخصص ساعتين في اليوم لتعليم اللغة الفرنسية ، غير أن هذا القرار بقى معلقا بدون تنفيذ ، وذلك لأن شيوخ المحاظر كانوا يترفعون بأنفسهم عن مثل هذا الإغراء ، فلم يتقدم أي منهم بطلب للاستفادة من هذا المبلغ ولم تقف الممارسات الاستعمارية والمحاولات الغربية عند هذا الحد وإنما حاولت الأستعانة بآراء الخبراء التربويين في الدول العربية المجاورة كتونس والجزائر وكذلك القاهرة .

١- نصر الدين نصر : مرجع سابق ، ص٥٢.

٢- محمد الهادي ولد الطالب : مرجع سابق ، ص ٢٢١

لقد حاولت فرنسا إنشاء مؤسسة تعليمية لتكوين نوع خاص من أبناء الزوايا لتحارب المحاظر عن كثب وتتمكن من السيطرة عليها ، فعندما فشل الفرنسيون في إحكام قبضتهم علي رؤساء المحاظر بادروا إلي إيفاد مدرسين من الجزائر وتونس يتقنون اللغة العربية ولكنهم إلي جانب ذلك يجيدون اللغة الفرنسية ويبشرون بمبادئ المستعمر فكانوا يقدمون المعرفة في شكل علم غير سليم وبات واضحاً أنهم كانوا يقدمون معلومات ثقافية ظاهرها ما فيه الفائدة كتوعية الناس وفتح أذهانهم على الحياة الجديدة وتمكينهم من أسلوب يعايشون به المجتمع ، ولتوضيح هذه الفكرة نقول أن المستعمر أسند مهمة التدريس إلي مسلمين جزائريين وزود التلاميذ بالمال عند افتتاح المدارس ووفر لهم المطاعم المدرسية والملابس طيلة العام ، وارتضت الحكومة الفرنسية هذه الخطة فأسندت إدارة المدارس إلى الجزائريين مع مراعاة أن يكون المدير من العلماء التقليديين لأنه هو الأجدى وفعلا بدأ الجزائريون يصلون إلي البلاد وكان أول مدير اشتغل منهم هو (مكى الجنيدى) الذي أسندت إليه إدارة مدرسة ابى تلميت وعندما استلم إدارتها كانت حصصها الدراسية ٢٥ حصة منها ١٢ حصة للعربية والباقي للفرنسية.، وكان أول عمل قام به هو تغيير البرامج حيث أدخل المواد التي كانت تدرس في المحاظر ليجذب إليه السكان والدوافع التي أدت إلى هذا التغيير هو الحرص علي جذب أنظار الطلبة ولفت انتابهم وشدهم إلي الدروس الجديدة التي تجمع العربية إلي جانب الدروس الفرنسية ، وفي نفس الوقت عمل على تخفيض العربية وتقليص حصصها إلي ٩ ساعات فقط من الوقت المحدد سلفا ولما نجحت هذه الخطة وآتت أكلها استقدمت فرنسا جزائريا آخر هو مصطفي بن عيس سنة ١٩٣٨ (١) .

وهكذا توالي المد الأجنبي المتظاهر بالإسلام فازداد إيفاد الجزائريين علي البلاد وكادت المحظرة تخضع لهذا المخطط ، إلا أن العلماء واجهوا هذه الخطط بكل عنف ورفض مجاهدين بألسنتهم . إن الاستعمار الفرنسي بمحاربة اللغة العربية كان يدرك أنها العامل الموحد والمحرر ولأنها السلاح الفكري الفعال في ميدان الصراع بين الشعب والاستعمار ، بين الأصالة وعمليه المسخ الاستعمارية عمل علىالقضاء علي اللغة العربية والشخصية الوطنية .

١-حيمد بن محمد علي : مرجع سابق ، ص٣٣.

وأصدرت عدة قوانين تطالب بأن يقتصر التعليم علي حفظ القرآن وعدم التعرض لتفسير الآيات التي تدعوا إلي التحرير واستبعاد دراسة التاريخ الإسلامي العربي والتاريخ الوطني المحلي وجغرافية البلاد وكان الغرض من هذا القانون هو غلق الأبواب أمام الأجيال حتى لا يتعلموا لغتهم وتاريخهم وتاريخ بلادهم و أمتهم وحتى لا تكون ثقافتهم التي تؤدي إلي نهضتهم وتحريرهم (١)

غير أن الفرنسيين حاولوا تكييف التدريس مع ظاهرة التنقل والامتناع فأخذوا يطاردون أهل البدو في حلهم وترحالهم فاتحين لهم المدارس حيث ما حلوا وأينما انتقلوا لذلك رددوا عبارات من قبيل " إذا لم تذهب إلي المدرسة فالمدرسة ذاهبه إليك " وفعلا طبقت هذه الطريقة في خمسينيات القرن العشرين وقد أعطت نتائج قيمة ٠ ولقد كان اهتمام فرنسا بإقامة مدارس استعمارية فى كل المراكز الإدارية ، وكان الهدف من ورائه أن هذه المدارس ستعمل علي خلق إدارة من الأهالي قادرة علي تأدية كل المهام التي تحتاجها الإدارة الاستعمارية ، كما أنها في نفس الوقت تضمن ولاء النخبة المتعلمة المتكلمة لفرنسا وللحضارة الفرنسية ٠ وقد انتهجت هذه المدارس مناهج المستعمر وسارت علي نمطه بالرغم من سماح الإدارة الفرنسية بإقامة مدارس علي النمط التقليدي بين دروس العربية إلي جانب التعليم الفرنسي وتعتبر هذه السياسة (الاستيعاب) وهي سياسة الفرنسة الاجتماعية هي النمو الطبيعي والامتداد الأوحد لتمسك فرنسا بسياسة الحكم المباشر (٢) .

و بالرغم من كل الصعوبات التي واجهت المستعمر في نشر ثقافته الاستعمارية فقد تحايل واتخذ لنفسة حلولا ملائمة مكنته من التغلغل داخل الأراضى الموريتانية نذكر منها :-

الترهيب : وتمثل أساسا في إرغام المجتمع البدوي علي أن يقدم أبناءه إلي المدارس عبر شيخ القبيلة الذي يفرض عليه أن يقدم في كل سنه أبناء من قبيلته أو يبلغ عن رفضهم وعندئذ فإن القبيلة معرضة لجملة من العقوبات من بينها الغرامات المالية والحبس أحيانا ، وبهذه الطريقة كاد التعليم أن يصبح إجباريا صارما لا مساومة فيه و قد احتال شيوخ القبائل علي أوامر المستعمر بأن

١- عبد المالك خلف التميمي : مرجع سابق ، ص ١٠١.
٢- حمدى الطاهرى : مرجع سابق ، ص١٨٣ .

أرسلوا إلي المدارس الفرنسية أولاد العبيد من الزنوج ولم يرسلوا أبناءهم فكان أغلب الذين يعملون في هذه المدارس من الطبقة المسحوقة في المجتمع ، لأن الطبقات الأخرى كانت ترتفع بنفسها عن مثل هذه الدراسة .

الترغيب : إلي جانب عامل الترهيب اعتمدت فرنسا من أجل القضاء علي الصعوبات التي تتعرض لها المدارس الفرنسية في موريتانيا اعتمدت علي عدة اغراءات مادية ومعنوية ، فالاغراءات المادية تمثلت أساسا في المنح والطب والتزويد باللباس والمسكن إلي غير ذلك .

وأما **المعنوية** فكانت تتمثل في الهدايا التي يقدمها الوالي الفرنسي إلي شيوخ القبائل .

ولقد مارست السلطات الفرنسية كل الضغوط لاجبار الأهالي وشيوخ القبائل علي تقديم الأبناء إلي المدارس فكثيرا ما انتدبث حرس الدوائر لمهمة الاكتتاب حيث يقوم الحرس بإجبار الأهالي مباشرة لتقديم الأبناء بصفته قسرية إلي المدرسة وردا علي هذه الإجراءات عمد السكان إلي إخفاء الأبناء في الجبال وفي المخابي وقد كان رؤساء القبائل باعتبارهم متعاونين مع الإدارة الفرنسية يغالطون هذه الأخيرة بتقديم أطفال من الطبقات الدنيا بدلا من أطفال الطبقات العليا ، وقد استخدم السكان الرشوة للإفلات من قبضة المدرسة حيث كان الآباء يشترون من المعلم ساعات الدراسة النظامية ليصرفها أبناؤهم عند مدرسة القرآن أو شيخ المحاظر .

وقد كان هروب التلاميذ وكثرة الغياب وإهمال الدروس وعدم مواكبتها عوائق أساسية بالنسبة للمدرسة الاستعمارية التي كانت تلجأ في الغالب إلي عمليات الطرد بعد رسوب التلاميذ لعدة سنوات وهذه العوائق هي المسئولة عن ضعف نسبة التدريس بالبلاد الموريتانية خلال الفترة الاستعمارية وفشل السياسة الفرنسية في المجال التربوي التي كانت تسعي إلي خلق جيل مثقف بالثقافة الفرنسية يدين بالولاء التام لفرنسا وحضارتها ونظمها علي الرغم من أن هذه الأخيرة نجحت في توفير الإطار الملائم لذلك (وهو الدارسة) التي أفرزت عقلية جديدة ونمط عيش جديد ووظائف جديدة فالزوايا أنفسهم الذين ناصبوها العداء أصبحوا يعترفون ضمنيا بأنها أصبحت هي الوسيلة الوحيدة للعيش وذلك في ظل الظروف الاستعمارية الجديدة التي تطلبت تسييس الموارد الاقتصادية للبلاد بما في ذلك فرض الضريبة وتعميم التبادلات النقدية وإشاعة العمل بالراتب وخلق

الوظائف البيروقراطية الجديدة التي يستفيد منها خريجو المدارس بالدرجة الأولي وهو ما كان له بالغ الأثر علي التعليم المحظرى الذي يشكل مظهر الثقافة العربية الإسلامية الأصلية (١).

رابعاً: الشيخ ماء العينين ودوره في المجال الثقافي والروحي واثره علي المقاومة :

لقد كان الشيخ ماء العينين متنوع المعارف متعدد المجالات التي شملها عطاؤه من اجل ذلك سارت بذكره الركبان في كل مكان حل به ونزل في طول البلاد وعرضها فطبقت شهرته الافاق وسمع بذكره الداني والقاصى ، و الشيخ ماء العينيين هو الابن الثاني عشر للشيخ محمد فاضل ولم يولد لوالده المتعدد الزوجات في ذلك العام غيره من الأولاد الذكور فكانت ولادته خيراً وبركة على أهالى الحى الذى ولد فيه كما كان من كراماته موافقة شهر ولادته للشهر الذي ولد فيه والده فلما بلغ من العمر ثماني وعشرون سنة توجه الي الحج فقصد في طريقه الي الحج مولاي عبد الرخمن سلطان المغرب في مكناس عام ١٢٧٤هـ فأحسن وفادته وأكرم مقدمه وبسط عليه من ارديه التبجيل والاحترام ما لم يفعله لاحد من رعيته او غيرها قبله (٢) .

ومن هنا سوف تبرز علاقته الطيبة مع ملوك المغرب واثناء عودته من الحج توجه الي مصر ومكث بها خمسة اشهر ثم ركب الي طنجه فدخلها في شعبان ١٢٧٦ هـ ثم مر الي مكناس حيث مولاي عبد الرحمن السلطان فأحسن وفادته وأكرم مقدمه وقد كانت الصلة بين الشيخ ماء العينيين والاسرة المالكة في المغرب قوية حيث يعتبرونه ممثلا لهم في الصحراء الواقعة جنوب المغرب(٣).

وفي هذه السنة استحكمت وشائج الإخلاص والمحبة بينه وبين ملوك البلاد ومن هنا تكونت قبيلة الشيخ ماء العينيين في الساقية الحمراء ، وهو تجمع نشا من اجل الحفاظ علي الحدود . لقد كان انتقال الشيخ ماء العينيين للساقية الحمراء والاستقرار بها يعني انتشار طريقته واستقرارها ونجح في اقامة علاقات قوية مع البلاد وقضي علي الاضطرابات القائمة ، ولقد تمكن بماله ونفوذه ان يحقق الامن في ربوع المنطقة ويعمل علي تامين الطرق التجارية الموصلة بين المغرب والسنغال ومنذ ١٨٩٠م ومولاي الحسن يقابله بالمغرب ثم بعده السلطان عبد العزيز باحترام فائق عند مقدمه عليهم.

١- محمد الراظى : مرجع سابق ، ص ٩٧.

٢ - شبيهناء ماء العينين : قبائل الصحراء المغربية أصولها ، جهادها ، ثقافتها ، الرباط ١٩٩٨ ، ص ١٤٢ .

٣ - الهيبة ولد سعد ابية مرجع سابق ص ٢٠.

علاقة الشيخ ماء العينين بسلاطين المغرب:

لقد كانت الصلة بين الشيخ ماء العينين والأسرة الحاكمة فى المغرب قوية وكان يقوم بتقديم خدمات مباشرة للإسرة العلوية فى المغرب باذلاً كل ما يستطيع من مقاومة ضد الإستعمار الأوربى فى الجنوب .(١)

وبعد مقتل كوبولانى والذى إتهمت فرنسا الشيخ ماء العينين بأنه المحرض على قتله ، صممت فرنسا على إحتلال موريتانيا وتعقب عدوها الشيخ ماء العينين حتى يقتلوه أو يقضوا عليه . (٢)

ولقد اتسعت حركة الشيخ ماء العينيين فظهرت ردود فعل عنيفة في الاوساط الوطنية وتشابكت الاحداث تماما في المغرب و موريتانيا ومع اتساع حركة الشيخ ماء العينيين الوطنية والتي اصبحت تهدف الي غرضين هما :

تخليص مراكش من الضغط الاجنبي من جهة ، و ايقاف التوغل الفرنسي في موريتانيا من جهة اخري وكانت اولي ردود الفعل في موريتانيا تفجر الحركات المعادية للاحتلال الفرنسي في صورة قتال عنيف تولى قيادته فى المرحلة الأولى مولاى إدريس الذى وصل إلى أدرار فى يوليو ١٩٠٦ مع الشيخ ماء العينين إلى المغرب (٣) .

لقد تاكدت فرنسا ان الشيخ ماء العينيين يبدو حجر عثرة امامهم فكان مؤتمر الجزيرة والذى كان من بين قراراته منع تهريب الأسلحة ، والذى سيكون له أثر مباشر على الوضع العسكري والسياسى للشيخ ماء العينين (٤) .

واذا كنا قد تعجلنا في الحديث عن العلاقات السياسية فان هناك علاقات اخري روحية بين الشيخ ماء العينيين وسلاطين المغرب ، ولم تكن الروابط بين الشيخ وملوك المغرب مادية فحسب وإنما كانت هناك وشائج روحية ، فقد كان رجال الدولة يتقربون ويسعون لإستقطاب خاطره رجاء بركة دعواته (٥) .

وما نال هذه المنزلة الا لكونه سلك طريق السلف الصالح في ممارسات الطاعات ومحاربة البدع وتطبيقه للسنة ونشره لعلوم الاسلام (٦) .

---

١ ــ علال الفاسى : التصوف الإسلامى فى المغرب ، الرباط ١٩٩٨ ، ص ١٢١

٢ ــ عبد الله عبد الرازق : أضواء على الطرق الصوفية ، مرجع سابق ، ص ١٣٣ .

٣ ــ سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٣٣٨ .

٤ ــ جلال يحى : المغرب العربى الحديث والمعاصر ، الإسكندرية ١٩٨٢، ص ٣٦٣ .

٥ ــ الهيبة ولد سعد أبيه ، الشيخ ماء العينين ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .

٦ــ شينهاء ماء العينين : قبائل الصحراء الغربية ، ص ١٤٠

ومن اجل ذلك كان الشيخ ماء العينيين نافذ البصيرة بوصفه فقيها ومرشدا روحيا وقائدا دينيا وعلي هذا الاساس اسند اليه الشعب المغربي في العام الاخير من حياته قيادة الجهاد فاجتمع لديه جيش من تلاميذه ومن رجاله ومن قبائل الرقيبات واولاد وليم وأبي السباع وسائر قبائل السود ،وزحف نحو فاس لانقاذها وكادت ثورته تعم المغرب كله لولا ان حشد الفرنسيين قواتهم وتغلبوا عليه ثم مرض فعاد الي مدينة (تيزينيت) ومات بها عام ١٩١٠م وان كانت الصلات بين سلاطين المغرب وقبيلة الشيخ ماء العينيين لم تنقطع بوفاته (١) .

مكانته العلمية ورؤيته الصوفية:

مكانته العلمية :

واذا كان الشيخ ماء العينيين قد حقق نجاحا في المجال السياسي فان جهوده في المجال العلمي والادبي لا تقل اهمية عن هذه المجالات السياسية.(٢) . ولقد كان الشيخ متعدد المواهب متنوع المعارف ولذلك تعددت المجالات التي شملها عطاؤه فكان عالما معلما ولقد مر بمرحلتين للعلم كعادة من سبقوه من العلماء :

المرحلة الاولي :

مرحلة التحصيل : وتكون هذه عادة علي ايدي علماء ذوي بصيرة بالمعارف التي يريد الطالب البدء بها.

مرحلة النظر والتبصر وهذه المرحلة تعتمد علي النظر في الكتب ومحاورة العلماء والمتتبع لحياة الشيخ يجد انه بداها بالاخذ من شيوخ بلده وذلك بعد ان نال من المعارف حظا كبيرا ولم يمكث الا فترة وجيزة حتي فاق اساتذته حفظا واتقانا وهجوما على المعانى الغامضة.

المرحلة الثانية :

فبعد ان اصبح مؤهلا لمرتبة الشيخ خرج الي الصحراء عام ١٨٥٣م حيث نوي الاقامة حسب ارشاد والده حيث اقام مدرسة علمية شملت كافة العلوم وتتلمذ علي يديه عدد كبير من ساكني الصحراء ،ولقد اشرف بنفسه علي تسييرها وسير عملها كما باشر تدريس بعض المواد مفرغا بعض الاساتذة لتدريس المواد الاخري اما عن عطائه في مجال التاليف فحدث ولا حرج فهو سيوطى زمانه لكثرة تاليف وتنوع موضوعاتها وتعدد اساليبها(٣) .

١-فاطمة محجوب : الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ، ج٤٤ ، ص ٢٩٠ .
٢- عبد الله عبد الرازق – اضواء على الطرق الصوفية – مرجع سابق ص ١٣٥.
٣ – عثمان ولد الشيخ ابو المعالى مرجع سابق ص ٢٢٥

ولقد وصل عدد التاليف في مختلف العلوم وغيرها اكثر من ٣١٤ مؤلف ما بين مطبوع ومخطوط لم يطبع (١).

لقد حرص الشيخ علي ان يربط في مدرسته بين الجانب العلمي النظري والجانب التطبيقي محاولا ان يبرز للعيان صورة من مدارس السلف الاولي من اجل ذلك ام مدرسته بأسمارة الجمع الغفير من البشر حيث اصبحت كعبة الطلاب وسوق العلم والادب رائجة حتى فاق عدد تلاميذه العشرة الاف.

ولقد صارت اسمارة ذائعة الصيت واصبحت مركزا هاما لدراسات القرآن واتسمت بالشمولية وعدم التجزئة للتعاليم الاسلامية وقد تجلي ذلك في جانبها الدعوي وكان من خطابه (الكلام عن الاحوال والارزاق ومطالبة النفوس بالتخلي والتحلي فانه مع ذلك شمل حمل السلاح حين كان حمله لقتال الكفار واظهار عزة الاسلام.

ولم تكن مدرسة الشيخ العلمية مبثوثة الصلة بالجانب التطبيقي بل كانت تعطي المثال الحي دائما لتطبيق ما تعدو اليه وقد تجلي ذلك في الانفاق اذ معلوم أن أجره عظيم ولقد قام الشيخ في هذا المجال بامر عظيم وجهد حسيم.ووصفه صاحب كتاب الوسيط :

(لقد اجتمعت بهذا الشيخ حين خروجي من مدينة شنقيط الي مراكش في توجهي إلى الحجاز ورأيت منه ما حيرني لأني لا أقدر من معه في وادي اسماره من الساقية الحمراء بعشره الاف شخص ما بين أرملة ومزمن وصحيح البنية وكل أصناف البشر وكل هؤلاء في ارغد العيش) (٢) .

اما عن مكانته في التاليف واثاره العلمية فقد الف كتبا كثيرة خاصة في التصوف وكان له في استعمال الحديث واللغة والسير وله معرفة ما يسمي (علم خواص الاسماء والجداول والدوائر والافاق وسر الحروف) (٣) ، وهذا ليس جديد حيث ان قبيلته موصوفة بهذه الصفة فان الناس يلقبونهم بالاشياخ ، ولقد ساعدت هذه المؤلفات علي انتشار الطريقة القادرية في فاس ومراكش و موريتانيا وساعدت ايضا علي ذيوع شهرته بين العلماء لدرجة انهم اطلقوا عليه لقب قطب.

رؤيته الصوفية :

يقول الطالب اخيار بن الشيخ ماء العينين انه الف مايزيد علي المائة هذا دون المراسلات والفتاوى ، ولقد وصف الشيخ ماء العينيين التصوف بانه من افضل العلوم واجملها واجلها لانه علم به صلاح القلوب وتهذيبها من العيوب وانكشاف الحجب عنها لمشاهدة الغيوب(٤) .

ولقد كان الشيخ محمد فاضل والد الشيخ ماء العينيين ومربيه الروحي قد جعل لنفسه الحق في التلقين لسائر الاوراد ومسايرة قواعد الشيوخ السابقين وعلي هذه السنة الحسنة سار اولاده جميعاً من بعده وعلى رأسهم الشيخ ماء العينين .

---

١ – عبد الله عبد الرازق : أضواء على الطرق الصوفية ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .
٢ - احمد الأمين الشنقيطى : مرجع سابق ، ص ٢٤٨
٣ – فاطمة محجوب : مرجع سابق ، ص ٢٨٩ .
٤ – الشيخ ماء العينين : نعت البدايات وتوصيف النهايات ، مرجع سابق ، ص ٧ .

ولقد استفاد الشيخ ماء العينيين من هذه السابقة في توحيد القبائل وجمعها من حوله حتى الف في ذلك كتابا سماه (إفادة الراوى فى أنى مؤاخى) ،وهكذا كان يقول فى كل منظومته " إنى مؤاخ لكل الطرق " (١) .

ولقد كان الشيخ ماء العينيين يعطي ويؤذن بالكثير من الاوراد الصوفية لكل راغب في الدخول في طريق القوم وقد اخي جميع الطرق رغم اختلاف الاوراد والمناهج وفى هذا دلالة على أنه وصل إلى درجة من العلم جعلته يوفق بينها دون مراعاة إختلافات الرؤى التى سادت البلاد إبان ظهور الطرق الصوفية وتعدد أقطابها (٢) .

ونتيجة لعلمه فقد اسس الشيخ ماء العينيين عدة زوايا في مراكش وفاس واصويره اضافة الي زاويتيه الرئيسيتين في اسماره في الصحراء واطار بادرار(٣) .

دور الشيخ ماء العينين في المقاومة الثقافية:

تُمتاز موريتانيا بكونها لم تعرف الانحطاط الذي غرفه المشرق العربي بعد انهيار الدولة العباسية واجتياح التتار والمغول لبغداد عاصمتها بل علي العكس من ذلك ظلت بلاد شنقيط تمد المشرق العربى والعالم الاسلامي بجهابذة علمائها الافذاذ .

ومع دخول الفرنسيين الغزاة الي ارض موريتانيا وجدوا امامهم مقاومة ثقافية صلبة متمثلة في المحاظر وتعاليمها وفتاوي علمائها المناهضة للاستعمار (٤) .

وقد كان للشيخ ماء العينيين دور بارز في المقاومة العسكرية التي سبق الحديث عنها وصاحب مقاومة ثقافية كان لها السبق والاثر الكبير في حمل لواء الجهاد المسلح وتحصين الامة ثقافيا وروحيا حيث تتلمذ علي يديه عدد كبير من التلاميذ الذين صاروا جنودا له (٥)

ولقد كانت حركة الشيخ ماء العينين اكثر وعيا باهمية التحصين العلمي للاجيال وشكلت لذلك مؤسسات علمية وروحية قامت بهذا الدور علي أكمل وجه (الزوايا- المدارس الجامعية الكبيرة باسمارة) وعملت هذا المؤسسات علي ملء ساحات الجهاد بالمجاهدين المعدين نفسياً وروحياً وجسدياً وعقلياً وعلمياً مكونة من المريدين الذين شكلوا جيشا له خصوصيته الدينية ، ويصف المؤرخون والكتاب مدرسة اسمارةبانها آخر مركز حضارى تم بنائه فى العصر العلوى قبل الحماية ، ولاسمارة مميزات خاصة منها انها في قلب الصحراء الغربية في منطقة الساقية الحمراء وكان لتاسيسها اسباب عديدة منها لتكون رباطا فكريا وروحيا تنتشر منه المعارف الدينية واللغوية ولتكون مركزا للجهاد ضد الاحتلال الاجنبي لموريتانيا ،ولتكون نقطة فصل بين الشمال والجنوب من اجل حفظ الحدود(٦) .

---

١ – علال الفاسى : مرجع سابق ، ص ١١٨ .
٢ – الهيبة ولد سعد ابيه : الشيخ ماء العينين ، مرجع سابق ، ص ٣٢.
٣ – الخليل النحوى : مرجع سابق ، ص ٢٨١ .
٤-فاطمة بنت الامام : مرجع سابق ، ص ١٩.
٥-فاطمة محجوب – الموسوعة الذهبية مرجع سابق ص ٢٨٩ .
٦-شبيهناء ماء العينين : مرجع سابق ، ص ٤٦ .

ولقد فجر صاحبها ورائدها الفكري فكرة الجهاد انطلاقا من الحرص علي الهوية والدين الاسلامي باعتبار الوحدة العقائدية التي يلتف حولها المسلمون وقد مثلت اسمارة الوجه الأكثر نصاعة وأوضح وأكبر أهمية طبعت مريدها على فكرة كراهية الإستعمار الأجنبى .

وهو ما يعترف به الفرنسيون انفسهم وقد كانت اسمارة جامعة علمية ومكتبة كبيرة كانت لها اشعاعاتها الرائدة في هذه الصحراء المترامية الاطراف وعلي الرغم من وقوعها تحت الاستعمار وفقدت بذلك الكثير من زخائرها العلمية وكنوزها الدينية غير ان ذلك لم يفقدها قوتها الثقافية واشعاعها الديني بل اصبحت تشع به علي الكثير من المناطق الشمالية التي استقطبت الكثير من الزعماء الذين عملوا في رفع الاشعاع الثقافي ضد الغزو الفكري الاستعماري (١) .

ولقد كان الجهاد هاجس الشيخ ماء العينين يسكنه في الحل والترحال لايهدا عن التفكير فيه والتهيى له لحظة واحدة(٢) .

ولقد اتخذ الشيخ ماء العينين منهجا جديدا في مدينته التي اسسها في اسمارة لم تعرفه زوايا العصر وكان لها عدة محاور :

١- محور العقيدة :

لم تكن رسالة مدرسة اسمارة ميسورة المسالك فقد واجهتها الكثير من المصاعب والعقبات التي تمثلت في الصراعات القبلية ومال الناس الي التناحر بدلا من التحاور ولم يكن الشيخ ماء العينين يجهل هذه المصاعب لذكائه ونباهته ومنجهه ولانه ابن البيئة التي نشا بين لحضانها فعزم اولا علي اصلاح الخلافات بين القبائل المتناحرة واستبدال الفرقة بالوحدة في الدين والوطن والمذهب واحيا ما كان قد اندثر من اتصال بالقرآن والسنة حتى اذا اقبل الناس عليه من كل حدب اخذ يلقنهم دينهم قرآنا وتفسيرا وحديثا ومعرفة ولان التصوف عنده استجلاء لعظمة الله فيما خلق اذ عمل في البداية علي مواصلة تلقين المريدين الطريقة القادرية الفاضلية ثم اخذت تتطور لتصبح منطبعة بطابعة الشخصى الموروث عن والده ولقد كان السعى من وراء ذلك لهدم ما بنى فى نفس الانسان الموريتانى من بنيان فاسد وحطام دنيوى فاني وتصور للحياة ناقص التغيير وتشكيلها من جديد حسب المنظور الاسلامى وتبعا لتصور الفقه المالكي في التشبث بالوحدة الفكرية (٣) .

١- الهيبة ولد سعد ابوه : مرجع سابق ، ص ٤٦.
٢ - احمد بن الأمين الشنقيطى : مرجع سابق ، ص ٢٨٢ .
٣ - مجلة العالم الاسلامي : عام ١٩١٥-١٩١٦ ، ص ١٤٣

٢- محور الوحدة الوطنية :

لقد اقام الشيخ ماء العينين بناء مدرسته علي اساس الوحدة الوطنية وصارفا اتباعه عن الوقوع فيما وقع فيه بعض ابناء الطرق الصوفية الاخري لان الوطن القوي الموحد يكسب الفرد قوة ومنعة ويمنعه من ذل القبلية العمياء ثم ان الوطن ارض الاسلام والدفاع عنه دفاع عن الاسلام ومن هنا فان منظور الوحدة الوطنية عند مدرسة اسمارة منظور اسلامي لا يفرق بين السياسة في الحياة والحياة الكريمة في وسط يسوده مفهوم قوي قويم للسياسة كما ان هذه المدرسة تعكس مدي انتمائها لأرض موريتانيا المجاهدة التي عرفت بتصديها للطامعين وحرصها علي الاسلام.

ولتحقيق ذلك نهج الشيخ ماء العينين منهج والده الشيخ محمد فاضل الذي كان من حكمته وسياسته الذكية ان جعل طريقته مركزا لجميع الطرق الصوفية الاخري حيث جعل لنفسة حق تلقين سائر الاوراد ومسايرة قواعد المشايخ السابقين وعلي سنته وطريقته سار اولاده من بعده وعلي راسهم الشيخ ماء العينين الذي عمل علي توحيد القبائل وجمعها من حوله محترما لجميع نزعتها الصوفية حتى الف في ذلك كتابا اسماه {افادة الراوي في اني مؤاخي} و هكذا اصبح كل من يكون في منظومته ان مؤاخى لجميع الطرق الصوفية وصفة الموحد الديني صبغت عليه كذلك صبغة الموحد السياسي الذي جمع اطراف القبائل الصحراوية للكفاح من اجل التحرير والتوحيد وصارت صفة المؤاخى المنتزعة من سير التاريخ المغربي والموريتاني بمثابة زعيم الوحدة في التعبير الحديث(١) .

وبذلك استطاعت مدرسة اسمارة توحيد القلوب اولا ثم تقضى علي التنافر السائد بين المواطنين ثانيا ثم توحد القبائل ثالثا لتجعل من اسمارة جبهة متراصة البنيان موحدة الشعور مطمئنة في خوضها معركة التحرير ، فتميزت عن الحركات المعاصرة لها بابتعادها عن الخنوع للأجنبى أو الإنزواء بين أعمدة زواياها تردد أوراداً فقط كما تميزت عن سابقتها بانها قلعة صامدة بها جيش صامد صابر ينقضوناسودا علي الطامعين من مستعمري الغرب اذا اعطيت لهم اشارة البدء فالمدرسة قوة خلفية لجيش الدولة وردف له. وهكذا نجد كتابات الشيخ ماء العينيين ومحاولاته التوفيق بين الطرق الصوفية لها دورها في وجه الاطماع الاستعمارية كما ساعدت كتاباته وشعبيته علي ازدياد شهرته فصار ابرز شخصية في اولخر القرن التاسع عشر في مراكش ويظل الشيخ ماء العينيين شخصية لها مكانتها العلمية حتي بعد وفاته سواء في المغرب او في موريتانيا (٢) .

---

١ - علال الفاسي : مرجع سابق ، ص ص ١١٨ –١١٨ .

٢ - احمد بن امين الشنقيطي : مرجع سابق ، ص ص ٣٦٥-٣٦٦ .

الفصل الرابع

القادرية والإدارة الفرنسية منذ عام ١٩٣٤م ـ ١٩٦٠م

أولاً : الإدارة الفرنسية في موريتانيا .

ثانياً: السياسة الفرنسية في موريتانيا وموقف الطريقة القادرية منها .

ثالثاً : الطريقة القادرية والحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي حتى الاستقلال .

أولا : الإدارة الفرنسية في موريتانيا :

حولت فرنسا موريتانيا من محمية الى مستعمرة سنة ١٩٢٠ ، وذلك بعدان صدر مرسوم ١٢/٤/ ١٩٢٠م من طرف الحكومة الفرنسية ذلك أن تقدم الاحتلال الذي تم تحقيقه في هذه الأراضي وما تم إحرازه من توسع في هذا المجال يشكلان السببين الحقيقين لهذا التغيير الذي يتمثل في إنشاء إدارة محلية وبهذا المرسوم أصبحت موريتانيا مستعمرة تمتلك استقلاليتها الإدارية والمالية فهي مدارة من طرف الحاكم الموريتاني ويخضع هذا الأخير إلى سلطة الحاكم العام لأفريقيا الغربية (١) ، ولقد وضع كوبولاني أسساً لنظام إدارى واصله خلفاءه من بعده وقسمت البلاد بموجبه إلى عدة مناطق كمراكز يشرف علي كل منها مقيم فرنسي :

١- الترارزة/ بتلميت. ٢- البراكنة/ الاك . ٣- تكانت والمجرية / تجكجة.

العصابة/ كيفة . ٤ - امبود سيليبابي . ٥- ادرار/ اطار شنقيط .

٦- إضافة إلى اكجوجلت التي كانت تربط بين جنوب غرب وشمال غرب البلاد أما مركز افديرك وبيرام اكرين فلم تظهر قبل عام ١٩٣٨م وفي عام ١٩٤٤م الحق الحوضين بموريتانيا فيما بعد بعجد فصلهما عن السودان الفرنسي (٢).

ومنذ عام ١٩٤٤م وزعت فرنسا مستعمرة موريتانيا إلى ١١ دائرة وقد استمر هذا التنظيم قائما حتى عام ١٩٦٠م تاريخ استقلال البلاد ولقد كان هذا التنظيم الإداري يتطلب أيجاد جهاز إداري مركزي فرنسي وكذلك جهاز محلي يتم فرزه من الأهالي وفق المعايير المحددة من طرف الإدارة الفرنسية بما يتفق مع هذه المصلحة الاستعمارية العامة (٣) .

١- محمد الراظي : مرجع سابق ، ص ٨١.
٢Hsselmou ould Mohamed el hadyop.cit. p 157
٣- محمد الراظي : موريتانيا عبر العصور - مرجع سابق ،ص ٨٢.

وكانت فرنسا أبطأ نسبيا من بريطانيا في إدخال التغييرات التي تلائم روح العصر الجديدة كما خلفتها الحرب العالمية الثانية ، وفيما يخص موريتانيا فإنها بالإضافة إلى ذلك لم تتأثر كثيرا بالحرب بالدرجة التي تأثرت بها السنغال ، أما المجتمع الموريتاني فكان ما يزال يخلع بالكاد رؤساءه التقليدين ويمكن وصف هذه المرحلة بأنها مرحلة البحث عن زعامة سياسية (١) .

والناظر إلى النظام الفرنسي في موريتانيا خاصة وغرب أفريقيا عامة يجد أن هذا النظام قد قام على أساس تحطيم الزعامات القومية وانتزع منها كل سلطة ونفوذ وبالتالى عمل هذا النظام على رسم السياسة من قبل الفرنسيين بمفردهم وشغل الفرنسيون جميع الوظائف بل وتولوا تنفيذ كل أوامر الحكومة وبالتالي صار الجيش عماد الوجود الفرنسي في أفريقيا فلم يتوقف النظام الفرنسي عند حد الإدارة المباشرة وحرمان الوطنيين من ممارسة أعباء الحكم في بلادهم بل تعدي الأمر إلى درجة انتهاج سياسة الاستيعاب أي صبغ المستعمرات بالصبغة الفرنسية عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين ولغتهم وتقاليدهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية علي الأفريقيين ولذا نجد أن النظم الفرنسية قد فشلت في خلق زعماء وطنيين يدينون لها بالولاء واضطرت فرنسا إلى الاعتراف باستقلال هذه الدول الأفريقية عام ١٩٦٠م لتواجه مشكلات عديدة من جراء هذه السياسة الفرنسية التي حاولت طوال عهدها الاستعماري القضاء الكامل علي التقاليد والثقافة الأفريقية المحلية ولقد كان الجهاز الاداري الاستعماري في موريتانيا يتشكل من ادارتين استعماويثين فرنسيتين ومن رؤساء محلين اصبحوا متعاونين مع السلطة الاستعمارية هذا بالاضافة الى الموظفين المحلين الذين تم تكوينهم فى المدارس الاستعمارية (مثل المحصلين الماليين ووكلاء البريد وغيرهم) ويخضع الجهاز الادارى للسلم الادارى على ان اهم ميزة للتاثير السياسى الاستعمارى هو اعتمادة على الضعف العسكرى الذى ادى الى تحطيم وتفجير بعض الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية التقليدية نتيجة مقتل او هجرة عدد كبير من الزعماء وأحيانا عائلات أو قبائل بأكملها . ولتحكم السلطة التقليدية عهد المستعمر إلى عزل بعض الزعماء وتنصيب آخرين لم يكن بإمكانهم يوما ما الوصول إلى الزعامات بحكم المعايير الاجتماعية التقليدية ، مثال علي ذلك أن المستعمر الفرنسي قضي علي إمارتي ادو عيش وادرار بل ان امير ادرار نصب محله لجنة مكونة من تسعة أشخاص أربعة من حسان وخمسة من الزوايا فأصبحت مهمة الزعماء والأمراء التقليديين محصورة في تعميم قرارات الإدارة الفرنسية ومساعدتها في جمع الضرائب والمحافظة علي الأمن .

كما أن هؤلاء الزعماء كان يتم تعيينهم من طرف الإدارة الفرنسية وللحد من نفوذهم لم تكن القبيلة هي الوحدة الإدارية إلا من الناحية الشكلية فالفخذ كان هو الوحدة الرئيسية ويتمتع ضمنيا باستقلال مطلق عن باقي أفخاذ القبيلة فلم تكن للمجموعة التابعة لامارة ما أي علاقة بنظامها إلا عن طريق الإدارة الفرنسية وحتى القضاء رغم بقاء شكله القديم وتنظيمه وتخصيص رواتب للمشرفين عليه فانه لم يكن مستقلا عن هذه الإدارة الاستعمارية (٢)

١- نصر السيد نصر :مرجع سابق ، ص ٥٦ .
٢ - عبد الله عبد الرازق : تاريخ غرب افريقيا الحديث والمعاصر ، ص . ص ٩٥,٩٤.

وكان غرب أفريقيا الفرنسية قد انقسم إلى ثمانية مناطق إدارية وكانت تحكم منذ عام ١٩٠٠م علي أساس أنها اتحاد فيدرالي مركزي حيث كانت كل الخدمات الكبرى تحت رقابة الحاكم العام وحده وهو صاحب الحق في إصدار القرارات وكان هو صاحب التحكم في الميزانية وكان هو صاحب السلطة في زيادة القروض وفرض رسوم أو ضرائب جديدة علي الصادرات وهو الذي يعيد توزيع المسئوليات في المستعمرات (١) .

وبينما كانت السياسة التقليدية تتدهور كانت تتكون طبقة بيروقراطية (مترجمون – معلمون – ممرضون – محصلو ضرائب) خارجة من قلب الطبقات النبيلة ولكنها ورثت مهامها في إطار جديد وقد تميزت هذه الفترة بوقوع تطورات هامة أسفرت عنها الحرب العالمية الثانية أهمها :- تغير ميزان القوي علي المستوي الدولي وظهور العملاقين ثم ظهور الحركات والأحزاب السياسية فى أفريقيا واسيا وغير ذلك من الظروف السياسية التي أثرت علي علاقة الدول الأوربية بمستعمراتها ، فصدر دستور ١٩٤٦ م في فرنسا والذي ينص فى ديباجته علي أن فرنسا ستقود الشعوب المستعمرة إلى الحرية وتعطي الرعايا الأفارقة صفة المواطن وبالتالي حق التمثيل والانتخاب .

لقد اعتقد الفرنسيون أن اعظم منة ومنحة يقدمونها للأفارقة في المستعمرات هي ثقافة ولغة فرنسا ونظمها ومبادؤها وقيمها ، وقد بني هذا الاعتقاد علي أساس أن ماضي الثورة الفرنسية وما حققته تلك الثورة يفرض علي فرنسا أن تقوم بهذا الدور علي أن المهم هو ذلك الأيمان الفلسفي العميق الذي انتاب السياسة الفرنسية بعد الثورة وأصبح أداة للتوسع الفرنسي الاستعماري ونهب وغزو أراضى أخرى في أفريقيا والتبرير الذي يقدمه مؤيدو السياسة الفرنسية الاستعمارية انه يجب علي أهالي المستعمرات معرفة مآثر ومحاسن النظم الفرنسية وان كل تقدم ورقي يصيبهم لن يأتي أو يتحقق إلا عن طريق الثقافة واللغة الفرنسية والمستويات الروحية والحياتية التي غرستها الثورة الفرنسية وحملت فرنسا رسالتها إلى العالم لجمع ولعل هذا هو ما دعا كثيرين من الدارسين إلى تسمية هذه الظاهرة الفرنسية باسم الاستعمار الثقافي النفساني (٢) .

---

١ – عبد الله عبد الرازق ابراهيم : تاريخ غرب افريقيا الحديث والمعاصر ،القاهرة١٩٨٩ ، ص ٩٦ .

(٢) Isselmou ould Mohamed el hady op cit. p . 158

حمدى الطاهرى : أفريقيا بين الإستعمار والإستقلال ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ص ١٧٩ – ١٨٠ .

وفي عام ١٩٥٢م ظهر اقتراح يشير إلى توحيد الصحراء من الناحية الإدارية في الجمعية الوطنية الفرنسية وذلك بأن تكون وحدة إدارية ذات صفة مستقلة تسمى أفريقيا الصحراوية الفرنسية تخضع لسلطة مندوب عام وبموجب هذا التنظيم تنقسم الصحراء إلى مناطق تتمتع بالحكم المحلي ويمثلها مجلس تشريعي تضم مندوبين من كل من موريتانيا والسودان وفرنسا والنيجر وتشاد وثمانية ممثلين عن الصحراء الجزائرية •لتنظيم الموضوعات التي تهم الجزائر والمغرب و موريتانيا .

كانت موضوعات اتفاق بير موغرين (١) ، تهدف إلى تنسيق الوضع الذي نشا عن امتداد قيادة التخوم المغربية الجزائرية إلى المنطقة الشمالية من موريتانيا باعتبار أن هذه القيادة تتلقى تعليماتها من المقيم العام في المغرب بموجب مرسوم أغسطس ١٩٣٣م ومن ثم أصبح الوضع غريبا في إدارة شمال موريتانيا فبينما هو يتبع إداريا سانت لويس فانه من الناحية العسكرية والسياسية يتبع بطريق غير مباشر المقيم العام الفرنسي في المغرب ولابد أن يترك ذلك أثره السيئ علي الإدارة في شمال موريتانيا وكان من أهم البنود تقسيم مسئولية الأشراف علي القبائل الكبرى حيث اعترف الاتفاق بأنه من المستحيل تطبيق الحدود السياسية المقررة علي قبائل الصحراء التي تتجول للرعي في مساحات كبيرة جدا تحكمها الظروف الجوية إلا أن الاتفاق قسم مسؤولية السيطرة علي قبائل الرقيبات بحيث تشرف السلطات الإدارية بالجزائر من تندوف علي رقيبات القواسم (رقيبات الشرق) الذين يعتمدون علي المراعي الممتدة داخل نطاق سلطة قيادة التخوم الجزائرية المغربية بينما ترك الاتفاق لموريتانيا الأشراف علي رقيبات الساحل الذين كانت لهم مفاوضات وعلاقات منذ مدة طويلة مع السلطات الموريتانية.

---

١ – اتفاق علي برنامج يطبق علي ثلاث مراحل بين المسؤلين الفرنسيين فى كل جنوب الجزائر وجنوب المغرب وشمال موريتانيا وكان ذلك سنة ١٩٣٤ وهذا من ضمن اسباب احتلال فرنسا لموريتانيا حتى تربط مستعمراتها بالمستعمر فى الجنوب وقد وضع هذا الاتفاق الكولونيل ترانكى بعد تعيينة قائدا جديدا للتخوم الجزائرية المغربية الموريتانية .

السياسة الإدارية الداخلية :

ركز اتفاق (بير موغرين) علي أهمية توحيد القواعد الأساسية علي كل من موريتانيا والتخوم الجزائرية المغربية حتى تؤكد للمواطنين وحدة الإجراءات الفرنسية وحتى تحقق ذلك لابد وان تستند إلى الأتي :

- أن تكون الضرائب متفقة مع التقاليد الموريتانية بمعني أن تكون ذات صيغة سياسية اكثر منها مادية وان تتناسب مع موارد القبائل أو بحد ادني ١% من قيمة القطعان ومن الممكن السماح بإعفاء بعض الشخصيات ممن لهم نفوذ ممن يؤدون خدمات للسلطات الفرنسية .
- إقامة نظام للعدالة يستند علي التقاليد الموريتانية علي أن يحل تدريجيا محل النظام القائم الذي كان سببا في اختلال النظام

وكان من شروط اتفاق بير موغرين عدم السماح لأي شخص أو بعثة بالتجول بالجمال أو السيارات أو حتى بالطائرات ما لم يحصل مسبقا علي تصريح من المقيم العام الفرنسى فى الرباط وحاكم عام الجزائر وحاكم عام أفريقيا الغربية الفرنسية علي أن يقوم كل من قائد التخوم الجزائرية المغربية وقائد دائرة أدرار باتخاذ التدابير التي تكفل تنفيذ ذلك .

وبهذه الاتفاقية التي ربطت بين جنوب المغرب وجنوب غرب الجزائر وشمال موريتانيا وجدت مشكلة الأمن التي طالما أقلقت الفرنسيين حلها الأخير فبعد القضاء نهائيا علي بلاد السيبه وتطويق آخر معاقل القبائل غير المسالمة في شمال موريتانيا تطويقا محكما والسيطرة علي مناطق رعي قبائل البدو وبالتالي علي موارد رزقهم وتحقق الحلم الذى طالما سعت إليه فرنسا بان يسود السلام من شواطئ السنغال جنوبا إلى المغرب شمالا وهذه الشبكة الكبيرة من الطرق تعتمد علي قواعد قوية تضم كل منها مواقع حصينة ووحدات سيارات وتنتشر فيما بينها مراكز لمجموعات الهجانة ومستودعات للتموين وارض لهبوط طائرات الإغاثة وكل هذه المواقع والمراكز تجاور الآبار ، المورد الوحيد للمياه في الصحراء كما ترتبط مع بعضها بشبكة من الاتصالات اللاسلكية لسرعة تداول المعلومات ومن الطبيعي أن يكون لهذا التنظيم آثار بعيدة المدى في جميع المجالات.

١- سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٥٨٢.

- أصبح تجول القبائل في الصحراء لا يتم إلا بعد موافقة اقرب قائد وحدة هجانة وبعد إجراء حصر لخيامه وقطعانه وسلاحه .
- اصبح للسلطات الفرنسية قيادات وطنية تعتمد علي رؤساء مختارين من الموالين لهم يوصلون أوامر الإدارة ويسهرون علي تنفيذها علاوة علي عملهم كوسطاء ومصادر المعلومات .
- تمكنت الإدارة الفرنسية من التعرف الدقيق علي المناطق التي كانت مجهولة لمدة طويلة وكان كل يوم يزيدهم معرفة اعمق ومن ثم سهولة السيطرة علي الأرض والسكان
- اصبح احتلال البلاد فعليا وكاملا واصبح التجول فيها متيسرا ومأمونا .
- اطمأنت السلطات الفرنسية بعد سيطرتها على قبائل الرقيبات ومناطق رعيهم اطمأنت علي عدم اعتدائهم حيث عملت علي تشتيت شملهم بتقسيم مسؤولية الإشراف عليهم كما ورد فى اتفاق بئر موغرين ومع التطور المستمر في ممارسة إدارة فعالة في البلاد أخذ الرقيبات يعدلون أوضاعهم بما يتفق مع التقسيم المذكور وزوال خطرهم نهائيا.

والحق أن العوامل التي أدت إلى معاناة الموريتانيين ترجع إلى أسباب ثلاثة :

- الأزمة الاقتصادية - التخبط الإداري - الوضع العسكري .

و الأزمة الاقتصادية هي التي أظهرت عيوب الإدارة وهي التي تسببت في كثير من الظروف العسكرية المؤثرة ولذلك يمكن اعتبارها العامل الأساسي . لأن الإدارة الفرنسية في موريتانيا بحكم وجودها لفترة طويلة في ظل الهيمنة السنغالية قد اتبعت نفس المبادئ التي اتخذت كقاعدة لتنظيم السنغال ولم تنتفع بالتجربة الجزائرية التي أنشأت في الصحراء الجنوبية نظاما يختلف في جوهره عن نظام المناطق الشمالية مما يسر له مرونة مستقلة عن النظام المركزي الشمالي ولذلك فان الإدارة المركزية في موريتانيا حتى وان كانت قد نظمت علي قواعد ممتازة إلا أنها لم تكن لتنتظم إلا في ظل استقرار غير موجود وبموارد لم تتوفر وبوسائل لا توجد عند البدو .

١- محمد حسنين : مرجع سابق ، ص٥١.

ومن ثم فقد اصطدمت بصعوبات لا تخول لها هذه العوامل أن تتغلب عليها كما أنها إستنزفت مصاريف باهظة لا يمكن لميزانية فقيرة أن تتحملها ووضعت أهدافا مثالية لم يتيسر إدراكها لعدم وجود التربة المناسبة (١)٠

علي انه من أوضح أخطاء الإدارة الفرنسية في موريتانيا أنها لم تحترم النظام الاجتماعي القائم في البلاد ٠ أما عن الوضع العسكري فان جذوره تمتد إلى عام ١٩١٧م حين شكلت قيادة الأقاليم الصحراوية بموجب القرار الوزاري الصادر في ١٩١٧/١/١٢م وكان هذا القرار قد اقتطع جزءا من الأرض الموريتانية وجعله خاضعا عسكريا للقيادة الجديدة بينما ظل تابعا إداريا لسانت لويس حيث خلق هذا الوضع مع مرور الزمن مشكلة معقدة فمع تطور الأحداث عسكريا وسياسيا في المنطقة الشمالية التي تقع في نطاق القيادة المذكورة فرضت الظروف إيجاد قائد عسكري لقوات هذه المنطقة وصارت موريتانيا بذلك تعاني من ازدواج الإدارة فوجود قائد عسكري وحاكم مدني يدينان لتابعين مختلفين عرقل اتخاذ القرارات السريعة وتسبب في تردد قادة الدوائر الشمالية فيما بين رئاستين لا يوجد بينهما تنسيق فعلي وسار مبررا للتهرب من تنفيذ التعليمات ليس فقط بالنسبة إلى الجهاز الإداري و إنما أيضا بالنسبة للقبائل واهم من ذلك كله انه صرف الإدارة عن أعمال الإصلاح الواجبة فلم يكن من السهل علي الإدارة الفرنسية في موريتانيا القيام بمشروعات إصلاحية في الإقليم لشمالي بينما هو يخضع تماما لقيود عسكرية وقواعد تنظيمية لا يتيسر معها تنفيذ مثل هذه المشروعات ووقع عبء ذلك بالطبع علي الموريتانيين الذين تحملوا هجمات رجال المقاومة وإهمال الإدارة وقيود قيادة الأقاليم الصحراوية

وخلاصة القول أن الأزمة الاقتصادية قد كشفت عن عيوب الإدارة الفرنسية في موريتانيا التي زاد من تفاقمها وخاصة بعد أن تم احتلال البلاد احتلالا شاملا منذ عام ١٩٣٤م وقد حاولت الإدارة الفرنسية إصلاح الحالة الاقتصادية باعتبارها أساس كل عوامل المعاناة وحتى في هذه المعاونة تعثرت جهود الفرنسيين وصار علي الإدارة الفرنسية في موريتانيا أن تداوم العمل علي النهوض بالإقليم الشمالي والتخفيف من معاناة الموريتانيين الذين الحقتهم هذه الإدارة باسم السلام والأمن والحرية والمساواة (٢) .

١- ٢ - سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٥٩٦-٥٩٩.

ثانيا : السياسة الفرنسية في موريتانيا من سنة ١٩٣٤ / ١٩٦٠ :

وضع الحاكم الفرنسي باتي قواعد الإدارة الفرنسية في موريتانيا وقد ميز فى سياسته بين منطقتين مختلفتين :

الأراضي المجاورة للنهر في الجنوب وهي الإقليم الزراعي المزدحم بالسكان المستقرين المسالمين ، وهي إمارتا الترازرة والبراكنه ، وكان في الشمال إمارت تكانت وآدرار التي يؤمهما ويقطنهما قبائل رحل خاضعة بشكل ما ، وقد احتفظ باتي للمناطق الجنوبية بنظامها الإداري المباشر ، كما أنه رأي أن تخضع المناطق الشمالية لنظام أشبه بنظام المحميات ، أساسه الاعتماد علي المحاربين والرؤساء التقليدين و يتمشي بقدر الامكان مع طبائع البدو وعاداتهم وتقاليدهم(١) علي أن تزود هذه المناطق بجيش خليط من البدو والزنوج والسنغاليين وذلك حتى لا تحتاج فرنسا إلى إقامة مراكز عسكرية كثيرة في الشمال (٢) .

لقد أقامت فرنسا مشروع إنشاء دولة البيظان وكانت تهدف من وراء هذا المشروع إلى أهداف استراتيجية بعيدة المدى ، وكان من بين هذه الأهداف خلق منطقة عازلة تفصل الفضاء العربى عن امتداده الحضاري والاستراتيجى (أفريقيا المسلمة) وبالتالي إيقاف المد الثقافي الديني الذي اضطلع به الدعاة والعلماء الموريتانيون منذ حقب بعيده وإلي جانب الهم الثقافي يتعين ذكري الدوافع الاقتصادية التي لاحت بوادرها منذ الصراعات الأوربية علي الشواطئ الموريتانية مرورا بازدهار تجارة الصمغ وانتهاء باكتشاف مناجم الحديد الغنية في شمال البلاد وتأسس شركة ميفرما Miferma لاستقلالها ولقد كانت موريتانيا خلال فترة الاستعمار تدار من السنغال حيث داكار عاصمة أفريقيا الغربية وسانت لويس عاصمة موريتانيا التيلم تتحدد منزلتها السياسية إلا غداةالإصلاحات الدستورية الفرنسية التى تلت الحرت العالمية الثانية وكان من بينها مشروع الجنرال ديجول الرامي إلي إعادة ترتيب علاقات فرنسا بمستعمراتها (٣) .

١- سعد خليل : مرجع سابق ، ص ص ٤٥٧ - .
٢- نصر السيد نصر : مرجع سابق ، ص ٥٠.
١ - السيد ولد اباه : مرجع سابق ، ص ٩٣ .

ولم يمض زمن طويل بعد استكمال السيطرة الفرنسية علي موريتانيا حتى بدأت المرحلة الجديدة في تطور المستعمرات نحو الحكم الذاتي والتي تواكب الحرب العالمية الثانية ومن ثم فإن مرحلة الحكم الفرنسي المباشر لموريتانيا لم يكن لها من الأثر إلا بما يتناسب مع قصر مدتها ، إذا لم يلبث أن أعقبتها مرحلة الحكم المحلي منذ عام ١٩٤٦ والتي تطورت بسرعة إلي الاستقلال الذاتي بموجب القانون الإطارى عام ١٩٥٦ ثم إلي الاستقلال الكامل عام ١٩٦٠ (١).

ولقد كان احتلال فرنسا لموريتانيا آخر حلقة في سلسلة التوسع الفرنسي في غرب أفريقيا رغم أنها أقرب إلي الشاطئ الشمالي للقارة ، وبذا تكون موريتانيا هي أخر مستعمرة تنظمها الإمبراطورية الفرنسية الشاسعة في أفريقيا ٠ولقد سعت السلطات الفرنسية لوضع اليد علي مشايخ القادرية ومحاولاتها تشجيع البتقري - الاستقرار لضبط الحالة المدينة ٠وقد وضعت فرنسا أسس نظام إداري قسمت البلاد بموجبة إلي عدة مناطق كمراكز يشرف علي كل منها مقيم فرنسي (الترارزه / بتلميت) (البراكنة / الاك) (تكانت والمجرية / تحكمة)، (العصابة / كبفة لمبود سيليبابي)(آدارار / اطار وشنقيط) أما مراكز اقديرك وبرام اكرين فلم تظهر قبل سنة ١٩٣٨ وفي سنة ١٩٤٤ ألحق الحوضين بموريتانيا بعد فصلها عن السودان الغربي ٠ومنذ عام ١٩٤٤ وزعت فرنسا مستعمرة موريتانيا إلي ١١ دائرة وقد استمر هذا التنظيم قائماً حتى ١٩٦٠ وهو تاريخ استقلال البلاد وقد كان هذا التنظيم الإدارى يتطلب إيجاد جهاز إدارى مركزى فرنسى وكذا جهاز محلى يتم إقراره من الأهالى وفق المعايير المحددة من طرف الإدارة الفرنسية بما يتفق مع خدمة المصلحة الاستعمارية العامة (٢) .

لقد كان الاستعمار الفرنسي يتمتع بتنظيم دقيق ولدية كوادر مقتدرة ومدربة وذات خبرة طويلة في أعمال الاستعمار ومن أنواع التدريب التي يستخدمها أنه يعلم لغة البلد التى يعمل فيها وتاريخها وعاداتها وتقاليدها (٣).

---

١ - سعد خليل مرجع سابق ص ٤٥٥

٢-محمد الراظي : مرجع سابق ، ص ٨٢ .

٣-مجلة الأمة : ثروة عن الإسلام في أفريقيا عدد ٦ ، سنة ١٩٨٦ ، ص ٦٧ .

وفي عام ١٩٣٦ أصدر الحاكم العام لأفريقيا العربية الفرنسية قرارات في شهري أغسطس وسبتمبر لتنظيم الحكم في كل أفريقيا العربية الفرنسية حيث يوضح القرار أن الفخذ هو الوحدة الإدارية الأساسية وبعدة القبلية ثم الإمارة ثم بعد ذلك الإدارة الفرنسية التي أصبحت السلطة كلها في يدها وتهدف فرنسا من وراء هذا التنظيم الإداري إلي إخضاع الزعماء التقليدين لسياستهم الاستعمارية كما تهدف من وراء ذلك إلي بث الخلاف بين السكان وتسمي هذه السياسة سياسه الإشراك.

وقد سبقت هذه السياسة سياسة الاستيعاب فعند مجيء الغزاة إلي موريتانيا حاولوا عدم الاعتماد علي الطبقات التي تشكل حجر عثرة في وجوههم فاعتمدوا علي طبقة الزوايا ، إلا أن هذه السياسة لم تدم إلا فترات الحملات العسكرية ، وقد أدت هذه السياسة إلي هجرة قبائل حسان وانضمامها إلي صفوف المقاومة في الشمال والحقيقة أن هجرة حسان هذه كانت فرنسا ترغب فيها لأنها قد تساعدهم في تركيز سلطتها ،وعندما ركز الفرنسيون سلطتهم واستقرت الأحوال السياسية عادت إلي قبائل حسان واعتمدت عليها وبهذه الصورة تم اعتماد سياسة الإشتراك التي تتمثل في الاعتماد علي النظام الهرمي التقليدي .

لكن هذا الاعتماد بقي سطحيا لأن كل السلطة كانت بين الفرنسيين أما الزعماء التقليدين فلا دور لهم سوي تنفيذ ما يصدر إليهم من أوامر في معظمها تهدف إلى إرهاق المواطنين بالضرائب وغيرها من وسائل الظلم الأخرى (١) .

وكانت فرنسا تهدف من وراء هذه السياسة – الإشراك – أن تحقق نجاحا أكثر وفائدة أعظم وعبر هذه السياسة يتم لفرنسا التمكن الكامل في المجتمع والتحكم البالغ في أجوره وقضاياه ، فبواسطتها – سياسة الإشراك – تمت المحافظة علي الهياكل التقليدية وتمكن المستعمر من تدارك الموقف ، فبدأت الإدارة الفرنسية تعمل علي تقديم الطبقات المهضومة في المجتمع وحاولت دعمها بكل ما أوتيت من قوة فأعادت الاعتبار للسلطة الفكرية في المجتمع رافعة بذلك قيمتها في المجتمع مدعمة وجودها بمنحها السلطان الكافي ، وقدمت إدارة المستعمر من وراء ذلك إلي الاستناد علي حسان والاعتماد عليها إذ هم تربة خصبة خلاف السلطة المرابطة التي تعتبر عائقا ضد توجيهات المستعمر ومقترحاته ، وقد أصدرت فرنسا قرارات تعين الأمراء ورؤساء القبائل والقضاة .

---

١ - محمد سالم بلفريو : مرجع سابق ، ص ٥١.

وقد استفاد الجميع من المرتبات التي منحتها الإدارة الفرنسية كما أصبحت تتمتع بامتيازات مادية ومعنوية وتطويرية وغيرها من العلاقات بين رؤساء المجتمع وإدارة الاستعمار وقد رافق هذا التنظيم السياسي والاجتماعي فعل أيديولوجي يعتمد أساسا علي المدرسة الحديثة ونظامها التربوي(١) ، وسياسة الإشراك كانت أيضا نتيجة لتطور الأحوال في أوربا عامة وفرنسا خاصة واضطراب الظروف الدولية في النصف الثاني من القرن ال ١٩ حيث بدأت تظهر السياسة الاستعمارية الفرنسية الجديدة (سياسة المشاركة أو الارتباط) (٢) .

تطور سياسة فرنسا في موريتانيا بعد الحرب العالمية الثانية:

كانت فرنسا أيضا أبطأ نسبيا من بريطانيا في إدخال التغيرات التي تلائم روح العصر الجديدة ، كما خلفتها الحرب العالمية الثانية ، فلم تتأثر كثيرا بالحرب حيث كان المجتمع الموريتاني لا يزال يخلع بالكاد رؤساءه التقليديين ويمكن وصف هذه المرحلة بأنها مرحلة البحث عن زعامة سياسية (٣) ، وعلى الرغم من أن التاريخ السياسي القريب لموريتانيا يتصل اتصالا وثيقا بالتحولات الدولية والإقليمية التي طالت المنطقة الشمالية الأفريقية إلا إنه يتميز بسمات عديدة لعل من أبرزها ديناميكية نشوء الكيان السياسي الموريتاني في طريقة تحكمها جملة من المحددات المتباينة ويكتنفها العديد من الأحداث المتلاحقة والاحتمالات المتعددة جعلت تطور هذا الكيان وبناءه مرهون بمؤشرات وضع داخلي متفجر وإدارة استعمارية مترددة وحركة استقطاب إقليمي مزدوج (٤) .

وكانت السنغال المجاورة لموريتانيا وهي مستعمرة فرنسية تسبق دول غرب أفريقيا إلي الاشتراك في أجهزة الدولة الفرنسية حيث مثل في مجلس النواب الفرنسي بعض السنغاليين في البرلمان الفرنسي ، وقد ظلت الفكرة المسيطرة علي مخططي سياسة الاستعمار الفرنسي هي أنه إذا أريد لنظام الحكم أن يتغير وتخفف قبضة الإدارة المباشرة فإن ذلك يكون عن طريق إشراك المستعمرات في أجهزة الدولة الفرنسية .

١ - حميد محمد علي : مرجع سابق ، ص ٥٦ – ٥٨ .

٢ - حمدي الطاهرى : مرجع سابق ، ص ١٨٢ .

٣ - نصر الدين نصر : مرجع سابق ، ص ٥٦.

٤ - السيد ولداباه و آخرون موريتانيا : مرجع سابق ، ص ٩١.

بالتالى رفع نظام الاحتكار (احتكار نواب فى البرلمان الفرنسى كان مقصورا على السنغاليين فقط) عن مستعمرات أفريقيا العربية الفرنسية وقد ضمن ذلك في تصريح برازافيل سنة ١٩٤٤ الذي أصدره الجنرال ديجول (١) ،وقد أبرز مؤتمر برازفيل موضعين هامين سيكونان محور الحياة السياسية لأفريقيا الغربية والفرنسية وجميع أقطار ما وراء البحار وهما محاولة التوسع في تطبيق نظام الدائرة الانتخابية الموحدة والعمل علي إدخال النظام الفيدرالي والاستقلال الذاتي ، ويعتبر مؤتمر برازافيل نقطة تحول جوهرية في السياسة الاستعمارية الفرنسية ، فقد كان الهدف الذي سعي إليه هو تحقيق التقدم بالنسبة للفرد والمجتمع الإفريقي (٢) .

لقد نص تصرح برازافيل علي اللامركزية وتكوين جمعيات تشريعيه ومشاركة الوطنيين فيها كما نص علي تطوير نظام الإدارة و إدخال الأفريقيين بإعداد متزايدة في الوظائف الحكومية ، وقد تشكلت هذه الأجهزة طبقا لدستور الجمهورية الرابعة الصادر سنة ١٩٤٥ حيث أعلنت أنها تسعي حثيثا لقيادة الشعوب التابعة لها نحو حريتها في إدارة نفسها بنفسها وممارسة شئونها بصورة ديمقراطية وانها تجنبا لأي نظام استعماري قائم علي العنف تضمن لكل شخص ممارسة الوظائف العامة وتجسيدا لهذا المشروع أنشأت الإدارة الاستعمارية نظام الاتحاد الفرنسي الذي يشمل الجمهورية الفرنسية بولاياتها ومقاطعاتها وأقاليمها في ما وراء البحار بالإضافة إلي المناطق المحمية والمستعمرة (٣) .

ولقد مر تنظيم الحياة السياسية في موريتانيا بعد دخول الاستعمار بأربع مراحل عرفتها كل المستعمرات الفرنسية في ذلك العهد هي :-

١ - سياسة الأجناس . ٢ - سياسة الإدماج .

٣ - سياسة الإشراك . ٤ - مرحلة بناء النظم الحديثة.

لقد كانت هناك اتجاهات ثلاثة فى السياسة الاستعمارية أمام واضعي دستور ١٩٤٦م لتحديد طبيعة العلاقة بين فرنسا ومستعمراتها وهي :-

الإخضاع الإدماج الاستقلال الذاتي .

---

١ – نصر الدين نصر : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

٢- سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٦١٣.

٣ - السيد ولد أباه و أخرون : مرجع سابق ، صـــ٩٣.

- **الإخضاع (assujettissement)** :

يعرف باسم الميثاق الاستعماري (le pacte colonial) أو نظم المنع والتحريم (le systeme de leexclusif) إذ يحرم علي المستعمرة أن تتعامل إلا مع الدولة الأصل وقد تعرض هذا النظام لانتقادات كثيرة فلطفت فرنسا من حدة سياسة الإخضاع وسارت علي نهج مخفف مع مستعمراتها وفي عام ١٩٢٦م قررت عصبة الأمم إلغاء احتكار تجارة المستعمرات وهو الأساس الاقتصادي الذي يقوم عليه نظام الإخضاع وقد وقعت فرنسا هذا القرار في عام ١٩٣١م وبذلك تحول نظام الإخضاع إلى ما يسمي بسياسة المركزية المباشرة أو الإدارة المباشرة (la politipue de pure centralization) الذي يحتفظ بالجانب السياسي في نظام الإخضاع دون جانبه الاقتصادي (١) .

بمعني أن كل شؤون المستعمرة تدار بواسطة السلطات المركزية أو مندوبيها المباشرين بدون تدخل السكان المحليين كما في سياسة الإخضاع .إلا انه من الناحية الاقتصادية فان سياسة الإدارة المباشرة تعترف بان المستعمرة بوصفها جماعة قائمة بذاتها لها مصالحها الخاصة المتميزة عن مصالح دولة الأصل ولكنها تعهد إلى الموظفين المركزيين دون غيرهم بتمثيل هذه المصالح . وبهذا الفصل بين الجانب الاقتصادي والسياسي اصبح الاستعمار ذا هدف مزدوج والأساس السياسي لنظام الإخضاع هو المركزية الصارمة التي يحتفظ فيها بكل السلطة في أيدي الموظفين الإداريين الفرنسيين الذين يخضعون للتبعية التدريجية الإدارية وقد فقد هذا النظام أنصاره بعد الحرب العالمية الثانية ورفضه مؤتمر برازافيل عام١٩٤٤م ولاغرابة بعد ذلك في أن ينصرف عنه واضع الدستور .

وبمقتضي هذا النظام لا تكون في المستعمرات أية مرافق خاصة بها و إنما مجرد فروع من المصالح العامة في الدولة وبدلا من تجميعها في يد وزير واحد لشئون المستعمرات فإنها تكون مقسمة فيما بين الوزراء المختلفين كل فيما يخصه .

- **سياسة الإدماج (assimilation)** :

وتقوم علي التماثل بين المستعمرة ودولة الأصل في نظام الحكم والتسوية بينهما ويرتكز علي فكرة أن إقليم ما وراء البحار ليس إلا امتدادا لدولة الأصل فيجب إذن أن يوضع تحت نفس النظام أو نظام مقارب له ما أمكن ذلك .

---

١ - محمد محمد حسنين : مرجع سابق ، ص ٢١

وان سكان الدولة في الجانب الآخر من البحر يجب إلا تكون حقوقهم وضماناتهم اقل من حقوق وضمانات أولئك الذين يعيشون في الجزء الأقدم من الدولة .

وترتب علي هذه السياسة نتائج إدارية واقتصادية ودستورية وتشريعية ونظرية الإدماج نظرية فرنسية قديمة ومحببة إليهم حتى انه يطلقون علي المستعمرات اسم فرنسا فيما وراء البحار وقد نشأت هذه النظرية عن اعتقادهم بان الحضارة الفرنسية كنز وان فتح هذا الكنز لأهل المستعمرات هو أنبل ما يخطر علي قلب بشر وان علي الأهالي أن يتلاءموا مع العادات الفرنسية وان يتعلموا أن يفكروا كفرنسيين ويجب أن يعاد صهر الحياة المحلية علي هذا الأساس فهي تتضمن الهدم و إعادة البناء فهدف نظرية الإدماج هو التجنيس (١) .

ان نظام الإدماج وان كان يبدوا مثاليا من الناحية الفلسفية إلا انه غير عملي فكيف يتأتى أن تكون للمستعمرة نفس القوانين ونفس الحاكم ونفس الإدارة مثل مقاطعات دولة الأصل سواء بسواء مع اختلاف البيئة والظروف والسكان . أي انه ليس هناك تماثل واقعي حتى ينعكس في صورة تماثل قانوني ومثل هذا النظام ينكر علي المستعمرة حقها في التطور التلقائي ويفرض عليها تطورا مصطنعا لا يلائمها إذ أن مجموعة القوانين التي تطبق في دولة الأصل والتي لا تلائم في ذاتها أية مستعمرة علي حدة قد شرعت مع ذلك لتطبق علي جميع المستعمرات .

وعلي السواء فالادماجيون يضحون بتطور المستعمرة الطبيعي من اجل وحدة غير واقعية تشكرهم أما الأهالي فقد تسكرهم مؤقتا نشوة المساواة المطلقة فيدمرون بغير اكتراث كل ما هو حيوي في كيانهم حيث يظهر لهم بعد فوات الأوان أن الإدماج قد مسخهم فلا هو إبقاءهم علي حالهم ولا حولهم إلى مواطنين فرنسيين وعلي هذا النحو تكون اكثر المذاهب الاستعمارية تحررا من حيث الشكل هي في الواقع أسوؤها .

وعندما اكتشف الفرنسيون صعوبة استيعاب ملايين الأفارقة البدائيين الثقافة الفرنسية اتجهوا إلى تثقيف طبقة ممتازة صغيرة من الأهالي الذين قد يتعاونون مع الموظفين الفرنسيين في إدخال الثقافة الفرنسية إلى الجماهير ولكن هذه الصفوة من الأهالي تحولت إلى فئة قليلة ذات تأثير ضعيف أو عديمة التأثير علي الجماهير في المستعمرات (٢) .

---

١ - محمد محمد حسنين : مرجع سابق ، ص٥٩.

١ - حيمد بن محمد علي : مرجع سابق ، ص ٥٤.

- **سياسة الاستقلال الذاتي leautolnomie politique :**

وتنحصر في ترك سكان البلاد التابعة لدولة الأصل يحكمون أنفسهم بأنفسهم في شؤونهم المحلية فهو استقلال سياسي بالمعني الصحيح ولكنه محدود في نطاق الاختصاصات الداخلية ويختلف بذلك عن الإدارة الذاتية المحلية أو اللامركزية الإدارية والتي تسمي أحيانا بالاستقلال الذاتي الإداري . وتحت ظل هذا النظام تقوم في المستعمرة حكومة ذاتية في الشؤون السياسية والاقتصادية ،ويعتبر هذا التطور في نظر الفرنسيين فشلا تاما وغير مفهوم إطلاقا بالنسبة لهم حيث يعني نهاية الاستعمار .

وعندما بدأت فرنسا تنظم إمبراطوريتها كانت أمامها بوضوح التجربة البريطانية والتي تنحصر في التطور المتوازي وهي تخالف علي خط مستقيم النظام الفرنسي الذي لا يسمح بالتطور إلا في داخل الإطار الذي يرسمه الموظفون الإداريون بوزارة المستعمرات في باريس فهو تطور مصطنع وغير طبيعي ومرسوم مقدما وليس متروكا لجهته .

وسياسة الاستقلال الذاتي وان لم تكن تطبيقا كاملا لمبدأ حق تقرير المصير إلا أنها تسير في اتجاهه .كانت الاتجاهات السابق شرحها أمام واضعي دستور عام ١٩٤٦م عند وضع القواعد التي تحدد العلاقة بين فرنسا وبلاد ما وراء البحار وقد رأينا أن نظرية الإخضاع قد رفضت لأنها أصبحت نظرية تاريخية لا تؤيدها التطورات الدولية وخاصة في ميثاق الأمم المتحدة . أما عن الإدماج فانه مرفوض أيضا علي أساس انه غير عملي أما نظرية سياسة الاستقلال الذاتي فلم ينظر إليها في فرنسا نظرة جدية وكانوا يرون فيها نظرية بريطانية غريبة عن الطابع الفرنسي

فالي أي اتجاه يتطور الدستور الجديد ؟

أن ا لمنطق يقول أن الاستقلال الذاتي هو التطور الطبيعي التلقائي وحيث ظهر ذلك في توصيات مؤتمر برازفيل الذي تضمن إعطاء المستعمرات حرية إدارية واقتصادية كبري علي أساس نظم محلية ليشترك السكان في إدارة الشئون ـ العامة . ولكن الفرنسيون يؤمنون بالإدماج مهما وجه إليه من نقد ومن ثم فالنظرية الجديدة يجب أن تكون مزيجا من الإدماج والاستقلال الذاتي وتلك هي نظرية الإشراك أو الاتجاه التي اخذ بها دستور سنة ١٩٤٦م والتي قام علي أساسها الاتحاد الفرنسي الذي ارتبط بعهد الجمهورية الرابعة والأصل في سياسة الإدماج أنها تعطي سكان الأقاليم حق الاشتراك في برلمان دولة الأصل ولا تهتم بإقامة

جمعيات نيابية محلية إلا في نطاق القانون الإداري ومن ناحية أخرى الأصل في - سياسة الاستقلال الذاتي – أنها تعطي سكان الأقاليم حق الاشتراك في برلماناتهم المحلية دون برلمان دولة الأصل أما سياسة الإدماج مع - سياسة الاستقلال الذاتى فتعطى سكان الإقليم حق الاشتراك في برلمان دولة الأصل وفي جمعياتهم التشريعية المحلية أى تمنحهم صفة مواطن مزدوجة كما في النظام الفيدرالي بينما لا تملك هذه الأقاليم حكومات مسئولة ولعل واضعى الدستور أرادوا بذلك إظهار احترامهم لمصالح المستعمرات مع الاحتفاظ بالوحدة السياسية مع دولة الأصل وهذا هو جوهر سياسة الإشراك ومن الطبيعي أن الاشراك الذي اقره دستور ١٩٤٦م أو الاتحاد الفرنسي هو اشتراك غير متعادل تبقي فيه دولة الأصل هي صاحبة الكلمة العليا وهو بذلك يختلف عن الاتحادات غير الاستعمارية التي تعرفها النظرية الكلاسيكية والتي تقوم علي قدم المساواة .

الواقع أن هذا التردد بين نظريتي الإدماج والاستقلال الذاتي قد رافق جميع مراحل وضع لدستور .

الاتحاد الفرنسي بعد سنة ١٩٤٤ وموقع موريتانيا فيها :

كان تعبير "الاتحاد الفرنسي " يشعر للوهلة الأولى بما قد يتضمنه من معني المساواة والتعاون ، ولكن الواقع انه تعبير مبتكر استحدثه واضعوا الدستور الفرنسي عام ١٩٤٦م ليحل محل الإمبراطورية الفرنسية التي كانت تشعر بالسيادة والقهر .إلا أن التطور الثقافي لسكان المستعمرات ووعود الحرية السياسية التي ترتبت علي هذا التطور الثقافي هو ما حدا بالجمعية التاسيسية أن تعطي الإمبراطورية الاستعمارية الفرنسية دستورا ذا مظهر اتحادي . ولكن الحقيقة أن التغيير كان في الألفاظ اكثر مما كان في المضمون .والواقع أن الاتحاد الفرنسي أن لم يغير من الصيغة القانونية للأنظمة فقد غير من روحها (١) .

وفيما يتعلق بمركز موريتانيا القانوني في الاتحاد الفرنسي فإنها أصبحت بموجب دستور ١٩٤٦ إحدى أقاليم ما وراء البحار المتممة للجمهورية الفرنسية وهي تشكل أحد أقاليم الاتحاد الداخلي وترتيبها علي ذلك تكون ضمن جماعات القانون الإداري وليست وحدة منبثقة من القانون الدولي .

١- محمد محمد حسنين : مرجع سابق ، ص ٩.

وبالرغم من ذلك لم تكن موريتانيا شانها شان باقي أقاليم ما وراء البحار مجرد أقسام إدارية كالمقاطعات الأوربية أو مقاطعات ما وراء البحار وانما كانت معتبرة مركزا لمصالح متميزة وشخصية قائمة بذاتها ولقد أكدت نصوص ونظم متعددة شخصيتها القانونية حيث أتاح الدستور لموريتانيا كما أتاح لباقى أقاليم ما وراء البحار لا مركزية اكثر ظهورا من اللامركزية في المقاطعات ولكنها لا ترقي إلى مستوي الاستقلال الذاتى و أخيرا فان دستور ١٩٤٦م قد فتح المجال أمام موريتانيا وكل أقاليم ما وراء البحار لكى تنتقل أما إلى وضع المقاطعات أو إلى وضع الاستقلال الذاتي .

لقد شهدت أقاليم ما وراء البحار بعد ذلك تغيرات دستورية سريعة انتهت بها إلى الاستقلال السياسي التام كانت المرحلة الأولى منه عام ١٩٥٦م علي اثر صدور القانون الإداري الذي أقام برلمانات محلية في الأقاليم لها سلطة تشريعية أما المرحلة الثانية فتتمثل في دستور الجمهورية الخامسة عام ١٩٥٨م وقد انتهت هذه المرحلة بسرعة عندما عدل الدستور لتبدا المرحلة الثالثة بظهور الجمهوريات كاملة السيادة عام ١٩٦٠م وهي مرحلة العمل .

وقد مرت معظمها بمراحل ثلاثة هي :-

المرحلة الأولى (من ١٩٤٦ – ١٩٥٠م) :

وفيها ظلت الأحزاب إما فروعا من أحزاب فرنسية وإما حليفة لها مثل الحزب الاشتراكي السنغالي الذي كان تابعا للحزب الاشتراكي الفرنسي ، والتجمع الديمقراطي الأفريقي الذي كان حليفا للحزب الشيوعي الفرنسي.

المرحلة الثانية (١٩٥٠ – ١٩٥٦) :

في هذه المرحلة انتبه الساسة الأفارقة إلي عدم جدوي عملهم السياسى ما دام في إطار أحزاب فرنسية لا يتمتعون فيها بوزن كبير و محاولة من رغبات الرأي العام الناشئ وبشعوره الوطني حاول بعض الزعماء التخلص من النفوذ السياسي الاستعمارى ووضع برنامج وطنى يرمي إلي تحقيق الاستقلال ٠

المرحلة الثالثة (١٩٥٦ – ١٩٦٠):

وهى مرحلة العمل المستقل والانفصال النهائي عن التنظيمات الفرنسية وقد انتهت هذه المرحلة بإعلان استقلال موريتانيا وبلدان مستعمرات منطقة غرب أفريقيا الفرنسية و إعلان الحزب الواحد ٠

وقد سلكت الأحزاب السياسية في موريتانيا هذا الطريق نفسه فهي وليدة انتخابات سنة ١٦٤٦ ، وقبل ذلك لم يكن هناك وعي سياسي يذكر برغم رفض بعض رجال الدين الحازم التعامل مع الفرنسيين لكن العمل السياسي المنظم بالشكل الجديد لم يبدأ قبل انتخابات الجمعية الوطنية الفرنسية سنة ١٩٤٦ ، وقد رُشح لتمثيل موريتانيا عدة أشخاص معظمهم من الأجانب من بينهم أحمد بن حرمة(١) ، وقد اختصرت اللائحة النهائية علي ثلاثة مرشحين هم حرمة ورزاك ، وسليمان حوب وعلي غرار باقي المستعمرات كان المرشحان الرئيسيان يمثلان أحزابا فرنسية فحرمه حزب الاتحاد الاشتراكي ورازاك الاتحاد الفرنسي وكان الثالث مستقلا.

وبذلك تكون الحياة السياسية الجديدة التي حلت عمليا محل الشكل التقليدي ولدت تبعية ورغم ذلك فقد تمكن حرمة من وضع برنامج ينم عن وعي وطني فقد حاول أن يوطد العلاقات بين المغرب وموريتانيا للتخفيف من التبعية المطلقة لأفريقيا العربية الفرنسية وكان موقفه المؤيد للقيم الروحية والثقافة الأصلية للشعب الموريتاني يشكل شذوذا عن نظرائه من الفترة الاستعمارية الذين كان تكوينهم المدرسي مبني علي سلبهم من شخصيتهم الوطنية وقد فاز حرمة في هذه الانتخابات علي كل رازاك وسليمان جوب وبدأ يمارس مهامه البرلمانية في إطار الاتحاد الاشتراكي الجمهوري .

وفي سنة ١٩٤٧ أسس حزب التفاهم الذي ضم كل معارضى النظامين الاستعماري والتقليـــــدي المنادين بالقضاء علي العبودية والفوارق الاجتماعية الراغبين في الحصول علي الاستقلال الفوري خارجا عن إطار أفريقيا الغربية الفرنسية وكان حرمة في البرلمان الفرنس مدافعا قويا عن مصالح سكان موريتانيا وخصما عنيدا للإدارة الفرنسية الاستعمارية فلما كانت الانتخابات سنة ١٩٥١ فشل فى تحقيق الفوز وخرج من البرلمان وفي سنة ١٩٥٦

---

١ – احمد حرمة بن باباناً العلوي ولد سنة ١٩١٢ في أرض الترارزاة قرب قرية المذرذرة جانب نهر الركيزة وتلقي علومه الابتدائية من فرنسية وعربية في المذرذرة وبوتيليميت وسان لويس ويحمل شهادة دبلوم الكفاية التعليمية (أستاذ) للغة الفرنسية وكان يشغل منصب سفير المغرب في ليا بصفته مواطناً مغربياً وقد لجأ إلي المغرب بعد غضب فرنسا عليه وقد كان نائب بلادة في البرلمان الفرنسي لمدة خمس سنوات فأكسبة ذلك سياسية وزعامة شعبية وسبب

سقوطة مطالبتة بتحرير فلسطين كما وقف ضدة بعض قبائل حسان والزوايا الاعلى فى السلم الاجتماعى منة وكراهية فرنسا لاحمد بن حرمة (سعد خليل - مرجع سابق ص ٦٣٠)

انفجر حزبه لتنبثق منه رابطة الشباب الموريتانى التى حاول بعض أعضائها ضمها إلي حزب التجمع الذي أنشأه المختار ولد داد لكن الأغلبية رفضت ذلك مؤسسة حزب النهضة الوطنية والتي دعت إلي استفتاء سنة ١٩٥٨ وقد كانت هذه الحركة الوطنية لها علاقات وطيدة بالحركة الوطنية بالمغرب . كان هذا عن الاتجاهات التقدمية في السياسة الموريتانية أما عن الاتجاهات المحافظة والتي كانت تريد بقاء الوضع الراهن والمتدرج ببطء نحو الاستقلال في اتجاه الهياكل التقليدية والنظم الاستعمارية المزيفة ويمثلها الاتحاد التقدمي الموريتاني المؤسس سنة ١٩٤٧ للرد علي هزيمة الإدارة الفرنسية وحليفها القوي التقليدية في انتخابات سنة ١٩٤٦ ، وقد نجح مرشح هذا الحزب سيدي المختار بن يحى في انتخابات سنة ١٩٥١ وكانت تلك بداية تشتت القوي الوطنية التقدمية التى تواكب علي اتجاهات قومية ناشئة أو لها النهضة التى ولدت رد فعل السود الزنوج ، فقام (صار حاوارا) الذي كان من بين أنصار حرمه يتأسس الكتلة الديمقراطية جورجول، وبعد ذلك اتحاد المنحدرين من منطقة النهر الذي أعلن عنه في دكار سنة ١٩٥٧ وظهر في سنة ١٩٥٩ حزبان هما :-

١- الاتحاد الوطني الموريتاني الذي يدعو إلى الانضمام إلي مالى وهو قسم من الفيدرالية الأفريقية الذى يهدف إلي توحيد كافة أجزاء أفريقيا الفرنسية

٢- وحزب الاتحاد الاشتراكي الإسلامي الموريتاني الذي يتكون من الوجهاء والأعيان المنحازين إلي فرنسا والمتمسكين بالنظم التقليدية •

ويمكن القول بصفة عامة بأن المعالم الرئيسية لتطور أساليب الحكم الفرنسي قد مرت بثلاث مراحل :

- **المرحلة الأولى :**

وهي الرابطة التي حلت محل نظام الإمبراطورية القديمة وهي ما أطلق عليه اسم الاتحاد الفرنسي union francaise وفي هذه المرحلة غيرت فرنسا النظام الاستعماري من حيث الشكل وبقي المضمون بغير تغيير يذكر وأول تغيير يعتد به هو ذلك الذي تم إثر تولي الحزب الاشتراكي الحكم عام ١٩٥٦ فقد أصدر ما يعرف باسم القانون الاطاري Loicadre

الذي عد نقطة انطلاق في تولي الشعوب المستعمرة مقاليد أمورها بنفسها وشكل هذا القانون منعطفا في سياسة الاستعمار الفرنسي وبموجب هذا القانون تأكدت السيادة الخارجية الفرنسية وذلك بالإبقاء علي تمثيل المستعمرات في أجهزة الدولة كما قرر مؤتمر باماكو سنه ١٩٥٧ والذي ضم بعض أقاليم أفريقيا الغربية الفرنسية . والذى قرر ضرورة اعتراف فرنسا بحق تقرير المصير وتشكيل حكومة تحكم بحكم ذاتي فى داكار عاصمة الاتحاد.

ولم يكد ينعقد ذلك المؤتمر حتى طالبت الصحف الفرنسية بالإسراع في إجراء الإصلاحات في أفريقيا الغربية الفرنسية خوفا من فتح جبهة أخرى شبيهة بحرب الجزائر وفعــــلا أصــدرت حكــومة جي مولية قانون الإصلاح الإداري في مارس سنة ١٩٥٧ وهي :

- **المرحلة الثانية :**

وفي هذا القانون والذي ينص علي إجراء انتخابات في كل مقاطعة (١) وزيادة اختصاصات المجالس المحلية التي وصلت إلي درجة التشريع لكل شئونها الداخلية والتخفيف من قبضة الحاكم وزيادة في تمثيل الوطنيين في تلك المجالس وبالنسبة لموريتانيا زاد العدد من ٢٤ إلي ٣٤ وأصبح الوطنيون يشكلون الغالبية العظمي في المجلس كما تقرر إن يكون لكل إقليم مجلس تنفيذي هو بمثابة مجلس وزراء يرأسه حاكم الإقليم ويختار نائبة من بين الوطنيين بشرط أن يحوز علي موافقة غالبية أعضاء المجلس المحلي ولذا اقتربت المستعمرات بعض الشيء من النظام النيابي إذ أصبح من الضرورى ان يكون نائب رئيس المجلس التنفيذى من اصحاب الأغلبية المنتخبة وقد طبق هذا القانون علي موريتانيا في عام ١٩٥٧ وهو الذي أتاح للمختار ولدداده أن يرقي إلي منصب رئيس المجلس في ٢٠/٥/ ١٩٥٧ علي أساس أن أنصاره نالوا الأغلبية في الانتخابات (٢) .

وقد تصادف تطبيق القانون الاطاري مع بروز مشروع آخر كان من شأنه أن يربط موريتانيا بعجلة الاستعمار الفرنسي وهو مشروع التنظيم المشترك للأقاليم الصحراوية Organisation communedes Regions Saharienes وتعود فكرة هذا المشروع إلي قبل الحرب العالمية الأولي ولكن الحرب حالت دون تنفيذه وفي سنة ١٩٣٧ كتب chazelas

---

١- محمد حسنين : مرجع سابق ، ص ٣١٥.

٢- انور زغلول – مرجع سابق ص ٣٣

في تقرير أعده بخصوص المنظمة الصحراوية المقترح إنشاؤها قال : أن القهر العسكري لم يحقق الإخضاع المعنوي للشعب الموريتاني ،فالموريتانيون ظلوا يقاومون الانفتاح علي المجتمع الفرنسي ٠

ولذلك كان الاقتراح هو إنشاء منظمة تضم جميع المناطق الصحراوية الخاصة وتصر على أن يكون من شأنها اجتذاب الموريتانيين عن طريق السكان الآخرين مثل سكان الصحراء الجزائرية للتعاون في إطار مجموعة فرنسية كبيرة تسير علي الأسس التي وصفها ليوتي في المغـــــرب وهي مراعاة العادات والتقاليد ونظم أولئك المواطنين (١) .

ولقد كان الهدف في السنوات العشر بعد الحرب وبعد انتخابات سنه ١٩٤٦ عدم النقاش في الاستقلال ولكن في طبيعة العلاقة الدستورية بين المناطق الأفريقية وفرنسا إلا أن قبضة فرنسا علي غرب أفريقيا ظلت قوية وبناءاً علي طلب المستعمرات في المزيد من الإصلاحات بدأ منديس فرانس (Mendes franee) في عام ١٩٥٤ في القيام ببعض الإصلاحات وأولها كان دستور جديد لتوجو حيث سمح لها بتشكيل مجلس حكومي لكن كل إصلاحات منديس فرانس لم تظهر إلي حيز الوجود إلا عام ١٩٥٦ وقد تجسدت هذه الإصلاحات في ملامح قانون جديد عرف باسم القانون الاطاري (Loicadre) والذي عرض بعد انتخابات ١٩٥٦ علي الجمعية الوطنية وصار (هو فه بوانية) وزيرا مفوضا في حكومة شكلها جي مولية بعد الانتخابات وكان القانون الاطاري قد طبق في انتخابات مارس ١٩٥٧ في المجالس الإقليمية وأعطي قدرا من المسئولية لحكومة المناطق التابعة لأفريقيا السوداء .

وكان القصد منه إعطاء جرعة مسكنة للأفارقة في عالم يتحقق فيه الاستقلال بسرعة بينما الوزير المسئول عن ما وراء البحار قد أعلن فى حديث أمام الجمعية الوطنية في ٢١ مارس سنه ١٩٥٦ أن البريطانيين قد غيروا النظم السياسية الإدارية في مستعمراتهم وهذا قد زاد من قلق شعوب أفريقيا الفرنسة الغربية والاستوائية ومع ذلك فإن القانون الاطاري كان مصمما للحفاظ علي العلاقة بين شعوب المناطق فيما وراء البحارو فرنسا الام وعند تطبيق هذا القانون فإن زعماء أفريقيا السوداء عامة وموريتانيا خاصة لم يحتجوا علي فكرة هذا الاتحاد ولكن فقط كيفية تنفيذه ،

---

١ - نصر السيد نصر : مرجع سابق ، ص٥٨ .

ولم تدخل كلمة الاستقلال في المفردات السياسية العامة إلا في يونية ١٩٥٨ عندما خاطب سيكوتوري المؤتمر الرابع للحزب الديمقراطي لغينيا فى كوناكرى حيث أعلن أن غينيا لن تتخلي عن استقلالها حتى ولو ربطت مصيرها مع فرنسا وهكذا دخل الاستقلال في المنافسة السياسية العامة بشكل واضح ٠

ولقد كان تولي ديجول السلطة في ١٣ مايو وإجراء استفتاء عام ١٩٥٨ بداية الانفصال التدريجى من المستعمرات عن فرنسا ، وفي خلال عامين انقسم هذا المجتمع الفرنسي الأفريقي ولقد كان ديجول من رجال برازافيل ولمدة عقد من الزمان كان هو ورجالة يدركون رد الفعل تجاه هذه الإمبراطورية الاستعمارية وبالتالي فإنه وعد بدستور جديد يعيد النظر في علاقات فرنسا بمستعمراتها ووافقت الدول المستعمرة فى غرب أفريقيا بما فيها موريتانيا علي البقاء داخل الجماعة الفرنسية عدا غينيا التي رفضت البقاء داخل الجماعة ٠ وكان هذا بداية الانهيار والدمار للمجتمع الفرنسي (اى الامبراطورية الفرنسية فى افريقيا) و إعلان اختفاء أفريقيا الفرنسية الغربية كوحدة سياسية كما أيد دستور ديجول بلقنة أفريقيا الفرنسية (١).

ومما يلفت النظر أنه بينما جاء الاستقلال الذاتي علي خطوتين بدأت بدستور الجمهورية الرابعة سنة ١٩٤٦ وانتهت بالقانون الاطاري فإن الاستقلال التام جاء كذلك علي خطوتين بدأت بدستور الجمهورية الخامسة سنة ١٩٥٨ وانتهت بتعديل ٤ يونية سنه ١٩٦٠ وهو العام الذي ولدت فيه معظم الجمهوريات الأفريقية المستقلة ومن بينها موريتانيا وأصبح سنة ١٩٥٨ دستور الجمهورية الخامسة ساريا وبذلك انفض الاتحاد الفرنسي بعد حياه قلقة لم تدم أكثر من اثنى عشر عاما وحل محله الجماعة الفرنسية فتغير بذلك شكل فرنسا من دولة موحدة بسيطة وهو الشكل الذى حافظت عليه منذ سنة ١٨٧٥ إلي دولة اتحادية مركبة (٢) .

١- عبد الله عبد الرازق إبراهيم : تاريخ غرب أفريقيا ، مرجع سابق ، ص ١٨٤-١٨٥.

٢- سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٧١٦.

ثالثا:الطريقة القادرية والحركة الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي حتى الاستقلال

عندما صدر دستور عام ١٩٤٦م والذي بموجبه عملت فرنسا علي منح المستعمرات الفرنسية بعض الحريات التي تمكنها من إدارة شؤونها بنفسها ومن خلال ذلك أصبحت موريتانيا إقليما سياسيا متميزا ينتمي إلى اتحاد فيدرالي يدعي (أفريقيا الغربية الفرنسية) A.O.F يضم إلى جانبها كل من السنغال ومالي والنيجر وغينيا وساحل العاج وبنين وفولتا العليا ووفقا للإصلاحات الجديدة أعطيت الأقاليم مجموعة من الامتيازات السياسية والدستورية و أصبحت تتمتع بهياكل تشريعية وتنفيذية تابعة للحاكم الذي تنتدبه الحكومة الفرنسية فتقرر إنشاء جمعية إقليمية منتخبة لها صلاحيات محددة لا تتجاوز تسيير الشؤون المحلية ، بيد أن التغيير الأساسي هو من دون شك إعطاء الأقاليم المستعمرة حق انتخاب ممثلين لها في البرلمان الفرنسي وهنا ظهرت الحركة الوطنية الموريتانية بصفة رسمية(١) .

وهكذا أفسح المجال لاول مرة أمام بروز الحركة الوطنية التي استطاعت بخطابها التعبوي وإمكانياتها المحدودة وانتظامها الهش أن تهزم المرشح الفرنسي رزاك الذي كانت تدعمه الإدارة الاستعمارية المشرفة علي الانتخابات (٢)

وقد تأسس في هذه الفترة حزب { الوفاق الوطني } الذي تزعمه النائب احمد بن حرمة بن يابابا والذي عمل من خلال هذا الحزب علي تعبئة القطاعات الشعبية المؤيدة له ولحزبه (٣) ،وقد ارتبطت الحركة الوطنية برمزها المعروف حرمة (توفى عام ١٩٧٩) والذي انتخب في ١٠/١١/١٩٤٦م أول ممثل لموريتانيا في البرلمان الفرنسي ، حيث فاز حرمة علي المرشح الفرنسي بسبعة آلاف صوت ضد ثلاثة آلاف صوت للنائب الفرنسي رازاك بالرغم من المساندة الفرنسية ومعونة بعض العملاء الفرنسيين (٤) .

١- السيد ولد اباه و آخرون : مرجع سابق ، ص ٩٤ .

٢- سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٦٠٥.

٣- السيد ولد اباه و آخرون : مرجع سابق ، ص ٩٥.

٤- محمد يوسف مقلد : مرجع سابق ، ص ١٦٤.

وبالرجوع إلى البرنامج السياسي لهذا النائب الأول يتبين انه يتمحور حول مرتكزات أساسية منها :

١- تأجيج روح المقاومة الوطنية تجاه الاستعمار بالاستناد إلى المرجعية الدينية واستثمار تراث الجهاد الحربي والثقافي الذي اضطلع به أفراد البلاد وعلماؤها منذ الاحتلال الفرنسي للبلاد وهكذا استطاع استمالة قطاع عريض من الوسط الديني الذى أفتى الكثير من علمائه بوجوب مناصرته وتأييده دفاعا عن العقيدة .

٢- استخدام الورقة العربية والدعوة إلى ربط المستعمرات الموريتانية بالمحيط المغربي والاهتمام بالقضايا القومية الكبرى وغير ذلك من الأسس .

وفي مواجهة زعيم الحركة القومية ظهر تحالف سياسي مدعوم من الإدارة الفرنسية اتخذ اسم (الحزب التقدمي الموريتاني) الذي عقد مؤتمره التأسيسى فى مدينة روصو في فبراير عام ١٩٤٨م بحضور العديد من الزعامات التقليدية (١) .

هذا بالإضافة إلى اغلب أفراد سلك المترجمين الذين يشكلون طبقة محظية باعتبارهم الوسطاء بين محتلي الدولة الفرنسية والسكان المحليين وقد كان مناصري حزب الاتحاد التقدمي الموريتاني ينحدرون في أغلبيتهم من قبائل حسان وزواياها من أهل الطريقة القادرية بالإضافة إلى الأمراء ورؤساء القبائل والوجهاء وكان من ضمن الأسباب الهامة التي دعت إلى إنشاء حزب الاتحاد التقدمي الموريتاني هو العمل علي مقاومة الفارس الوحيد حرمة وفي الواقع كان حزب الاتحاد التقدمي الموريتاني يشكل تحالفا ضد حرمة اكثر مما يشكل حزباً سياسياً ولهذا فقد ضم الحزب بعض الفرنسيين الذين تولوا مناصب قيادية وانضم إليهم القادة التقليديون بدافع مصالحهم الشخصية أو مناوأة حرمة بن بابانا ولم يتبن حزب الاتحاد التقدمي الموريتاني أي نظرية عقائدية ولا برنامج واضح وانما كانت خطته تكتيكية علي المستوي الإقليمي منحصرة في مخاطبة نظام الخصم بواسطة المعارض ، وقد نجحت في ذلك حيث اصبح الاتحاد التقدمي الموريتاني فيما بعد يحتل غالبية المناصب في الجمعيات الإقليمية بعد انتخاب زعيمه لموريتانيا في الجمعية التاسيسية الفرنسية (٢)

١- نصر السيد : مرجع سابق ، ص ٦٢.

٢- السيد ولد اباه و آخرون : مرجع سابق ، ص٩٥.

وقد أعلن الحزب بوضوح المواجهة التامة مع النائب المنتخب كما أعلن تأييده الكامل للسلطة الاستعمارية (١) وعندما جرت انتخابات ١٩٥١م التي واجهه فيها احمد بن حرمة زعيم الجبهة الوطنية المرشح المغرب من السلطات الفرنسية أظهرت هذه الانتخابات حرص الإدارة الاستعمارية علي قطع الطريقة أمام الحركة الوطنية التي بدأت تبرز في شكل تنظيمي جاد فعملت علي تزييف نتائج الاقتراع لكي تضمن نجاح مرشحها ، وعلي الرغم من هزيمة مرشح الحركة الوطنية إلا أن مداها ظل حيا بل زاد اتساعا نتيجة للأصداء الكبيرة لديناميكية الكفاح المسلح فى بلدان المغرب العربي ضد الاسبان أولا وضد الفرنسيين ثانيا (٢)

وكذلك تأثير ثورة يوليو في مصر بعد ذلك وعزز ذلك لجوء حرمة إلى القاهرة عام ١٩٥٦م والتحاقه بقيادة حركة التحرير المغربية ليلتحق بالمغرب الأقصى بعد حصوله علي الاستقلال ويكون جيشا لتحرير البلاد .

---

١ - ابو بكر الجزائري و عبد القادر الجيلاني : مرجع سابق، ص ٣٩٩ .

٢- الحسن يورحلو الي : مرجع سابق ، ص ٣٧.

الحركة الوطنية ودور رجال الطريقة القادرية حتى الاستقلال :

إن المتأمل في تاريخ القادرية في موريتانيا إذا ما قارن بين أوضاعها الاقتصادية والبشرية التي كانت عليها في القرن التاسع عشر والتي كانت عليها منذ العقد الثالث من القرن العشرين وماتلاه يلتمس العديد من الحقائق الدالة علي بداية فقدانها لأهميتها في الحياة الاجتماعية والسياسية في البلاد وكان الشعب الموريتاني ما يزال حتى قيام الحرب العالمية الثانية في سبيل البحث عن إطار سياسي يعمل من خلاله فالزعامات التقليدية المستمدة من أبناء المحاربين (حسان) قد تحطمت ولم يبق سوي الزعامات الدينية وقد رأينا معظم هذه الزعامات قد تعاونت مع الإدارة الفرنسية علي أساس أنها قد تؤدي إلى الإصلاح وعلى نفس أسلوب الشيخ محمد عبده (لا باس من أن يتعاون المسلمون مع حكام غير مسلمين طالما انهم يتبعون قواعد العدل والإصلاح) ، على أن الطرق الصوفية لم تقدم شخصيات تسير في طريق المعارضة للحكم الفرنسي ، فقد رأينا الشيخ ماء العينيين أثناء حرب المقاومة أما بعد انهيار المقاومة فقد ظهر الشيخ حماه الله وهو تيجاني الطريق كرائد لاتجاه صوفي جديد ولكن الأحداث لم تلبث أن دفعت به إلى التصادم مع الإدارة الفرنسية ولهذا أعتبر الكتاب الفرنسيون حركته حلقة هامة من حلقات المقاومة الوطنية (١) .

وعن علاقة القادرية خاصة – والتصوف – عامة في موريتانيا بالحركة الوطنية فانه لم يكن هناك توافق ويرجع ذلك إلى المراحل الأولى لتكوين الحركة الوطنية وترجع المراحل الأولى لتكوين الحركة الوطنية إلى أواسط العشرينيات من القرن العشرين ، فقد برزت عوامل صارت توقظ أفكار جديدة في بعض الأوساط الشبابية ، فمن جهة قام بعض دعاة الفكر السلفي ينشرون أفكاراً جديدة تدعو إلى ضرورة بعث إسلامي جديد يرتكز علي أساس الكتاب والسنة دون البقاء في انحباس ما كان متشبثا به كثير من الفقهاء ونحو ما ترك الأقدمون للمتأخرين مما يدعو إلى الخروج عن أقوالهم واجتهادهم وهكذا افتتحت أعين بعض الطلبة علي فهم جديد لحقائق الدين ثم نشأت عن هذا الفهم الجديد آراء جديدة لم تكتف بانتقاد أقوال الفقهاء المتأخرين وانما صارت إلى انتقاد توجيهات أراء وتعاليم بعض المتصوفة الذين رأوا فيها مخالفات أو إضافات وزيادات واعتبروها بدعا محدثة ما انزل الله بها من سلطان (٢) .

١- نصر السيد : مرجع سابق ، ص٦٢.

٢ - ابو بكر الجزائري و عبد القادر الجيلاني : مرجع سابق ، ص٣٩٨.

وهكذا صارت بعض الأفكار تتعارض وتتخاصم وأخذت لدى البعض شيئا من الحدة ولدي الكثيرين شيئا من الاعتدال ، وفي غمرة هذا الانتعاش برز عاملان أحدهما قيام البطل محمد عبد الكريم الخطابي بحركة المقاومة المسلحة ضد الأسبانيين أولا وضدهم وضد الفرنسيين ثانيا وكان لهذه الحركة دوي كبير في المشرق والمغرب وكان لها تجاوب كبير وعظيم مع نخبة صالحة من شباب المغرب ومن بعض مفكريه القليلين وفي الوقت نفسه صارت تبرز شخصيات متصوفة أعلنت تخوفها ، أولا من حركة محمد عبد الكريم الخطابي التحريرية ولربما مقاومتها لها وفي هذه التفاعلات الفكرية صارت تبرز أفكار جديدة ونظرات متباينة و أحكام قد تكون مرتجلة وقد تكون سديدة ضد بعض الشخصيات التي كان يشم فيها المعارضة لثورة الخطابي وبالتالى عدم استنكار ما يقوم به الاستعمار وبالسير في ركابه ومساندته جهرا أو سرا . وبالإضافة إلى ذلك كله صار الاتصال بالثقافة الأجنبية وبالأخص الفرنسية والاطلاع علي الحركات الفكرية والتحررية فيها ومطالعة ما يرد علي المغرب من المشرق العربي وخصوصا من مصر صار كل ذلك يفتح آفاقا جديدة سواء في المجال السياسي والفكري والتحرري أو في المجال الديني العقائدي التجديدي وجاءت أحداث ما يسمي بالظهير البربري في ١٩٣٠/٥/١٦م لتظهر المخططات الجهنمية التي كان يخطط لها دهاقنة الاستعمار الفرنسي والتي لم يصدر ذلك الظهير إلا لفتح المجال أمام الاستعماريين للقضاء علي الوحدة المغربية والعقيدة الإسلامية والعربية (١) .

وهذة العوامل مجتمعة هي التي كونت أو خلقت ما سمي بالفكر الوطني أو الحركة الوطنية الحديثة فهي حركة نشأت من فكر إسلامى سليم ومن فكر وطني متحرر يرمي إلى تحرير البلاد من الاستعمار الأجنبي كيفما كان نوعه سواء كان استعمارا عسكريا أو سياسيا أو استعمارا ثقافيا ودينيا أو استعماريا فكريا منقادا وتابعا وبعبارة أوضح نشأت عن رفض أي استعمار للأرض أو أي استعمار للفكر أو أي تنكر أو تنازل عن العقيدة الإسلامية أو اللغة العربية أو الجذور العربية المعتزة بأصالتها سواء كانوا حسان عرب أو زوايا بربر وهم أيضا عرب فقد صهرهما الإسلام الحنيف فكانا شجرة واحدة تدين بدين واحد هو الإسلام بمبادئه الثابتة جميعها التي جاء بها القرآن الكريم ووضحتها السنة النبوية الشريفة فلا فرقة ولا عنصرية ولا تطاحن ولا تمايز و إنما هو شعب واحد هو الشعب الموريتاني المسلم ومن هنا فما يخططه الاستعمار للفرقة مرفوض رفضا

١-ابو بكر الجزائري و عبد القادر الجيلاني : مرجع سابق ، ص٣٩٩.

قطعيا وما يخططه للتطاحن والتمايز لا يلقي من الشعب الموريتاني إلا الاستنكار والرفض والمحاربة.

وبهذه الخطوط الرئيسية والمبادئ المتميزة واجهت الحركة الوطنية الجديدة الاستعمار والاستعماريين ومن كان في جانبهم من المنافقين والمتذبذبين الذين باعوا ذممهم للأجنبي فباءوا بالخسران المبين وبهذه المبادئ الثابتة استطاعت الحركة الوطنية أن توجه الشعب الموريتاني في بداية نهضته التوجيه السديد الرشيد فيلتف حولها الشعب الموريتاني بجميع عناصره زوايا وحسان ولحمة ومن كل الطرق قادرية أو غيرها ولم يكن للحركة الوطنية في أول نشاتها برنامج مفصل في ميادين الإصلاح الاجتماعى أو الثقافى أو السياسى أو الإدارى أو الاقتصادى و إنما كانت حركة تحد للاستعمار ووقوف ضد مخططاته المختلفة وعمل للنهوض بالبلاد في مختلف النواحي التي تتطلب الإصلاح والتجديد .فالأحوال الأساسية التى نبتت عليها الحركة الوطنية هي الإسلام والعربية والوحدة والتمسك بلغة القرآن والإصلاحات التي تطلبها النهضة والتطور الضروريان لمسايرة تقدم العصر وتوضيح معالم الطريقة بالنسبة للإصلاحات التجديدية في مختلف الميادين الحيوية وإذا كان البعض من رجال الحركة الوطنية متشددا فيما يتعلق ببعض ممارسات الطرق الصوفية فيما يدور من مجالسهم واجتماعاتهم وأذكارهم باعتبارها من البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان .

فان الكثرة من المنتمين للحركة الوطنية لم يكونوا يرون في ذلك من باس ما دامت تسير في المنهج الإسلامي السني كما أن المعتدلين في أفكارهم من رجال الحركة الوطنية كانوا يرون ضرورة الاتصال والامتزاج بالمنتمين للطوائف الصوفية وجلبهم إلى الحركة الوطنية حتى تتقوي بهم صفوف الحركة الوطنية وحتى لا تبقي اهتماماتهم مقتصرة علي الانتساب للطائفة وتلاوة الأذكار دون اهتمام بالقضايا الوطنية التحريرية والداعية إلى النهوض بالبلاد والسير في الركب الحضارى ومقاومة الوجود الاستعماري وهو العائق الأساسي عن أي تقدم أو اتفاق . ولقد انضم إلى الحركة الوطنية لدي تأسيسها جماعات وأفراد كثيرون ومن مدن وجهات مختلفة وكانت منتسبة لبعض الطرق الصوفية ولم تكن الحركة الوطنية حركة قسرية تنبذ المنتمين للطوائف الصوفية بين صفوفها وانما كانت تعمل جاهدة علي انضمامها للجماعات والخلايا الوطنية مثل بقية المواطنين حتى تستفيد من طائفتها في المعارضة وفي الجهاد ضد الغزو الاستعمارى .

وإذا كان هناك تنافر بين رواد الحركة الوطنية وبين أصحاب الطرق الصوفية فلم يكن هذا التنافر بين الحركة الوطنية وبين رجال التصوف الحقيقي السليم وانما كان بين الوطنيين وبين الذين استغلوا فكرة التصوف لنشر الأفكار الانهزامية التي تدعو إلى التواكل والذين ساروا في ركب الاستعمار الأجنبي يخدرون المواطنين بدعاواهم الباطلة (١) . التي ليست من الإسلام في شئ وربما كان هناك بعض الغلاة من السلطتين الذين لم يقبلوا مطلقا فتح الأبواب أمام الجماعات الطرقية دون تمييز بين الصالح والطالح ولكن الواقع أن رجال الحركة الوطنية لم ينبذوا مطلقا أى فرد كان فيه إستعداد للمساعدة في مقاومة الغزو الأجنبى .

لقد وجد من بين الطوائف الصوفية من اقتصروا علي عقد اجتماعات للذكر وقد يكون باللسان فقط دون أى تأثير علي السلوك أما الاهتمامات بالقضايا العامة فلم يكن يلقى أى قسط من اهتماماتهم ويضاف إلى ذلك أن الطوائف المختلفة والمتعددة لم يكن فى الغالب بينها إنسجام ولا تعاون مع بعضها البعض بل ربما كان هناك نوع من النفور مع بعضها بعضا وبذلك فقدت كثيرا من الخواص التي كانت لدي مؤسسيها الصادقين الأولين فأصبحت فاقدة لروحها النضالية التى كانت لدى المؤسسين واصبح الاستسلام هو شروط القيادة الجهادية ولانهم لم يدركوا أن الصوفية التي تدعوا إلى جهاد النفس و الهوي تدعو في الوقت نفسه إلى تقوية ما تسميه بالقوات التعبوية لمواجهة الأخطار التي تهدد العقيدة والدين والبلاد وبذلك فإنها كانت بحاجة إلى محرك قوى يدفع بها إلى إرتياد المعارك الجهادية المختلفة لتحافظ علي حقيقتها الأولى ورسالتها الأساسية أن كل أقطاب الطريقة القادرية قاموا بواجب الإسلام وكافحوا الكفاح المرير الهجوم الاستعمارى الفرنسى فى موريتانيا و أدوا واجبهم أحسن أداء وان كان بعضهم لم يقاومه عسكريا فانهم جميعا وقفوا صفا واحدا لصد هجومه الثقافي والفكري والاجتماعي ولكن تلك الشعلة التي كانت لديهم صارت تنطفي رويدا رويدا بعد وفاتهم فخلف من بعدهم خلف صار الانتساب إلى الطرق الصوفية مجرد انتماء كأنه انتماء تشريفي تاريخي جغرافي فإذا فحصنا هذه الحالة فإننا نلاحظ هذا الضعف في الغالب اعني به الضعف النضالى الجهادى الذى كان لدى الأوليين السابقين .

١- ابو بكر القادرى : مرجع سابق ، ص ٤٠٠ .

والحركة الوطنية بدورها والتي قامت أساسا على النضال ضد الاستعمار والتخلف الفكري وعلي بناء نهضة قوية صحيحة مبنية على الأسس التى ذكرناها صارت مع الأسف الشديد بعد الاستقلال تضعف حيويتها واهتمامها التربوى والتوجيهى وطغى عليها الجانب المادي في الحياة سائرة – شعرت أم لم تشعر – في النهج الذي سار عليه الغرب المسيحى حذوا النعل بالنعل وبذلك فقدت خصوصيتها ولأبد لها إذا أرادت أن تؤدى رسالتها أن تراجع نفسها وتقوم بنقد ذاتي سليم وصحيح لبرامجها وطرق سيرها حتى لا تجد نفسها فاقدة لهويتها ومصداقيتها وهنا يأتي دور المصلحين الصادقين الذين يعملون علي إرجاع القطار إلى مساره سواء في المجال التربوي الصوفي أو في المجال السياسي الحياتي.

أن دور التصوف السني السليم دور خطير ولابد من الاهتمام بتكوين المواطنين علي أساسه وان الروحانيات الأساسية التي آتي بها الإسلام ووضحها القرآن هي التي يجب علي الصادقين أن يبعثوها من مراقدها فلا نهضة ولا بناء بدون أخلاق والتصوف كما قال أبو الحسن النووي (ليس نصوصا وعلوما نظرية بل هو أخلاق أي أنه قاعدة ضرورية للحياة وقوة التصوف الإسلامي ليس في الانعزال المترفع المخزون الذي فيه يصبح المجذوب بل في الشوق الحارق إلى التضحية في سبيل إخوانه)(١)

ظلت موريتانيا تعيش فى عزلة نسبية وتعانى من مشاكل خاصة بها مما انعكس على بط معدل تطورها عن باقي إقليم المنطقة نتيجة للمظاهر الآتية :-

- قلة تعداد السكان وانتشارهم علي مساحة واسعة
- عدم تعمق الاستعمار الفرنسى فى هذه المنطقة الصحراوية ومن ثم كانت موريتانيا هي الإقليم الوحيد الذي ظل تابعا لادارة عسكرية ومع أنه لم يبق فى موريتانيا بعد الحرب سوى دائرتين تحت الإدارة العسكرية إلا أن طول اعتماد العسكريين علي الزعامات التقليدية ولا سيما الزعامات الدينية الذين تعاونوا منذ البداية مع الغزو الفرنسي قد دعم نفوذهم وعطل بالتالي تطور الإقليم(٢) .

١عبد الرحمن بدوى – التصوف الاسلامى ص ٢٤

٢- صلاح العقاد : الجمهوريات الأفريقية المنتمية للمجموعة الفرنسية ، اسكندرية ١٩٨٩ ص١٨١.

لم تهتم الإدارة الفرنسية بنشر الثقافة أو النظم الاجتماعية الحديثة وانما اكتفت باستغلال المعادن وهكذا جاء تطور الإقليم بطريقه وعفوية فرضتها احتكاكات العمل في المناجم الجديدة دون أن تحركه عوامل خارجية تدفعه باطراد في الطريق السليم

- مع أن سكان موريتانيا كلهم من المسلمين مما ينتفي معه أي صراعات عقائدية بين المسلمين وغير المسلمين كما كان قائما بين الأقاليم الأخرى فقد كانت بها صراعات أخرى لم تكن قد زالت بعد بين السود المستقرين والبدو الرحل وبين الزوايا والمحاربين ، وبعد الغزو الفرنسي وفرض السلام بالقوة انعكس هذا الصراع على النواحي الاقتصادية فسرعان ما نمت ثروات السود المستقرين في الجنوب في حين زالت موارد البدو التي كانت تعتمد على الإتاوات وغارات السطو.ولم يتناقص هذا الفارق الاقتصادي إلا بعد أن بدأ إنتاج الحديد في الشمال .

وخلاصة هذه المشاكل فان الحركة الوطنية في موريتانيا نتيجة لانعزالها كانت من جهة اقل نضجا منها في معظم أقاليم غرب أفريقيا ومن جهة أخرى اقل تأثرا بالحركة الحزبية التي سادت هذه الأقاليم ، على أن الإدارة الفرنسية قبل الحرب العالمية الثانية لم تكن في اتصالها بالقبائل الموريتانية تسمح لمجالس الجماعة بمناقشة أي أمر تصدره بل تفرض عليهم سياسة معدة من قبل لتطبيقها ولم يكن ذلك متيسرا إلا عن طريق الرؤساء التقليديين ولذلك مارست الإدارة الفرنسية نوعا من الإدارة غير المباشرة عن طريق هؤلاء الرؤساء الذين لم يكونوا يتمتعون بالاستقرار حيث كانت الدسائس والمكائد بل والقتل شائعا للوصول إلى الرئاسة هذا من جهة ومن جهة أخري فان الإدارة الفرنسية لم تجد أي خطورة في خلع الرؤساء واستبدالهم حيث أن كلا منهم مشغول بمشاكله الخاصة مما سهل على الإدارة الفرنسية التعامل معهم منفردين إضافة إلى ذلك ما تأثر به هؤلاء الرؤساء بسبب فقدهم امتيازاتهم السابقة بعد إلغاء السخرة وتقلص إتاوات الحماية وتحديد أماكن تنقل القبائل للرعي في محاولة لزيادة استقرارهم كل ذلك اثر بشدة على مصادر دخل هؤلاء الرؤساء الذين قلت هيبتهم إلى جانب نقص مواردهم وبدوا كأنهم مسؤولين أمام المحتل الفرنسي عن تطبيق سياسة لم يشتركوا في وضعها ودون أن يكون لديهم سلطة لممارسة مهامهم .

وهذا سيكون له ثلاث نتائج لها آثرها على الحركة الوطنية في موريتانيا بعد الحرب :

١- ضعف النزعة القبلية نتيجة لضعف نفوذ الرؤساء وانصرافهم عن قبائلهم حتى أن بعضهم طالت مدة أقامتهم بسانت لويس وفقدوا خلالها اتصالهم باتباعهم فاصبح من غير المقبول أن يقوم رئيس قبيلة من هذا المكان البعيد بإدارة مجتمع متجول مازال يعيش في الخيام أو أن يمر عليهم كل فترة زمنية و أحيانا بعربة لجمع الإتاوات ، وفقدت بذلك هذه الرئاسة مدلولها التقليدي الذي كان لها في الماضي .

٢- تفتت القبائل إلى عدد كبير من الأقسام الفرعية الصغيرة مما اصبح معه من الصعب على القائد الفرنسي في الدائرة ممارسة الحكم المباشر .

٣- هجرة الشباب بإعداد كبيرة ، أما بصفة مؤقتة أو مستديمة إلى مدن السنغال في محاولة للعمل والارتزاق وكان لهذه الظاهرة بالذات مغزى هام إذ هي تنطوي على شعور بالاستقلال والتحرر من قيود الرابطة القبلية (١) .

وعلى الرغم من ان شيوخ الطريقة القادرية خاصة والزوايا عامة كانوا أوفر دخلا من المحاربين بسبب مرونتهم وقدرتهم على التكيف بالأحوال الجارية ومع أن فرنسا كانت دائما تتبع سياسة محاباة الزوايا على حسان فقد تأثر نفوذهم كذلك بالحكم الفرنسي ولكن من زاوية أخرى فمنذ وعدهم الاحتلال الفرنسي باحترام زواياهم وحماية جماعاتهم وهم ينفردون بتزعم النواحي التعليمية والدينية والقضائية ولكن فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية شهدت تغيرا ملموسا فمع أن المحاظر كانت ما تزال نشطة إلا أن الشباب اصبح اكثر ميلا لتلقي تعليمه في المدارس الفرنسية لان ذلك يفتح أمامه باب الوظائف الإدارية ولقد صحب هذا التراجع في التعليم الإسلامي تراجع مماثل في تطبيق الشريعة الإسلامية فقد وضعت الإدارة الفرنسية قوانين جديدة تتعلق بإلغاء الرق وتنمية التجارة وإنشاء جمعيات التسليف وغيرها مما قيد الأهالي بقوانين مغايرة للشريعة الإسلامية حتى أن دافعوا الإتاوات استندوا إلى هذه القوانين في تحرير أنفسهم من التزاماتهم التقليدية إزاء سادتهم وادي كل ذلك إلى نمو الروح الفردية وبالتالي ضعف التماسك القبلي .

١- السيد ولد اباه : مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

لم تهتم الإدارة الفرنسية بنشر الثقافة أو النظم الاجتماعية الحديثة وانما اكتفت باستغلال المعادن وهكذا جاء تطور الإقليم بطريقه وعفوية فرضتها احتكاكات العمل في المناجم الجديدة دون أن تحركه عوامل خارجية تدفعه باطراد في الطريق السليم

- مع أن سكان موريتانيا كلهم من المسلمين مما ينتفي معه أي صراعات عقائدية بين المسلمين وغير المسلمين كما كان قائما بين الأقاليم الأخرى فقد كانت بها صراعات أخرى لم تكن قد زالت بعد بين السود المستقرين والبدو الرحل وبين الزوايا والمحاربين ، وبعد الغزو الفرنسي وفرض السلام بالقوة انعكس هذا الصراع على النواحي الاقتصادية فسرعان ما نمت ثروات السود المستقرين في الجنوب في حين زالت موارد البدو التي كانت تعتمد على الإتاوات وغارات السطو.ولم يتناقص هذا الفارق الاقتصادي إلا بعد أن بدأ إنتاج الحديد في الشمال .

وخلاصة هذه المشاكل فان الحركة الوطنية في موريتانيا نتيجة لانعزالها كانت من جهة اقل نضجا منها في معظم أقاليم غرب أفريقيا ومن جهة أخرى اقل تأثرا بالحركة الحزبية التي سادت هذه الأقاليم ، على أن الإدارة الفرنسية قبل الحرب العالمية الثانية لم تكن في اتصالها بالقبائل الموريتانية تسمح لمجالس الجماعة بمناقشة أي أمر تصدره بل تفرض عليهم سياسة معدة من قبل لتطبيقها ولم يكن ذلك متيسرا إلا عن طريق الرؤساء التقليديين ولذلك مارست الإدارة الفرنسية نوعا من الإدارة غير المباشرة عن طريق هؤلاء الرؤساء الذين لم يكونوا يتمتعون بالاستقرار حيث كانت الدسائس والمكائد بل والقتل شائعا للوصول إلى الرئاسة هذا من جهة ومن جهة أخري فان الإدارة الفرنسية لم تجد أي خطورة في خلع الرؤساء واستبدالهم حيث أن كلا منهم مشغول بمشاكله الخاصة مما سهل على الإدارة الفرنسية التعامل معهم منفردين إضافة إلى ذلك ما تأثر به هؤلاء الرؤساء بسبب فقدهم امتيازاتهم السابقة بعد إلغاء السخرة وتقلص إتاوات الحماية وتحديد أماكن تنقل القبائل للرعي في محاولة لزيادة استقرارهم كل ذلك اثر بشدة على مصادر دخل هؤلاء الرؤساء الذين قلت هيبتهم إلى جانب نقص مواردهم وبدوا كأنهم مسؤولين أمام المحتل الفرنسي عن تطبيق سياسة لم يشتركوا في وضعها ودون أن يكون لديهم سلطة لممارسة مهامهم .

وهذا سيكون له ثلاث نتائج لها آثرها علي الحركة الوطنية في موريتانيا بعد الحرب :

١ـ ضعف النزعة القبلية نتيجة لضعف نفوذ الرؤساء وانصرافهم عن قبائلهم حتى أن بعضهم طالت مدة أقامتهم بسانت لويس وفقدوا خلالها اتصالهم باتباعهم فاصبح من غير المقبول أن يقوم رئيس قبيلة من هذا المكان البعيد بإدارة مجتمع متجول مازال يعيش في الخيام أو أن يمر عليهم كل فترة زمنية و أحيانا بعربة لجمع الإتاوات ، وفقدت بذلك هذه الرئاسة مدلولها التقليدي الذي كان لها في الماضي .

٢ـ تفتت القبائل إلى عدد كبير من الأقسام الفرعية الصغيرة مما اصبح معه من الصعب علي القائد الفرنسي في الدائرة ممارسة الحكم المباشر .

٣ـ هجرة الشباب بإعداد كبيرة ، أما بصفة مؤقتة أو مستديمة إلى مدن السنغال في محاولة للعمل والارتزاق وكان لهذه الظاهرة بالذات مغزى هام إذ هي تنطوى علي شعور بالاستقلال والتحرر من قيود الرابطة القبلية (١) .

وعلى الرغم من ان شيوخ الطريقة القادرية خاصة والزوايا عامة كانوا أوفر دخلا من المحاربين بسبب مرونتهم وقدرتهم علي التكيف بالأحوال الجارية ومع أن فرنسا كانت دائما تتبع سياسة محاباة الزوايا علي حسان فقد تأثر نفوذهم كذلك بالحكم الفرنسي ولكن من زاوية أخرى فمنذ وعدهم الاحتلال الفرنسي باحترام زواياهم وحماية جماعاتهم وهم ينفردون بتزعم النواحي التعليمية والدينية والقضائية ولكن فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية شهدت تغيرا ملموسا فمع أن المحاظر كانت ما تزال نشطة إلا أن الشباب اصبح اكثر ميلا لتلقي تعليمه في المدارس الفرنسية لان ذلك يفتح أمامه باب الوظائف الإدارية ولقد صحب هذا التراجع في التعليم الإسلامي تراجع مماثل في تطبيق الشريعة الإسلامية فقد وضعت الإدارة الفرنسية قوانين جديدة تتعلق بإلغاء الرق وتنمية التجارة وإنشاء جمعيات التسليف وغيرها مما قيد الأهالي بقوانين مغايرة للشريعة الإسلامية حتى أن دافعوا الإتاوات استندوا إلى هذه القوانين في تحرير أنفسهم من التزاماتهم التقليدية إزاء سادتهم وادي كل ذلك إلى نمو الروح الفردية وبالتالي ضعف التماسك القبلي .

١ـ السيد ولد اباه : مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

في النهاية :

لقد كان في إمكان الطرق الصوفية عامة و الطريقة القادرية خاصة أن تستغل تلك الأحداث العالمية الخارجية و الداخلية المحلية وتوظيفها ضد السلطات الاستعمارية الفرنسية وتساير بالتالي التيار العام الرافض للاستعمار إلا أنها ظلت غير مبالية بالواقع المتحول الذي لم تعد هي الطرف الوحيد الفاعل فيه مما ساهم في عزلتها خاصة بعدما وقف بعضها مرة أخري إلى جانب السلطات الاستعمارية موقف المؤيد . وخلاصة القول أن مواقف بعض رجال القادرية وان كانت لا تعكس بالضرورة وجهة نظر كل رجال القادرية ولا كل الاتباع من جل الأحداث التي وجدت في البلاد أو من الحرب العالمية الأولى و الحرب العالمية الثانية أو من الحركة الوطنية فإنها تعبر بالدرجة الأولى عن مواقف بعض مشايخها الذين رغم الأضرار التي لحقتهم من جراء السياسة الاستعمارية ظلوا في انحيازهم للمستعمر وكنتيجة لذلك ولتطور العقليات من جراء التعليم اصبحوا عرضة للانتقاضات اللازمة وهو ما مكن خصومهم من تكثيف نشاطاتهم وتوسيع قاعدتهم تبعا لوطنيتهم ونقمتهم على الاستعمار مقابل تقلص نفوذ مشايخ الطريقة القادرية خاصة والطرق الصوفية عامة وعدد اتباعهم لاتضاح عدم مشاركتهم في الأحداث السياسية التي تمر بها البلاد ومواقفهم السابقة مع الاستعمار من الولاء له والتنسيق معه مما ساهم في ضعف الطريقة القادرية خاصة والطرق الأخرى عامة (١) .

١- التليلي العجيلي : مرجع سابق ، ص ص ٢٣٥-٢٤١.

الفصل الخامس

آثار الإستعمار الفرنسى فى موريتانيا

أولاً: الآثار السياسية .

ثانياً : الآثار الاقتصادية .

ثالثاً: الآثار الاجتماعية .

رابعاً : الآثار الثقافية .

أولا : الآثار السياسية :

لقد كان للوضع السياسي لموريتانيا في علاقتها مع المستعمر الفرنسي قصة طويلة ولها ملابساتها ومتاعبها والتي أدت إلي ميلاد جمهورية لها على صغرها مكانتها وإمكانياتها تحت الشمس. والموريتانيون رغم قلة عددهم وضعف وسائلهم الدفاعية كانوا دائما أقوياء وكانوا (عظما قاسيا) لم ينكسر تحت أضراس المستعمر القوية رغم التجارب العديدة على مر الأيام ،، فقد ظل عرب موريتانيا عصاه علي فرنسا طيلة حكمها المباشر في كثير من الحالات ولذلك كانت تستثنيهم في بعض قوانينها المعمول بها في مستعمراتها السوداء بعده أمور ، حيث كان لهم وضعهم الخاص .

إذ كانت فرنسا تعفيهم من الخدمة العسكرية الإجبارية المفروضة علي الأفريقيين السود ، وتسوسهم سياسة خاصة في التصرفات والعطاءات ونحو ذلك ، وهذة السياسة فيها الكثير من اللين والمسايرة وكسب المودة فلما حان وقت المطالبة بالاستقلال السياسي كان لدي فرنسا الكثير من أسباب القبول وعدم استعمال القوة واتخاذ الحكمة علي غير عادة فرنسا – أساسا للبحث (١) .

ومنذ قدوم المستعمر الفرنسي لموريتانيا عمل على تثبيت أقدامه.

ولتحقيق أغراضه الاستعمارية قسمت فرنسا موريتانيا إلي دوائر ومقاطعات وعلي الرغم من أن الحكام الفرنسيين كانوا يحترمون رؤساء القبائل والأمراء إلي حد ما فإنهم كانوا يعاملون السواد الأعظم من الشعب معاملة قاسية حيث كانت تفرض عليهم قوانين وقرارات تقيدهم وتحرمهم من حريتهم التي كانوا يتمتعون بها قبل قدوم الاستعمار ، وكان يطلق علي هؤلاء الرؤساء والأمراء جماعة الوجهاء وكان القانون الاستعمارى يخول حاكم المقاطعة سلطة مطلقة بأن يسجن أي شخص لمدة خمسة عشر يوما للتأديب ولحاكم الدائرة أن يسجن أيضا من يريد لمدة شهر فقط وقد كان محرما في القانون الاستعماري طيلة الحكم المباشر علي الأهالي ، تولي المناصب العليا كحاكم مثلا ، أو شغل الوظائف الهامة كمحامي وإنما اقتصر الأمر علي

١- مقلد : مرجع سابق ، ص ١٨٠.

الأهالى فى شغل الوظائف الجانبية الأقل أهمية مثل الترجمة أو التمريض أو مساعدة معلم ولم يسمح أبدا للموريتانيين بتكوين أحزاب سياسية طيلة هذه الفترة ولا حتى الكلام في السياسة وذلك إلي أن جاءت الحرب العالمية الثانية .

حيث بدأت الأمور تتحول نحو الحكم الذاتي بعد أن منحت فرنسا شعوب المستعمرات حق الانتخاب (١) وقد حكمت فرنسا موريتانيا باعتبارها جزءا من السنغال كما وضح ذلك في المرسوم الجمهوري الذي صدر في عام ١٩٠٤ ونيط لحاكمها كوبولانى تنظيم المستعمرة وتعد الصعوبات التي واجهت فرنسا في محاولاتها السيطرة علي شمال البلاد كانت سببا في استمرار السلطة في أيدي العسكريين كما مارست فرنسا الإدارة غير المباشرة في بداية الامر عن طريق رؤساء الإمارات الكبيرة كالترارزة والبراكنة وادرار ،ويرجع الفضل لكوبولانى فى وضع الأسس غير المباشرة إذ أنه لم يلغ نظام الإمارات بل علي العكس ثبت أمراء لم يكونوا موجودين من قبل كما حدث في تجانت ، إلا إنه علي الرغم من أن التاريخ السياسي القريب لموريتانيا وثيق الاتصال بالتحولات الدولية والإقليمية التي طالت المنطقة الشمالية والأفريقية إلا أنه يتميز بسمات عدة خصوصية لعل أبرزها :- ظهور الكيان السياسى الموريتانى فى ظل ظروف تحكمها جملة من المحدودات المتباينة ويكتنفها العديد من الأحداث المتلاحقة والاحتمالات المتعددة جعلت تصور هذا الكيان وبناءه مرهونا بمؤثرات وضع داخلى متفجر وإرادة استعمارية مترددة وحركيةاستقطاب إقليمى مزدوج ولقد كان الغرض من المشروع الفرنسى لإنشاء دولة موريتانيا يتلخص في خلق منطقة عازلة تفصل الفضاء العربي عن امتداده الحضارى والاستراتيجى (أفريقيا المسلمة) وبالتالي إيقاف المد الثقافى الدينى الذى اضطلع به الدعاة والعلماء الشناقطة منذ أزمان بعيدة سابقة (٢) ، والملاحظ فى المعاهدات التي عقدت مع الأمراء خلعت السلطات الفعلية عن الأمراء .

---

١ - الحسن يورح والي : نظام الحزب الواحد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، ص ٢٤.

٢ - السيد ولد اباه : مرجع سابق ، ص ٩١ .

ولما أتي باتى (Patey) إلي موريتانيا حاكما لها وضع خطة جديدة تقوم علي أساس تقسيم البلاد إلي منطقتين : الأولي في الجنوب قرب نهر السنغال وقد إحتلوها وتدار بصورة مباشرة والثانية في الشمال وتدار بواسطة الرؤساء التقليديين علي أن يزودو بجيش خليط من البدو والزنوج السنغاليين وذلك حتى لا تحتاج فرنسا إلي إقامة مراكز عسكرية كثيرة في الشمال والواقع أن فرنسا لم تستطع أن تتخلص من الشيوخ المحليين واكتفت بتجريدهم من سلطاتهم ولقد قصدت فرنسا من وجود أولئك الشيوخ والأمراء ان يكونوا بمثابة رؤساء إداريين مسئولين أمام الولاة الفرنسيين ، وإن كان كثير من هؤلاء أعلن تمرده على هذا الوضع ولكن البعض الآخر ظل يتعاون مع الفرنسيين تعاونا متشابها بما كان بين المستعمرين الفرنسيين وبعض الباشوات الكبار في المغرب(١) ، ولقد ظلت فرنسا تنظر إلي موريتانيا علي أنها حلقة اتصال بين غرب أفريقيا والجزائر وازدادت أهميتها بعد اتفاق فرنسا مع أسبانيا علي تخطيط حدود مناطق النفوذ ووضع المغرب تحت الحماية الفرنسية . ولقد ظلت فرنسا مترددة في إلحاق موريتانيا بأي المستعمرات المجاورة وإن كانت الدلائل تشير إلى أنها تنضم الى مجموعة غرب أفريقيا الفرنسية والتي تكونت سنة ١٩٠٤ ولا أدل على ذلك من أن موريتانيا ظلت تدار من سانت لويس حتى سنة ١٩٥٨ ، وقد قسمت فرنسا موريتانيا إلى دوائر بعضها وطنية خالصة والبعض الآخر دوائر مختلطة أي يشترك الفرنسيون مع الوطنيين في إدارتها المحلية مثل إطار وكيهيدى وروسو وكان علي رأس كل دائرة حاكم إدارى فرنسي ويعاون رؤساء الدوائر رؤساء المقاطعات و القري (٢) .

وقد مر الاحتلال الفرنسي لموريتانيا بعده مراحل :

منذ سنة ١٩٠٣ اعتبرت فرنسا موريتانيا إقليميا عسكريا يخضع للأحكام العرفية حتى سنه ١٩٢٠م

ثم أصبحت موريتانيا تحت الانتداب الفرنسي من سنة ١٩٢٠ إلي سنه ١٩٤٦م.

ثم اعتبرت إقليما فرنسيا من عام ١٩٤٦ إلي عام ١٩٥٨م.

١- مقلد : مرجع سابق ، ص ٢٤١.

٢- السيد نصر: مرجع سابق ، ص ٥٢.

ثم أصبحت موريتانيا ولاية فرنسية من عام ١٩٥٨م إلي عام ١٩٥٩ م
ثم جمهورية إسلامية داخل نطاق الجامعة الفرنسية منذ سنه ١٩٥٩
ثم حصلت علي استقلالها سنه ١٩٦٠م (١) .

ولقد تطورت أساليب الحكم في المستعمرات الأوربية في العالم وإن كانت فرنسا ابطا نسبيا من بريطانيا فى ادخال التغيرات التى تلائم روح العصر الجديدة التي خلفتها الحرب العالمية الثانية ، وفي موريتانيا فإن المجتمع الموريتاني كان لا يزال يخلع بالكاد رؤساءه التقليديين ويمكن وصف هذه المرحلة بأنها مرحلة البحث عن زعامة سياسية ،وكانت الفكرة المسيطرة علي مخططى سياسة الاستعمار الفرنسي هي أنه إذا أريد لنظام الحكم أن يتغير وتخفف قبضة الإدارة المباشرة فإن ذلك يكون عن طريق إشراك المستعمرات في أجهزة الدول الفرنسية وقد ضمن ذلك تصريح برازافيل ١٩٤٤ الذي أصدره الجنرال ديجول الذي ينص علي اللامركزية وتكوين جمعيات تشريعية ومشاركة الوطنيين فيها كما نص علي تطوير نظام الإدارة وإدخال الأفريقيين بأعداد متزايدة في الوظائف الحكومية ، وقد أعلنت فرنسا في ديباجة دستورها الصادر في عام ١٩٤٥ أنها تسعي حثيثا لقيادة الشعوب التابعة لها نحو حريتها فى إدارة نفسها بنفسها وممارسة شئونها بصورة ديمقراطية ،

وقد مرت معالم تطور أساليب الحكم الفرنسي لموريتانيا بعدة مراحل الأولي منها كانت الرابطة التي حلت محل نظام الإمبراطورية القديمة وهي ما أطلق عليه اسم الاتحاد الفرنسي (Union Framacaise) ،

وهذه المرحلة غيرت النظام الاستعماري من حيث الشكل لا من حيث المضمون وأول تغير يعتد به هو ذلك الذي تم إثر تولي الحزب الاشتراكي الحكم في عام ١٩٥٦ فقد أصدر ما يعرف باسم القانون الاطاري Loicadre الذي عد نقطة انطلاق في تولي الشعوب المستعمرة مقاليد امورها بنفسها وقد شكل هذا القانون منعطفا فى سياسة الاستعمار الفرنسى ، ثم أصدرت حكومة جي مولية قانون الإصلاح الإداري في مارس ١٩٥٧ والذي كان ينص علي إجراء انتخابات في كل مقاطعة (٢) .

١-محمد اسماعيل محمد واخرون : قضية موريتانيا ، دار المعرفة القاهرة ، ص ٦٤.

٢ - أنور زعلوك و أخرون : موريتانيا العربية ، القاهرة عام ١٩٦٠ ، ص ٣٣ .

ولقد كان حضور الفرنسيين في شكل الاختراق الاستعماري في بداية القرن العشرين سببا في ازدياد قوة القبيلة في موريتانيا وتنامي سلطانها في النفوس لان السياسة الفرنسية إمتطتها وراهنت عليها في أضعاف المجتمع و أحكام القبضة عليه وذلك بتعزيز كل قبيلة علي حدة فسخرت بذلك آليات الانتشار القبلي لحكم المجتمع بدون بالغ جهد ولا تكلفة ، ولقد ظلت سياسة التسيير السياسي للدولة وحتى بعد الاستقلال مرتبطة بتوظيف الأطر القبلية وأحداث التوازنات وغيرها (١) .

وفي النهاية :

١- أن طبيعة الحكم الاوتوقراطي في موريتانيا يجعل إشراك النخب السياسية (بما فيهم الفقهاء) يقع علي مبدأ الجلب أو ما يسمي التزكية التي تنطبق علي أهل الولاء اكثر من انطباقها على أهل الكفاءة .

٢- أن الفقهاء من القادريين في اغلبهم واعون لعملهم السياسي فبذلوا جهدهم لإرساء دعائم القبيلة والمحافظة عليها هادفين إلى استمرار المصالح والحفاظ علي الأنفس والأموال في البلاد السائبة إضافة بالطبع إلى ما تمليه عليهم وضعيتهم الاجتماعية .

٣- أن الفقهاء عامة والقادرية خاصة رغم انهم استجابوا للسلطة السياسية المركزية وشعروا بما قامت به من ملء للفراغ الذي عهده من قبل إلا أن القائمين علي الدولة لم يشركوهم في القرار وممارسة السلطة بل ظل هناك تغيب مطلق لهم .

ثانيا : الآثار الاقتصادية :

لقد كانت الخصوصية التي تميز بها المجتمع الموريتاني التقليدي من حيث البساطة في العيش ومن حيث طبيعة الاعتماد علي المصادر التي يوفرها الاقتصاد الرعوى والزراعي هي المسؤولة عن تحقيق الاكتفاء الذاتي في فترة ما قبل الاستعمار ٠هذا علي الرغم من أن المنطقة قد شاركت في التجارة الأطلسية منذ وقت مبكر (تجارة الصمغ مثلا) وذلك إلي جانب مشاركتها في التجارة الصحراوية.

ونتيجة لهذه المشاركة فقد كان السكان يعرفون منتجات البحر المتوسط وأوربا وكذا منتجات المغاربة إلا ان التغلغل البضائعي كان أكثر انتظاما مع الفترة الاستعمارية

---

١ - السيد ولد اباه : مرجع سابق ، ص ٢٦٧ ــ ١٨٣

و مهما يكن من أمر فإن المواد الأوربية كانت تعرف رواجا كبيرا في موريتانيا بحكم إقبال الأهالى عليها ويمكن تفسير هذا الإقبال علي التجارة من طرف الموريتانيين باعتبار الوظيفة التجارية أصبحت الوسيلة الفعالة للثروة والمصدر الوحيد للنفوذ الأمر الذي يهيئ السكان للارتباط بالبضائع الأجنبية ويدعم في نفس الوقت ارتباط موريتانيا بمستعمرات فرنسا في غرب أفريقيا ، على إن ما تعانيه موريتانيا إلي الآن من تخلف اقتصادي له أثرة علي حياة السكان لا يوجد بأى قطر آخر رغم كثرة مناجمها وصلاحية أراضيها لكل أعمال التشييد ورغم طول السواحل البحرية المحيطية بها وكثرة أنواع الأسماك ورغم كثرة حيوانات هذه المنطقة ، رغم كل هذه المواد الأولية للحياة وكثرتها بهذه الأراضي فإننا نجد سكانها يعيشون في فقر وبؤس وشقاء يخجل ضمير الإنسان (١)

فإن المتأمل للأوضاع الاقتصادية لموريتانيا عند حصولها علي الاستقلال سنة ١٩٦٠ لا يجد مؤسسة اقتصادية وطنية في جميع أطراف المنطقة كا لا يجد مصنعا واحدا يقوم بأي عمل للتصنيع فى البلاد سواء للمناجم الأرضية أو الأسماك ولا تجد طريقا واحدا معبدا ولا بئرا حفرتها فرنسا للرى ولا استقرار عمراني اقتصادي للسكان بل بالعكس من ذلك فإن فرنسا أثقلت السكان بالضرائب المتزايدة وكثرة الغرامات المزورة حتى يظل عاله علي من لا يرحمهم ولا تعينهم علي حياتهم الضرورية (٢) .

ولقد كان من المشكلات التي قابلت القوات الفرنسية فى مراحل احتلالها لموريتانيا هي توفير المواد الاقتصادية والتي يصعب توافرها من الجنوب ونقلها إلي الشمال في الصحاري الشاسعة وهذه المشكلة هي التي دفعتهم إلي فرض سيطرتهم علي مساحات شاسعة من المراعي التي كان السكان يستغلونها لمواشيهم فكانت هذه السيطرة علي المراعي من أسباب الصدام مع المحتل كما أن الفرنسيين استقروا علي المواقع التي تربط بين طرق الصحراء ببعضها وعلي الوديان ومواطن توافر المياه التي كانت مصدرا أساسيا لمعاشهم كزراعة أو تجارة عن طريق استخدام الطرق

١ـ محمد الراظي : مرجع سابق ، ص ١٦٩.
٢ ـ مقلد : مرجع سابق ص ٢٩٢.

التي تربط أنحاء موريتانيا ببعضها وكان لإصرار فرنسا علي السيطرة علي هذه المواقع من الدوافع التي أدت إلي استمرار الصدام مع المحتل الفرنسي حتى سنة ١٩٣٤ حيث ان المقاومة العسكرية بعد تلك السنة خمدت حتى سنة ١٩٦٠م (١).

وبعد أن تمكنت السلطات الفرنسية من فرض الأمن والسيطرة علي جميع هذه المناطق سنه ١٩٣٤م وبدأ اهتمامها يتجه إلى الناحية الاقتصادية ومنذ سنة ١٩٣٤ اكتشف خام الحديد لأول مرة في منطقة زويرات ، وفي سنة ١٩٣٧ أعلنت فرنسا أن الواردات الموريتانية زادت من ٧٩٥و١٩ فرنك سنه ١٩٣٤م إلي ٤٧٩و٦٩٩ فرنك سنة ١٩٣٥ ثم إلي ٣٥٣و٧٢٣و١ مليون فرنك سنة ١٩٣٨ هذا في الوقت الذي كانت فيه الصادرات قاصرة علي السمك المجفف والملح وصار علي الإدارة الفرنسية في موريتانيا أن تداوم العمل علي النهوض بالأقاليم والتخفيف من معاناة الموريتانيين الذين أرهقتهم هذه الإدارة باسم السلام والامن و المساواة ولكن لم يمض سوى بضع سنوات بعد استكمال السيطرة علي موريتانيا حتى بدأت مرحلة جديدة من تطور المستعمرات الفرنسية اقترنت بالحرب العالمية الثانية وهي الاتجاه نحو الحكم الذاتي ، وقد كانت الضرائب تثقل كاهل السكان فعلي رأس كل مقاطعة حاكم فرنسي يدفع إليه كل شهر بالإبل للركوب والنوق للحليب كما يدفع إليه بعدد من الناس يشتغلون للبناء والخدمة المنزلية (٢) .

وقد خلقت السياسة الجبائية الاستعمارية ظروفاً مواتية لقيام روابط اجتماعية واقتصادية جديدة مبنية علي النقد (التعامل بالنقد بدل المقايضة) بحكم الحاجة الماسة إلي هذا الأخير الذي أصبح ضرورة لا غني عنها ، وهو ما فرض علي سكان البلاد الدخول في علاقات تجارية مع مستعمرات الغرب الأفريقي وخاصة مع السنغال المجاورة وتتميز هذه الروابط أساسا بطابعها التجاري والنقدي وعند البحث في العلاقات التجارية بين موريتانيا والبلدان الأخرى أثناء الفترة الاستعمارية وذلك الوقت كان يلاحظ الإقبال الكبير من طرف الأهالي علي عمليات البيع والشراء

١- محمد الراظي : مرجع سابق ، ص ٢١٠ .
٢-الحسن يورح والي : مرجع سابق ، ص ٢٢

وهذا ما يوضح تزايد الحاجيات النقدية للسكان ولقد كانت المنتجات الحيوانية والزراعية تتعرض للتذبذب وعدم الثبات من ناحية الكم بسبب العوامل المناخية والبيئية وكان هذا التذبذب بجبر الأهالي في أغلب الاحيان علي استيراد الحبوب من الدويلات المجاورة وقد شاركت الدول التجارية الاستعمارية في هذا التبادل وأقامت مشاركة فعالة وأقامت فروعا لها في بعض المحطات من البلاد .

ولم يكن يستبعد أن تكون العملية التجارية في مجال الحبوب قد ساهمت فى النقص الغذائي لدي السكان في موريتانيا بحيث عمقت حاجتهم للنقود أكثر فأكثر الأمر الذي تسبب في انتشار ظاهرة بيع الإنتاج قبل الحصاد نتيجة لاستدانة الفلاحين ، كما رسخت في البلاد مفهوم الفائض الربوي وهذا ما كان يحدث آثارا سلبية خصوصا فى أوقات الضائقة ففي سنة ١٩٢٩ عجز معظم الفلاحين عن تسديد ضريبة العشور الخاصة بالمزارع وكان نتيجة اهتمام الدور التجارية الاستعمارية بالحبوب والحيوانات أن أقامت أسواقاً وساهمت هذه الأسواق في تدعيم مفهوم التجارة العصرية وتطوير الأسواق الداخلية وقد كانت الأسواق قائمة علي ممثلين من الدول التجارية الاستعمارية والتجار المجليين الذين يتولون تسويق البضائع في البلاد ، وقد ساهم الطرفان كل حسب موقعة في تزويد سكان البلاد بالمواد الاستهلاكية الضرورية كالقماش والشاي والسكر والأرز وغيرها حيث كان إقبال السكان عليها كبيرا وما كانت تلك المنتجات موجودة وتلك الكثرة قبل قدوم الاستعمار ،وقد كانت المعاملات التجارية تقوم علي المقايضة إلي جانب المعاملات بالنقد كما كانت تتبني أسلوب البيع بالدين الذي يحقق أرباحا مضاعفة ،من أجل ذلك كانت هناك مقاومة اقتصادية ترفض التعامل التجاري مع الفرنسيين(١).

ولقد فرضت فرنسا علي الشعب الموريتاني كثيرا من الضرائب الباهظة والتي كان لها الوقع الكبير علي حياة السكان المعيشية وأثقلت كاهلهم ، ولم يستفد الشعب الموريتاني من وراء هذه الضرائب التي يدفعونها شيئا حتى أن أحد أقطاب القادرية

١- السيد ولد اباه :مرجع سابق ، ص ٨٥.

وهو عبد الله بن الشيخ سيديا عند زيارة وفد فرنسى له في محل إقامته خاطبهم قائلا "أن فرنسا يجب أن لا تنسي واجبها كشعب عظيم لا يقتصر علي جباية الضرائب بل أن ينشر بين رعاياها محاسن المدنية (١) .

كما أن السياسة الضريبية في موريتانيا قد أحدثت جملة من الانعكاسات علي المستوي الاقتصادي والاجتماعي ، ومن ضمن هذه الانعكاسات أنها قد دعمت التباينات الاقتصادية بين السكان الذي تم إفقار الكثير منها نتيجة لارتفاع الضرائب وفي هذا السياق فإن تطور ميزانية المستعمرة خلال الفترة الاستعمارية يؤكد ذلك .

تطوير ميزانية المستعمرة :

وكانت ميزانية المستعمرة تشتمل علي مجموع الدخول والمصروفات خلال السنة ولم تفتأ الدخول المتأتية من الضرائب المباشرة وغير المباشرة ترتفع علي طول الفترة الاستعمارية ، ومع هذه الزيادة في الضرائب فإنها كانت أقل المصروفات حتى الثلاثينيات وذلك بسبب التكاليف الباهظة المتعلقة بالفرق العسكرية وقله الضرائب المتأتية من النشاطات التجارية من ناحية أخري ولهذه الأسباب كانت الميزانية في عجز مستمر حيث لم تعط الدخل سوى ٥٠% من الاحتياجات ولذلك كان يتم تدعيمها من طرف الميزانية العامة لغرب أفريقيا (٢) .

وهذه الوضعية دفعت الإدارة الفرنسية إلي رفع نسبة الضرائب لتعويض هذا العجز خلال الثلاثينات وما بعدها .وقد وصلت الميزانية التي مرت من ١٨٦٦٨٠٠ فرنك إلي ٥٥٠٨٧٨٠٠ بين (١٩٤١ ـ ١٩٤٥) وهذا الارتفاع الفاحش في فرض الضرائب وجمعها بكل أساليب القمع والعنف والشدة يعطينا فكرة حول تأثير الضرائب علي السكان المحليين خاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن المعدل المتوسط الخاص بالنسبة للضرائب المباشرة قد مر من ٣ إلي ١١ بين (١٩١٤ ـ ١٩٢٤) قبل أن يصل إلي ٢٧ في سنة ١٩٤٥ وذلك بالنسبة للساكن الواحد وهو ما

---

١ ـ سعد خليل : مرجع سابق ، ص ٥٩١.

١- FRANCaIS (DECHASSEY) : op.cit 1900-197 ,OP. CIT, PP. 71-72

يؤكد أن التسيير الإداري للمستعمرة كان يعتمد في الأساس علي مجهودات الموريتانيين ومساهمتهم الضريبية ،هؤلاء الموريتانيون الذين كانوا يلجأون في الغالب في حالة عدم توافر الانتاج للبيع الى بيع سواعدهم للحصول على المبالغ الضرورية لتسديد مستحقاتهم الضريبية ، وهذه الوضعية كانت مساعدة علي تفقير السكان وخاصة المزارعين فيهم الذين تضرروا أكثر من غيرهم ، حيث لم يعد بمقدورهم القيام بتخزين الغذاء اللازم ولا الاحتفاظ بالبذور اللازمة حتى موسم البذر نتيجة لهذه الظروف وأبدى الكثير منهم استعداده لهجر ممارسة النشاطات الزراعية وهوما أدي إلي المساهمة في تحطيم الاقتصاد التقليدي مهيئا في نفس الوقت للظروف المواتية لقيام روابط اجتماعية واقتصادية جديدة مبنية علي النقد .

لقد كان المجتمع الموريتاني يعرف إنتاجا تجاريا متطورا قبل فترة الاستعمار ومع ذلك فإن الفترة الاستعمارية تتميز بميزة خاصة حيث أنها أفرزت نظاما جديدا يصبو إلي تحقيق نمو أفضل للعلاقات التجارية وتعميم المبادلات النقدية عكسا للنظام القديم والمبادلات النقدية تعتبر هي المسؤولة عن تحرير قوة العمل من العلاقات الاجتماعية غير التجارية وبالتالي وفر الأسس الموضوعية لتطوير الروابط التجارية النقدية وهي الروابط التي ستنتظم في موريتانيا خلال فترة الاستعمار (١) .

وخلاصة القول أن هذا النظام الجبائي الذي فرضته الإدارة الاستعمارية كانت الغاية الأساسية منه ضمان نجاح أعمالها الإدارية وعلاوة علي هذا الهدف فقد أدى هذا النظام إلى تعميم المبادلات النقدية لان عملية تسديد الضريبة كانت قد فتحت المجال لسكان موريتانيا للدخول في علاقات جديدة مع السنغال والمستعمرات الفرنسية الأخرى المجاورة تتميز أساسا بطابعها النقدي والتجاري .

---

١ - محمد الراظي : مرجع سابق ، ص١٣٨ .

٣- إفقار الإستعمار للطرق ومشايخها:

ما كان للمستعمر ليتمكن من تطويع الطرق الصوفية في موريتانيا والسيطرة عليها لو لم يبادر منذ دخوله للبلاد إلى انتهاج سياسة معينة تصل به إلى كل ذلك ففي نفس الوقت الذي كانت به بعض الطرق الصوفية تبذل كل ما في وسعها لكسب رضا القوى الاستعمارية المحتلة للبلاد والسير في ركابها و التفاني في خدمة مصالحها كانت القوى الاستعمارية تعمل جاهدة في تضييق الخناق على الطرق لتحجيمها و أضعافها تدريجيا ليس بمراقبة مشايخها وتوظيفهم فحسب بل ضرب المقومات المادية لتلك الطرق باعتبار أن السند المالي أحد الركائز الأساسية التي يتوقف عليها استمرارها وعلى راس الطرق الطريقة القادرية .

لقد كان إفقار الطرق خيارا مبدئيا راهنت السياسة الاستعمارية الفرنسية على تحقيقها ليس فقط خشية تحويل الطرق لتلك الأموال المجمعة لتمويل الأحزاب السياسية أو إثراء المشايخ مقابل إفقار أتباعه و إنما سعيا منها لوضع حد لقوة بعض الطرق الأدبية والمادية وسط واقع متحول يحمل فى طياتة الكثير من المفاجآت مما قد يودي فى وقت ما إلى توظيف تلك القوة ضد المصالح الاستعمارية (١) . ووقاية لها من كل تلك الاحتمالات وغيرها عملت فرنسا على ضرب مصادر موارد الطرق المتمثلة أساسا فى :-

أ- منع الزيارات :

حيث تتمثل هذه الزيارات (الهدايا والهبات) موردا هاما للطرق لذلك عمل المستعمر على إفقار السكان مما يجعلهم بالتالي عاجزين عن دفع الضرائب للمستعمر لذلك عمل على إخفاء الإعلان عن زيارات أقطاب الطرق الصوفية للبلاد لمريديهم ثم تعيين تلك الزيارات ثانيا كما راقب الاستعمار تنقلات المشايخ ولم يسمح لهم بالتنقل إلا بعد اخذ الإقرار عليهم بعدم جمع المال من الزيارات وبذلك تحكمهم الإستعمار فى مراجعة جمع المال من الزيارات ثم توجهت سياسة الاستعمار لضرب المورد الثاني وهو

١- التليلى العجيلى : مرجع سابق ، ص ٩٧ .

ب ـ ضرب الأحباس :

كان للطرق الصوفية أوقاف وأحباس عامة من قبل أمراء الإمارات يقطعونها لهم وحتى يتمكن المستعمر من أضعاف الموارد المالية للطرق الصوفية تدخل المستعمر في شان هذه الإحباس من حيث إدارتها ونزعها من أيدي أقطاب التصوف والمشرفين على الزوايا والمؤسسات التعليمية ودور القيادة و أصدرت عدة قوانين تجيز للسكان شراء هذه الإحباس سواء كانت هذه الاحباس عامة أو خاصة (وهى أحباس على عائلات خاصة) .

وبتلك الوسائل وهذه القوانين أمكن للمستعمر السيطرة على مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة والتي كان ريعها يعود على الطرق الصوفية تلك هي أهم ملامح السياسة الاستعمارية تجاه الطرق الصوفية من حيث انتزعها لأراضي الأحباس ومنع الهدايا والهبات التي كانت تمنحها لبعضهم وكذلك ضرب بعضهم ببعض مما أدى إلى أضعاف شيوخ التصوف ماديا وأدبيا ليسهل السيطرة عليهم والتحكم فيهم الأمر الذي أدي بالكثير منهم إلى تدهور أوضاعهم المادية وحملهم على الإستدانة الامر الذى ترتب علية عجز المشايخ عن سداد هذه القروض ثم الالتجاء

إلى المستعمر المحتل والمتحكم فى شئون البلاد للمساعدة لإيجاد صيغة لتسوية أوضاعهم وبهذا كله يتبين وسائل الاستعمار الفرنسي ونتائجه تجاه الطرق الصوقية بالبلاد والتي ضربت مقوماتها المادية وامتيازاتها الأدبية كحق الاحتماء بالزوايا وغير ذلك وبهذا تكون

السياسة الاستعمارية قد ساهمت إلى حد كبير فى فقدان الطرق الصوقية لأهميتها المادية والأدبية وبالتالي إلى إضعافها تلك السياسة التي اعتمدها المستعمر فى التعامل مع الطرق الصوفية ومشايخها بقصد تطويعهم واحتوائهم وتوظيفهم حتى يستعين بهم عند الحاجة ولا يصدر عنهم ما يهدد مصالحهم (١).

---

١ -- التليلي العجيلي مرجع سابق صـ ١٠٠ .

ثالثاً : الآثار الاجتماعية :

إن الاستعمار هو الاستعمار لا يكتفي باحتلال الأرض واستعباد السكان بل يعمل علي استبدال الشخصية التاريخية كلها للبلاد المحتلة بأسماء من عنده و وأوضاع من صنعه ثم يجنسها شيئا فشيئا حتى تستحيل إلى حقيقة غير حقيقتها أو شخصية غير شخصيتها ، فإذا تم لها ذلك تستولي عليها استيلاء كاملا أبديا فتصبح وكأنها قطعة من أرضه لا يجد في أهلها من يجادله في مصيرها إلا أن عند بعض الأمم مناعة قوية ضد تلك الغايات الاستعمارية فمهما بذلت الدولة المستعمرة من المحاولات واتخذت من الوسائط فإنها ستظل مهما قويت وطغت وبغت عاجزة عن بلوغ غايتها ، و موريتانيا أصدق مثال على ذلك (١) . عاش شعب موريتانيا منذ الفتح الإسلامي إلي عهد قريب في قبائل شبة مستقلة ، وكانت مجتمعاتهم المحلية صغيرة الحجم تتمثل في الأحياء البدوية التي يتغير مكانها بحثا وراء الكلأ لرعي الإبل والماشية ، وفي القري الزراعية المؤقتة والدائمة ولم يعرف الموريتانيون حياة الحضر إلا منذ عهد قريب وكانت الحياة الفطرية والنزعة القبلية تغلب سلوكهم الاجتماعي والسياسي ، وكانت القبائل الموريتانية دائمة النزاع فيما بينها ، وكان البدو يعتبرون الحرب هي المهنة الحقيقية للرجل ويلي الحرب مهنة الرعي وتربية الحيوانات وكانوا يحتقرون الاستقرار والعمل الزراعي (٢) .

وكانت تلك حقيقة الواقع الموريتاني الذي استمر لمئات السنين فإنه بعد دخول الاستعمار الفرنسي واستمراره حوالى ستين عاما فقد شهد المجتمع الموريتاني تغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية كبري ، ويمكن تلخيص التغير الاجتماعي في عبارة واحدة فنقول إن موريتانيا قد انتقلت من مرحله المجتمعات القبلية شبه المستقلة إلي مرحلة المجتمع الموريتانى المتكامل ٠

١-مقلد:مرجع سابق ،ص٢٠.

٢-عبد الباري عبد الرازق نجم : جمهورية موريتانيا الإسلامية ، بيروت عام ١٩٦٦، ص ٧٦.

وكان من أهم العوامل التي ساعدت علي تكوين المجتمع الموريتاني المتكامل اهتمام المستعمر الفرنسى بالثروات المعدنية للبلاد وبإقامة مدن صناعية حول مناجم المعادن وكان لذلك أكبر الأثر في تغير وبناء المجتمع الموريتاني (١) .

والظاهرة التي تلفت النظر بحق هى التغيرات الكبرى التي حدثت في البناء الاجتماعي للسكان ، فإن التغيرات السكانية تبين أن غالبية الموريتانيين كانوا من البدو والرحل وقليل من السكان يعيشون علي الزراعة وأقل القليل كانوا يسكنون المدن ، وكان تواجد الاستعمار في موريتانيا أدي إلي أن يصبح المنظور القبلي لايعبر عن الواقع الاجتماعى الجديد اذ حدث اختلاط بين القبائل وحدثت هجرة داخلية هامة من البادية إلي القري الزراعية وإلي المدن الحديثة ، وأصبحت المراكز الحضرية الجديدة تتكون من مواطنين ينتمون إلي قبائل مختلفة وضعفت الالتزامات والتنظيمات القبلية وظهرت أبنية اجتماعية جديدة لم تكن موجودة من قبل ، كما أصبح المجتمع التقليدي والمجتمع الحديث يعبر عن الواقع الاجتماعي الجديد بصورة أوضح من الإطار القبلي .

والمجتمع التقليدي هوا لمجتمعات المحلية الصغيرة في الأحياء البدوية و القري الزراعية وهي مجتمعات لا تزال تتمسك ببعض النظم القبلية ولكنها أيضا تكيفت مع التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكبرى وأحدثت الكثير من التغيرات في بعض النظم القبلية والتي تمثل ثلاثة أرباع المجتمع الموريتاني ، وأما المجتمع الحديث فيتكون من سكان المراكز الحضرية الذين – في سبيل التكيف مع نظام الدولة الحديثة – تركوا الكثير من النظم القبلية التقليدية (٢) .

إلا أنه لا يجب النظر إلي المجتمع التقليدى والمجتمع الحديث كواقعين اجتماعيين منفصلين أو متعارضين وإنما هما في الواقع في حالة تداخل وتشابك فإن سكان الحضر هم مهاجرون أتوا من البوادي و القري الزراعية وقد حملوا معهم ثقافتهم التقليدية ولكنهم يضطرون لترك الكثير من عناصر ثقافة المدينة وفي ضوء

١ـنصر السيد نصر مرجع سابق ص ٤٦٩.

١ – المرجع السابق ص ٤٧

هذا الإطار أصبح المجتمع الموريتاني بعد دخول المستعمر الفرنسي ينقسم إلي قسمين أساسيين المجتمع التقليدي في البوادي و القري الزراعية والمجتمع الحديث في المدن الموريتانية إلا أن هذا التقسيم البنائي والوظيفي للمجتمع الموريتاني لا يؤثر في الوحدة التكاملية للمجتمع الموريتاني ،ولقد كان للمجتمع الموريتاني ركائز قوية يقوم عليها ، والمقصود بالركائز هنا العوامل الاجتماعية الموحدة للشعب الموريتاني ، فإنه بالرغم من التقسيمات القبلية للسكان فإن هناك من الركائز القوية ما جمع القبائل في وحدة مجتمعة شاملة ، ولا أدل علي فاعلية تلك الركائز من فشل المحاولات الاستعمارية المستمرة الخاصة بتحويل السكان عن الإسلام إلي المسيحية أو عن العربية إلي الفرنسية والخاصة بفصم الوحدة الوطنية و الانقسام إلي دويلات مستقلة لقد باءت تلك المحاولات الاستعمارية الفرنسية بالفشل في موريتانيا (١) .

وفي الحقيقة يرجع هذا الفشل في موريتانيا إلي وجود ركائز قوية يقوم عليها المجتمع الموريتاني ، وهي من القوة بحيث صمدت أمام دولة كبير مثل فرنسا التي احتلت موريتانيا اكثر من نصف قرن وأهم تلك الركائز الإسلام واللغة العربية والعادات والتقاليد المجتمعة ،

أما عن الإسلام فإن جميع سكان موريتانيا يدينون بالإسلام ويتبعون المذهب المالكي وتخصصت قبائل الزوايا في دراسة العلوم الإسلامية وفي نشر الإسلام في المناطق الأفريقية المجاورة كما أن كثيراً من قبائل الزوايا قد تبنت أما الطريقة القادرية أو الطريقة التيجانية ولقد طبعت التقاليد المحلية والبيئة الموريتانية تلك الطرق بخصائص معينة مما جعل الطرق الصوفية الموريتانية تختلف عن الطرق الصوفية المشابهة التي ظهرت في مصر والعراق .

والأمر الذي لاشك فيه أن الإسلام هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها المجتمع الموريتاني ولا أدل علي ذلك من الاسم الرسمي للدولة وهو الجمهورية الإسلامية الموريتانية وتعدالوحدة الدينية من أقوي ركائز وحدة المجتمع الإنساني

---

١ – مقلد مرجع سابق ص ١٩.

اللغة العربية :

وهي اللغة الوطنية في موريتانيا وهي أداة التخاطب والكتابة والثقافة ويتكلم الموريتانيون اللغة العربية من خلال لهجة خاصة بهم تسمي اللهجة الحسانية ، وقد انتشرت اللغة العربية في موريتانيا منذ القرن الرابع عشر الميلادى ، عندما انتشر حكم وسيطرة بني حسان العرب في البلاد وقد تعرضت اللغة العربية في موريتانيا لعائقين ، العائق الأول هو محاولات الاستعمار الفرنسى لفرنسة الموريتانيين عن طريق فرنسة التعليم في المدارس الرسمية التي أقاموها وكذلك عن طريق فرنسة الإدارة الحكومية ويتمثل العائق الثاني في وجود لغات شعبية غير مكتوبة تتكلم بها القبائل الزنجية في الجنوب إن السياسة الفرنسية الاجتماعية لم تنجح حيث تمسك الموريتانيون بدينهم الإسلامي ولم تستطع النشاطات التنصيرية أن تدخل عليهم دينا أخر ولم تبني فى موريتانيا كنيسة ولا صومعة طيلة فترة الاحتلال الفرنسي لموريتانيا. (١)

العادات والتقاليد :

من الواضح أن التنظيمات القبائلية تختلف في ثقافتها ومن أهم عناصر الثقافة اللغة والعادات والتقاليد وتبين من البحث أن العلاقة بين اللغة العربية واللغات الشعبية في موريتانيا هي علاقة تكاملية أما فيما يتعلق بالوظيفة الانقسامية لاختلاف العادات والتقاليد القبائلية فقد ضعفت لوجود مجموعة من العادات والتقاليد المجتمعة ترجع في معظمها إلي الثقافة العربية التي يحملها البيظان فبالإضافة إلي كون البيظان هم غالبية السكان (٨٠%) فهم حكام هذه البلاد وسادتها منذ مئات السنين وهم يحملون الثقافة العربية بقيمتها الحضارية العالية بمقارنتها بالثقافات القبلية البدائية ومن الخطأ المبين أن يفهم مما سبق أن الثقافة العربية في موريتانيا لم تتأثر بثقافات القبائل الزنجية لقد تأثرت الثقافة العربية فعلا ولكن تأثيرها في ثقافات تلك القبائل أعظم وأقوى لقد كان من النتائج التى ترتبت على دخول الاستعمار ما نجم عنه من الأضرار المعنوية مثل تفتيت بنية المجتمع وإثارة نعرات الأحقاد بينه وهو ما سعي إليه المستعمر بالفعل والتشكيك في مكونات

١ ــ الحسن بو رحو الي: مرجع سابق، ص ٢٤.

إن سجل المقاومة في موريتانيا لم يقتصر علي الجانب العسكري فقط بل شمل مختلف نواحي الحياة فقد كانت هناك مقاومة اجتماعية برفض الأهالى مختلف علاقات الزواج بينهم وبين الفرنسيين(١) ٠

وإذا كانت الأزمة الاقتصادية التي عرفتها البلاد الموريتانية خلال الحرب العالمية الثانية قد أثرت في المستوى المعيشى للسكان فإنها كذلك قد أدت إلى مضاعفات اجتماعية وهو ما يبدو جليا من خلال تطور بعض العقليات الذي لوحظ خلال الأربعينيات في بعض الأوساط الاجتماعية ،

تطور عقليات السكان في موريتانيا خلال الأربعينيات :

ونعني بتطور العقليات : ظهور بعض التوجهات الجديدة في الأوساط الاجتماعية مخالفة لطبيعة النظام التقليدي وانتشار ظاهرة العمل بالراتب وإقبال السكان علي الوظائف العصرية إضافة إلي الاضطرابات الحاصلة من الوضع التقليدي المتمثلة في ممارسة حسان للزراعة وقطع العبيد علاقات تبعيتهم مع أسيادهم وعدم التزام طبقة الموالي بدفع مستحقاتهم التقليدية إزاء القبائل التي كانت تحميها في السابق وهجرة اليد العاملة من الريف إلي المدن وغيرها وهو ما سيشكل مظهرا من مظاهر التطور في أنماط معيشة هؤلاء السكان وقد جاء في أحد تقارير بعض حكام الدوائر الموريتانية ملاحظات توضح تطور عقليات الشباب في دائرته ، هؤلاء الشباب الذين يري حاكم الدائرة الفرنسي إن أكثرهم يقضى فترة الصيف في السنغال وذلك في سبيل الحصول على وظيفة في المدن والمراكز الكبرى وعند عودة هؤلاء إلي مواطنهم الأصلية فإنهم يبدون رغبتهم في التخلي عن عاداتهم التقليدية حيث لم يعودوا يخضعون لتأثير وجهاء القرية ولا لاوامر رؤسائهم التقليديين كما أنهم يرفضون نهائيا الالتزام بدفع مستحقاتهم الضريبية وهو ما يشكل في الواقع تطوراً فى العادات المحلية يستدعي إمعان النظر علي حد تعبير حاكم الدائرة (٢) .

---

١ - السيد ولد اباه : مرجع سابق ، ص ٨٥ .

٢- A.N.M serie E2/Dossier 111, Evoution des indigenes, dans Rapport Guidimaghs pour 1939

وفي نفس السنة كتب حاكم دائرة آدرار يقول في هذا الخصوص في تقرير موجه إلي حاكم أقاليم موريتانيا ما نصه : " إن نظام المحاربين والاتباع ذوى الصبغة الإقطاعية محكوم عليه بالانقراض إن عاجلا أو آجلا ، والمسألة بالنسبة لنا هي مسألة وقت لأن أي تغير مفاجئ قد يؤدي إلي صراعات اجتماعية ٠

ومع ذلك فإننا نعتقد أن أي تطور اجتماعي بطيء ينبغي أن يقع في ظل هيمنتنا ٠ ولكن في اتجاه مساواة في الحقوق بعيدة المدى بين القبائل وحتى بين الأفراد ٠ وهذا التطور سيحصل بصفته فعلية أولا عن طريق ممارسة حسان للأنشطة الزراعية ٠ وسيتدعم ثانيا بظهور عمال الراتب المأجورين من طرف الإدارة الفرنسية ٠ مثل كوميات ٠ وعمال الورشات العمومية الذين يستفيدون من خدمة الجهاز الاستعماري وفي هذا الإطار دائما – يقول حاكم دائرة آدرار – وصلت خلال هذه السنة أي سنة ١٩٣٩ فئات كثيرة من سكان الأرياف إلي إطار وذلك بحثا عن العمل بالراتب كما قطع الكثير من العبيد علاقاتهم مع أسيادهم وتحرروا من العبودية تلقائيا ٠٠

ولقد كان رؤساء القبائل يرون هذه الوضعية الجديدة منافية لمصالحهم علي الرغم من اعترافهم بإيجابيات الطريقة الاستعمارية ٠ التي قضت علي عمليات النهب والسلب ووفرت الأمن والحماية للمواطنين علي خد زعمهم وهنا يلاحظ أن حسان الذين كانوا يأنفون من ممارسة الزراعة أصبحوا بالفعل يتعاطون هذا النشاط بصفة متزايدة هذا في حين تميل طبقة الموالي إلي التحرر من هيمنة حسان بحكم أن هذه الفئة العسكرية من المجتمع لم تعد قادرة علي توفير الحماية للفئات التابعة لها وهذا ما أدى إلى اختفاء ضريبة الحرمة التي كانت أصدق تعبير عن هذه الحماية وتفاديا لقيام تصادم بين الطرفين أي بين حسان واتباعها قامت الإدارة الفرنسية بتشجيع الفئات التابعة علي شراء هذه الحرمة من حسان نهائيا وهو ما يعرف بالفداء.

وفي آدرار دائما فإن أزمة ١٩٤٣ قد أحدثت تحولا اجتماعيا كبيرا لاحظ الإداري الفرنسي المقيم بأطار الذي كتب يقول في تقريره السنوي إلي حاك

موريتانيا " لقد تأثرت الزوايا من وضعية الأزمة كما تأثرت الفئات الحسانية التي تم إفقارها وفقد بالتالي النظام الطبقي القديم حسان – الزوايا – الموالي جزءاً كبيراً من دلالته ، حيث لم تعد أهمية القبيلة ولا قيمتها تستمد من هذا النظام ، وهو أمر يشير إلي الاختفاء التدريجي للتبعية الاجتماعية ، وظهور سلم اجتماعي جديد علي أساس الثروة (١) .

وقد بدأت بوادر هذا التحول تظهر كذلك في جرجول قول سنه ١٩٤٤ ، وهو ما أرجعه المقيم الفرنسي في الدائرة في تقريره السنوى إلى تقبل الذهنية الموريتانية للمساواة وإلي طبيعة المناخ ونمط العيش المسئولين عن أحداث عدم توازن ديمغرافي بين الموريتانيين البيظان الرحل الذين يمتازون بمعدل ولادة ضعيف وفئة الحراطين التي تمتاز بمعدل ولادة مرتفع ، وفي سياق الحديث عن طبيعة الوضعية الجديدة يشير حاكم الدائرة في تقريرة السنوي لسنه ١٩٤٤ ، إلى أن الموريتانى بطبعة يفضل حياة الترحال وراء قطعان الماشية ،ويفضل كذلك أن يعيش في العزلة مع موالية الذين يستخدمهم في التنمية الحيوانية وهو ما يشكل النموذج المثالي لحياة البدوي وفي الغالب يتجمع كل الحراطين الذين ينتمون إلي القبيلة الواحدة أو العشيرة الواحدة ، في شكل تجمعات بشرية يطلق عليها محليا " أدواب " ويستقر هؤلاء عادة بالقرب من أراضيهم الزراعية أي الأراضي التابعة للقبيلة التي ينتمون إليها ويمارسون زراعة هذه الأراضي مقابل حقوق ثابتة تدفع لأصحاب الأرض وتقدر ب ١٠% مضافة على ما يدفعونه لتسديد مستحقاتهم الضريبية وما يتحملون في مشاركاتهم في أعباء القبيلة ، وهؤلاء الحراطين لا يزالون يعترفون بالروابط القديمة التي تربطهم بأسيادهم الذين هم من وجهة نظرهم المدافعون عن حقوقهم وحمايتهم من الناحية الروحية ، ورغم ذلك يبدو من الواضح أن جميع الروابط بين مختلف الطبقات الاجتماعية قد بدأت في التلاشى ، لأن أكثرية هؤلاء الحراطين أصبحت تميل إلي التحرر من التبعية للأسياد ولم يعد اعترافهم بالروابط التاريخية التي كانت تربطهم بهؤلاء الأسياد أكثر من روابط صورية وأصبحوا فى

A.N.M serie E2/Dossier 116 Crise de1943 a Atar et som impact sur - leevolution 1 de la Societe dans Rapport A drar 1943.

الواقع يفضلون العيش بمعزل عن الأسياد . وفي البراكنة لم يعد الحراطين يرون من الضروري دفع الضرائب التقليدية إلي أسيادهم القدامى من البيظان الذين كانوا يوفرون لهم الحماية ولم تتدخل الإدارة الفرنسية لتسوية المشكلة لأن التدخل فيها – علي حد تعبير المقيم العام في البراكنة – قد يؤدي إلي مضاعفات خطيرة علي مستوي النظام الاقتصادى والاجتماعى المعتمد في البلاد الموريتانية ولذلك تركت هذه المسألة علي أن تتم تسويتها بصفة تقليدية انطلاقا من التقاليد المتعارف عليها (١) ، ومن جهة أخري فقد تحول حسان تدريجيا إلي مزارعين في العديد من مناطق البلاد وأذكر علي وجه الخصوص أولاد السيد الذين أصبحوا يمتلكون أراضي زراعية بمحاذاة شمامة وكذلك اولاد احمد الذين اصبحوا يملكون اراضى مماثلة في شقار و اكريمي ثم أولاد نغماش الذين يمارسون نفس النشاط الزراعي في قيمى . ومن الملاحظ أن حسان والحراطين يمارسون النشاطات الزراعية في كل هذه المواقع جنبا إلي جنب علي حد سواء وقد شجعت الإدارة الفرنسية هذا التوجه نحو ممارسة الزراعة بالنسبة لحسان لأن الارتباط بهذا النشاط يربط الإنسان بأرضة ، وينسيه التعلق بالنهب والسلب وركوب المخاطر كما يقول المقيم الفرنسي في البراكنة (٢)

وقد صاحبت هذا التحول في نمط معيشة سكان البراكنة خلال سنة ١٩٤٤ ظاهرة نزوح السكان من الأرياف إلي المدن والتي لوحظت أساسا في صفوف السكان السود هؤلاء السكان الذين كانوا يهاجرون خلال فترات الأزمة باستمرار فمثلا في سنة ١٩٤٣ هاجر جمهور كبير من الحراطين والعبيد من البراكنة واستقر هذا الجمع بصفة نهائية في منطقة جرجول وهى ظاهرة لوحظت منذ العشرينيات .ففي سنة ١٩٢٥ كتب المقيم العام بتجكجة رسالة إلي المقيم العام بدائرة كيفه يطلبه فيها على إرسال كل العبيد و الحراطين المتواجدين بصفة غير شرعية في امبوت وذلك إلي تكانت التي هي موطنهم الرسمي .

١- A.N.M serie E2/Dossier 107 Relations maures et H ara tines, dans Rapport Brakna1943.

٢- A.N.M serie E2/Dossier 107, Evoution des populations Maures dans Rapport B rakna 1944.

وقد وجهت رسائل مماثلة إلي حكام دوائر جرجول وغيرها بهذا الخصوص وقد كان لهجرة هذه اليد العاملة كبير الأثر علي تكانت التي بقيت تعاني من نقص فادح في السواعد العاملة وهو ما انعكس علي المرد ودية الإنتاجية في مجال الزراعة علي مستوي الدائرة ففي سنة ١٩٣٥ كانت أغلبية سكان العصابة تشكو من كون اليد العاملة في الفلاحة تهجر الأراضي الزراعية الموجودة في الدائرة إلي الدوائر المجاورة وذلك لغرض ممارسة الزراعة بصفة سرية في أراضي تحوزها قبائل ومجموعات لا تربطهم بهم أية صلة وهذه الوضعية كانت مناسبة لقيام نزعات حادة بين سكان هذه الدوائر التي يحاول كل طرف منهم الاحتفاظ بهذه اليد العاملة علي حساب الآخر .

والظاهر أن الأسباب الكامنة وراء هجرة هؤلاء المزارعين تتمثل علاوة علي تهربهم من دفع الضريبة في رغبتهم في التخلص من الأسياد .

وسعيا إلي وضع حد لهذه الهجرة غير المشروعة قرر كل من حاكم دائرة جرجول قول والمقيم الفرنسي بكيفية فرض عقوبات علي شكل غرامات مالية علي كل المزارعين الذين يقنطون أراضي زراعية غير الأراضي التي تنتمي إلي مناطقهم الإدارية التي تم إحصاؤهم فيها (١) . ويمكن أن نفسر هذه الوضعية بالنظر إلي التزايد الملحوظ في أجور اليد العاملة وهو ما جعل الحراطين يهجرون تلقائيا الأسياد لأن هؤلاء الأخيرين لم يعد بمقدورهم توفير الوسائل الكافية لضمان ظروف حياة مواتية بالنسبة للحراطين الذين يرتبطون بهم وهو ما كان يدفع الحراطين إلي التواجد بكثافة عالية في ورشات الأعمال العمومية التابعة للإدارة حيث الأجور مرتفعة خلافا لما هو الحال في ممارستهم لأعمال أخري في القطاع التقليدي كالزراعة وتربية الماشية مثلا .

١-

A.N.M serie E2/Dossier 114 Compte Rendu de Tournee du Commandant Cercle Assapa dans ta Region pe K iffa et Aft out5F evrier 1935.

وهذه المسألة كانت لها انعكاسات علي المردودية الإنتاجية في مجال الزراعة نتيجة لانعدام اليد العاملة وخاصة بالنسبة لملاك النخيل الذين شكوا المقيم الفرنسي بكيفة هذه الوضعية سنة ١٩٤٨ ولم تكن منطقة الحوضين بمعزل عن هذه التحولات حيث تمت عملية قطع علاقات التبعية بشكل بطيء نسبيا وذلك بالنسبة للعبيد ،

وفي هذا الإطار فإن العبد يتحول بصفة إرادية إلي مزارع ويستقر إلي جانب أحد السدود الزراعية لممارسة الزراعة بصفة ثابتة ودائمة ، وفي حالة ما إذا كان السيد يتحلي بشيء من المرونة مع هذا العبد بحيث يتجنب استخدام العنف ضده بعدم الأقدام علي انتزاع زوجته أو أحد أبنائه لغرض حراسة مواشي السيد وفي حالة مساعدة هذا الأخير للعبد ببعض المواشي ينتفع بلبنها خلال السنة فإن الروابط بينهما قد لا تنقطع وبالمقابل يدفع العبد إلي سيدة كل سنة جزءا من نصابة في إنتاجه الزراعي ، وخلافا لهذه الصيغة حدثت مشاكل بمقاطعة تامشكط بين الأسياد وأتباعهم من العبيد والمتسبب الأول في هذه المشاكل ليس العبيد بل السادة ذلك أن هؤلاء الأخيرين يريدون
ممارسة نفس الحقوق التى كانوا يتمتعون بها علي عبيدهم كما في السابق وبالتالي فإنه كثيرا ما يقدم أحدهم شكاية للمقيم الإدارى بالمقاطعة بهذا الخصوص وغالبا ما لا تجد المسألة حلا نهائيا وبالتالى يقطع العبد كل صلة له بالسيد (١) .

ونتيجة لهذه الوضعية بذل حاكم دائرة العيون دورا كبيرا في إقناع الأسياد بتحمل تضحيات كبيرة وذلك بالتخلي عن مطاردة عبيدهم حفاظا علي اليد العاملة الضرورية للتنمية وللحيلولة دون هجرة المزارعين قامت الإدارة الفرنسية في الحوض الغربي بتطبيق سياسة غذائية تتمثل في مضاعفة الآبار والسدود ورغم كل

---

١ - محمد الراظي : مرجع سابق ، ص١٨١.

هذه الجهود الحثيثة من طرف الإدارة لمعالجة مشاكل العبيد والأسياد فإن ذلك لم يمنع الحراطين من الهجرة نحو الجنوب بحثا عن الأراضي الصالحة للزراعة خاصة في المناطق الحدودية المتاخمة السودان الفرنسي حيث سيقطعون الروابط الأخيرة التي تربطهم بالأسياد وهو ما أحدث انعكاسات خطيرة علي مستوي دائرة العيون كما ذكر حاكم الدائرة فقد تم هجر الأراضي الصالحة للزراعة وتقلص بالتالي الإنتاج الزراعي مما أدي إلي ظهور نقص في الغذاء وهذه الظروف كانت مناسبة لقيام ردود فعل من طرف الأهالي الذين كانوا يحاولون بشتي الوسائل استرجاع عبيدهم من السودان (١) .

ولقد كانت هجرة العبيد تطرح مشكلة بالنسبة للإدارة الفرنسية منذ ١٩٤٥ ففي ١٠ يوليو من نفس السنة تعرض حاكم دائرة العيون في تقريرة السنوي لهذه المسألة حيث أورد في التقرير ماتصه : " إن قري مالي تأوي الكثير من الحراطين المهاجرين الذين استقروا نهائيا هناك لمزاولتهم للأنشطة الزراعية ،يضاف إلي هؤلاء الحراطين الذين هاجروا تلقائيا أعداد أخري من العبيد ساهمت الإدارة الفرنسية في تحريرهم وأصبحوا يبحثون عن مصدر رزق جديد وفئات أخري من العبيد غادرت أسيادها لأنهم عجزوا عن توفيرهم المصادر الضرورية للبقاء ،
ولكي تواجه الإدارة الفرنسية هذه المشكلة ساعدت حسان أصحاب المكانة الاجتماعية الكبيرة إلي إعادة طبقات الحراطين إليهم ليعملوا في الأعمال التقليدية كالزراعة والرعي أما بالنسبة للأسياد الذين لا يتمتعون بتأثير مماثل فإنهم يكتفون

A.N.M serie E2/Dossier 106, Emigrations de la Maied oeuvre servile , dans Rapport 1cercle Aioun El attrouss pour ,Ieannee1950.

بتنظيم زيارات دورية إلي عبيدهم وخاصة في فترات الحصاد للحصول علي بعض الهدايا من طرفهم (١) .

وقد عبر رؤساء القبائل الموريتانية عن استيائهم إزاء القطيعة التي وقعت بين الأسياد والحراطين خاصة وإنهم يرون إن هؤلاء الآخرين يمثلون المصدر الوحيد للإنتاج وقد تم إحصاء هؤلاء الحراطين في القري السودانية وهم يشكلون نسبة كبيرة من سكان هذه القري وقد أعلن هؤلاء الأسياد عن استعدادهم الكامل للالتحاق بالحراطين المذكورين والاستقرار معهم في حالة ما إذا كانت الإدارة الفرنسية عاجزة عن إعادتهم إلى أماكنهم الأصلية ٠ وهذه المسألة بالذات كانت تشغل بال الحاكم العام لغرب أفريقيا الذي كتب في هذا الخصوص إلي حاكم موريتانيا مشاطرا إياه بخصوص إن الوقت غير مناسب لإجراء أي تغيير علي العادات البيظانية خاصة فيما يتعلق بعلاقة الأسياد بالحراطين وقد وقف من هذه القضية موقفا حياديا علي اعتبار أن الإدارة لم تستطع حتى الساعة أن تأخذ موقفا بخصوصها لأن الظروف لم تعد مواتية بعد وأي عملية تستهدف تحرير العبيد بصفة مفاجئة ستؤدي حتما إلي قطيعة المجتمع البيظاني علي حد قولهم هذا مع العلم أن عدد العبيد كان في تناقص كبير لأنهم كانوا في الغالب يفرون من أسيادهم نحو المدن وظاهرة ادوابة (٢) في الحوض التي شجعتها الإدارة الاستعمارية هي عبارة عن تجمع كبير من العبيد والحراطين الذين قطعوا علاقتهم مع الأسياد وأصبحوا بالتالي يزاولون النشاطات الزراعية بصفة مستقلة ٠

Elkeihel (O. Mohamed El apd) Colonisaton francaise et Mutations socials Mauritanie : cas de Ieexclavage on milieu maure 1900-1960 , memo rie maitrise en his toire, Nouakshott 1986,p . 58

٢ ـ ظاهرة ادباى عبارة عن تجمع كبير من العبيد والحراطين الذين قطعوا علاقاتهم باسيادهم اصبحوا يزاولون النشاط الزراعى بصفة مستقلة وقد شجعت فرنسا هذة الظاهرة (محمد لراظى السياسة الاستعمارية ص ١٨٢)

البيظان الذين كانوا يهاجرون وقتها إلي السنغال والي مستعمرات أفريقيا الغربية الفرنسية الأخريات (١) .

هجرة السكان ومواطني العمل الموريتانيين :

إن أي انتقال للسكان من منطقة إلي أخري ينجم عنه في الغالب تبدل في أنظمتهم الاقتصادية والاجتماعية وقد عرفت البلاد الموريتانية خلال الأربعينيات هجرات داخلية وهجرات خارجية ، فعلي المستوي الداخلي : فإن ديناميكية الهجرات تتجه صوب أماكن تركيز الإدارة الفرنسية والمؤسسات العامة وحيث توجد المرافق الاجتماعية (الصحة والتعليم وكذا أماكن وجود فرص العمل) وهي مسألة طبيعية لأن الريفي يهاجر في الغالب إلي حيث توظف الأموال المستخلصة من الزراعة والثروة الحيوانية ، ولذلك فإن هذه الهجرة تعتبر مسئولة عن أحداث اختلال توازن بين المناطق السكنية (المراكز الجاذبة مرتفعة الكثافة ؛ المراكز الطاردة قليلة الكثافة) وسنركز هنا في بداية الأمر علي الهجرات الخارجية لسكان موريتانيا خلال فترة الاستعمار وذلك نظرا لهذه الهجرات من أهمية في أنماط السكان المعيشية وتطوير أنظمتهم الاقتصادية والاجتماعية ،

هجرة السكان ومواطني العمل الموريتانيين خارج البلاد :

كما رأينا من قبل فإن سنوات الجفاف التي عرفتها البلاد الموريتانية خلال الأربعينات وخاصة سنوات ١٩٤٠ ـ ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤) قذفت بالكثير من اليد العاملة الموريتانية خارج البلاد وخاصة نحو السنغال الذي كان يحتضن القسم الأكبر من هؤلاء المهاجرين ،

ويرجع بعض الباحثين في هذا المجال أن أسباب هذه الهجرة هي أسباب اقتصادية ، علي اعتبار أن هؤلاء المهاجرين هاجروا بدافع تحصيل مصادر رزق جديدة بعد فقدانهم لمصادر رزقهم ويتوزعون في ممارسة أنشطة اقتصادية محددة كتجارة الحوانيت مثلا وتجارة المواشي وقد أدت الهجرة إلي انتشار الموريتانيين في

---

١ ـ محمد الراظي : مرجع سابق ، ص ١٨٣.

وفي تكانت كان أغلب الأسياد يوافقون علي مبدأ تحرير كل الأولاد الذكور من أبناء خدمهم وذلك من أجل الحفاظ علي روابط متينة مستقبلية بين الخرطان والسيد، وفي حالة البلاد فقد تطورت وضعية العبيد والاتباع من تجاوزات الأسياد ، هذا في حين حافظت الإنشيري علي العبودية لأن موقعها كمخبأ بالنسبة لقبائل الشمال التي حاربت الفرنسيين واعتماد حاكم الانشيري الذى يري ذلك ضروريا أنه إذ لم تكن هناك موارد اقتصادية فإنه لا توجد ضرائب وبدون عبيد لا توجد تنمية حيوانية علي حد تعبيره ومهما يكن من أمر فإنه علي الرغم من مساعدة الظرفية الاستعمارية علي التحسن من وضعية العبيد فإن هؤلاء الآخرين بدورهم قد ساهموا في عملية تحرير أنفسهم مساهمة فعالة سواء كان ذلك بالطرق التقليدية المتعارف عليها أي بواسطة العتق أو سواء اتخذت تلك الحرية شكل هجرة العبد إلي أماكن بعيدة عن موطنه الأصلي وقطع علاقته مع أسياده وهذا التلاشي في علاقات التبعية قد لاحظة بيرية (J.Peyrie) أحد الإداريين الفرنسيين والذي كان يشغل منصب حاكم موريتانيا وأرجحه إلي الإجراءات الإدارية الفرنسية التي تسببت في أحداث تغيرات في الظروف الحياتية للموريتانيين لأنها أقرت علي حد قوله الحرية الفردية للشخص أي (حرية التنقل ، حرية الملكية) ثم ضمان الأمن بالنسبة للأشخاص والممتلكات ، وهذا المناخ الجديد حسب جان بيري هو المسئول عن اتخاذ الأتباع كل الوسائل الضرورية للتحرر من هيمنة حماتهم التقليدين (Rachats Horama) ولما تخلي اتباع الزوايا عن دفع التزاماتهم تجاه حماتهم الروحيين .

ولم يكن بوسع الزوايا وحسان مقاومة هذه الوضعية واتجه الكثير منهم إلي ممارسة بعض المهن التي كانوا يأنفونها في السابق مثل ممارسة بعض الزوايا لجني العلك ، واستغلال الملح للأغراض التجارية وكذا ممارسة حسان للأنشطة الزراعية .وقد حدث ذلك في وقت تكثفت فيه الهجرة (هجرة العبيد) من موريتانيا إلي السنغال وقطع علاقاتهم مع الأسياد واحتماء البعض الآخر منهم بالمراكز الإدارية بالمستعمرة ولم تقتصر هذه الهجرة علي العبيد وحدهم بل شملت الموريتانيين

كل مناطق السنغال على وجه التقريب رغم أن التقديرات قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت تحدد العدد الإجمالي للمهاجرين الموريتانيين المقيمين في السنغال بحوالى ١٤٥٠٠ ساكن وفي سنة ١٩٤٤ ارتفع هذا الرقم ليصل إلي ١٨ ألف ساكن وهو ما يعطي معدل نمو سنوي لهؤلاء المهاجرين يقدر ب : ٣٣ ألف ساكن أي ما يعطي معدل نمو سنوي يقدر ب : ١و٤% ٠ ومهما يكن من أمر فإن توزيع هؤلاء المهاجرين لم يكن متساويا رغم تكاثرهم في المناطق الاقتصادية الأكثر أهمية .

والملاحظة الأولي التي نخرج بها مما سبق تتمثل في أن حضور المهاجرين الموريتانيين كان كبيرا وأساسيا في السنغال سنة ١٩٤٣ حيث تمثل نسبة المقيمين نسبة ٦١و٢٧% من مجموع المهاجرين في الدوائر السنغالية وذلك نتيجة لكون هذه المنطقة تعتبر أساسا منطقة زراعية وتستقطب الكثير من الأيادي العاملة ٠ إلي جانب ذلك نلاحظ التواجد الكبير للمهاجرين الموريتانيين في مدن اللوقا – بودور – داكار – كاولاخ حيث كانت تستقطب هي الأخرى خلال نفس الفترة أعدادا كبيرة من الموريتانيين بحكم إشتمالها على فرص للعمل وقد كان أكثرهم يزاول الأنشطة التجارية وتمثل نسبة هؤلاء المهاجرين في هذه المناطق سنة ١٩٤٣ ، ٤٢و ٥٢ % من العدد الإجمالي في السنغال ٠

علاوة علي ذلك فإنه يمكن أن نقول أنه علي الرغم من تطور حركة الهجرة من موريتانيا إلي الخارج أثناء١٩٦٢ حيث شملت كلاً من الرأس الأخضر والنيجر ٠ففي سنة ١٩٦١ بلغ عدد المهاجرين الموريتانيين في مدينتي يسن سالوم (Sin – Salloun) وتيس (Thies) السنغالين ١٧٠٠٠ مهاجرا وهو ما يقدر بنسبة ٥١ % من العدد الإجمالي للمهاجرين خارج البلاد سنة ١٩٦١ ٠ويري بعض الباحثين أن تواجد الموريتانيين في هاتين المدينتين السنغاليتين سنه ١٩٦١ يمثل نسبة ٧٥% من مجموع المهاجرين بالسنغال وقد تم تصنيفهم إلي عبيد وحراطين هجروا أسيادهم وزوايا يتطلعون لتطوير ثرواتهم وكذلك فئات حسان التي فقدت مصادر معيشتها مع الاستعمار والتي تبحث عن فرص للعمل

ويقدر (Charle Toupet) عدد الموريتانيين المتواجدين بالعاصمة السنغالية سنة ١٩٥٥ ب ٤٥٧٤ ساكناً وهو ما يعطي نسبة ٦و٢% من مجموع سكان داكار علي حد قولة ومن أهم النشاطات الاقتصادية التي تتعاطاها هذه الجالية ، التجارة وخاصة تجارة المواشي وتجارة الحوانيت ولكن بشكل طفيف نسبيا ولا يستبعد أن تكون الدوافع الكامنة وراء هجرة الموريتانيين إلي الخارج وخاصة إلي السنغال دوافع اقتصادية حيث يسعي هؤلاء المهاجرين إلي الحصول علي مصادر جديدة للعيش بعد تلاشي وتدهور موارد الاقتصاد التقليدي والتهرب من الأعباء الإدارية الاستعمارية وكذا البحث عن ظروف الحياة الحضرية العصرية ٠ويميز Toupet) (بين نوعين من الهجرة : - هجرة الموريتاني الأبيض الذي يبقي محتفظا ببعض الروابط مع قبيلة الأصلية والذي غالبا ما تكون هجرته غير نهائية ٠

وهجرة الموريتانى الاسود الذى يهاجر من اجل الاستقرار النهائى (١)

هجرة الموريتاني الأسود :

ولا يتجاوز متوسط المحيط الاجتماعي الذي يقيم فيه ٠ معدل الهجرة أكثر من سبعة أو ثمانية أشهر ، هذا في حين توجد هجرة ثلاثة أشهر وحسب Gerome) (Pujos فإن السنغال تستقطب الأكثرية الساحقة من العمال المهاجرين الموريتانيين وتجد ر الملاحظة أن هذه الهجرة تخص أساسا الموريتانيين الشباب الذين تبلغ أعمارهم خمساً وعشرين سنة فما فوق ، وكذا الرجال الذين تبلغ أعمارهم ٥٠ سنة فما فوق ٠ و تتعاطي هذه اليد العاملة نشاطات متعددة مثل الأعمال اليدوية في قطاع الزراعة وكذلك الأعمال اليدوية في قطاع الأشغال العمومية في المراكز الحضرية ويشتغل البعض من هؤلاء المهاجرين كخدام للمنازل وفي الأعمال البسيطة الأخرى ويوجد بينهم من لا يحصل على شغل ٠

١- صالح بكتاش : النزاع السنغالي الموريتاني بين المازق العرقى والمخرج الوطنى الشعبى ، دار المستقبل العربى ، سنة ١٩٩٩ ، ص ٦٧ .

ويؤكد دشاشى أن هجرة البحث عن العمل هذه شملت كل طبقات المجتمع الموريتاني التقليدي ولم تتجاوز حدود أفريقيا الغربية قبل الاستقلال كما يري أنها كانت أكثر كثافة في السنغال وخاصة فى داكار وتعود البداية الفعلية لهذه الهجرة إلي استعمار البلاد ولكنها عرفت بعض التطور بعد سنة ١٩٢٥ وقد أدت هذه الوضعية إلي هجرة الكثير من الأراضي المزروعة فى البلاد حيث لم تعد مستخدمة من طرف ملاكها وذلك نتيجة للهجرة المتزايدة لليد العاملة نحو المراكز الحضرية بحثا عن العمل بالراتب الذي يوفر ظروف الحياة الريفية وقد تفاقمت هذه العملية أكثر من أي وقت مضى خلال الخمسينات أي مع بداية الاستغلال المنجمي للبلاد ونمو مراكزها الحضرية .

الخلاصة كان من النتائج الاجتماعية للاستعمار الفرنسي في موريتانيا والمتعلقة بتطوير الأوضاع الاجتماعية خلال فترة الاستعمار وجود بعض الظواهر مثل هجرة العبيد وقطع علاقة التبعية وتأثر الفئات الاجتماعية من الوضع الاستعماري الجديد كما تعرضت الحياة الاجتماعية إلي تغيير أنماط معيشة السكان وبالتالي تطوير عقليا تهم من خلال تصويرها لواقعهم المعيشي الجديد ولأنماط تفكيرهم وتحليلها للأزمات الاقتصادية .

١- محمد الراظى مرجع سابق ص ٩

الآثار الثقافية :

لقد وقفت الثقافة الموريتانية أمام الاستعمار الفرنسي حجر عثرة تجلت في جهاد القلم والسيف ضد كل مظاهر التعسف الفرنسي ووقفت الثقافة الموريتانية الإسلامية العربية بالمرصاد فشهرت السيف في وجهه وشحنت العلم محرضة الشعب داعية إلى مجاهدة المستعمر ومجابهته وقد لعبت المحاظر الموريتانية في هذا السبيل دورا رائدا وذلك بمنعها موالاة الإدارة الفرنسية وأعراضها عن الاهتداء بهديها معرضة عن كل المغريات مفتية بحرمة ارتياد مدارس المستعمر والي جانب المحاظر لعبت الطرق الصوفية في موريتانيا عامة والقادرية بصفة خاصة أدوارا لا تقل عن سايقتها شابا فواجهت المستعمر وباركته وظهر بذلك قطبي الرفض والقبول ، الرفض الذي مثله الشيخ ماء العينيين والداعي إلى مقاطعة المستعمر مقاطعة كلية وسل السيف أمامه أما القبول فقد مثله الشيخ سيديا بابا والشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل ومهما يكن من أمر فان تأثير الفرنسيين علي ثقافة القوم كان طفيفا خفيفا ، وذلك أن المحاظر الموريتانية ظلت دوما حجرة عثر وسببا يهدد المصالح الاستعمارية ولو لم تتدخل المحاظر وأساليبها لذاب المجتمع الموريتاني في سموم المد الغربي وإنتفت شخصيته وكيانه الحضارى (١) .

ويظهر لنا من خلال البحث والدراسة أن المؤسسة الاجتماعية الموريتانية ذات الطابع البدوي قد استطاعت أن توفر لنفسها طريقة للتدريس ذات نظام بديع قل نظيره وحتى بالنسبة للمجتمعات العربية المستقرة في قلب الحضارة البشرية منذ القدم فهو نظام تعليمى يقوم تحت الخيام وعلي ظهور العيس ، وبهذه الوسيلة استطـــاع الموريتانيون بناء شخصية ذات تكوين (مؤسس – ثقافي) ظل يتراكم

١- حميد بن محمد علي : مرجع سابق ، ص ٥٩.

عبر أجيال هذا الشعب إلى أن وصلوا إلى درجة تصدير أدمغتهم ومناهجهم إلى ابعد النقاط في محيطهم الثقافي العربي والأفريقي ونظرا لهذا المستوي العالمي من النضج الثقافي المدعوم بالنزوع الديني الإسلامي فانه لم يعد بوسع المرء أن يقارن بين مستوي هؤلاء البدو الصحراويين من القوة والبناء الثقافيين مع بقية العالم والشعوب المجاورة كما نتج عن ذلك اتخاذ أساليب اكثر صرامة وعنفا من طرف الاستعمار الفرنسي المجابهة هذه الوضعية غير القابلة للتجاوز بتلك السهولة التي تصورها في البداية(١) .

وترجع أساليب الصرامة الفرنسية للثقافة الموريتانية لما كان للموريتانيين من دور ثقافي بارز ليس في بلدهم فحسب بل في كل البلاد الأفريقية المحيطة بها ويرجع ذلك إلى العامل الجغرافي حيث كانت مدينة شنقيط بمثابة محطة كبيرة من محطات التجارة الصحراوية ومنها واليها تخرج وتعود قوافل الحجيج وقد أهلها هذا المركز التجاري والديني بان تكون مركزا إشعاع علمي وثقافي وهناك عامل بشري فالهجرات الصنهاجية ثم العربية أدت إلى اندفاع القبائل الشنقيطية نحو الجنوب حاملة لغتها وثقافتها وذلك يوضح بجلاء الدور الكبير الذي لعبه العلماء الشناقطة عامة ومشايخ الطرق الصوفية خاصة في إثراء الحركة العلمية والثقافية ولقد كان المجال الجغرافي الذي نشأت فيه الثقافة الشنقيطية في القرن التاسع عشر اكثر اتساعا من حدود موريتانيا كما أن الموقع الذي كانت تتمتع به بلاد شنقيط أهلها بان تكون الجسر الذي أوصل الإسلام والثقافة العربية إلى الأقطار الأفريقية .

ولم تكن علاقة موريتانيا بالجنوب فقط بل كانت هناك علاقة متنامية في كل المجالات وعلي رأسها المجال الثقافي مع بلاد المغرب وبلاد المشرق الإسلامي وضعت أسسا متينة للتوصل الفكري بين علماء المنطقتين وكان للطرق الصوفية عامة والطريقة القادرية وفروعها بصفة خاصة القدح المعلي في نشر الإسلام والثقافة العربية في كل البقاع ولكل الأعمار وفي كل الأوعية الثقافية من مساجد

---

١ ـ فاطمة بنت الامام : مرجع سابق ، ص ٦٣.

ومحاظر وغير ذلك من الأوعية الحاملة والناشرة للثقافة الإسلامية والعربية (١) .

ولقد أخذت المقاومة طابعا ثقافيا برفض ثقافة المستعمر والتصدي للمدارس الاستعمارية فترة طويلة من الزمن وهذا الرفض يعكس درجة تنامي الوعي الوطني والاعتزاز بالوطن والأرض وهذا ما سيتجلى لاحقا مع بداية أربعينيات القرن العشرين (٢) . لقد كانت فرنسا تهدف إلى فرض ثقافتها ولغتها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية والسياسية علي الأفريقيين وكان القصد من ذلك كله هو القضاء علي الثقافات والتقاليد المحلية الوطنية وجعل تفكير سكان المستعمرات مطابقا تماما للنظم الفرنسية وحاولت فرنسا فرض هذا الغزو الثقافي علي سكان وشعوب تتفاوت في ثقافتها وتقاليدها المحلية وبالطبع أدت هذه السياسة الفرنسية إلى خلق تفرقة بين أبناء الشعب الواحد تفرقة نجمت عن القدرة علي الاستيعاب وعدم القدرة علي مجاراة الفرنسيين في ثقافتهم وعاداتهم وهذه من ابرز مساوئ هذا النظام الفرنسي الذي حرم الأفريقيين في المستعمرات الفرنسية في غرب أفريقيا من ثمار هذا النظام الجديد وجعل استيعاب الحضارة الفرنسية شرطا أساسيا للوصول إلى مستوي الفرنسيين في الحقوق والواجبات كما أن تشكيل النخبة وسيلة لخلق جماعة تستوعب التراث الفرنسي وتصبح الجسر الذي تعبر عليه الثقافة من اجل ذلك كانت الحرب بين هذه الثقافة والإستعمار الفرنسي الثقافي شرسة وعنيفة ، فقد منع المستعمر السكان من إنشاء المدارس الحرة داخل المدن الموريتانية للتعليم كما منع الاتصال بالخارج لابعادهم عن العلاقات الفكرية كما لم يسمح بأن يأتوا بأساتذة من الخارج خوفا عليهم مما يسمية المستعمر (التسمم الروحي) أي بث روح الثقافة العربية الحية بين السكان كما يمنعونهم من الرجوع إلى أوطانهم خوفا من أن تنتشر العدوى الحاملة لها والتي هي بث الرسالة العلمية واستثارة أفكار بني جلدته إذ يعدونه انه (المجرم) الوحيد الذي لا يمكن أن يسمح له بالدخول إلى الوطن الذي هو مسقط رأسه .

ولا يقتصر دفاعهم الدنيئ هذا علي محاربة الثقافة الفكرية والقومية بل يتجاوزون ذلك إلى الطعن في العقيدة الإسلامية حيث يمنعون السكان من بناء

١- عودة عبد الرحمن : مرجع سابق ، ص ٣٩٠.

٢- السيد ولد اباة – موريتانيا الثقافة والسلطة والمجتمع مرجع سابق ص ٨٦

المساجد التي يؤدي فيها المسلم ما أمره الله به من شعائر دينية .

وقد حرمت فرنسا علي جميع أطراف البلاد إلا يكون هناك صحيفة واحدة معبرة عن إرادة الشعب كما لم تسمح فرنسا لآية صحيفة تدخل البلاد غير صحف فرنسا (١) . وعلي الرغم من الجهود الذاتية التى بذلتها الإدارة الفرنسية لاقامة تعليم فرنسي شامل علي كامل امتداد المستعمرة بموريتانيا فإنها لم تتمكن من بلوغ الأهداف المستوحاة وذلك بالنظر إلى ضعف نسبة التمدرس بالبلاد مقارنة مع أقاليم أفريقيا الغربية الفرنسية الأخرى فظاهره هجرة التلاميذ للمدرسة قبل إكمال شهادة الدروس الابتدائية وعدم إقبال البنات على المدارس وتعلق الأهالى بتعليم اللغة العربية وعلومها بعد إصرار الإدارة المذكورة علي تقليص حصص هذه الأخيرة في المقررات الدراسية تشكل في مجملها نماذج من المشاكل التى كان يواجهها التعليم الفرنسي بالبلاد الموريتانية هذا التعليم الذي لم يكن يحظي بقبول تام لدي المؤسسة الاجتماعية التي اعتبرته مظهرا من مظاهر الهيمنة الثقافية ووسيلة لطمس الهوية العربية الإسلامية للبلد الشيء الذي يتنافي مع خصوصية المجتمع (٢) .

لقد ترك الاستعمار الفرنسي تخلفاً ثقافياً وعلمياً فى موريتانيا فلا نجد عند خروجه من البلاد مدرسة ثانوية واحدة كما أن المدارس إذا وجدت فإنما توجد لطبقة محظوظة فلا تسمح لابناء البلاد بدخولها فهي حرام عليهم و إنما هي لكل من كان من أبناء عملاء الاستعمار وقد لا تتعدي طبقة المثقفين في البلاد ٤% من السكان لقد انفردت موريتانيا عن الأقطار الأخرى سواء في شمال أفريقيا أو في الأقطار الإسلامية في غرب أفريقيا بأن أبناءها قاوموا التعليم الفرنسي ، ويلاحظ أن رجال القادرية الذين تقبلوا التعاون مع فرنسا سياسيا إلا انهم رفضوا التعاون معهم ثقافيا وتشبثوا بنظام التعليم التقليدي السائد عندهم -لقد عمد الاستعمار إلى ذكر مدرسة بدلا من المحظرة إيمانا منه أن كلمة محظرة تذكر الشناقطة بماضيهم المجيد فقد حملت المحظرة لواء الحركة العلمية والثقافية إلى إرجاء البلاد فكان لهم في رحابها رهبانية علم وجهاد ثقافي كبير وعطاء ثرى .

١- يوسف مقلد : مرجع سابق ، ص . ص ٢٩١-٢٩٣.

٢- محمد الراظي : مرجع سابق ، ص ٩٤.

أثر التعليم الاستعماري علي الثقافة الإسلامية :

لقد خلفت هذه المدارس العصرية آثارا باقية في ثقافة القوم فصبغتها بالصبغة الفرنسية ولونتها باللون الأجنبي فنخرج من مدارسها طلبه موريتانيون مطبعون علي التخلق بأخلاق الغرب والتأسي به فبدأ المجتمع يتفكك وأخذت العقليات تتغير والأخلاق الحميدة تنحط فاصبح الشباب يدخل أمام الشيوخ ويشرب قبلهم ويتكلمون قبل أن يؤذن لهم ويخاطبون الشيوخ بلغة الفرد ، ومما خلفه الاستعمار غرس ثقافته في أذهان الناس إذ بدأوا يتمسكون بها معتصمين بها معتبرين إياها كتابا مقدسا لا يجوز الخروج عليه أضف إلى ذلك أن المستعمر فكك البنية الثقافية للمجتمع وفتتها فأخذت المحاظر تتقلص وتتخلص من أداء مهامها إذ اصبح المقبلون عليها يتناقصون وعنها يصدون ، ويرجع ذلك إلى هروب الشباب من الحياة التقليدية وانصرافهم نحو الحياة المعاصرة لهثا وراء الاغراءات المادية وإشباع الرغبات ، وبالجملة فان فرنسا نجحت في إرساء هياكلها الإدارية الثقافية وبسط نفوذها علي ثقافة القوم ومعارفهم والسيطرة علي نفوس الشباب وعقولهم وإذا كان قد وجد من بين الموريتانيين من لعب دورا بارزا ونشيطا في مساعدة الفرنسيين خلال حملاتهم الاستطلاعية وتعاون معهم إلى حد ما فان رفض ثقافة المستعمر و الانقباض عنها كان شامل (١) .

فقد تمسك الموريتانيون بتعليمهم الأصلي تمسكا شديدا وإعتبروه العروة الثقى والحبل غير المنفصم فبقدر ما انفتحت كشوف الأفريقية المجاورة علي الثقافة الفرنسية واحتفت بها بقدر ما ابتعدت المحاظر وانزوت علي نفسها مبتعدة عن كل إغراء وتشجيع من قبل المستعمر محافظة بذلك علي شخصيتها وكيانها ذلك إن الروح الإسلامية قد تغلغلت في نفوس القوم و ترسخت منذ عدة قرون فلم يستفزها المستعمر ولم يزعزعها

---

١ – حيمد بن محمد على: مرجع سابق، ص ٢٦.

و إنما بقيت صامدة في مواجهه صارمة معلنة عليه حربا شعواء وبذلك لم يتغلغل المستعمر في الأراضي الموريتانية إلا بصعوبة شديدة فكانت موريتانيا أقل مناطق غرب أفريقيا تأثرا بالمد الثقافي الفرنسي فظهرت معارضة ومحاربة واضحة من طرف أساتذة المحاظر الذين رأو في المدارس الفرنسية تهديدا وطمسا للشخصية العربية الإسلامية ، لقد ظلت المحظرة الموريتانية بذلك تمثل العرقلة الأساسية لإنتشار هذا اللون من التعليم .

الخـاتمة

لقد تعرضت هذة الدراسة لدور الطريقة القادرية فى موريتانيا خلال فترة الاحتلال الفرنسى للبلاد . وقد تمخضت هذة الدراسة عن بعض النتائج ، أهمها :-

١ - اسهمت ظروف موريتانيا الداخلية فى نمو حركة التصوف و القادرية خاصة داخل المجتمع فقد كان الشعور الدينى عميقا لدى السكان وكذلك حب التصوف الصحيح واهلة وكانت لهم مكانتهم عند العامة والخاصة .

٢ - ارتفعت مكانة أقطاب القادرية عند الحكام من حسان كذلك عند المستعمر الذى حسب لهم حسابهم وذلك لمكانتهم الشعبية

٣ - قام أقطاب القادرية بدور المعارضة لبعض السياسات والاحكام الجائرة للحكام وعمالهم كما إستغلوا علاقتهم الطبيعية بالسكان وتشفعوا عندهم لافراد الشعب وعامتهم

٤ - شارك معظم أقطاب القادرية مشاركة ايجابية فى أهم أحداث موريتانيا خلال القرن العشرين عند قدوم الإحتلال وقبل قدومه سواء كانت هذة المشاركة حربية اوسياسية او ثقافية وحملوا اللواء الاسلامى دفاعا عن دينهم وموطنهم .

٥ - انتشرت القادرية فى كل التراب الموريتانيا كما انضم الى الطريقة القادرية افراد انتسبوا الى معظم القبائل العربية وغيرها من القبائل .

٦ - شملت القادرية أفراداً من كل الطبقات الاجتماعية ومن مختلف الاعمار ومن الجنسين كما وجدت عائلات انطبعت تحت لواء القادرية .

٧- اوضحت الدراسة الدور الإجتماعى للقادرية فى مجال الرعاية الاجتماعية والتكامل وأسهموا فى التخفيف عن الشعب فى الجماعات التى ألمت بالمجتمع ومن سعوا فى مصالح الضعفاء .

٨ ـ كان للقادرية دور فى دفع المجتمع للتمسك بالقيم الإسلامية الأصيلة وإحياء التعاليم الإسلامية الصحيحة فقد كانوا القدوة لمريدهم وأتباعهم .

٩ ـ إحتل الدين أهمية كبيرة فى سلوك اقطاب القادرية وتتجلى الروح الدينية عندهم فى الاهتمام ببناء المساجد والزوايا التى احتلت مكانة كبيرة عند المسلمين لما لها من أهمية دينية وثقافية .

١٠ ـ العلم عند القادرية عبادة تقربهم الى الله تعالى ولذلك ارتفعت مكانتهم فى جميع فروع العلم من قراءات وعقائد وعلوم دينية وعربية وتصوف.

١١ ـ قام معظم اقطاب القادرية فى موريتانيا بنظم الشعر فى معانى التصوف وتعدد اغراضة وشملت اثبات مقامات التصوف واظهار الحب الالهى كما ضم شعرهم علوماً عربية وإسلامية .

١٢ ـ أسهمت القادرية فى النشاط التعليمى فى مجتمعهم وشاركوا بجهد كبير فى تعليم الصبيان فى الزوايا والمكاتب بالإضافة إلى دورهم فى تدريس العلم فى الزوايا والمساجد وقصارى القول فاننا نامل ان تكون هذة الدراسة قد القت ضوءا على الدور السياسى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى للطريقة القادرية فى موريتانيا خلال فترة الاحتلال الفرنسى والفترة التى سبقت هذة الحقبة من تاريخ البلاد.

لقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن تعاليم القادرية قد أثرت تأثيراً ملموسا فى العديد من الطرق الصوفية الاخرى فى موريتانيا كما اسهمت تعاليم القادرية فى دخول حركة التصوف فى موريتانيا فى طور جديد يبث روح التجديد والإصلاح فيها بعد أن كانت الطرق الصوفية تعانى من الركود والتغلب والضعف والجمود ، كما لعبت تعاليم المدرسة القادرية دورا كبيرا فى ربط حركة التصوف فى موريتانيا بنظيرتها فى العالم الإسلامى بعد ان كانت مرتبطة بالبيئة المحلية وموقوفة عليها كما أسهمت فى مساعدة المقبلين نحو العلم مما ادى الى توسيع مداركهم وأسهم ذلك فى نقل التصوف من الجانب الروحى الى الجانب الفكرى وصارت افكار اقطاب القادرية وتلاميذهم مزيجا من افكار العلماء ورجال التصوف التقليدى

ولايقل الأثر الاجتماعي الذى أحدثه تعاليم المدارس القادرية في موريتانيا أهمية عن الدور السياسي والفكرى فقد تحولت معظم قبائل السنغال ومالى وغيرها من الدول المحيطة بموريتانيا من الوثنية والمسيحية الى الاسلام الذى تختلف نظمة الاجتماعية عن سابقها في العهدين الوثنى والمسيحى كما كانت تقلل حدة النزاع القبلى من أهم المظاهر الاجتماعية الجديدة التى ادخلتها التعاليم القادرية .

على المجتمع الموريتانى الا انة كان من الواضح انشغال بعض شيوخ القادرية بالمسائل الدنيوية الأمر الذى أثر على فعاليتهم في تصريف شئون الطريقة ونجم عن ذلك عدم التزام بعض الاتباع بالتعاليم وضعف درجة محافظتهم على ترديد الاذكار في مناسباتها كالمولد النبوى وغيرها كما قلت هجرة الاتباع للمشايخ بقصد الزيارة والتبرك كما جرت العادة في الماضى كما تاثرت القادرية خاصة والطرق الصوفية بوجة عام بانتشار التعليم وازدياد وسائل الاعلام التى تستقى جل مواردها من مصادر غربية وقد نجم عن ذلك انصراف الشباب الى المظاهر الدنيوية وقلت لذلك نسبة انضوانهم في صفوف الطرق الامر الذى اضحى يهدد مستقبلها وهيبتها وغدت في حاجة ماسة الى حركة اصلاح وتجديد لتستعيد مكانتها السابقة.

لقد خرج انسان ما بعد الاستقلال من معركتة مع المستعمر منهكا مصابا بكثير من الاعياء حاملا الكثير من الجراثيم والمرض الاستعمارى ، وقد تجلت ابرز مظاهر ذلك في تلك الحيرة التى اصابتة وهو في غمرة البحث عن أفضل سبيل يصل به إلى النهوض بامتة وكان لهذة الحيرة اثرها السلبى في تمزيق رقعة الفكير في البلاد فانقسم الناس الى مذاهب ومدارس فكرية لكل فلسفتها التى ترى من خلالها سبيل النهوض .

ان ائمة التصوف السلوكى كانوا اعظم المومنين توحيدالله وللصفوف وهو اتجاة محمود لاغبار علية من الناحية الشرعية لانة يمثل اجتهادا في اتباع القران والسنة ياخذ النفوس بالعزائم غير ان ذلك لايمنعنا ان نسجل ان التصوف الذى تالق على عهود أقطابة وأئمتة قد إنحدر على يد الأتباع والمريدين حين انصرف هؤلاء عن

الله وابتعدوا عن سير علمائهم مما ادى بالكثير من المنتسبين الى التصوف فى العصور المتاخرة الى السقوط فى مستنقع الشعوذة والدجل والخمول .

ان التصوف الاسلامى بحاجة الى تنقية وتصفية وذلك لايتم الابالرجوع الى المصادر الاصلية التى تلقن الناس دروس التوحيد والاخلاص فية وفى مقدمتها القران والسنة وما جاء على نهجهما من مؤلفات الصالحين من علماء الامة وفى هذا المناخ النقى الصافى تنمو شخصية المسلم على مبادئ علمية وسلوكيات نافعة ومنهج تربوى ينمى الايجابيات وينفى السلبيات ويخلص الامة من انقسامات المذاهب والطرق والطوائف التى فتكت بالماضى والحاضر ويؤلفها على طاعة الله وفعل الخير امراً بمعروف ونهياً عن منكر كما يرقى بعقل المسلم وهمتة الى مستوى القضايا الكبيرة والحيوية بعيدا عن الجزئيات والتفاصيل ورواسب التاريخ .

والخلاصة فإننا نجد أولئك الذين يتحاملون على الفكر الصوفى وعلى كل عناصر قطب القبول للاستعمار ربما لم يهتدوا الى قيمة الصراع الفكرى وضرورة التمكين لهذا الفكر كجنة وحصانة كما لم يهتدوا الى مخاطر المواجهة فى بعض الظروف التى تصبح فيها انتحار وتهورا يخرق بموجبة المستعمر سور الحصانة الفكرية كما غاب عن ذهن هولاء ضرورة مراعاة الظرف الزمنى واستحالة تجاوزة كل هذة الأمور جعلت قطب التايد يحسب لها حسابها خلصت فيه الى ماخصلت . هذه الحركة فى اقطاب القادرية تنقلا من منطقة الحوض الى الجنوب المغربى الى بلاد السودان ووفرت لهم احتكاكا بشعوب مختلفة وخلقت لهم قسطا من الثقافة المكتسبة تاثرا بالاخر وبرزت ملامح هذا الاحتكاك والتاثير لا فى سلوك افرادهم فحسب وانما تجاوزت ذلك لتؤثر فى إطارهم النظرى .

لقد حاولت الطريقة القادرية ان تخلق لنفسها مرونة تجعل منها ملتقى لكل التيارات الفكرية والصوفية السابقة لها زمنيا والمعاصرة لها ويتجلى ذلك فى الانفتاح القادرى على كل مجالات الفكر التى تجدد ساحتهم الثقافية وذلك من خلال الدراسات الفقهية القائمة على التسامح بما لايخل بظاهر الشرع وكذلك مسائل العبادات فالقادرية ترى ان المريد يكفية ما قل من عبادة اذا ابتعد عن المحرمات وكانوا يتبرعون من صعوبة التربية ويرغبون الناس فى طريقتهم من خلال خفة الممارسات . اما اللغة

فرغم امكانتيهم فى علوم اللغة خرج اقطاب القادرية عن المألوف اللغوى الصعب الى التيسير .

وقد تلاقت عوامل عديدة افضت الى جعل كل قطب من اقطاب القادرية مركزا لنشر العلوم ومن بين هذة العوامل :-

- الحيازة الشخصية لعلوم الاقران
- الاحتكاك بين مريدى كل شيخ على اختلاف جنسياتهم ومشاربهم الفكرية مما جعل زوايا ومجالس القادرية مدارس متعددة المشارب .
- الرخاء الاقتصادى بسبب الهدايا والتجارة والرعى والزراعة وتوزيع الشيخ هذه الهدايا الامر الذى جعل منها عاملا اساسيا فى استقطاب ذوى الكفاءات العلمية وماوى لطلاب العلم .
- بعث الابناء :- شكلت حركة الهجرة غدوا ورواحا بين مواطن استقرار الطريقة القادرية فى انحاء البلاد حركة علمية ملحوظة تمثلت فى اقتناء الكتب وحل الفتاوى وتبادل المعارف والانفتاح بين أطراف القادرية .
- المكتبات الشخصية اهتم اقطاب القادرية بجمع المكتبات وقراءة الكتب حتى أنه كان بحوزتهم أضخم المكتبات فى عصرهم .

وبفضل هذة المكتبات وهولاء الاساتذة استطاع القادريون أن يبثوا خطابهم ويوسعوا إنتشاره ويؤثروا فى عقليات مجتمعهم الى درجة سمحت ببروز نساء يضاهين اترابهم من الرجال من حيث الثقافة وهو أمر كان نادرا فى المجتمع الموريتانى وبهذا التوجة الثقافى نجحت القادرية فى خلق خطاب اجتماعى يعبر عن خصوصيتها .

- تبين فيما مضى من صفحات هذا البحث والتي تضمنت فصولا من التاريخ الديني والسياسي والثقافي لموريتانيا وذلك من خلال تحليلنا للطريقة القادرية ودورها ولتأثير السياسة الفرنسية علي الأوضاع السياسية والثقافية والأجتماعية للموريتانيين بين (١٩٠٠ & ١٩٦٠) وقد تطلب هذا البحث أن يبرز في البداية التصوف وصلته بالقوي الاستعمارية قبل الاحتلال الفرنسي لموريتانيا كما تضمن نبذة عن السكان وروابطهم من خلال صلة القادرية بالسلطات المحلية مع الأشارة إلي

الروابط الأجتماعية والعلاقة فيما بينهم وفي هذا الصدد فقد اتضح بأن العلاقة التي تربط بين الفئات المسيطرة في المجتمع (حسان) والتي تحتكر العنف والسلطة السياسية ، والزوايا) والتي تخصصت في الشئون الثقافية والدينية مع الفئات الأخري التابعة هي علاقات هيمنة سياسية وعسكرية وقد رأينا أن هذه الفئات التابعة تستخدم من قبل حسان والزوايا علي حد سواء في كل الأمور الأقتصادية ولقد شاركت موريتانيا أكثر من غيرها من مجتمعات الغرب الأفريقي في التجارة الخارجية وذلك لما تحوية أراضيها من غابات منتجة للعلك (الصمغ) ولضمان استمرارية تبادل هذه المادة في المحطات النهرية .

- قامت معظم الشركات التجارية الأوريبة بابرام بعض الاتفاقيات مع أمراء البلاد وبعض زعماء القبائل وهي الاتفاقيات التي كان يحصل بموجبها هؤلاء الأخرون علي إتاوات سنوية عند بداية كل موسم عرفت عند الفرنسيين باسم (Les Coutumes) أي الضرائب العرفية والتي تدفع علي شكل مواد مصنعة مثل قماش النيلة والبارود والأسلحة والرصاص والمصنوعات الزجاجية وكان ذلك ضمن علاقة فرنسا بموريتانيا قبل الاحتلال ومع النصف الثاني من القرن التاسع عشر تم التخلي عن دفع تلك الإتاوات من طرف هذه الشركات وتم تحديده بعد حرب فيدرب مع محمد الحبيب أمير الترارزة في سنة ١٨٥٨ م بقيمة ٣ % فقط من كميات العلك المبادلة وهو ما يعتبر تحولا في صميم السياسة الفرنسية تجاه موريتانيا خاصة وأن النوايا الاستعمارية لتلك السياسة كانت بارزة للعيان منذ تعيين فيدرب حاكما علي السنغال في سنة ١٨٥٢ م وذلك أن هذا الأخير قد سعي إلي التعرف بشكل جيد علي النواحي الجغرافية والبشرية والأقتصادية للبلاد من خلال أعمال البعثات الكشفية التي جابت مختلف أراضيها علي طول القرن التاسع عشر بداية من رحلة رينية كايية (Rene Caille) سنة ١٨٢٤ وانتهاء برحلة فامية (Famion) سنة ١٩٠٠ م ولقد كانت هذه الرحلات والبعثات الكشفية رغم ما قد يلاحظ في أعمالها من نواقص قد مهدت لانجاح مشروع كوبولاني الذي حظى بالموافقة من طرف الحكومة الفرنسية في السنوات الأولي من القرن العشرين والقاضي بإحتلال موريتانيا ووضع

أراضيها تحت الحماية الفرنسية •ولقد رأينا كيف كانت ردود أفعال الأهالي إزاء هذا الاحلال حيث ناصبوا الفرنسيون العداء وقاوموا في اكثر من واقعة .

- وقد أشرنا ضمن هذه الدراسة إلي التباينات الواضحة في مواقف الطريق القادرية إزاء المستعمر والتي كانت تتفاوت بين التأييد والمعارضة فالمويدون كانوا مع مطلع القرن الماضي مسكونون بهم قيام الدولة في هذه الربوع باعتبار أن قيامها واجب شرعي حسبما تقرر في النصوص الشرعية ، واعتبارا لفائدتها المباشرة علي البلاد والعباد •فقد طبعت السيبة سلوك ساكنيها وجر غيابها من الأفات (السلب والنهب والاقتتال والتلصص) ما تغني فيه المشاهدة عن البرهان وهي حالة تطاولت عهود عمرها وباءت محاولات تأسيس الدولة وخاصة من قبل الزوايا) بالفشل رغم أن جماعة الحل والعقد بقيت تسوس كبريات الأمور التي لا غني فيها عن الدولة، ولكنها - جماعة الحل والعقد – بقيت عاجزة عن أن ترقي رقى دولة إلي الشأو الذي تحقن فيه الدماء ، ويبسط الأمن وتنشر العافية وكان هذا السبب بالذات من دوافع علماء البلد في قبول التعامل مع الفرنسيين.

ولكن هم الدولة ونشدان تنصيب الأمام لم يكن في مقدمة إهتمام جماعة الرفض وهذا الامر لم يقنعهم بأن يحل الفرنسيون محل الدولة في انتظار تأسيسها بل إن مصلحة الدين مقدمة علي الدنيا وإذا كانت آراء الفريقين قد اتسمت بشيء من الطرافة بل والحدة أحيانا لدرجة يستحيل معها في ذلك الوقت الالتفاف حول رأية واحدة فإن مجريات سير حياة أصحاب الرأيين ما لبثت أن أفضت إلي نوع من التقارب في وجهات الرأي ففي حين أفضت هجرة أصحاب الرفض إلي البلدان التي حكمها الفرنسيون بل والانجليز ورأوا أوضاع البلاد الإسلامية التي حكمها هؤلاء الاقوام في المغرب ومصر والتقوا بعلماء هذه البلاد ونبهائها والساسة فيها وأهل الرأي وأمعنوا النظر في أحوالهم فما لبث هؤلاء أن ركنوا إلي التروي وأخذ المسألة بشيء من التسامح والقبول بالرأي الأخر وإذا تعلق الأمر بقطبي القبول الشيخ سعد وأبية والشيخ سيديا بابا فإن شأنهما في هذا الأتجاة لا يقل عن شأن أقطاب الرفض فقد ركن الشيخ سيديا بابا في أواخر حياتة إلي بيتة وانقطع للعبادة والتأليف وآثرا إدارة ظهره للشأن العام بعد أن ذاع صيته وانتشر ذكرة ومن يعمل النظر في دوافع موقفة من الأصل يجد اكراهات المصلحة العامة حاضرة فيه

، وقد صرح بأن بواعث هذا الموقف هي منع الحروب المفضية إلي القضاء علي السكان .

وهذا التعاون في المواقف المشار إليه كان له كبير الاثر علي وحدة وتماسك المقاومة ، التي وإن كانت قد حققت بعض الانتصارات الجزئية في باديء الأمر لم تتمكن من الاستمرارية نتيجة للتفوق العسكري والدبلوماسي الذي أحرزته الحكومة الفرنسية خصوصا بعد تعزيزها لوحداتها العسكرية في البلاد وتنظيمها لحملة الجنرال جورو علي آدرار أكبر معاقل المقاومة في سنة ١٩٠٩ ، ولم تقف الحكومة الفرنسية عند هذا الحد بل ذهبت إلي أبعد من ذلك حيث فرضت الحظر علي توريد الاسلحة من المغرب إلي موريتانيا في إطار تطبيق سياستها الجديدة الدامية إلي محاصرة المقاومة الموريتانية وعزلها عن المخزن المغربي الذي كان يقدم لها الدعم والمساندة ،

وقد نجحت بالفعل في ذلك بعد أن مارست ضغوطاتها السياسية والدبلوماسية علي هذا الاخير وهكذا فإن كل المجهودات التي بذلها الشيخ ماء العينين من أجل تأطير المقاومة ومواصلة الحرب المقدسة ضد الفرنسيين قد باءت بالفشل ولم تتمكن من الاستمرارية نتيجة الظروف التي أشرنا إليها ،وهو أمر في اعتقادنا ساهم إلي حد كبير في شل فاعلية وتضامن القبائل الموريتانية المعادية للإستعمار خاصة بعد موت الشيخ ماء العينين حيث كانت بعض هذه القبائل مرغمة نتيجة لظروف الجفاف الذي اجتاح المنطقة وقتها علي النزوح نحو الجنوب الغربي للبلاد طلبا للانتاج وبالتالي الارتماء في أحضان السلطة الفرنسية كما ألمحنا إلي ذلك ، وعلي الرغم من ذلك فقد واصلت بعض فلول المقاومة الذين لم يقبلوا الاستسلام كفاحها ضد المستعمر وإن كانت تلك الجماعات قد لجأت في نهاية المطاف إلى تبنى خطة حرب العصابات والهجمات غير المنظمة والتي تستهدف إلحاق الأضرار بالأهداف الاستعمارية .

وقد اعتبر الباحث سنة ١٩٣٤ بمثابة النهاية الفعلية لهذا النشاط وذلك بعد هزيمة قبائل الرقيبات في معركة ماجك (Mijik) سنة ١٩٣٣ وهي الهزيمة التي أدت إلي استسلام امر بيه ربه ولد الشيخ ماء العينين مؤطر الجهاد أنذاك للسلطات الاسبانية في ١٧ أبريل سنة ١٩٣٤ ويمكن أن ننظر إلي هذا التاريخ من الناحية العلمية علي أنه يشكل البداية الفعلية لإستقرار الإدراة الفرنسية بالبلاد الموريتانية حيث ستكتمل أجهزتها

الادارية وسيتم توحيد نظمها السياسية في المجال الاداري والثقافي والاقتصادي ، ففى المجال الإداري عملت الإدارة الاستعمارية علي اكمال تقسيماتها الإدارية التي بلغت في حدود سنه ١٩٤٤ ، ١١ دائرة cercles تشمل مختلف نواحي البلاد ولتسهيل العملية الادارية وإدارة سكان المستعمرة بطريقة ناجحة قام الاستعمار بالاعتماد علي السلطة التقليدية معتبرا إيها حلقة وصل بينه وبين الاهالي ·ولقد استفاد الزوايا إلي حد كبير من الخدمات التي تقدمها له هذه السلطة رغم أنه تم تجريدها من نفوذها السياسي التقليدي ، لأن صلاحيتها من هذه الناحية محدودة وسلطاتها استشارية فقط مقارنة بسلطات الاداريين الفرنسيين الذين تعود إليهم الكلمة الفصل في كل الامور الادارية والسياسية وغيرها التي تهم سكان البلاد والابعد من ذلك هو ان فئة الزوايا وهى الفئة العالمة ·

في المجتمع والتى قادت مدرسة العداء اضبحت مع الاربعينات تعترف ضمنيا بانها " اى مدرسة هى الوسيلة الوحيدة للعيش وهو ماكان لة كبير الاثر على المحاظر التى تمثل مظهرا من مظاهر الثقافة التليدية والاسلامية والتى تقلص عدد منتسبيها لصالح التعليم النظامى

الملاحق

الملحق الاول:

تقرير كوبولانى الموجه للحاكم العام الفرنسى بغرب افريقيا

الملحق الثانى:

١- مخطوط للشيخ سعد أبيه بعنوان الجواب المحتوم.
٢- مخطوط للشيخ سعد أبيه بعنوان النصيحه العامه والخاصه.
٣- مخطوط للشيخ ماء العينين بعنوان هداية من حار فى امر النصارى.
٤- رسائل للشيخ ماء العينين يدعوا فيها للجهاد.

١ - وثائق غير منشورة

٢ وثائق منشورة

مكتبة البحث

ثانياً: المصادر :

١ـ ابن الجوزى : تلبيس إبليس ، القاهرة ١٣٦٨ .
٢ـ ابن منظور : لسان العرب مجلد ١ القاهرة ١٩٨٠.
٣ ـابو حامد الغزالى : إحياء علوم الدين ، ج ١ ، القاهرة ١٩٨٧
٤ ـ ابو طالب المكى : قوت القلوب فى معالجة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، ج ٢ ، بيروت ١٩٩٧ .
٥ ـ ابو عبد الله ، البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ،الجزائر ١٩٧٥
٦ـ السهروردى : عوارف المعارف عل هامش الأحياء ، القاهرة ١٩٣٩
٧ ـ عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، كتاب العبر ديوان المبتدأ والخبر فى ايام العرب والعجم والبربر من عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر ، بيروت ١٩٨٦
٨ ـ د الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى (لواقح الانوار)
٩ – القشيري : الرسالة القشيرية ، القاهرة ١٩٥٩
١٠ ـ القلقشندى : صبح الأعشى ، القاهرة ١٣٣٧ .

ثالثاً : المراجع:

- المراجع العربية :

١ - ابو المواهب عبد الوهاب احمد بن على الشعرانى : الطبقات الكبرى ، المسماه بلواقح الأنوارفى طبقات الأخيار ، ط ١ ، القاهرة ١٩٥٤ .

٢ – ابو الوفا الغنيمى التفتازاني : مدخل الى التصوف الاسلامى ، القاهرة ١٩٧٩ .

٣ – ابو بكر القادرى : الشيخ عبد القادر الجيلانى ودوره فى الدعوة الاسلامية فى أنحاء العالمين الأسيوى والإفريقى ، الدار البيضاء ١٩٩٩ .

٤ – ابو العباس احمد بن احمد بن محمد زروق : قواعد التصوف ، تقديم ، محمد زهرى النجار ، القاهرة (د /ت) .

٥ – ابى الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى : تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية ، القاهرة ١٩٣٤ .

٦ – احمد الأمين : التوسيط فى معجم بلاد شنقيط ، القاهرة (د/ت) .

٧ - احمد الشنقيطى الخالدى : جامع الأصول للطرق الصوفية ، بيروت ١٩٩٧ .

٨ - احمد حسين اليساوى : الإمام ابى العباس المرسى ، القاهرة ١٩٧٢ .

٩ – احمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، الجزء السادس

١٠ - أرنولد توماس : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة ، حسن ابراهيم حسن ، وأخرون ، القاهرة ١٩٥٧ .

١١ - أزيد بية بن محمد محمود : الزوايا فى بلاد شنقيط . أنواكشوط (د /ت)

١٢ – اسماعيل بن السيد محمد سعيد القادرى : الفيوضات الربانية فى المآثر والأدرار القادرية ، القاهرة (د / ت) .

١٣ – التليلى العجيلى : الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسى بالبلاد التونسية ، منشورات كلية الاداب بمنوبة جامعة تونس ١٩٩٢

١٤– الخليل النحوى : بلاد شنقيط ، المنارة والرباط ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، جامعة الدول العربية ، تونس ١٩٨٧

١٥ – السيد ولد اباه : موريتانيتنا الثقافية والدولية والمجتمع ، سلسلة الثقافة القومية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، (د / ت).

١٦ – المختار بن حامد ، حياة موريتانيا ، الجزء الثانى ، الحياة الثقافية ، الدار العربية للكتاب ١٩٩٠ .

١٧ – المختار ولد حامد : حياة موريتانيا ، منشورات معهد الدراسات الافريقية بالرباط ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ١٩٩٤ .

١٨ – الهام محمد على ذهنى : بحوث ، دراسات وثائقية فى التاريخ افريقيا الحديث القاهرة ١٩٩٩ م .

١٩ – انور الجندى : يقظة الفكر العربى فى مواجهة الاستعمار ، القاهرة ١٩٧١ .

٢٠ – انور الجندى : شبهات التغريب فى غزو الفكر الاسلامى ، المكتب الاسلامى دمشق ،ببيروت ١٩٧٨ .

٢١-أنور زغلول : موريتانيا عربية ، القاهرة ١٩٦٠ .

٢٢ – جان شوفليى : التصوف والمتصوفة ،ترجمة ، عبد القادر تنين : افريقيا الشرق الرباط (د /ت) .

٢٣-جودة محمد ابو اليزيد : أعلام الصوفية ، القاهرة ١٩٩٨ .

٢٤ - جلال يحيى : المغرب العربى الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الاولى ، الاسكندرية ١٩٨٢ .

٢٥ – حسن ابراهيم حسن : إنتشار الإسلام فى القارة الأفريقية ، القاهرة ١٩٦٣ .

حسن احمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى افريقيا ، القاهرة ١٩٦٣ .

٢٦ – حمدانى شبيهناء ماء العينين : قبائل الصحراء المغربية اصولها ، جمادها ، ثقافتها ، المطبعة الملكية الرباط ١٩٩٨ .

٢٧ - خير الدين الزركلى : الأعلام ، القاهرة ١٩٥٤ .

٢٨ - روبير جاكسون : الرجل القرآنى ، ترجمة ، أنور الجندى ، القاهرة ١٩٨٥ .

٢٩ - زكى مبارك : التصوف الإسلامى فى الأداب والأخلاق ، القاهرة ١٩٣٨ .

٣٠ – سعيد عبد الفتاح عاشور : السيد احمد البدوى ، شيخ وطريقة ، القاهرة ١٩٦٧.

٣١ - شكيب أرسلان : حاضر العالم الإسلامى ، ج ٢ ، ط ٤ ، بيروت ١٩٧٤ .

٣٢-شوقى الجمل تاريخ كشف افريقيا وإستعمارها ، القاهرة ١٩٧١ .
٣٣ – صالح بكتاش : النزاع السنغالى الموريتانى بين المازق العرقى والمخرج الوطنى الشعبى دار المستقبل العربى .
٣٤ – طه عبد الباقى سرور : التصوف الاسلامى والامام الشعرانى ، القاهرة ١٩٨١ .
٣٥ – عبد الحفيظ فرغلى على القرنى :التصوف والحياة العصرية ، مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ١٩٨٤.
٣٧ – عبد القادر الجيلانى : فتوح الغيب ، القاهرة ٦٥١ هجرية
٣٨ – عبد الحليم محمود : ابو مدين الغوث حياته ومعراجه الى الله ، القاهرة ١٩٨٥ .
٣٩ - ---------------- : ابو العباس المرسى ، القاهرة ١٩٦٩
٤٠ - ---------------- : عقيدة الأكابر ، القاهرة ١٩٩٢ .
٤١ - ------------------: المدرسة الشاذلية وإمامها ابو الحسن الشاذلى ، القاهرة ١٩٦٧ .
٤٢ - عبد القادر الجيلانى : فتوح الغيب ، القاهرة ١٩٦٩ .
٤٣ - عبد الكريم العطار : تاريخ الطريقة التيجانية فى البلاد المصرية ، القاهرة ١٩٤٦ .
٤٤ - عبد المالك خلف التميمى : الإستيطان الأجنبى فى الوطن العربى ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .
٤٥ – عبد الله عبد الرازق ابراهيم : اضواء على الطرق الصوفية فى القارة الافريقية القاهرة ١٩٨٩ .
٤٦ – عبد الله عبد الرازق ابراهيم : الصوفية والمجتمع فى غرب افريقيا القاهرة ١٩٩٩ .
٤٧ – عبد الله صالح سانا : مدخل لقضايا المسلمين فى غرب افريقيا القارى العربى القاهرة (د /ت) .
٤٨ – عثمان السعيد الشرقاوى : التصوف حكمه وأركانه وخصال اهل ، القاهرة (د ت).

٤٩- علال الفاسى :التصوف الاسلامى فى المغرب ، المغرب ١٩٩٨ .
٥٠ - على سالم عمار : ابو الحسن الشاذلى ، القاهرة ١٩٦٢ .
٥١ - عيسى الصباغ : معالم تاريخ اوروبا فى العصر الحديث ، دمشق ١٩٨٢ .
٥٢ - غيثى بن امم : إمارة أولاد يحي بن عثمان ١٩٠٠ - ١٩٣٢ ، أنواكشوط ١٩٨٦
٥٣ - محمد اسماعيل محمد و عبد الخالق عامر : قضية موريتانيا ، القاهرة ١٩٦١ .
٥٤ - محمدالراظى بن صدفن : السياسة الإستعمارية الفرنسية فى موريتانيا ، وأثرها على الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية ١٩٠٠ - ١٩٦٠ ، بيروت ١٩٦٦ .
٥٥ - محمد الغزالى :خطب الشيخ محمد الغزالى ، الجزء الثانى ،القاهرة ١٩٨٨ .
٥٦ - محمد زكى ابراهيم : ابجدية التصوف الاسلامى يحفى ماله وفاعليته ، القاهرة ١٩٩٥ .
٥٧ - محمد يوسف مقلد : موريتانيا الحديثة غابرها ، حاضرها او العرب البيض فى افريقيا السوداء ، دار الكتاب اللبنانى ١٩٦٠ .
٥٨ - مرتضى الزبيدى : تاج العروس ، مجلد ٣ ، بيروت ١٣٨٦ هجرى .
٥٩ - مريم احمد الأمين : النظم السياسية والإدارية ، وأثرها على التركيبة التقليدية للمجتمع البيظانى ١٩٠٠ - ١٩٤٥ ، أنواكشوط ١٩٨٩ .
٦٠ - مصطفى عبد الرازق : موجز دائرة المعارف الاسلامية ، مادة التصوف الجزء الثامن ،مركز الشارقة للابداع الفكرى . الامارات العربية ١٩٩٨ .
٦١ - منال عبد المنعم جاد الله : التصوف فى مصر والمغرب ، مطبعة منشاة المعارف (د / ت) .
٦٢- نصر السيد نصر : الجمهورية الاسلامية الموريتانية ،دراسة مسحية شاملة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٨.

رابعا : المراجع الأجنبية :

1- Abunvasrgamil : The tianyy asuforderinthe modemworld , Domlon 1971.

2 -Aclurvell Atravèrs : La Mauritanie occidentale Saint Leuis apart etienne vol partie generale et ecomeque editon lorozu , paris 1909.

3-Aliou , N Traore :Chikh Hamahou lph homme de foiet resistant maison eve , Paris 1983

4- Amadou Ba : Les Regueibatts , Bulletin de renseignement , col N.IET 2 Paris 1926.

5- Chailley : Les grandes missions francaises en afrique occidentale , Dakar , Intitiations Africaines, IFIAN 1953 .

6- Demougeot , Antoine : Rene' Caillie' (1798 – 1838) , Paris , 1948 .

7- Deschamps , Hubert : L'Europe de'couvre l'Afrique . Afrique Occidentale (1794 – 1900) , Paris 1967

٨ -Dechassey , Francis : Mauritaine , 1900 – 1075 , Paris 1984 .

9- Desire' , Vuillemin : Contribution a' l' histoire de la Mauritaine , 1900 – 1934 , Dakar 1962 .

10 - Garnier , Christine : La Mauritanie , Paris 1960 .

11- Gilier, Commandantdant: Penteration cot en Mauritani , Paris 1965

12- Gouraud , Ge'ne'ral : Mauritaine (Adrar) , Souvenir d'un Africain , Paris 1927 .

13-Hiskett , M : the development of Islam in west Africa.,London 1972 , P288.

14-Janral , Christine : Desertferule unnoveletat La Mauritanie , paris 1926.

15- Liagret ,crhistian : Naissance d une nation La Mauritnia imauine national Paris 1969 .

16-- Louise , Fre'rejean : Mauritanie 1903 – 1911 , Paris 1995 .

17- Paul Marty : Eudes sur Islam , Paris 1960 .

خامساً:الدوريات العربية :

شوقى الجمل : الحضارة الإسلامية العربية فى غرب افريقيا ، مجلة المناهل ، عدد ٧ ، نوفمبر ١٩٧٦ .

فهمى هويدى : مجلة العربى الكويتية ، إستطلاع ، عدد ٢٩٣ ؛ ابريل ١٩٨٣ .

مجلة الأمة : ثروة عن الإسلام فى افريقيا ، عدد ٦ ، ١٩٨٦ .

مجلة العربى الكويتية : عدد ٣٦٣ ، فبراير ١٩٨٩ .

سابعاً : الرسائل الجامعية :

١ – احمد فتوح احمد عابدين : الحواضر الاسلامية فى غرب افريقيا القرنين السادس عشر والسابع عشر (تاريخها السياسى والحضارى الاقتصادى) ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد الدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ١٩٨٩ .

٢ – احمد محمد حبيب الله : حركات الجهاد والاصلاح فى افريقيا الغربية من نهاية القرن ال١٧ وحتى بداية القرن ال ١٩ ، انواكشوط ١٩٨٦- ١٩٨٧.

٢ – محمد الهادى ولد الطالب : المقاومة الموريتانية فى مواجهة الاستعمار ١٩٠٠- ١٩٣٤ ، رسالة ماجستير غير منشوزة ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٨٩ .

٣ - إجلال محمود رافت : صراع القوى الاساسية فى السنغال بعد الاستقلال ، والسياسة الفرنسية تجاة الصراع ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهدا لبحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٨ .

٤ – الداه ولد الشيخ سعد ابية : جمع وتحقيق رسائل الشيخ سعد ابية ، رسالة كفاءة من المعهد العالى للدراسات والبحوث الاسلامية ، انواكشوط ١٩٩٨ .

٥ – الحسين يروح و الى : نظام الحزب الواحد فى موريتانيا ، رسالة ماجستير منشورة معهد الدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة ١٩٧٩.

٦ – الهيبة ولد سعد ابية : الشيخ ماء العينين ودوره في مقاومة الاستعمار الفرنسي انواكشوط (١٩٣٠- ١٩١٠) ، موريتانيا ١٩٩٨ – ١٩٩٩ .
٧ – حماد ولد مولاى : رسالتان في شان مسالمة النصارى فى بلد لايتعرضون فيه للدين الاسلامى ، اداب انواكشوط ١٩٩٣.
٨ – عادل على مصطفى : التحضر فى موريتانيا ، دراسة فى الانثربولجيا لمدينة نوا كشوط ، رسالة دكتوارة غير منشورة ، كلية الاداب جامعة الاسكندرية ١٩٩٥.
٩ – عبد الله حسين بن حميد : نشات الشعر العربى الفصيح فى بلاد شنقيط ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب جامعة القاهرة ١٩٨٦م .
١٠ – عودة عبد الرحمن السى الشوكى : الحياة والعلم والثقافة فى بلاد شنقيط فى القرن ال ١٩ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد الدراسات الافريقية جامعة القاهرة ١٩٩٧ .
١١ – محمد الامين : دور الفقهاء والامراء فى امارة الترارزة خلال القرن التاسع عشر الميلادى ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات العربية ، القاهرة ١٩٨٠.
١٢ – محمد الهادى ولد الطالب : المقاومة الموريتانية فى مواجهة الاستعمار ١٩٠٠- ١٩٣٤ رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٨٩ .
١٣ – محمد فاضل محمد الحطاب : الشيخ التراد ودوره الثقافى والسياسى فى منطقة الحوض ، بحث لنيل درجة شهادة الإجادة ، كلية الاداب ، جامعة أنوا كشوط موريتنيا ١٩٩١/١٩٩٢ .
١٤ – محمد فاضل محمد الخطاب : الطريقة الفاضلية ، نشاتها – طرحها – نشاطتها – رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الاداب والفنون والعلوم الانسانية ، تونس ٩٩ /٢٠٠٢ .
١٥ – مريم بنت احمد الامين : النظم السياسية والادارية الفرنسية ، رسالة كفاءة انواكشوط ١٩٨٨/١٩٨٩ .
١٦- محمد سالم بن بلفريو : المقاومة فى ادرار من ١٩٠٠ – ١٩٣٤ ، الاداب والعلوم الا نسانية ، انواكشوط ١٩٨٥- ١٩٨٦.

١٧ ـ محمدين محمد علي : المواجهة الثقافية الموريتانية للاستعمار الفرنسي ١٩٣٦ ـ ١٩٥٠، بحث لنيل الكفاءة ، انواكشوط ١٩٨٨-١٩٨٩ .
١٨ ـ فاطمة بنت الامام : المقاومة الدينية من خلال المحاظر ، رسالة تخرج كلية الاداب والعلوم الانسانية قسم التاريخ انواكشوط ١٩٨٩- ١٩٩٠ .
١٩ ـ عثمان ولد الشيخ احمد ابو المعالي : الفكر الأصولي عند علماء شنقيط خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري ، جامعة السلطان محمد الخامس ، كلية الاداب والعلوم الانسانية ، الرباط سنة ١٩٩٧/١٩٩٨ .

مخطـوط بعنوان " الجواب المحتوم للمنكر علينا في أمر الروم (النصارى)." للشيخ سعد أبيه بـن الشيخ محمد فاضل ، وهو من أقطاب القادرية الذين أيدون دخول المستعمر وفي هذا المخطوط يوضح الأساليب والأدلة التي استند عليها في موقفه المهادن للفرنسيين من الكتاب والسنة .



الكلي إثم تعليل مستلزم للاثم قال صلى الله عليه وسلم
إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث والاثم الذي يستحق العقوبة بلا
[illegible] ان بعض الظن اثم فالظن الذي هو اثم وهو ان يظن ويتكلم
والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به واذا قال قائل منهم لم تظنون ولا كنتم بلغنا
كذا وكذا او بلغنا من اهل صفرية كذا وكذا فاقول له ما قال ربنا عز
وجل يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما
بجهالة الاية فالاولى للعلماء الاخوان يكتبوا الينا كتابا بالسؤال عن حقيقتنا
مع اولياء الكفار ونكفهم عن الثمن ما قبلوا منهم او اعتقلوه وسلموه وما
كان من نقص في ذلك كله ومن خطا اصلحوه وما خالف الاجماع والسنة وما
كان عليه الائمة رضي الله عنهم نتبرأ ونتبرأ وعابوه وشنعوه وبينوه بالتوبة
منا الرجوع عنه بالحيلة والاحتيال والاخذ العمر بالعزة والرجال فان الله
اوجب على انبيائه تبليغ رسالته وعلى العلماء تبيين مقالته وقد رمى علماؤنا
هذا واحلوا دماءنا واموالنا واغراضنا بغير حجة شرعية ولا امثلة عقلية
ولا نقلية [illegible] حسبنا ونعم الوكيل واشتغلوا في غيبتنا وسبنا وتفويضنا
وانساهم الشيطان ما في الجميع من الوعيد وهذا كله يزعمون انه حمية للدين
ونصح للمؤمنين [illegible] ما بلغني هذا عنهم على الكتب ثم نزل هنا مقدمة
مفرقة وبابا وخاتمة وليس لنا الا لطف الله تعالى وستره وحمايته و
دفاعه عنا ان الله يدافع عن الذين آمنوا ولا الله الموفق للصواب
واليه المرجع والماب عليه توكلت وهو حسبي ونعم الرفيق المقدمة
اعلم ايها الاخ ان الله تعالى تفضل علينا [illegible] من نعم ونقم
من [illegible] وابرار كلاهما امور [illegible] الحمد والشكر في دار الاسلام لانه
الحمد وله الشكر وجعل والبر ولنا كاملا [illegible] الا الله
[illegible] مستغرقة في عبادته [illegible] انه هو
[illegible] الائمة [illegible] صبان [illegible] منه

مناء حتى اذا انا هم من اوان الاحتلام وقاربت البلوغ

فاجاز الحق بغيبه وفضله الممدود ونفحات جوده المشهود

الذي لا يستحقه الكبير دون الصغير ولا الرفيع دون الوضيع الحقير واتيته

ليلته والله على ما اقول وكيل فمن حسبه ونعم الوكيل في حضرة الانبياء

وليس معهم غيرك من الاولياء ومعهم حلقة وبينهم ثلاث جيعات للامر فيها وغرة

منهم بالاهمام لا غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وخليل الله

ابراهيم وكليم الله موسى وروح الله عيسى ومعهم [illegible]

ونبي الله نوح صلى الله عليهم وسلم فقال النبي وهو في بيت رضي الله

عنه وارضاه بتولي امرهم والرضى ولله الحمد والشكر مبشرا بانه [illegible]

عليه وعلى السلام واطلق ذلك بالاذن من سيد المرسلين صلى الله عليه

وسلم وثبت من ذلك كله بان بعد اشياء ثلاثة متماثلة مثلها ووجبت بالحرية

ولله الحمد الرابعة ارجوا من الله ان تكون كذلك الاولى منها النص

على الاعراء كما نص توقع عليها السلام على اعرابه والثانية الهيئة

التي اكرمه الله بها للاجلال انه اطول الانبياء عمرا ولذلك امر محمد

صلى الله عليه وسلم بالقيام له والمشي اليه ليلة الاسراء دون غيره

والثالثة شهادة الحاج العلوي على ملا العكازين كما شهد

الاسم واسيما الحة بمحمد صلى الله عليه وسلم [illegible]

بالتبليغ الرابعة التعميم ان شاء الله تعالى فلبث

فيهم الف سنة الا خمسين عاما مات انه كما وقع من الخلق

لي الشيخ [illegible] النصر [illegible] بعدما انعيته منابح الشيخ [illegible]

والحرمة اللما الابرمنه من بغا بط التحكيم والحرمة وخلافة لواء افضل

الولاية اللامة وقال الخليفة علما على راسك يبقى الاثلام على كثير من احب ومن

كرامي الاقوام والله ذو الفضل العظيم وعند ذلك جلبت والطوف

البلاد واتيته مركل فقير باطرافه والثلاثة [illegible] ان اجمع اليه [illegible]

واقدم اليه بشرى [illegible] يعني [illegible] ورحمة

[illegible] مشاهدة. فلما اراد الله اشغاله عن [illegible] واستعاده

[illegible] اشار الى الشيخ [illegible] ولله الحمد

[illegible]

[illegible]

وكلمته [illegible]

عليه وسلم لا يغضبه: أن أبا بكر رجلا واجدا أخبرك بما كلفت عليه

الشمس مريضا وصغرا تنفقها في سبيل الله بلما أنفقتم والجنة بدار

الجاع ابن المعراج رحمه الله تعالى رحب بي غاية الترحيب، وزين غاية

التقريب، وبسط في رداء الفرح وسعة الصدر، وحملني في دست الحبور

أول المجيء، وخير الرجوع، أنه أكرمني غاية الإكرام، و

أقرى الموينعا بين الدعتبة والإنجاع، جزاه الله بحسن نعيم دار المغان

واستشارني يوما هل يبلغ خيرو قرب للنصارى لعنهم الله وأخبر

أنهم يحبون أهل الفضل ويكرمونهم ويجلونهم مع كفرهم القراح، ومن في

نحو العلماء والصلحاء متيقن صلاة العصر الى الرواح، فلم أرض له ذلك

وفي أقل منه ما عنا لكن [illegible] أن الله تعالى قرن في سابق كلمه

التراه في حكمه أنا جلسنا ذكر اسم الله تعالى كلا الاسم لكفهم

لقوله تعالى واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا وخالد ومن

أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وتارة

بالتهليل للاسم بذكر فقرا أنا وخبرنا بما يحول إنا جاليه، فهي أفضل

وجوه الذكر، واشتغل الحجة بالذكر، أفضل ما قلت أنا

والنبيون من قبلي لا إله إلا الله، من قال لا إله إلا الله

ومن قبله موقنا [illegible] له شفعة الله [illegible] من الكبائر

وإذا بجماعة من النصارى لعنهم الله يتلون [illegible] عن الذكر [illegible]

إلا الذكر في الرأي والفضل كما عنه بالفهم على البيتين ثم بين لنا من اللامي

إلى عشي وصبح [illegible] في مواتبة وملازمته بجنبه وثوبه كله

ولما [illegible] النصارى من بين يدي الرئيس [illegible] علماء وتكلم بعض الكلا

والله [illegible] بما علمت [illegible] ليسعد [illegible] خسعب

[illegible] غاية الروع ويجلونه غاية التبجيل

وأسروا الى غاية الهدية وطلبوا منه الحمل على الدهر فتعاهدت
معهم على ان الاسير كل من وصل بلادنا فيه من غير حسان ما دام بعده
حرب بينهم وبينهم للأسير والنصر وكانوا يعولون على امور منها انهم لا
يضرون احدا من الذين هم من الله فيه ان لا يؤذي من جاء من ضمن
من بلادنا فتبعوا على هذا والله يحكم لا معقب لحكمه
وهو سريع الحساب فقد اخبرنا انهم يقولون بعد
من الحمل اشتغلت في بناء منجورة ارض كان يسمى اوانيك يعني
ان الحرب يصلح منا لهم وانه محبة طريق المسلمين فلعل الله يعز على يده
حيفا به شتاء او ربيعا او صيفا او يحصن جانبه او يخيب في ما يعا
وتلك نيتنا والله يعلمها والمرء يجزى بما نوى ولو تركه
فما البشليوم ما جئت ايدلنا رسول سيدي محمد لحبيب رحمهما الله فقال لي
يا فلان بلغه الامير السلام وقال لك مع الاجلال والاكرام ان الزوايا والمثل
الحلو البعثر والمزابل اخبروا انك انما بنيت هذه الدار للنصارى والحبوس
من امثل البراحة في الامصار فقلت له وما الدليل عندهم واي حامل على ما قالوا
حملهم فقال الواد ليلهم عليه محبة النصارى لك ومحبة فعلوها للخير
من الصلحاء والعلماء فقلت له سبحان الله لعل الله جعل ايمانه
كاملا فقال في ما الموجب في كمال الايمان وكيف يبعث من هذا فقلت لهم يعني
من قوله جل من قائل لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا
اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين
امنوا الذين قالوا انا نصارى الاية اذ تركت تلك
الدار حتى خربت وسقطت وتهدمت حيطانها وقيل لك الامر
فما يؤمن مسلما نعوذ بالله من ذلك ومع هذا لم يزل يقال وفي الشيخ
قال فما غير ذلك من حالته وارجعنا على الغزال قال له ان ابا سر الامر
الحسن و شر الخصال في كل بلد [illegible] [illegible] والحمد لله

سال ابليس عليه اللعنة مثل قول احمد فلو الله اشرفني ومنك
فقال انتم الخاسرون وقال كذلك بعض الخلق بانه اول معصية عصى
الله تعالى بها ما روي ان ابليس لما ان لم يسجد وقال الملائكة عليهم
السلام انا افضل عليكم من اماكنتم واعلى فالواجب عليكم الله تعالى ما
صح في قلبه الحسد ومن الزاهد فيها امتناعه من السجود ان الله
تبارك وتعالى ليبعث لنا النصارى علماء بجوابهم وشيم ابعد شيء وفي امرنا
في بيتهم من المال جاء رسالته لوالدي رضي الله عنه وفيه على فقراء
محلته ونفع الناس بخيره ما ولم ياخذ اعليه ولا على من اتى مخيم فقط
بل ما كان النفع الا امتهم وما امنتهم فكم بكلمة الاخلاص على دينهم او
مردنين ولله الحمد والشكر انهم لعنهم الله تعالى يطلبوا
الينا في امر ما ولم يطلبوا منا امرا الا ان ارسلوا صاحبهم سلم بكتب تعوا ابن
احمد رحمه الله تعالى فانا تاجر فلم اشتغل بما هو به ولا خدمة لابد لجملة حنيفة
ابن احمد وحنيفة ام هم معه طلبا منه احد امن اخوته بنسبهم معه الى احمد
وابنا وليس له وليس معه الا رجل من تكن واخر جكني وسوداني وبعد
ثم بعد ايام بلغنا ان محمد بن اعبيسال سار باشر كالبا فقتله فعلمت ان ذلك
اذا وقع وقع مرح عظيم بين النصارى لعنهم الله تعالى وبين المسلمين و
ارسلت باشا اخوته تمنعوه من قتله وانوخذ به وبعثته الى امليل سالما
والله يعلم نيتي في ذلك وما بلغني ان احدا من فحول علماء الامة محمد بن محمد
سالم وامثاله نعموا علي في ذلك ولا طعنوا فيه بل بلغني انهم استصوبوه
غاية ولا كان ليلى رجال العقل والدين حقا وحقيقة ثم ان النصارى
لعنهم الله تعالى بلغهم خبر صاحبهم وان الباشا الابيض اغروا به ابن
اعبيسال وامروه بقتله فلما اتيتهم بينت لهم حقيقة بنذ ليم انه لا حكم
للاخر عليهم واعتذرت لهم عن ال يطري الله وقلت لهم ما بلغكم عنهم كله
كذب محض وسعيت في اطفاء تلك النار عن الباشا ومن ان يعلمون

فان الله يعلم سبحانه انهم على مجيء بكار الله ان ارسلوا
إلي [illegible] رجلا نصرانيا مع محمد بن الحاج ابن المقرد [illegible] ان
وامسكناهما خمسين ليلة عندنا وارسلت كتبهم نحو امرهم ان احمد بن
سيد احمد فارسل اليهم الجواب على ما طلبوا منه وهو ثلاث مسائل
الاولى ان لا ينتصبا للحرب مع اهل البلد الثانية لا يصطلح مع بكار
الثالثة لا يتعارب مع آل محمد بن خيب فقبل منه ذلك وارسل اليهم بذلك و
رجعوا نحو اهلهم ثم انهم بلغهم ان ما منعتهم من القدوم نحو ان ارخوا لمن
الاطلاع على عورات المسلمين وذلك هو ان الله يعلمه فقرروا على امرهم
[illegible] البحر والبر وارسلوا الى الحاج بن المعراف نحو ابن عمر بكتبهم
وشرحوا متاعهم في اليهم وسلمهم بما ذكرهما اليهم بحسن انه لما كان
عاقبوا منه ان بعثوا الى ذلك الرجل بعينه من بلد المسلمين نحو ان دامسكناه
عندنا نحو اربعة اشهر ونصفا المقامة [illegible] ولو كنت اريد ومن يهم نحو ابن
عمر او نظيرهم في بلاد المسلمين فعلت ذلك على كيد من احبا ومن كبر
ولاكن لم نعتني منه امرا ان [illegible] منهما جانب الله تعالى اذ لا اخرت
مثل هذا لا يصح للمسلمين او لا ولا يحل لنا ان يفعل فعلا حتى يعلم حكم
الله فيه وان [illegible] اتاني منزلة للاخ بما الصواب عند ابن عمر لانه
انتشى ما اتى النهار سلوا اليه فلو بعث اليهم بكتب فيهما عندهم على
ما تقدم فلما طال عليهم عبدان سلتا اليه بمن فيهم من بعث الي كتابا
فيهم فعلت فسخناه ان الله واي ذنب [illegible] منزلة واي التكلم
مع النصارى على المسلمين واي الانتصار فيه في هذا الباب الاول
اعلم ايها الشيخ علينا ان تنكر علينا القدوم الى البلاد التي فيها
النصارى او انا احترامهم اتى الامر والتابها وانا احتملنا للسلامة
من شرهم [illegible] من الاقوال الكلام على اللسان بلا فعل ظاهرا او انا كنا
[illegible] اما ان [illegible] دخول القدوم الى بلدك [illegible]

Bo 1

الملن

القراءة أحدا من هذا الفقير ينكر على القراء كلهم يفعله من غير نكير
فيه وأيضا فان تلك البلاد بلاد إسلام أهلها يوحدون الله تبارك وتعالى
ويبنون المساجد ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون ويحجون و
يتعلمون العلم ويقرءون القرآن وفيهم تلامذتنا ومنهم الذين نعهد
يفدون منها فأما التجار لجمع المال فهم الذين يأتون بلادنا في محل تلامذتنا
ويعرضون علينا صحبتهم وأموالهم الا انا أما الصداقة فلا نقبلها وأما
أموالهم فنأخذ منها وإذا افترانا الغزو في تلك البلاد ينكر على أهل الإسلام من ينكر
عليه ذلك إذ لم تنفذ أحكامهم علينا ولم يحصل لنا به الجواب قال أنه
الحمد لله العزيز والتبجيل غاية التبجيل والإكرام وأما تلك البلاد إن أعلموا أنكم
قادمون منها لذلك انتهى ونائلون في حملتنا التي عملتم الآن ولله الحمد
جواب السؤال الثاني وهو أخذنا أموالهم إذا أغرنا عليها المذهب
من قولها وما قالوه ما أنتم أيها المستشعرون أخذ أموالهم على حقيقة من ثوبنا بالحق
من حكم الله تعالى وأيضا أما أن يقولوا بمنع الانتفاع بأموالهم بشراء أو هبة
أو هدية ونحو ذلك فإن قلتم بالأول أنكرتم الضروريات من الأحكام وإن قلتم بالثاني
فأي الحجة أنهم مجبورون لا تصح منهم أم غير ذلك فبينوا وأيضا أنتم من قول من
وقول متصرف به لذلك لا يكره للمسلم أن يفعل ما تصرفوا به لطلب أو تمليكه
وكذا المواتهم أو ما اشتروا به في عيادة منهم لأنه إعانة لهم على تعظيم شركهم أو كفرهم
حتى إلباقه فيتبعهم من هذا أنما اشتروا لغير ذلك لا يكره جواب الحرمة
فلم تذكروا ما اشتروه من رقيق المشركين أن الشيخ حاربهما وفي كلامه وجعل ومن
في تلك الشاة التي أهدتها له اليهودية وجعلت فيها سما فلما شرع صلى الله
عليه وسلم ومعه الصحابة في أكلها وأخذ الذراع فقال النبي صلى
الله عليه وسلم هذا الذراع يخبرني أنه مسموم
ثم قال لهم كلوا بسم الله وكلوا من ذلك جزيته عنه وأخبر بشيء له
صلى الله عليه وسلم وذلك خير من غير من تقليد وكان يرعونهم الرابع

الاسلام حجة واعلمه صلى الله عليه وسلم اسرار ذلك فلما رجع من بلاد بني
ربيعة جاءهما فجلس بينهما ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم
فلما راياه رد البعير جاثيا اليه شكى الحال مع غلام لهما اسمه عداس
نصرانيا فلما شرع صلى الله عليه وسلم في اكله قال بسم الله
عليه وسلم فاكب الغلام عليه يقبل يديه ورجليه فقال صلى الله
عليه وسلم من اي البلاد انت يا عداس فقال من اهل نينوى فقال صلى الله
عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال وما اعلمك ما يونس بن
فقال صلى الله عليه وسلم ذلك اخي كان نبيا مثلي فلما رجع الغلام
الى سيديه قالا له الذي [illegible] فعل ذلك فقال سمعته
يقول كلاما لا يعلمه امثال الذي [illegible] اعنقتم اليها المتشبثون [illegible]
ومن ذلك قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
ابتغيتم [illegible] من ابينا الخليل ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة و
السلام اذ اهدى الملك [illegible] هاجر [illegible] سارة وامرتها لابراهيم
عليه السلام فولدها ابنه اسماعيل جد نبينا صلى الله عليه وسلم
وان قلتم ان [illegible] شرع من قبلنا [illegible] شرع لنا ما لم ينسخ
ومن الم ينسخ ما علمتم من فعله صلى الله عليه وسلم [illegible] شرع
ابراهيم عليه السلام وقال بعض العلماء ان شرع سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم شرع ابراهيم لقوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابراهيم [illegible] النبي صلى الله
عنه استفتاءا [illegible] من قرى المسلمين [illegible] ان يصيبوا [illegible] النصارى
[illegible] عليه [illegible] الثاني انه [illegible] على [illegible]
واما الثاني ان [illegible] السلاح [illegible]
في الجهاد [illegible] على ما يجوز [illegible] ان كانت
من بعض [illegible] ان كانت من [illegible]

عند البناني على قوله لكفاية ما نصه فيهم ويسرا ومكافأة له او لجاه
بين لهما ونحو ذلك فقال وسواء دخل بلد العدو ام لا وان كانت من بعض للامام
للكفاية فيختص بها المسلمين من غير تخميس ان كانت قبل دخول بلد الحرب والا
فغنيمة ومفهوم قوله انها ان كانت من بعض لغير الكفاية فيختص بها المسلم
بالاولى من الاطلاق دخل بلده ام لا ولغير قرابة فكهدية للامام ليس فيها تفصيله
ثمان صور **وقال البناني عند قول خليل او لم يدخل**
بلده ما نصه اي فان دخل فهي غنيمة تخمس [illegible] الشارح وغ وهو
الذي في الحطاب عن ابن رشد خلافا لقول البساطي فيخمس فيها منه
قول مصطفى ولم ار من تبع اهل المدينة في ارض الحرب كما قال البساطي اهـ
ذكر عبد الباقي في بعد التملك الاول ثمانيا اخر [illegible] قال فجملة الصور
المسائل ست عشرة ثم جعل بعضها وكلها [illegible] لا يحكى في بعضها
تكون للمهدى له خاصة وفي بعضها تكون فيئا وفي بعضها غنيمة اهـ فاذا
علمت جميع ما تقدم من الاحاديث ونصوص الفقهاء علمت ان لا محظور
في هدايا النصارى الا ما تقدم من كراهة ما يهدونه في اعيادهم ونحو ذلك
واما الامر الثالث وهو انا املنا السلامة من شرهم بقولهم
الكلام فيه جاء مفصلا في ذلك على ما سيأتي ان شاء الله تعالى قال الله
تعالى **لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين**
ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء قال الفخر الرازي
في مفاتيح الغيب في كيفية النظم وجهان الاول انه تعالى لما ذكر ما يجب
ان يكون المؤمن عليه في المعاملة بتعظيم الله تعالى ثم ذكر بعده ما يجب
ان يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس لان كمال الامر ليس الا في
شيئين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله قال لا يتخذ
المؤمنون الاية الثاني لما بين انه تعالى مالك الدنيا
والاخرة بين انه ينبغي ان تكون الرغبة فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه

وفي الآية مسائل المسألة الأولى في سبب
النزول وفيه الأول جاء قوم من اليهود إلى قوم من المسلمين ليفتنوهم عن
دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الرحمن بن جبير وسعيد بن خيثمة
لأولئك النفر من المسلمين اجتنبوا هؤلاء اليهود واحذروهم أن
يفتنوكم عن دينكم فنزلت هذه الآية إلى أن قال فإن قيل إنه تعالى قال
ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومثل صيغة الكلام
قلنا معنى الآية فليس من ولاية الله في شيء وهذا لا يوجب
الكفر في تحريم موالاة الكافرين إلى أن قال اعلم أنه تعالى أنزل آيات أخر في
هذا المعنى منها قوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم ثم عدد
آيات أخر ثم قال واعلم أن كون المؤمن مواليا للكافر يحتمل
ثلاثة أوجه أحدها أن يكون راضيا بكفره ويتولاه لأجله وهذا ممنوع منه
لأن كل من فعل ذلك كان مصوبا له في ذلك الدين وتصويب الكفر كفر والرضى بالكفر
كفر فيستحيل أن يبقى مؤمنا مع كونه بهذه الصفة إلى أن قال وثانيها
المعاشرة الجميلة في الدنيا بحسب الظاهر وذلك غير ممنوع منه
القسم الثالث وهو كالمتوسط بين القسمين الأولين هو أن موالاة
الكفار بمعنى الركون إليهم والمعونة والمظاهرة والنصرة إما بسبب القرابة
أو بسبب المحبة مع اعتقاد أن دينه باطل فهذا لا يوجب الكفر إلا أنه منهي
عنه لأن الموالاة بهذا المعنى قد تجره إلى استحسان طريقته والرضى
بدينه وذلك يخرجه عن الإسلام فلا جرم أن هدد الله تعالى فيه فقال
ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ثم قال تعالى إلا أن
تتقوا منهم تقاة قال الخازن في معنى الآية إن الله تعالى نهى
المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم إلا أن يكون الكفار
غالبين ظاهرين أو يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم بلسانه وقلبه
مطمئن بالإيمان دفعا عن نفسه اهـ المراد منه وقال في روح البيان

الا ان تتقوا استثناء من اعم الاحوال كانه قال لا تتخذوهم اولياء ظاهرا
ولا باطنا في حال من الاحوال الا حال ان تتقوا منهم اي من جهتهم تقية
اي اتقاء بان تغلب الكفار او يكون المومن بينهم فان اظهار الموالاة
حينئذ مع اطمئنان النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من شق
العصا واظهار ما في الضمير كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش
جانبا اي كن فيما بينهم صورة وتجنب عنهم سيرة [illegible] اه

وقال الفخر الرازي رحمه الله تعالى بعد
بحث طويل المسئلة الثالثة قال الحسن اخذ
مسيلمة الكذاب رجلين من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لاحدهما اتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم نعم نعم فقال
اتشهد اني رسول الله قال نعم وكان مسيلمة يزعم انه رسول بني حنيفة
ومحمد رسول قريش فتركه ودعا الاخر فقال اتشهد ان محمدا رسول
الله قال نعم قال اتشهد اني رسول الله قال اني اصم ثلاثا فقدمه
وقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما هذا
المقتول فمضى على يقينه وصدقه فهنيئا له واما الاخر فقبل رخصة
الله فلا تبعة عليه واعلم ان نظير هذه الاية
قوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان
المسئلة الرابعة اعلم ان للتقية احكاما كثيرة ونحن نذكر بعضها
الحكم الاول ان التقية انما تجوز اذا كان الرجل في قوم كفار و
يخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم باللسان وذلك بان لا يظهر العداوة
باللسان بل يجوز ايضا ان يظهر الكلام الموهم للمحبة والموالاة ولكن
بشرط ان يضمر خلافه وان يعرض في كل ما يقول فان التقية تاثيرها في
الظاهر لا في احوال القلوب الحكم الثاني للتقية هو انه لو
افصح بالايمان والحق حيث يجوز له التقية كان ذلك افضل ودليله

ما ذكرناه في قصة مسيلمة **الحكم الثالث للتقية** انها تجوز فيما يتعلق باظهار الموالاة واخفاء المعاداة وقد تجوز ايضا فيما يتعلق باظهار الدين فاما ما يرجع ضرره الى الغير كالقتل والزنى وغصب الاموال والشهادة بالزور وقذف المحصنات واطلاع الكفار على عورات المسلمين فذلك غير جائز البتة **الحكم الرابع** ظاهر الاية يدل على ان التقية انما تحل مع الكفار الغالبين الا ان مذهب الشافعي رضي الله عنه ان الحالة بين المسلمين اذا شاكلت الحالة بين المسلمين والكفار حلت التقية محاماة على النفس **الحكم الخامس التقية جائزة لصون النفس** وهل هي جائزة لصون المال يحتمل ان يحكم فيها بالجواز لقوله صلى الله عليه وسلم من قتل دون ماله فهو شهيد ولقوله صلى الله عليه وسلم حرمة مال المسلم كحرمة دمه ولان الحاجة الى المال شديدة والماء اذا بيع بالغبن سقط فرض الوضوء وجاز الاقتصار على التيمم دفعا لذلك القدر من نقصان المال فكيف لا يجوز هاهنا والله اعلم **الحكم السادس** قال مجاهد هذا الحكم كان ثابتا في اول الاسلام لاجل ضعف المومنين فاما بعد قوة دولة الاسلام فلا وروى عوف عن الحسن انه قال التقية جائزة للمومنين الى يوم القيامة وهذا القول اولى لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان واذا تاملت ايها الناقد البصير والعالم الخبير ما قاله العلماء في تفاسيرهم علمت يقينا ان النصارى لعنهم الله اليوم في غاية الغلبة والتغلب والقهر لنا واتم بالعداوة والبغض والكفر والمكر والخدع والحيل والاحتيال والفجور والضلال وان اهل هذه البلاد في غاية من المسكنة والضعف والذلة والافتقار والعجز والكسل والاضطرار وان كلمتهم في غاية من الاختلاف لا يجمعهم الا الله تعالى وان الطائفة على السلاح والخيل والرماح المبلغ في الزمان

والارتياب

ولو سبعة رجال بينهم وأسلحة ولا زاد إذا أمنوا منه على السلامة
من شره وأيضا نصوص الفقهاء في معاهدتهم كثيرة من ذلك قول أبي
محمد بن أبي زيد في رسالته ولا يخفر لهم بعهد وأما الحجة للتكثير إذ هذا
كله من الإسلام لننبه أن هذا لا يحتاج إلى دليل لأنه من الضروريات

المسألة الثانية وهي أن بعض الناس

أنكر أننا أجرنا سلمي ومنعناه من أخذه وقتله **أعلم** أن هذا فعله
الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقد شهد العباس بن عبد
المطلب أجار أبا سفيان بن حرب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو حربي حتى تركه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت أم
هانئ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت
ابنكي الرهونين وغيره وكذلك فعله عثمان أيضا رضي الله عنه
وعن الجميع بترك له رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجار
انظر جماعة أو غيره وفي الحديث يجير على المسلمين أدناهم
وهذا الحديث استدل به ابن القاسم على جواز تأمين مسلم
لكافر وكذلك استدل مالك رحمه الله تعالى على جواز التأمين من غير
الإمام بما روي من قوله صلى الله عليه وسلم ذمة المسلمين واحدة
يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل انظر الزرقاني **وأما نصوص**
الفقهاء ففي الكافي لابن عبد البر ما نصه وكل رسول طلب الأمان أعطيه
وكذلك كل مستجير جاء ليسمع كلام الله حتى يعلم ما عنده ثم يرد إلى
مأمنه اهـ **وفيه** من خرج من بلاد الحرب إلى بلاد الإسلام يطلب الأمان
أعطيه وكذلك لو وجد فادعى أنه جاء يطلب الأمان قبل منه إلا أن يغرر
هذا **فاعلم** أن الأمان يكون باللفظ أو إشارة مفهمة أي شأنها فهم
العدو منها الأمان وإن قصد المسلمون ضده كعمنا لهم النص

وطلبنا ان نقتلهم فكتبوا اليك اما انا فيحصر دمه وماله انظر تكميل
الباجي والبناني رضي الله عنهم اجمعين الكبرى مما روي ان عمر كتب
الى سعيد بن عامر وهو محاصر قيسارية ايما رجل من المسلمين منكم او عبد
فهو امن حتى يرد الى مأمنه او يقيم فيكم فيكون على الحكم في الجزية انظر
الشيخ هو نص وكتبوا انه اتفق جواز الاحسان فاعلم ان من نزل النصراني فقد
ثبت له الامان من الامير ومنا اما بصريح اللفظ او بما يفهم منه الاعلان
وان اعتقد انه امن فلا يتعرض له ولو لم يحصل الامان حقيقة كما تقدم
عن عبد الباقي ومن التصريح على عدم جواز التعرض لمن امن قول
ابن ابي زيد ولا يقتل احد بعد امان قال ابو الحسن كان الامان من اهل الاسلام
او غيرهم على المشهور لقوله تعالى ان الله لا يحب الخائنين ولما جاء من
قوله صلى الله عليه وسلم ينصب للغادر لواء يوم القيامة فيقال
هذه غدرة فلان اه وقال ابو عمر في الكافي ومن قتل كافرا بعد امان فعليه
في ديته ان كان مسلما وان كان ذميا فديته اه ان تعمد قتله فتحصل من
هذا ان التامين جائز لكل مسلم وان التعرض لمن امن لا يجوز اذ صار له
ذمة فلهذا امن تعرض لقتل هذا النصراني المؤمن جار ووجب منعه
منه بحق الامان ولا سيما ان كان يحصل بقتله ضرر عظيم للمسلمين
كافة لما بهم به فهذا حكم كلام في عموم التعرض لمن امن وقتله لانه
يمنع ان يفعل امرا فيه ضرر للمسلمين لا يكون مثله كما هو معلوم ثم قيل
على جواز التامين هذا لم يكن المؤمن جاسوسا والا فلا يؤمن ومن الرجل
جاسوس فيما يحكى لنا انه يحتمل ان يكون جاسوسا او يكون متنصحا او ان
يكون طالبا التجر على قومه بانه بلغ الموضع الفلاني ولقي فلانا
ونحو ذلك وهذا الاحتمال الثالث اقرب اذ سمعنا منهم يفتخرون بذلك ويعتنا
قومهم يحسدونهم على ذلك ويقولون لنا الا نعجب بلاد يذهب اليكم
لكثرة ما يفتخر علينا بذلك وانما حملناه على الاحتمال الاول واقسم

جاسوس للعدو فاعلم ان ابن بشير نص على ان الجاسوس حكمه حكم
الاسير في نصه ولو وجد منهم من ادعى انه مستأمن فاطلع على انه عين
الحربيين لاهل الملة وحكم فيه الامام بحكم الاسير وان ادعى انه حكمه حكم
الاسير فاعلم ان في الاسير خمسة اوجه قال ابن بشير في الاسير
ويكون الامام فيه مخيرا بين خمسة اوجه القتل والاسترقاق او ضرب
الجزية والمفاداة والمن عليهم ولا ينبغي ان يفعل امرا من الاوجه الا بحسب
ما تقتضيه المصلحة فيه انه **وقال الشيخ خليل كالنظر**
في الاسرى بقتل او من او فداء او جزية او استرقاق انه وقال
عبد الباقي فعلى قوله كالنظر اي كما يجب النظر من الامام بالمصلحة في
الاسرى اي اذا علمت ان الجاسوس حكمه حكم الاسير وعلمت ان الاسير
يجب النظر فيه بالمصلحة وكنت من اهل الراي والنظر تحققت ان المن على
هذا النصراني متعين اذ اكنت خبيرا باحوال المسلمين وضعفهم واختلاف
كلمتهم وشدة حاجتهم الى السفر في ارض النصارى بالتجارة وغيرها
واذا قتل هذا النصراني فالمسلمون بين امرين [illegible] اما ان يتركوا
القدوم الى بلادهم ولا مضرة فوقهما كما هو معلوم واما ان [illegible]
ان ينتابوا [illegible] ومعلوم ان النصارى لا يحتملون ان كل فرد [illegible] منهم اي
بلاد المسلمين [illegible] في بلادهم حيث شاء والا فهو من الامر [illegible]
فيتمكنون من اشراف المسلمين ويحكمون فيهم بما شاءوا من قتل او فداء باموال
جزيلة ويذهبون بهم الى ارضهم ولا مبشرة اكبر من هذا فيتعين كون المصلحة
في المن عليه وتامينه ليسلم المسلمون من ضرر النصارى ويكفي هذا من الجواب
عن هذه المسألة التي اشتهرت منها انكار بعض الناس ضيافتنا الرفق علينا
من النصارى لعنهم الله فاعلموا ان القائم عليها منهم لم يأت
[illegible] من الاموال والزاد المبلغ ما يغني كثيرا من الناس ولم يحتاجوا
البتة في الطعام البتة بل ينفقون على انفسهم وعلى من شاءوا ان يطعموه

يجيئون بما يزود كثيرا من الناس الى بلد بعيد ثم اذا افتقر انا اكلنا منهم
في بعض الاوقات فما ينكر علينا في ذلك الى ان نعلم ان ذلك او كعلمكم
حل لهم وقال الفخر الرازي وبعد ذلك ان تطعموهم
من طعامكم اه وقال الزمخشري لا جناح
عليكم ان تطعموهم اه وقال البيضاوي عند قوله تعالى لا ينهاكم
الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين الى ما نصه
قال الاصل التاويل منه اي الاية تدل على جواز البر بين المشركين والمسلمين
وان كانت الموالاة منقطعة وقوله تعالى وتقسطوا اليهم
قال ابن عباس يريد بالصلة وغيرها ان الله يحب
المقسطين يريد اهل البر والتواصل وقال مقاتل
ان توفوا لهم بعهدهم وتعدلوا اه وايضا الضيف التي هي قرينة و
الكافر وليس من امثلتها بجواز اكلهم منها اذا كان في عيالهم او غشيهم ومنهم
بالكلو بلا خلاف والضيف من العيال كما في عبد الباقي في البيان عند
قول خليل والاطعام كما في ما نصه وروى عن مالك الاباحة ثم رجع الى الكراهية
قال ابن القاسم والاول احب الي فعلى الاول بشرط اختلاف قول مالك انما هو
يكن في عياله واما ان كان فيهم او غشيهم ومن يكلو فلا باس من غير خلاف
وقال الرهوني للخلاف بين قولي مالك بل ذكر البعض انهم اذا
لم يكونوا في عياله ويجوز اطعامهم اذا كانوا في عياله هذا حاصل
ما في البيان وتعليق بالصحة اه من المراد منه وفي مثل عبد
الباقي في العيال بالاكل والضيف والغرباء بالاجتهاد بجواز اطعامهم
من الضحية بغيرها اخرى واولى بلا نية الا التسليم وفي البحر المورود
للشعراني رضي الله عنه اخذ علينا العهد ان نكرم كل ضيف ورد علينا
سواء كان مومنا او كافرا او غير انسان من سائر الحيوانات او غيرها حتى

مثل الاعياد والساعات من البروج والرقايق والثواني والخواطر والواردات
كل صنف بما يناسبه فيكرم الضيف المسلم بالبشاشة واطعام الطعام و
البشر والعطاء ولين الكلام له ونحو ذلك قال بعضهم وينبغي ان تزيد في
البشاشة والاكرام للضيف الكامل في البعد عن الاسلام ويكرم الايام
والساعات والبروج والرقايق والثواني بالطاعات وانواع كثيرة من
ذكر الله عز وجل وكثرة الاستغفار ليتبارك فينا ومن شاء كسب
الدوام اذا رجعت الى الغيمان الواردات والخواطر بتنظيفها من اخلاط من
الحرام والشبهات فان لم يقع منا اكرام لما ذكر اكثرنا من الاستغفار وفي
البحر المورود ايضا للشعراني رضي الله عنه اخذ علينا
العهود ان لا نتكلف للضيف ولو كان من اعز الناس او من الصالحين
من الباب التكلف الذي نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقوله نحن معاشر الانبياء برآء من التكلف ثم قال لكن محل ذلك فيما لا نحو ل
فيه مصلحة اما تكلفنا للضيف كالذي يحب السلامة او غلام خير حل
توبته فان التكلف في مثل ذلك محمود كما بينا في غيرها وهو بالله تعالى التوفيق

ام الخاتمة في ثلاث مسائل الاولى في

بيان صحة تكفير المسلم الثانية في ذم الجهل الذي حمل اكثر الناس على
الانكار علينا جهلا الثالثة في ذم التهيير الذي حمل بعض الناس
على الانكار علينا وفي ذم الغيبة التي اطلقوا بها السنتهم اليها المسالة
الاولى في صفات الشعراني ما نصه حين
سيدنا ومولانا شيخ الاسلام تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى
عن حكم تكفير غلاة المبتدعة واهل الاهواء والمتقولين على الذات المقدسة
فقال رضي الله عنه **اعلم ايها السائل** ان كل من خاف من الله
عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن قال لا اله الا الله محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ التكفير امر هائل عظيم الخطر لا يعرف صاحبه

وكذا ما اخبروا به عن فتنته في الاخرة المخلود في النار ابد الابدين وانه في النار
مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجري عليه احكام المسلمين لا في
حياته ولا بعد مماته والخطأ في نفي الف كافر اهون من الخطأ في سفك محجمة
من دم امرئ مسلم وفي الحديث ان يخطئ الامام في العفو احب الي من ان
يخطئ في العقوبة ثم ان تلك المسائل التي يفتي فيها بتكفير هؤلاء
القوم في غاية الدقة والغموض لكثرة شعبها واختلاف قرائنها وتباين وجوه
دواعيها والاستقصاء في معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه والاطلاع
على حقائق التاويل وشرائطه في الاماكن ومعرفة الالفاظ المحتملة للتا
ويل وغير المحتملة وذلك يستدعي معرفة جميع طرق اهل اللسان من
سائر قبائل العرب في حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقائق
التوحيد وغوامضه الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على اكابر علماء عصرنا
فضلا عن غيرهم واذا كان الانسان يعجز عن تحرير معتقده في عبارة فكيف
يحرر اعتقاد غيره من عبارته فما بقي للحكم بالتكفير الا من صرح بالكفر
واختاره دينا وجحد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة وهذا
نادر وقوعه فالاحسن الوقوف عن تكفير اهل الايمان وابو البرع(?) والتسليم
للقوم في كل شيء والفرع عن الايغال في خوض التصرف ان كلام السبكي
ه في فتاو… وعليه ما نصه ما قولكم في جماعة يذكرون الله تعالى ويقولون
في آخر ذكرهم بعد سكتة لا اله الا الله سيدنا محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يقصدون بقولهم معبودات الا الله تعالى بل يقصدون به الرسول
صلى الله عليه وسلم فافتى بكفرهم بعض طلبة العلم … على
هؤلاء الذاكرين في البرزخ(?) فاجبت بما نصه الحمد لله والصلاة
والسلام على رسول الله لا ينبغي تكفير الذاكرين ولو صح قولهم معبودات
هي … رسول الله فاصر … معبودات الا الله تعالى لما عظم
واحتار … رسول الله لصحته لفظا ومعنى عربية وشرعا ه

اذ هو اخبار عن الضمير الراجع للمبتدأ بجملة يشهد ان محمدا رسول الله غاية الامر
انه اقيم فيها العقد للجلالة مقام الضمير لمزيد التبرك به مثلا الا ترى انهم لو قالوا
الله محمد رسوله او الله هو محمد رسول الله لم يتوقف منكم في
تكفيرهم وكذا قولهم الله هو محمد رسول الله مع انهم لا ينطقون بلفظ
هو انما يمدون ضمة هاء الجلالة ثم تجرأ على تكفيرهم بذلك بعد حملهم على الامر
في غاية الجهل والتخليط والصعوبة وانه نفسه وبعضهم زاد عليها بالجهل
المركب واتباع الهوى وعدم الديانة فانا لله وانا اليه راجعون كيف وقد
قالوا ان كان للتكفير تسعة وتسعون وجها وللعصمة وجه واحد فانه يقدم و
لا يفتى بالكفر الموجب للقتل وحل العصمة وعدم الميراث وغير ذلك من احكام
الفعلية والبعث بكبرهم هذا انما هذه اكثر مما ينظرون نعوذ بالله وانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والله سبحانه و
تعالى اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم وقال في موضع آخر
ومن المسلم ما يقدم عليه الابا [illegible] ومات على ذلك [illegible] فلا بد من
امتحان النظر فيه وتكفي هذا في هذه المسالة لمن يقف عند الحق المسألة
الثانية في ذم اهمال الرجل الكثير الناس على الانكار
على من انكار عليها اعلم انها المنكر انك اذا اهملت كونها على الحق
وانكرت فعليك اثمان اثم الجهل واثم الفعل فيه البنا بني عن الغزالي ان من فعل
معها جهلا فعليه اثمان اثم الجهل واثم الغرور انظره عند باب البيوع ثم
اعلم ان الجهل امر كليع فيه مفسد للدين والمروءة ان سا الدين فلان
صاحبه لا يمكنه ان يكون تقيا او ورعا ولو اجتهد فيهما فلا بد ان يقع في الكبائر
وهو لا يعلم ومن صنع متربص لم لعدم الرشد وايضا تفسد صلاته وهو لا
يعلم ويبطل صومه كذلك [illegible] يقع في انواع الربا والانكحة الفاسدة فهلم
الى غير ذلك ما لا يطلع عليه واما في المروءة فلانه يقتضي اهمله كثيرا في المحافل من
اقبح ما يقع للجاهل [illegible] على الحاضر امورا في خفيها العالم

ومن رزق ما يشتغل به الجاهل ويكثر الكلام فيه بلا حجة الا التهمر الذي يسرق الشيء الذي لا يلتفت اليه فانه اكلة العالم ويترك الجواب سكته ولا يعرف له من اعظم الاثم والعضيمة ان امثال الجهول ومنهم لا يفهم الجهول ولا يعلم الحجج ومع ذلك يطول لسانه بما يفضحه ويشتم به وان سكت العالم ممتثلا واعرض عن الجاهل فهليس وكانه قال الجاهل ما قاله الخليل بن احمد رحمه الله عليه.

لو كنت تعلم ما اقول عذرتني ... او كنت اجهل ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت انك جاهل فعذرتكا

وفي البخاري رحمه في الحديث ان من علم على غير علم كان اثمه على من افتاه وان العامل بغير علم يفسد اكثر مما يصلح وفي الاحياء وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء فقيل فمن الملوك فقال الزهاد فقيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لان الخاصية التي يتميز بها الناس عن سائر البهائم هو العلم فالانسان انسان بما هو شريف لاجله وليس ذلك لقوة شخصه فان الجمل اقوى منه ولا بعظمه فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه ولا باكله فان الثور اوسع منه بطنا ولا بجماعه فان اخس العصافير اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال بعض العلماء ليت شعري اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فاته من ادرك العلم وعن جابر ابن العوام انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير العلم فضلوا واضلوا وهذا الحديث متفق على صحته رواه سبعمائة رجل عن هشام عن عروة عن ابيه عن عبد الله بن عمرو ورواه مسلم عن عبد الله بن محمد عن يزيد عن حماد روايه عن سعيد عن هشام صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

يغفر فيه الجهول وملكت الوجول وانقرض العلم ورفعه [illegible] وعنه
الجهل لو علمت نصول [illegible] والاكتساب ومن الجهل غير محتاج اليه في
خزانة الاسرار روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اطلعت ليلة
المعراج على النار فرأيت اكثر اهلها الفقراء فقالوا يا رسول الله امن
المال قال لا ولكن من العلم [illegible] يتعلم العلم ولم يسمع ولم يجالس العلماء الا
[illegible] الغفلة [illegible] يعفون لو ان رجلا عبد الله تعالى [illegible]
ملائكة السماء بغير علم كان من الخاسرين اه المسألة الثالثة
في ذم الحسد [illegible] على [illegible] في ذم الغيبة التي
اعلموا ان الحسد [illegible] في الاحياء لابي حامد الغزالي رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب [illegible] قال صلى الله
عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد
الله اخوانا قال صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن احد
الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا
تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ قال صلى الله عليه وسلم دب اليكم
داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة
الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة
حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا
السلام بينكم روي ان موسى عليه السلام لما تعجل الى ربه راى في ظل العرش
رجلا فغبطه بمكانه فقال ان هذا لكريم على ربه فسأل ربه تعالى
ان يخبره باسمه فلم يخبره وقال احدثك من عمله ثلاث كان لا يحسد الناس
على ما اتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة
قال زكريا عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط
لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم

لنعم الله أعداء قيل ومن هم قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله وقال بعض السلف أول خطيئة كانت هي
الحسد حسد إبليس آدم عليه السلام على رتبته فأبى أن يسجد له فحمله
الحسد على المعصية وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ
وحسب الحسود ما يلقى وقال أعرابي ما رأيت ظالما أشبه
بمظلوم من حاسد يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن
آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من
أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار وقال بعضهم
الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا
ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا ولا ينال
عند الموقف إلا فضيحة ونكالا وقال بكر بن عبد الله كان
رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن إلى المحسن بإحسانه
فإن المسيء سيكفيكه إساءته فحسده رجل على ذلك المقام والكلام
فسعى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك
أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإذا دنا منك
وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال له انصرف حتى أنظر فخرج
من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل
من عنده وقام بحذاء الملك على عادته فقال أحسن إلى المحسن بإحسانه
فإن المسيء سيكفيكه إساءته فقال له الملك ادن مني فدنا منه فوضع
يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه رائحة الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى
فلانا إلا قد صدق قال وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة
فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه و
اسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إلي فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل
الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب قال خط الملك بصلة فقال هبه

في فقال هو لي فاخذه ومضى به الى العامل فقال العامل في كتابك ان اذبحك
واسلخك فقال ان الكتاب ليس لي فالله الله في امري حتى تراجع الملك فقال
ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد
الرجل الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال
لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال الملك انه ذكر لي انك تزعم اني ابخر
قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على انفك قال لانه اطعمني طعاما فيه
ثوم فكرهت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفاك المسيء اساءته
اه من الاحياء مع تغيير ما **واما الغيبة اعاذنا الله منها**
فهي الاغتياب اي كما قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب
احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه **وقال** عليه الصلاة
والسلام كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه **والغيبة**
تناول العرض وعن جابر وابي سعيد **قالا** قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنى فان الرجل قد يزني
ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وصاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر
له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت
ليلة اسري بي على اقوام يخمشون وجوههم باظفارهم فقلت يا جبريل
من هولاء قال هولاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم **وقال**
سليمان بن جابر اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا
انتفع به فقال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي
وان تلقى اخاك ببشر حسن وان ادبر فلا تغتابنه وقال البراء خطبنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال
يا معشر من امن بلسانه ولم يومن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم
فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف
بيته وقيل اوحى الله الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو

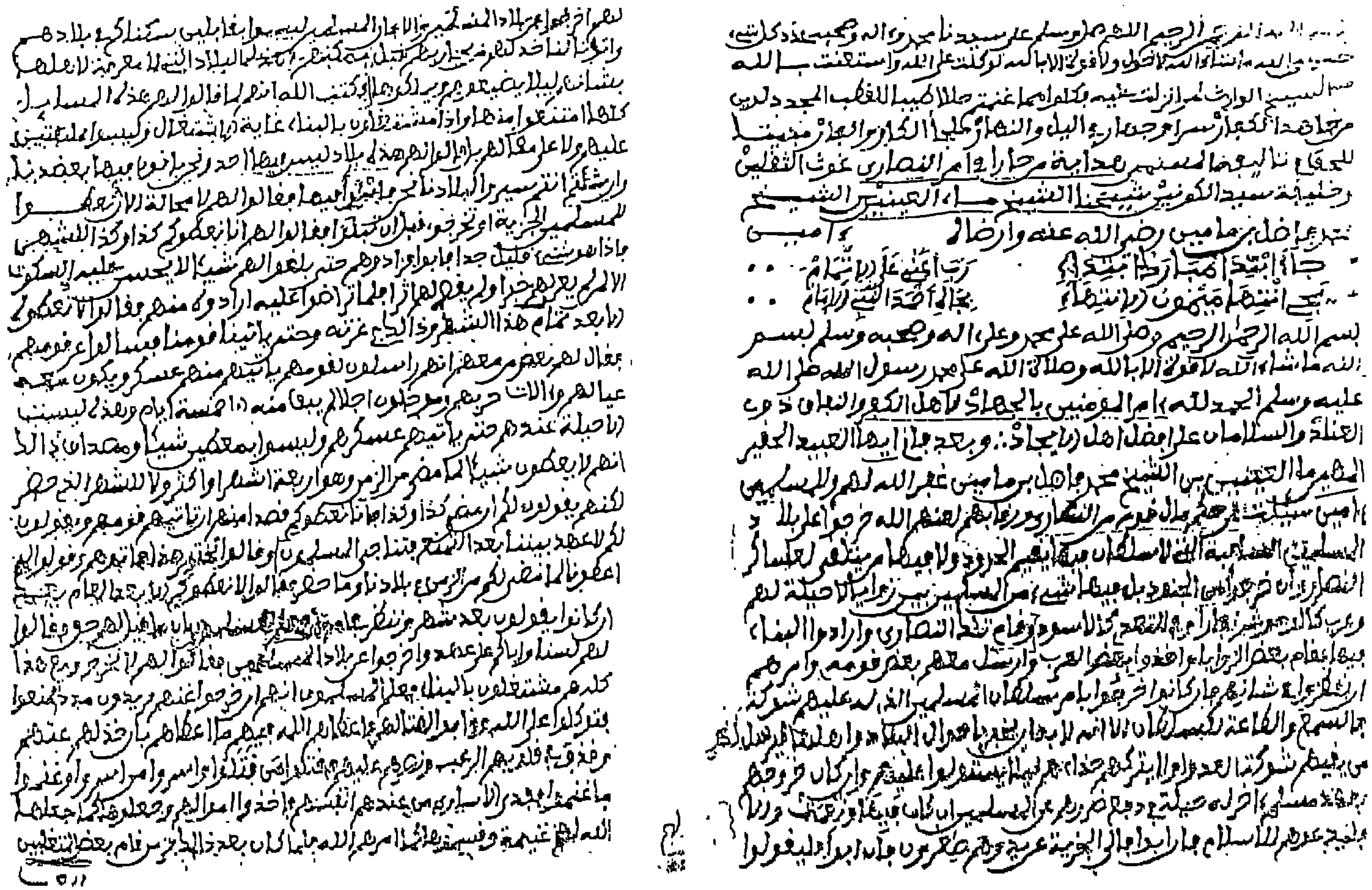
الجنة ومات وهو يغتابهم [...] دخل النار. وقال انس
[امر رسول] الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم فقال لا يفطرن احد حتى
آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتاتان من اهلي ظلتا صائمتين وانهما تستحييان ان تاتياك
فائذن لهما ان تفطرا فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ثم عاوده فاعرض
عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف يصوم من ظل نهاره ياكل لحم
الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين ان تستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما
فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة دم فرجع الى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيت في بطونهما لاكلتهما النار
وفي رواية انه اعرض عنه ثم جاءه بعد ذلك فقال يا رسول الله انهما
ماتتا او كادتا ان تموتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايتوني بهما
فجاءتا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدح فقال لاحداهما
قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح وقال للاخرى قيئي
فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم
الله عليهما جلست احداهما للاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال
انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الربا وعظم شانه
فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست
وثلاثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم لما رجم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ماعزا في الزنا قال رجل لصاحبه هذا
اقعص كما يقعص الكلب فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
معه بجيفة فقال انهشا منها فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما
اصبتما من اخيكما انتن من هذه وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في
الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة وقيل له كله ميتا كما اكلته حيا فياكله فيضج
ويكلح وروي مرفوعا كذلك وعن مجاهد انه قال في ويل لكل

كانتا صائمتين فاذن لي ان افطر فياذن له حتى جاء رجل فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم

هم كلهم لمزة همزة الطعان في الناس وهمزة اللمزة [illegible]
قتادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة ثلث من الغيبة وثلث [illegible]
وثلث من البول وقال رسول الله ﷺ للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكلة
في الجسد وكان الحسن يقول يا ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان
حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك حتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب فتصلحه
من نفسك فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله
من كان هكذا وقالت عائشة [illegible] امرأة قلت للمرأة مرة
وأنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال
الفظي فلفظت مضغة لحم وقال النبي صلى الله عليه وسلم
هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك
بما يكره قال أرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد
اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته والله أعلم [illegible]
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

[illegible] بحمد الله وحسن عونه على يد ناسخه [illegible] الشيخ [illegible]
[illegible] وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

نسل أصحاب الطريقة القادرية الرافضين المعارضين المقومين للمستعمر الفرنسي ويرد في هذا المخطوط على الذين هادنوا المستعمر الفرنسي وقد استند في موقفه الرافض هذا من القرآن والسنة النبوية المطهرة.



من عرب وقال انه يريد بهذا المال ان يخشى ان النصارى يكتسبوا ما انظر عسكر
العسكر معه بعض رجال المسلمين في المال والدهبات مع ان النصارى لم
يخبر وامراتهم يتخذ معه وما بعثه وكرر له الخبر انه بعد جعل المسلمين معه
مدة من المشهر او اكثر وبعد ذلك انهم قد ارسلوا اليه بما جعلوا من الجميع
في ذلك ان الارسال قبل والوصول بعد مع ان النصارى لم يخبر امرائهم انهم على عهد
احد كما تقدم بعينه وصار يقول ان هذا الشيء على ان بعض الطلبة قال له
في ذلك فقلت انا لله وانا اليه راجعون وابى اهل الحق الذي له فلا يلوم وابى
اهل الحق الذي له مستحقون وابى اهل الحق الذي له ما علموا وما اهل
بحول الله وقوته ان يبين حكم هذا المال وما بعث الله بحكم الله الكبير
المتعال وحكم رسوله الفضل الرجال وحكم ائمة الدين وما افتوا به العلماء
ما قدموا وبالله الحول وعلى الله الاعتماد فنقول ان هذا المال ليس الا ان به الذي
اخذوه من ايدي النصارى لعنهم الله غنيمة فلا قال تعالى فكلوا مما غنمتم
حلالا واعلم ان المتكلم لهؤلاء المسلمين في هؤلاء النصارى لا يخلو من احد امرين
الامرين اما ان يقول الجهاد ليس بواجب او هو واجب فان قال ليس بواجب فالاول
كفر لجحده ما علم من الدين ضرورة وان قال الثاني قلنا له على من يجب وفيمن يجب
فان قال على المسلمين في الكفار قلنا له وهؤلاء مسلمون وهؤلاء كفار ام لا
فان قال لا قلنا كفرت لانك خرجت من الاسلام مما يخرج عنه وادخلت فيه
ما لم يدخل فيه وان قال نعم قلنا له الحمد لله وظهر اذا ان الشرع حكم
هؤلاء الكفار من الظلم وحكم هؤلاء المسلمين معهم على المسلمين وفعلوا ما هو
واجب عليهم او حرام وما بين ذلك ولم يتبين لي الا انهم فعلوا ما هو
واجب عليهم في ما بين لذا الا بحول الله وقوته ان نثبت من ادلة القرآن
من القرآن ومن ادلة الحديث فاما الحديث من اهل العلم فيما اتفق عليه من
القرآن فاعلم انه قد جاء ان الله تبارك وتعالى اول ما امر به نبيه عليه
السلام بتبليغ الرسالة ثم اذن له في قتال من قاتله ثم امره بقتال من

يليه من الكفار سرا ثم قاتلوا اولم يقاتلوا ثم امره بقتال المشركين كافة
فالاول قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقال يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك وقال ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي احسن وفي الحكم الثاني قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا
الذين يلونكم من الكفار الاية ثم قوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
يقاتلونكم كافة واعلموا ان اية اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا اول اية نزلت في
القتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين اية ثم تتابع الامر به في كل اية
نحو قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ونحو فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وخذوهم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ومنه يا ايها النبي
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ونحو كتب عليكم القتال وهو كره لكم
فهذا كله معنى واحد وان اختلفت الفاظه وكلها امر بالقتال ومجاهدة
الكفار وهذه الاي كلها محكمة لم ينسخ منها شيء فالامر بالقتال وايجابه
في كل مكان وكل زمان ناسخ لجميع ما جاء في القرآن من الصبر على اذى من
المشركين واللين لهم والصفح والاعراض عنهم والعفو والغفران لهم وكثير
من القرآن ويشهد له نفي عن استيفاء الاية ويكفي منه النظر في كتابه
واما الحديث فهذا ايضا اشهر من ان ينكر واكثر من ان يحتاج ان يشار ويكفي
من ذلك ما اشير به مما في الموطا والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم
وابي داود وفي تفسير الثعالبي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
مات ولم يحدث نفسه بالجهاد مات ميتة جاهلية وكان صلى الله عليه
وسلم يقول اردية الغزاة السيوف وكان صلى الله عليه وسلم يقول لغدوة
او روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وكان صلى الله عليه وسلم
يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار وكان صلى الله عليه وسلم
يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة وكان صلى الله عليه وسلم
يقول الجنة تحت ظلال السيوف ورباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها

رواية رباط يوم في سبيل الله خير من الف يوم فيما سواه من المنازل وخير من صيام شهر وقيامه وإذا مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وأمن من الفتان وكان صلى الله عليه وسلم يقول من جرح جرحا في سبيل الله او نكب نكبة فانها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها المسك وكان صلى الله عليه وسلم يقول حرس ليلة في سبيل الله افضل من الف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها وفي رواية من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله لم تمس عينيه النار ابدا وكان صلى الله عليه وسلم يقول جاهدوا المشركين باموالكم وايديكم والسنتكم وكان ابو ايوب رضي الله عنه يقول انما نزلت هذه الآية فينا معشر الانصار لما نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم واظهر الاسلام قلنا هلم نقيم في اموالنا ونصلحها فانزل الله تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فالالقاء بايدينا الى التهلكة ان نقيم في اموالنا ونصلحها وندع الجهاد وكان صلى الله عليه وسلم يقول ثلاثة من اصل الايمان الكف عمن قال لا اله الا الله لا نكفره بذنب ولا نخرجه من الاسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله تعالى الى ان يقاتل آخر الامة الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والايمان بالاقدار وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله ما يعدل الجهاد في سبيل الله قال لا تستطيعونه فاعادوا عليه مرتين او ثلاثا كل ذلك يقول لا تستطيعونه ثم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد اخرجه الخمسة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع كافر وقاتله في النار ابدا ولا يجتمع في جوف عبد غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمع في قلب عبد الايمان والحسد اخرجه مسلم وابو داود وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا والصلاة واجبة عليكم خلف كل مسلم برا وفاجرا وان عمل الكبائر والصلاة واجبة على كل مسلم برا كان او فاجرا وان عمل الكبائر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا

على الأعلى

المفروع

اخرجه الخمسة واشار [illegible] احد من اهل الفروع فقال بعدم وجوده في البداية باجماع العلماء على انه فرض على الكفاية لا فرض عين الا عبد الله ابن الحسن فانه قال انه تطوع وقال الجمهور لقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقوله وكلا وعد الله الحسنى ولم يخرج فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم للغزو دائما بل بعض الناس وفي [illegible] ابتداء الائمة على ان الجهاد فرض كفاية فاذا قام به البعض ممن فيه كفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين وعن سعيد بن المسيب انه فرض عين واتفقوا على انه يجب على اهل ثغر قتال من يليهم من الكفار فان عجزوا ساعدهم من يليهم الاقرب فالاقرب وقال خليل الجهاد في اهم جهة ولا يخفى ان جهة في هذه البلاد اكد من الداخل لكونها جامعة للجهاد والرباط والثغر اي الفرج التي تكون بين المسلمين والكفار ومعلوم ان سدها واجب فالقتال لحفظها واجب ومعنى سدها منع العدو من التوصل اليها بهم وسد معنوي وعقد الجماعة عليه عقد تحسين واتفقوا على ان من يتعين عليه الجهاد لا يخرج الا باذن ابويه ان كانا مسلمين وان من عليه دين لا يخرج الا باذن غريمه قلت والذي يعين عليه الجهاد كما في الحسن وغيره فيتعين بعد الاسارى بالنذر وباستنفار الامام وبالحلول العدو بمحلة قوم قال الصعيدي العدو وعليه قوله وبالجمع العدو بمحلة قوم بغتة ان العدو اذا جاء مدينة قوم مثلا فيتعين على كل احد وان لم يكن من اهل الجهاد كالمرأة والعبد فان عجزوا عن الدفع عن انفسهم فانه يتعين على من بقربهم ان يقاتلوا معهم ... وما لم يخف من بقربهم معرة العدو وان كان ذلك بامارة ظاهرة فليرسلوا مكانهم وقال الصعيدي في باب تملك في الصباح والحلة بالعين المكان الذي ينزل به القوم وقال خليل رحمه الله وتعين بفجء العدو وان على امرأة وعلى من بقربهم ان عجزوا قول المصنف وبفجء والمعنى وتعين بفجء العدو على كل احد وان كان ذلك الاحد امرأة كذا قرر شيخنا قال الجزولي وسقط الاذن للمرأة والعبد والصبي لان الجهاد صار واجبا عليهم قلت فاذا تقرر لديك ايها الناظر لهذا وكنت من اهل الانصاف الذي توصف به الاشراف علمت على يقين ان هؤلاء الكفرة الذين يجددا [illegible] بيننا [illegible] بلاد المسلمين لدخولهم فيها عليهم من غير اذن من احد منهم ولم يلتفتوا الى الاصطلاح فقتالهم واجب على من يقربهم وغيره

أذهم

ع

ادعوه وصلوا عن البراهين والادلة الى الله على الدعوة عن المسلمين فنعين على من يقر بهم ولا
سيما من يترعرع الحكم بريبة وعلى الدعوة وعلى من يقدر ايضا على القتال ويسمع بالا
من الجلال لان الجهاد كما يعلم اهل العلم على اربعة اصناف جهاد بالقلب وجهاد
باللسان وجهاد باليد وجهاد بالسيف فجهاد القلب هو جهاد النفس عن السوء
وعن اعظم الجهاد وجهاد اللسان هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد اليد
هو اقامة الحدود [illegible] وجهاد السيف هو جهاد الكفار وهو المراد
في الاغلب وهذه الاربعة كلها واجبة ويعبر عنها البيان والجهاد اربعة انواع جهاد
الاولياء بالقلب بتحليته بالاخلاق الحميدة وجهاد الزهاد بالتعبير بتركيتها
عن الدنيا وجهاد الرسلة وجهاد العلماء باظهار الحق خصوصا عند سلطان جائر
وامام ظالم وجهاد الغزاة ببذل الروح واما ادعاء المتغلب المتقدم انهم
ارسلوا اليه وانهم قد ارسلوا لكل قبيلة من هذه البلاد التي خرجوا لها لعلمهم
بسببتهم وعدم حكم احد من الملوك وان غلب واحد ومن ذلك دفعهم الا غير المسلمين واغراء بعضهم على بعض والتي حققت من ذلك الاثمان كتابات كلهم
يقولون فيها انا على العهد ولذلك لم يذكروا الا انهم كما تعدم انهم معاهدون على
العهد وسبحان الله اي عهد بين اهل هذه البلاد مع النصارى غير القتل والسبي
منذ عهد بن بكر بن عامر رحمه الله لانها من دار العهد سابقة وهذا النصراني بنفسه
الذي كان يصيد البيضاء اخذ كثيرا من ... في العام الذي قبل هذا اوباعه
للنصارى وغنم منه ما غنم وبلغ خبر السلطان مولاي الحسن رحمه الله بجبره وقال انه
ما حمله الا ... كما حدثت بهذا هكذا اللهم الا ان يكون العهد الذي يقولون
انه عهد القتال الذي يعلمه اهل القرآن ونحوهم واما حلية المال الذي اخذ منهم ليس
اخذه وحرمته على غيرهم الا بطيب انفسهم وانه لا يكذب فيه الا من كذب الله
ورسوله واتبع غير سبيل المومنين ويكفيه ومن يشاقق الرسول من بعد
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله
جهنم وساءت مصيرا فيا من يومن بالله ويتبع سنة رسول الله واجماع

علماء امة رسول الله لا يصح له ان يكلمهم فيما للمسلمين احل الله تعالى فكلوا
مما غنمتم حلالا طيبا روى ان الصحابة امسكوا عن الغنائم فقال تعالى فيه ايجب
ذكر الغنائم وكلوا مما غنمتم قال ابن عباس رضي الله عنه كانت الغنائم حراما
على الانبياء فكانوا اذا اصابوا مغنما جعلوه للقربان فكانت تنزل نار من السماء
فتاكله والله تعالى عنايات لهذه الامة لا تحصى كما روي انما خصت بخصال
الثنتين وجعل الارض كلها مسجدا وتحليه الغنائم وذلك قال النبي صلى الله عليه
وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر
وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل
واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي
يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وروي عن النبي صلى الله عليه
السلام قال لادم ليلة المعراج انت خير الناس ان الله تعالى قد جعل لي ستة
اشياء خلقني بيده والزمك العلم واسجد لك ملائكته والجنة [illegible]
واكرمك بامرأتك حواء واباح لك الجنة فقال لا بل انت خير الناس
لان الله اعطاك ستة اشياء لم يعطها احدا غيرك جعل شيطانك مسلما ونصرك وجعل
زوجتك مثل عائشة وكون سيدة نساء الجنة واحيا جميع الانبياء لاجلك وجعلك
على سرار امتك وعاملك امتك بستة اشياء ان اخرجني من الجنة بمعصية واحدة ولا
يخرج امتك من المسجد بالمعصية ونزع مني الحلة ولم ينزع الستر من امتك وفرق
عني زوجتي ولا يفرق عن امتك ازواجهم ويغفر من خاف ولا يفتضح من قام منهم
ويصفي بقوله وبصر ادم وحسن على امتك ويكتب ما تمنت سنة حتى عشر
ويغفر لامتك بعذر واحد وقد جمع هذا الكلام من هذا الكلام قولا على ...
وتعظيما لشان هذه الامة السادة ثم ان هذا المتكلم وهولاء الكبراء ان يحرم دماءهم
واموالهم على هولاء المسلمين بقوله انهم معاهدون او معطون للجزية او ليسوا بكفرة
او ليسوا بواجب قتال الكفرة من اجل اموالهم فان قال لا فليس فيه كفرها من زاد ...
قد كفروا فالابد الا ... بالبيان ولا حول ولا قوة الا بالله ...

فقول

ق

فول من يقول ان من سار من الدين لم يسموا بصدقين في دعواهم انهم لم يجدوا عندهم
عندنا من صدو انكر لما تعاهدوا معهم او لا ولم يتبين لهم صدقهم فيما قالوا نبرزوا
نقم عهدهم ان تشغلوا في قتالهم ولم يقاتلوهم الا بعد ان قالوا لهم لا عهد بيننا
وقالوا لهم سواء علينا ام عدم تصديقهم في ذلك ففي لعدم تصديق اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان يرسلهم للكفار ويقول لهم ادعوهم للاسلام
او الجزية وما قاتلوهم ويقتلوه في ذلك ولم ينقل احد من اهل العلم عنه عليه
السلام ولا عنهم رضي الله عنهم انهم لم يصدقوهم ولا قال لهم لا تاتينهم بمثل
حتى يثبتوا ذلك عليكم بالشهود وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة وقال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
ولم يزل عملهم على ذلك عمل من تبعهم من غزاة المومنين الى ان حين الا من
ادعى غير ذلك فعليه بالبيان ولا يجد الى ذلك سبيلا ان شاء الله مدى الزمان واما قول
القائل انه تعلم انهم ارسلوا اليه بالعهد مع قوله في اقراره انه لم يصله كتابهم
فما بعد ان وصل معهم المسلمون ما جعلوا ان هذا ايضا ليس بحجة لانه قبل ان
يصله كتابهم وقبوله لعهدهم وعلم المسلمين بذلك كله لا يكون للكفر عليه
تبعة ولا له على المسلمين كذلك وكيف لكم من شاء مثل ذلك كتب السيرة من
وقوع مثله له صلى الله عليه وسلم ولا صحابه مع الكفرين والمسلمين فيما
الى الان حتى ان عمل الامة الان بالجمعة يصدق ذلك فقولهم انا قد تعاهدنا وقد
خرج منا قوم فكيف ونحن ما يقولون فعلوا في كثير الايام عهدنا او ان فعلهم كذلك
وتشعرنا عهدنا العلي والقاضي يحكم عليه بنص عليه الاصول ما يفعلون على ان الشعرية
العلما يختلف التحريم بزوالها مع انهم لم يكونوا على هذا عهدنا ولم يدعوه كما تقدم وان
الا اذا فرضنا بعض ذلك الكذب ان ما قال منهم ما وجد به الا اذا افرضنا معنا التجارة
ومنونا منها كذا وكذا وجئنا في قومهم لبلاد المسلمين التجارة معهم في الكتب وربحهم
يعني ان ملح وصعب يحيا بهم يعتدون به ماتوا الى الان يحمون ما تواتر على اهل البلد والبلاد
باردة ملحا الى الان والغدر في يتقاعدوا ويقتل رقابهم وتهدموا الاسلام منشأ الا بالله

وكلما لا علا كذلك في الادلة ما ويهم من هو ويصرفهم الى الاموال الا تحرزه وامنهم من العلم
الخبير كتب ما يحتوي عليه الاجماع والسنة وكتب الائمة اشهر ان ما يحتاج الى تفسيرهم الا ان الفهم والقرائن
احيانا بصيرة لا مريد عنه با العلم تصير حتى صار فوق كلمة الحق كالجهاد في كل
جيل ولذا الذي قلنا انا فتنها وغلت من بالسركل احد حسبنا الله ونعم الوكيل وصلى
الله على سيدنا محمد في المساء والصباح وفي العشية والغداة
في بعض شروطه مهمة منها شروط يجب بها الجهاد وهي الاسلام والبلوغ والعقل
والعقل والحرية والذكورية والاستطاعة بالنفس والمال ومنها شروط
يتعين بها الجهاد وهي النذر وتعيين الامام والجاء العدو موضع قوم ويجب
الاسلام ان كانوا ببلد الكافر وللجهاد شروط احدها الطاعة للامام والثاني
ترك الغلول والثالث لا يفر واحد من اثنين والرابع الثبات عند اللقاء الخامس
النية ومنها شروط الجزية وهي ان تكون عن يد لا غلبة وهم صاغرون اذ لا يجب
وان يكون نواب موضع تنالهم احكام من ياخذها منهم وان يكون ذلك الاعطاء للامام
قال خليل ودعوا للاسلام ثم جزية بمحل يومن وان ابوا قوتلوا وقتلوا فقوله
بمحل يومن متعلقا بدعوا وبالاسلام والجزية اي لا يدعوا الى الجزية ولا
يكف عنهم اذا اجابوا للاسلام او الجزية الا ان يكونوا بمحل يومن غوائلهم ان يومن
غدرهم فيه وان لم يقبلوا وان لم يجيبوا الى الجزية او اجابوا اليها ولكنهم
بمحل لا تنالهم احكامنا فيه ولم يرحلوا البلاد منا فانه يقاتلون اخرج قتالهم واذا قد بحث
عليهم فقتلوا ان جاز قتالهم بمكان في شروطه والمعنى ان هؤلاء القوم الذين خرجوا في الداخل
لا انهم في محل لا يومن غدرهم فيه ولا عليه حكم احد له شوكة من قبله فتبين
من هذا الشرط ما له ان من انصاف وبالحق ان من اعتراف ان قتالهم ان لم يكن
واجبا فهو من مراتب الجواز وانه لا يظهر فيه للمنصف الا الوجوب لخروجهم
على بلاد المسلمين من غير اذن احد منهم لهم حجة وارادتهم للفساد فيها وكفارهم
لكون ذلك بعقدهم وكون البلد الذي خرجوا فيه ثغرا من الثغور المخوفة الواجب
سدها على المسلمين ولا سبيل لسدها الا بما يفعل فيهم ومنكم من قتالهم فيسلك

التمس

7

عقد

الذمي والمجوس ويقاء بمال خليل ايضا هو الجزية اذن الامام لكافر صح سباؤه فقال
شروحه العشر ان الجزية هو اذن الامام لكافر في سكنى موضع مخصوص من غير مكة
والمدينة واليمن لانه من جزيرة العرب على اعطائه مال مخصوص بشرط كون الكافر
على وصف مخصوص وبكونه بعقد عقدها سبقه او بالابتداء واسره وخرج بالامام
غيره فلا يصح عقدها منه الا باذن الامام وخرج بقوله صح سباؤه المرتد فلا يصح
سباؤه لانه لا يقر على ردته والمعاهد قبل انقضاء عهده والراهب والراهبة الحران
فتبين لك ايها الناظر المنصف ان الخارجين الداخل ليس حكمهم الا ما بقي بهم
لخروجهم من غير اذن مسلم كما هو ما كان واجرى الامام ولان الامام الكرم والموصوف
في الكتب التي بغير الحدود من جلد وقطع بالقواعد معلوم في هذه البلاد كما يعرفه
كل من بها من العباد فلم يبق الا تعيين دفع هؤلاء الكفرة بما يمكن اربع فعل اربعة من
قتل واسر واخذ مال وجواز ذلك يعلمه الصبي والجاهل وحلية المال لمن اخذه
وحرمته على من يا خذه منه بغير سبب بين لتعلم ايها الناظر ان الحاصل في
الجزية اصلا على الامام الجواز وفيه يترجح المصلحة وقد تتغير والذي يظهر كما في
العدوي ان يقال ان تعينت المصلحة في الجزية وجبت وان ترجحت المصلحة فيها
ترجحت وان استوى الامران المصلحة وعدمها جازت جوازا مستوي الطرفين
وان تعينت المصلحة في عدمها حرمت وان ترجحت المصلحة في عدمها ترجح عدمها
فبان لك ايها الناظر ان انصفت وما احد انصفت في هذا الحال لكفرة
ان اقرار النصارى في هذه البلاد ولو باخذ الجزية حرام لتعيين المصلحة
في عدمها لعدم الامام ومن يقابل النصارى ان خرجوا من الامام وايضا انتظر
ايها المنصف كلام شروح خليل بعد الكلام على انواع الجزية عند قوله مع
الاهانة عند اخذها في وتوخذ كل من الجزيتين مع الاهانة وجوبا في الاذلال
والشد لانهم عند اخذها لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون
ويصفع على قفاه عند اخذها ولا يقبل من النائب بل لا احد منهم بعثها
بنفسه لاجل اهانته عسى ان يكون في الاسباب الداخلة في الاسلام وعبارة

الخرشي ويرحمه من كلامهم عدم قبول النائب في ذلك لان المقصود حصول الاهانة
والاذلال لكل احد بنفسه عسى ان يكون ذا داعيا لرغبتهم في الاسلام
التي يسير على الخلق وضعها ان ما يلحقهم من الذل بها يحملهم على اسلامهم مع ما
بالاطلاع على حسن الاسلام بمخالطتهم المسلمين فان وجد ما قيل في افاقته ان يجعلوا
يوم اخذها مكانا مشهورا كسوق ويحضروا فيه قائمين [illegible] الشريعة
فوقه واوسطهم يجرونهم على ايديهم حتى يخرجوا ويقيمهم ان يقصدوا منهم الكفار
ذلهم الا في اشغالهم ويريان العطاء ويقولوا منهم وتركهم ثم يجذب كافر بعد كافر
لقبضها ويصفع على عنقه ويدفع دفعا كانما خرج من تحت السيف يحسبه الله ان
يكف ما اسر الذين كفروا ويشتغل استحضار ما جبلوا عليه من بغضهم لنا وتكذيب
نبينا وانظر لوقدروا علينا لاستاصلونا شيئا فشيئا واستولوا على دماءنا
فانظر ايها المنصف ان جرت في هذه البلاد من يعقل هذا او من عرفوا عليه
بسعلام كما عدوانا ولتعلم ان ما فعل مع اهل الداخل ليس بالاحكام وان التعرض
لفاعليه لهم في ذلك ليس الا كما الدهر ومتعديا عليهم ومريدا لاهانة المسلمين
للكبير وهذا لا يفعله مسلم ولا يسكت على عدم انكاره مؤمن موقن بان ما اصابه
لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه واني امنت بالله وعليه توكلت ولقد
اوجعا قلبك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وحسبنا الله ونعم الوكيل وفي روح
البيان عند قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد حال من الضمير ويعطوا عن يد هم
بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذا منع من التوكيل فيه او عن يد
مسلحة غير ممتنعة اي منقادين جليل فاذا احتيج الى اخذها منهم بالجبر والاكراه
لا يبقى عقد الذمة بل يعود حكم القتل والقتال والاعطاء عن يد كناية عن الانقياد
والقهر يقال اعطى فلان بيده اذا استسلم وانقاد الا ان اليد الجارحة اسباب
وانشد لا يعطي بيده بخلاف المطلق او عن غنى ولذا لا تؤخذ الجزية من
الفقير والعاجز عن الكسب او عن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بما بذلوا
من الجزية نعمة عظيمة عليهم او عن يد قاهرة مستولية عليهم وهم يدا اخذ

بعـ

ا يرسلون الرعاية (الصبي وحسن) الطلبة بسبب الاكل والشرب

فهو سيبية لما في قوله يمنعون عن الاكل والشرب وهم صغرون الى اذلاء وذا الاعيان
باتيه بالجزية بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ
بتلبيبه ويهز هزا ويقال له اد الجزية يا ذمي او يا عدو الله وان كانوا يؤدونها
... ان الكفار ثلاثة انواع نوع منهم يقاتلون حتى يسلموا اذ لا يقبل منهم الا الاسلام
وهم مشركوا العرب والمرتدون اما مشركوا العرب فلان النبي عليه السلام بعث منهم
فظهرت المعجزات لديهم فيكون كفرهم اغلظ واما المرتدون فلانهم عرفوا محاسن
الاسلام بعد اطلاعهم على محاسنه فيكون كفرهم ابلغ فالعقوبة على قدر الجناية
وفي وضع الجزية تخفيف لهم فلا يستحقونه ونوع اخر يقاتلون حتى يسلموا او يبذلوا
الجزية وهم اليهود والنصارى والمجوس اما اليهود والنصارى فبنص الاية واما
المجوس فلقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم
ولا اكلي ذبائحهم والنوع الثالث منهم الكفرة الذين ليسوا مجوسا ولا اهل كتاب
ولا من مشركي العرب كعبدة الاوثان من الترك والهند فذهب ابو حنيفة واصحابه
رحمهم الله الى جواز اخذ الجزية منهم لجواز استرقاقهم في غير جزيرة العرب وهم من
غير العرب انتهى المراد منه هنا ومنها شروط التامين للكفرة اعلم انه يجوز امان ا(حد)
ادنى المسلمين على بغيتهم وادناهم هو الخسيس الذي اذا غاب لا ينتظر واذا حضر
لا يستشار قال العدوي على الرسالة المراد به الذي ليس عدل شهادة ... ابدا ان
يكون عدلا عارفا بمصلحة الامان ولو خارجا عن طاعة الامام فانكر بذلك الشرطين الذين
قال وفائدة الجواز وشرطه في الامان ان لا يكون على المسلمين ضرر فلو امن جاسوسا او
طليعة او من فيه مضرة لم ينعقد قال العدوي كما في المصباح الطليعة القوم يبعثون
امام الجيش يتعرفون طلع العدو بالكسر اي خبره والجمع طلائع فهو بهذا الاعتبار
مغاير للجاسوس وقال شيخنا الذي تكلم عليه الشيخ ... بالمسلمين بان يكون فيه مصلحة
او استوت المصلحة وعدم الضرر فان اضر بالمسلمين وعبارته قال الدسوقي في حاشيته
بالشرح ولزوم الامان عدم الضرر لا وجود المصلحة وفي التوضيح ان قوله الرعية راجع
لجميع صور الامان ... وللامام المهادنة لمصلحة ان خلا عن كشرط بقاء مسلم

ومال ... ...

وان يمال الا للضرورة قال ... وللامام المهادنة اي الصلح على ترك القتال ... ولا يجوز عقدها مع
حصول الامن ... قوله لمصلحة اي فان لم تكن ... مصلحة لم تجز
المهادنة وان على مال يدفعه العدو لنا لقوله تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم
الاعلون قال ابو الليث في تفسيره وفي الاية دليل على ان يد المسلمين اذا كانت عالية
على المشركين لا ينبغي ان يجيبوهم الى الصلح لان فيه ترك الجهاد وكذا قال غيره بعد انهم للسب
للمسلمين على طلب صلح الكافرين فانه روح البيان وقال الدسوقي الحاصل ان المهادنة
لا تجوز الا بشروط اربعة الاول ان لا يكون العاقد لها الا الامام او نائبه والثاني ان يكون لمصلحة
الثالث ان تخلو عقدها عن شرط فاسد الرابع ان تكون مدتها معينة يعينها الامام
باجتهاده وندب ان لا تزيد على اربعة اشهر وكلهم يقول ان كانت المصلحة في عدمها
امتنعت قلت وكذا الامر اليوم كما جرب حال ... النصارى بالامان وفي البداية اتفقوا
على جواز تامين الامام وجمهور العلماء على جواز تامين الرجل الحر المسلم الا ما كان من ...
... انه موقوف على اذن الامام واختلفوا في امان العبد وامان المراة وفي ...
... قال عبد الملك لا ينعقد الامان الا الامام او من فوضه الامام على السرية او الجيش
وفي الدسوقي الحاصل ان من يعتبر امانه ستة شروط وهي الاسلام والعقل والبلوغ
والحرية والذكورة وعدم الخروج ومنكم اذا عقل اماناكان للامام في الجواز ابتداء
ولا يتعقب ولو كان خسيسا لا يسأل عنه اذا غاب ولا يشاور اذا حضر ولو كان
خارجا عن الامام جاز وفي الامان من صبي مميز او رقيق او امرأة في جوازه الخلاف وان صدر
من كافر او غير مميز او من خائف منهم كان غير منعقد اتفاقا مع ان الامام له النظر في تامين
غيره الحليم الى عدد غير محصور وان لم يكن احد الاقاليم السبعة التي هي الهند
والحجاز ومصر وبابل والروم والترك ويأجوج ومأجوج والصين واعمالها الغرب والشام
من مصر بدنيا البلاد الدنية والميقات واليمن والحبشة من الحجاز وكل من هذه
الاقاليم سبعمائة فرسخ في مثلها من غير ان يحسب من ذلك الجبال والاودية والبحر
الا علم بكيفية الارض محيط به جبل قاف ومن شروط المؤمن ان لا يتقدم منه مهد ...
ان تقدم منه وانه يقتل بعد ذلك الداخل به قولا واحدا ... وان تنفذ الامان انتهى

من جحد عهدهم الى الاية وسواء كان من يفعل ذا الامنهم جماعة او واحدا كما فعل
عليه السلام بابي عزة حين كفر به بعد ان اطلقه اليهم اسرا ولم يوفه ان يا محمد فلتني
وفي رواية عفوا فقال له عليه السلام لا والله لا تمسح عارضيك بمكة وتقول
خدعت محمدا مرتين ثم امر عاصم بن ثابت فضرب عنقه وفي رواية الزبير فقال عليه
السلام لا يلدغ المؤمن في جحر مرتين وبهذا لا يظهر ان الحق بالكلية في الداخل هذا
ليس الا حكمهم لان رأيتهم كما تقدم اصح في العام الذي قبل وفيقتلهم بعد ذلك واسر
وقبل جدا لكم من النصارى وجاء ايضا لا ظلمه ان يا خذ من بلاد المسلمين ما
يمتنع فيه ويتحصن حتى يفعل فيهم ما احب من خيانة وقال تعالى واما تخافن من
قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين واما تخافن في تعلمن
في الخوف مستعار العلم من قوم من المعاهدين خيانة نقض عهد فيما سيأتي بما
لاح لك منهم من علامات الغدر فانبذ اليهم اي فاطرح اليهم عهدهم حال كونك على
سواء اي ثابتا على طريق سوي في العداوة فانه تظهر لهم النقض وقال خليل وان استشعر
خيانتهم نبذه وانذرهم يعني ان الامام اذا ظن منهم الخونة فانه يجب عليه ان يخرج عهدهم
وينقضه وينذرهم بانه لا عهد لهم وقال شروحه وان تحققها خيانتهم نبذه بلا انذار
ولهذا لا ينبذ اليهم عهدهم على كل من كان اراجح متنبي المنصف ان رقابهم حلال فقتلها
واموالهم حلال اخذها لمن قتل واخذ بالتمام واما غيرهم فهو عليه حرام الا بطيب النفس
كما قال سيد الانام عليه افضل الصلاة والسلام واعوذ بالله من جدال جاهل او عالم
متجاهل واعلم انه لا يتكلم في هؤلاء الكفرة ولا يتكلم عن التكلم فيهم الا مثل من قال فيه
تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما في معرضا
في الخيانة مصرا عليها منهم كما فيها او عن طعمة ابن ابيرق المسلم واخرى النصارى
الجار ونبين الذين لم يتقدم لهم عهد مع احد قبل ما فعل بهم الا من فعل بهم وقد نبذ
لهم عهدهم لما تبين له خدعهم بما تقدم الا انه ان تكلم عنهم او جادل فليس الا
كما قال تعالى فمن جادل عن طعمة وقومه ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحيوة
الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة او يطلب بهذا رضاهم فلا ... من

ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم او يتبع بعض اهوائهم
ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين ... ايضا
ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير او يكون مثل
من يريد موالاتهم من المؤمنين قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين اي لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء
الاسلام احباء ثم انه تعالى اتبع ذلك بقوله اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا اي اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم حجة بينة على انكم منافقون فان
موالاتهم اوضح ادلة النفاق فالسلطان هو الحجة وليس هذا الا مثل عبد الله ابن
ابي حين كان يتولى اليهود ويقول اخشى الدوائر حتى نزلت فيه يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب
ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع في نفسه لا يتعلق
به النهي والنهي لهذا الذي فعل بعض المسلمين على هؤلاء الكفرة ادل دليل على
مصافاة الكفرة من دون المسلمين ولهذا قال عبادة بن الصامت ... برئ الى الله
ورسوله من ولايتهم وقيل في كل من يتولاهم من المسلمين ومن يتولهم منكم فانه
منهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين تعليل لكون من يتولاهم منهم اي لا يرشد
الذين ظلموا انفسهم بترك اخوانهم المؤمنين وبموالاة اعداء الله بخلاف بينهم
وشانهم وقيل في عبد الله ابن ابي واشرابه فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده
فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين لاجل النفاق والذي في قلوبهم ...
الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم اي الذين تولوا منكم في الحقيقة
ولا منهم اي من القوم المغضوب لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على
الكذب الحلف العهد بين القوم والمحالفة المعاهدة والحلف اصله اليمين التي
ياخذ بعضهم من بعض بها العقد ثم عبر به عن كل يمين يقولون والله انا لمسلمين
وهم يعلمون ان الذي حلفوا عليه كذب ... ما يكون فيما ...
بهؤلاء

بذل الاء المسلمين على بعض دار الكافرين موادة الكافرين وقد قال تعالى لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم
او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وقال في الكشاف لا سيما اخبر ان لا ايمان يعتبر
بموادة الكفار وزيد بموادة مرع حكمهم ولذا الاروى عنه عليه السلام انه
كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة فاني وجدت فيما اوحي الي لا تجد قوما
الخ [illegible] وبتلك الموادة يحصل رضاهم وتقدم ما فيه من قوله تعالى ولن ترضى
عنك اليهود والنصارى الآية هذا الرجل الذي يتكثر بهم يعني ان المؤمنين المتصلبين
في الدين لا يوالون هؤلاء الاقرباء بعد ان كانوا اعادي الله ورسوله فكيف
بغيرهم واجزاء النصارى الخارجين محبة على المسلمين وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة الى قوله تسرون
محبتكم بالمكاتبة ونحوها من الاسباب التي تدل على المحبة جملة تلقون حال
من فاعل لا تتخذوا او حال كونكم ملقين المودة قال في روح البيان فان قلت
قد نهي عن اتخاذهم اولياء مطلقا في قوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
والتقييد بالحال يوهم جواز اتخاذهم اولياء اذا انتفى الحال قلت عدم جوازه مطلقا
لما علم من القواعد الشرعية تبين انه لا مفهوم للحال هنا البتة قلت والاحسن معه
فان قلت كيف قال لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء والعداوة والمحبة لكونهما
متنافيين لا يجتمعان في محل واحد والنهي عن الجمع بينهما فرع امكان اجتماعهما
قلت انما كان الكفار اعداء للمؤمنين بالنسبة الى معاداتهم لله ورسوله ومع ذلك
يجوز ان يتحقق بينهم الموالاة والصداقة بالنسبة الى الامور الدنيوية والاغراض
النفسانية فنهاهم الله عن ذلك انتهى فتبين للمنصف ان ما يفعل مع هؤلاء المسلمين لا
يخلو من احد هذه الوجوه وتبين لك ما فيها او يقولون انه يريد ان يكون بينه
المسلمين معهم تجارة ليتم ذا الامر المصلحة للمسلمين عامة وبرتبة من البيع خاصة
الرجل ان جلب المصلحة ودرء المفسدة في اذا تعارضا يقدم درء المفسدة والضرر
او ضرر استعمار على المسلمين في هذا الاتفاق ما فيه ولا [illegible] له المصلحة والملك

رضا الله انزل الله تعالى في ذم تعلق من انصرفوا عن النبي لما ارادوا التجارة في زمنه صلى الله عليه
مع انها لا مفسدة فيها الا اذلال المؤمنين بخروجهم عنه في زمن الاحتياج
الشديد والمسلمين حتى قال تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها
وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين
واحرى قوم لا يريدون الا ملك بلاد المسلمين بل ملك رقابهم انما [illegible] كما اشتهر من اول
امرهم من استيلائهم على العراقين وبيانهم ملكهم وان ذا الا بعضهم وهم من اشد
عند ما قبلنا من الانكليز منهم ان بعضهم يقول وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق
فدية مسلمة الى اهله يستدل بهذه الآية للتغلب المتقدم ذكره ان له اخذ اموالهم
ومتاعهم فعلمت انا لله وانا اليه راجعون من وضع الكتاب على غير مواضعه ومن
ايراد الكلام من غير سابقه المرتبط اول الكلام الى آخره مرتبطا بشرط ومشروطه
والشرط الذي قال معدوم والمشروط كذا الا [illegible] انه تفسير كلمة [illegible]
الجلالين وبعض المفسرين غيرهم واما ان مشينا على ما في روح البيان وبعض المفسرين
غيره فبعيد ذا الا ما انظر كلامه فيه من اوله الى آخره قال تعالى وما كان
لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة
ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان المقتول من قوم عدو لكم وهو
مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وان كان المقتول المؤمن من قوم بينكم وبينهم
ميثاق اي عهد موقت او مؤبد فدية اي فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله من
اهل الاسلام ان وجدوا وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم سائر المسلمين [illegible]
الدين من تحريف كلام رب العالمين هذا واما السنة المحمدية [illegible] ولا
[illegible] قتلهم لدياناتهم [illegible] واعوذ بالله من [illegible]
الحديث خمس بخمس اذا اكل الربا كان الخسف والزلزلة واذا جار الحكام [illegible]
واذا ظهر الزنا كثر الموت واذا منعت الزكاة هلكت المواشي واذا [illegible] على اهل
الذمة كانت الدولة لهم الا ان الشرط معدوم والمشروط كذا لا اعني الذمة والعهد
ولم يرعوا لديانته كما

الله ربي وهو حسبي

فيجب

شرك

١٠

حضر في الشمائل عن حبيب المرايا ... وما فيه الشرط بالمشروط لا يأتي
وسيح الحبيب بالمرتضى قوله ... وازع التسبيح في امر الذي يأتي
من جميع ابنه في ترجيح الشغرني ... ذكر منها بينة سوء النهايات

... بينة الاية على فضيلة هؤلاء الكفرة من وضع الاشياء في غير محلها
من الابليق بالكتاب ولا باهل العلم المرجو بهم الهداية من الذهاب والجاهل
ان هؤلاء القوم الذين اخذوا في التداخل ليسوا باهل ميثاق ولا عهد ولا ذمة
لمسلم وما يفعله من الحكم الذي امر الله به ومراد عن ما ينبغيه قبل وقوعه وقلبه
بالبينة اذ معلوم ان البينة على المدعي واليمين على من انكر والله اعلم
بانه من حضر وقتهم الا ويحلف اشد ايمانه على صدق ما وقع معظم بينهم مما
تقدم من الكلام مع انه يكفي في جواز قتالهم بل تعينه بحيثهم لبلاد المسلمين من
غير علم لاحد منهم والاذن من احد منهم مع ارادة المسلمين والعجب كل العجب
من شك احد ممن يدعي العلم في جواز ما فعلهم واجرى انكاره له مع مجيئهم لبلاد
المسلمين الذي يتعين به قتالهم على كل احد ممن يمكنه قتالهم حتى المراة والعبد
والصبي والعجب ايضا كل العجب ممن يدعي العقل ويشك في انه لا ضرر على المسلمين
في خروج النصارى عليهم وليس هذا الا من جهله لما فعله النصارى بخروجهم على
المسلمين في كل الايام كما وقع في الاندلس قديما وما وقع في الجزائر وسلا وما
وقع في اسكندرية ومصر واصطنبول حادثا وغير ذلك مما يطول بنا جلبه من كل
بلاد المسلمين دخلها النصارى لعنهم الله الا بالامان وبعد ذلك استولوا
عليها في الزمان قال صاحب روض التوشيح على البخاري عند قوله عليه السلام
الحرب خدعة قلت اخبرني بعض علماء القسطنطينية انهم قالوا
للنصارى رهبانا انا غلبناكم بالسلاح وانما غلبتم انتم الملوك بحيلكم بتزيين
الملاهي والمحرمات حتى اتبعوكم وافسدوا الدين فقالوا ليس بصحيح اخبار نبيكم
الحرب خدعة غلبنا كم فقالوا فقد غلبنا الكرة بما كم الخدعة وعجبنا من كلام الكفرة
العجزة وذلك معنى الحديث ان الحرب الكاملة في مقصودها البالغة انما هي

الخداع عند المواجهة وذلك بخلاف المواجهة في حصول الظفر في المخادعة بلا خطر
ولذلك الاضرار بعدهم بالمسلمين هكذا في الزمان حتى لا لي بعض وايد لنا الجيد في سنة
عامنا هذا والذي فيه ان المسلمين في المشرق انعقد اجماعهم على ان الامان ... في
النصارى في هذا الزمن بعد وليس بمرحود لانهم ما يتنقلوا في بلد الا استولوا عليه
ونشأ من اسمهم الكفر بالتماثم ... حال بينهم مع ذا الذي الجلال والاكرام وان يكمل
الله حسن الختام والثبات على سنة سيد الانام عليه افضل الصلاة وازكى
السلام ولولا خوف الاطالة لاتيت في هذا الكلام بكثير من النقول مع اني ما كنت
اظن ان يتكلم فيه احد من ذوي العقول ولولا ايضا طلب مني ان ابين جوازه
ولا يرجح واحد لما تكلمت فيه بنت شفة ولا اوضعت قلما على الصحيفة لا سيما ممن
يعلم ذلك الاب المسلمين وانه ان وجد واحد يجوز له من يعلمه انه يتوب ويتركه
وما فعل ولذلك الاهالي انما قلت هذه الكلمات جهارا وسميتها هداية من
حار في امر النصارى وليس الا كما قال صاحب باب الريماني

وضع الحق بالبيت فتسليم ... انا تسليم التوجيه سلامه
حسنات الحقوق نذهب عنه ... سيئات الكفر وتبقي الملامة
ليس من اخطأ الذنوب بنهج ... اي يلقى الا علية سلامه
انما الحمى في النصاب اذا ما ... وضع الحق لم يجمع كلامه

وهذا يكفي لمن يريد الهداية بالتمام واسأل الله حسن الختام واعوذ بالله من كلام
الظالمين والسنة الحاسدين والائمة المانعين والجاهلين والمتجاهلين
ومن كل احد حقيرا وجليل اقول حسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم
النصير وصلى الله على سيدنا محمد البشير النذير نعم انا رسنا واليه المصير
واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين انت مولانا فانصرنا على القوم
الكافرين ... امين امين

قد انتهى بحمد الله وحسن عونه ... ربيع الثاني ... على يد ... عبد الله الكونتي ولوالديه ... ولاحبابه ... ١٠ ...

صـــورة مـــن تقرير قبولاني مهندس الاحتلال البريطاني لموريتانيا الى الحاكم العام الفرنسي بغـــرب افريقـــيا بعد ان كلفه حاكم السودان الفرنسي ترنتيان Trintinan بمهمة التعرف على سكان موريتانيا سنة ١٨٩٨م وذلك بغرض إخضاعها للسلطة الفرنسية ، وقد اقترح قبولاني في هذا التقرير وضــــع يد فرنسا على البلاد موضحا أهميتها الاستراتيجية التى تكتسبها وإن كان مشروعه في البداية اصــــطدم بصـــعوبات جمــــه من قبل الإدارة الفرنسية المباشرة ومن الخارجية الفرنسية ومن التجار الفرنسيين في سانت لويس ، وفي هذا التقرير ظهر رسميا ولأول مرة اسمْ موريتانيا .

ANALYSE : REGIONS OCCIDENTALES ET ORIENTALE DES PAYS TRARZA

A.S. D'AGISSEMENTS INTERESSES AUPRES DES POPULATIONS DE CES REGIONS.

Dès mon retour à Saint-Louis, ma première préoccupation a été d'examiner la possibilité de rassurer sur nos intentions de paix et de prospérité de leur pays. les populations trarza qu'on avait engagées à revenir sur les conditions premières de leur soumission. en leur faisant valoir les bienfaits de l'ancienne politique négative des coutumes.

Le manque d'expérience des résidents de région, et, il faut bien le dire, les inconvénients inévitables nécessités par les déplacements au Tagant.

Je comptais pour cela sans l'esprit particulier qui s'est révélé dans la correspondance d'abord officieuse, ensuite officielle de M. le Capitaine Maroix à M.M. les résidents de région auxquels il recommandait notamment, à la demande du Gouverneur Général, écrivait-il, de lui envoyer copie des instructions que j'aurais pu et pourrais leur adresser leur laissant entrevoir une nouvelle direction à bref délai...etc. L'on est toujours grand clerc dans les choses que l'on connaît le moins, et comme il arrive toujours en pareilles occurences ses désirs étaient acceptés pour des réalités par des officiers qui avaient besoin de quelque bonne volonté pour se plier aux exigences d'une situation spéciale à laquelle rien ne les avait préparés.

De là, leur attitude vis-à-vis des marabouts, de religieux confiants dans notre justice, de gens paisibles, mais encore peu habitués à nous. Depuis quelques jours l'on a pu constater à Saint-Louis la présence de plusieurs centaines de maures.

J'ai saisi cette occasion pour rechercher les mobiles de l'opposition systématique qui, parait-il, n'a cessé de se manifester dans certains milieux du Sénégal, contre une oeuvre dont le haut intérêt pour la colonie, les commerçants de Saint-Louis et la

critiques de cette opposition, et fait disparaître du moins pour quelques temps ces graves difficultés que des rapports optimistes laissaient entrevoir dans un avenir très rapproché.

En maintes circonstances, vous avez été à même de vous rendre compte - Monsieur le Gouverneur Général, des causes de cette opposition qu'il convient, - j'ai hâte de le dire - de ramener à de bien faibles proportions. Elle a été provoquée d'une part par des intérêts d'ordre privé peu dignes de retenir notre attention, et que j'avais d'ailleurs tout lien de les voir revenir à une plus saine conception, de la mentalité et des traditions de notre pays au fur et à mesure de l'organisation des régions maures du Bas Sénégal ; d'autre part par des ambitions peut être légitimes, en tous cas respectables, mais ne pouvant trouver place dans une entreprise qui, pour réussir, nécessitait une certaine connaissance des hommes et des choses maures, l'observation stricte d'une politique spéciale commandée par la pénurie de nos ressources, et surtout par les conséquences graves à tous égards qu'une ou des expéditions militaires aux résultats sûrement négatifs n'auraient point manqué d'occasionner?

Je n'ai pas cru devoir, au cours de nos opérations pacifiques en pays maures, m'arrêter aux agissements de ces intérêts particuliers, malgré les obstacles qu'ils nous ont apportés, obstacles que je savais impuissants à empêcher la partie saine de la population de venir reconnaître notre autorité et seconder nos efforts de pacification.

Mais aujourd'hui que l'essai loyal d'une politique sur laquelle s'élevaient tant d'appréhensions a donné les résultats inespérés que vous connaissez ; que dans un délai relativement très court elle nous a permis de parcourir et d'occuper plus de deux cent cinquante mille kilomètres carrés, d'installer neuf postes et résidences, au milieu de populations réputées farouches, avec le concours même de ces populations, de donner ainsi aux noirs riverains du Sénégal une sécurité qu'ils n'avaient jamais connue, d'appliquer les principes de notre domination à plus

de trois cent mille nomades auxquels hier encore, nous payions des redevances annuelles aujourd'hui qu'il nous est permis de présenter ces résultats positifs, obtenus sans perdre un homme ni combats offensifs avec des ressources pécuniaires limitées et pour ainsi dire immédiatement couvertes par le produit équivalent de l'impôt zekkat en voie de perception, vous estimerez sans doute comme moi, Monsieur le Gouverneur Général, qu'il est temps d'envisager les intérêtes particuliers dont il s'agit aux divers points de vue auxquels ils se placent afin d'en arrêter, s'il y a lieu, les manifestations contraires aux intérêts généraux dont nous avons la garde.

J'ai l'honneur de vous soumettre dans ce but les résultats de l'enquête minutieuse à laquelle je me suis livré.

Les intérêts envisagés regardent :

1° Les divers commerçants et traitants échelonnés sur la rive gauche du Sénégal entre Saint-Louis et Bakel, plus particulièrement ceux de Podor

2°- Quelques notables en résidence à Saint-Louis, protecteurs, mandataires ou créanciers nouveaux.

3°- Les tentatives irréfléchies ou plutôt le désir manifesté de quelques ambitions en vue de transformer en expéditions militaires, l'organisation ~~spéciale que~~ nous poursuivons en pays maure.

A- Les sentiments des premiers m'ont été résumés par les traitants eux-mêmes, venus à Podor et dans les autres escales pour me demander d'intervenir en leur faveur auprès de quelques maures auxquels ils avaient fait des avances en marchandises. Nous venons vous prier, me disaient-ils, de nous faire connaître comment, désormais, nous allons procéder en pays maures pour obtenir le remboursement des prêts considérables par nous consentis aux tribus guerrières et religieuses de ces pays.

Avant l'occupation par les français de ces régions, il y avait sur la rive droite des rois, des princes, auxquels nous nous adressions pour nous faire rendre justice. Au moyen de quelques cadeaux

dont la valeur était toujours ajoutée aux sommes dues, nous obtenions leur concours. Ils allaient piller les tribus retardataires, retenaient sur le produit du pillage le prix de leurs fatigues et de leurs risques et largement ils nous remboursaient directement le montant des avances que nous avions faites. Chacun de nous avait son roi, son prince ou, à défaut quelques guerriers à sa disposition. Aucun ne craignait les conséquences d'une mauvaise affaire puisque chacun s'entourait de garanties sérieuses de repression.

Aujourd'hui, il n'y a plus de rois, encore moins de prince, et les guerriers hésitent à se charger de remplir les missions particulières que nous leur confions. Nous subirons ainsi par votre domination en pays maures de grosses pertes, à moins que vous ne preniez des mesures énergiques pour nous faire rentrer dans nos créances sans nous obliger à avoir recours aux jugements des cadis ou des résidents de egion auxquels nous ne pourrons soumettre nos iffaires

2

Une autre question du plus haut interet pour notre commerce nous préoccupe au premier degré. Vous n'ignorez pas que la rive droite était le seul endroit où il nous était permis de vendre et d'acheter nos captifs aux maures qui se faisaient volontiers nos fermiers et nos colporteurs de cette précieuse marchandise. Au Soudan, des centres les plus éloignés de la Boucle du Niger, l'on nous amenait des captifs à un prix relativement peu élevé, en passant par Tombouctou, le Hodh, le Tagant, avec arrêt parfois dans l'Adrar Occidental, qu'on nous échangeait avec de la marchandise.

En face de Podor, de Dagana à N'Diago, il y avait de véritables marchés, où sans crainte, nous nous livrions aux transactions les plus fructueuses.

En occupant les Pays Maures, vous comptez sans doute, supprimer ces marchés, interdire la vente des captifs de même que vous l'avez fait dans les autres régions où vous dominez. Nous sommes inquiets sur les résultats de cette occupation, car nous sommes atteints dans l'un des revenus essentiels de notre négoce.

L'on nous dit aussi que dans un but de sécurité, vous vous disposez à interdire la vente des armes, de la poudre des munitions. Nous ne pouvons ajouter foi à ces dires et laissez-nous espérer qu'il n'en sera pas ainsi.

Pour quelques kilogrammes de poudre, les maures nous donnent leurs moutons, leurs boeufs, leur gomme : nous écoulons à des prix rénumérateurs les troupeaux que les guerriers nous envoient en échange des munitions que nous leur faisons parvenir pour soutenir les guerres intestines qu'ils se livrent entre eux. Que nous importent les pillages, les vols commis dans les villages du fleuve, dans les campements des tribus paisibles ! Evidemment ils sont regrettables, mais en est-ce la faute des traitants? Vous ne le pensez certainement pas et nous comptons sur votre bienveillance pour ne pas toucher dans l'organisation que vous poursuivez aux trois privilèges dont nous jouissons sur la rive droite, savoir : la possibilité de vendre à crédit et d'employer les guerriers pour rentrer dans nos créances, le libre commerce des captifs et l'exploitation des armes et munitions.

Ce raisonnement m'était tenu en toute sincérité notamment par un groupe de commerçants de Podor parmi lesquels se trouvaient MM. Baka Ouali ancien conseiller général, Amar Gaye, représentant de la maison Rabaud, Amar Bouia, Samba Bou Kouman, représentant de la maison Buhan & Teisseire etc.....

Je l'ai entendu depuis répéter par d'importants négociants européens, et le Président de la Chambre de Commerce entre autres, n'a jamais caché sa manière de penser à ce sujet. Il m'avait été corroboré par trop d'exemples pour ne pas y ajouter foi.

Au moment des premières négociations que j'engageais avec les Brakna en vue de l'organisation de leurs territoires, nous assistions, mes collaborateurs et moi à l'un de ces meurtres commandés, en face de Podor, sur la rive droite même du Sénégal, que personne n'avait le droit ni le pouvoir de franchir.

Aux explications que je demandais à Ahmedou, émir des Brakna, sur les coups de fusil que j'entendais sur la rive interdite pendant que je palabrais avec ce personnage, il me répondait le plus naturellement du monde.

Cé sont mes guerriers qui viennent de tuer quelques Oulad Aïd à la demande du Naçrani tidjar (de l'européen commerçant) auquel ils refusaient d'acquitter une dette déjà ancienne. Tu vois combien je vous suis dévoué, - vos ordres sont toujours ponctuellement éxécutés. Il en est de même toutes les fois que pareil cas se présente.

Je faisais payer le prix du sang des malheureuses victimes, mais combien de cas analogues impunis.... C'était la coutume.

Je vous ai entretenu de ce commerçant à Saint-Louis, - un excellent homme, m'a-t-on dit plus tard - qui avait toute une tribu (les Ikoumleiten) comme intermédiaire dans la vente et l'achat des captifs ; et vous connaissez le cas de ce Toukna qui tous les ans conduit de Chenguitti à N'Diago une caravane comprenant plusieurs centaines d'esclaves dont le produit est destiné à de nombreux achats dans les meilleures maisons de commerce du chef lieu du Sénégal. Il faudrait des volumes pour relever les cas particuliers et pourquoi les relever, au surplus puisque c'était de véritables privilèges, c'était la régle, la liberté d'un commerce lucratif sur des territoires limitrophes de la capitale de la plus ancienne de nos colonies.

A l'abri des institutions de droit commun qui régissent le Sénégal, ces territoires semblaient avoir été réservés pour perpétuer les moeurs antiques des négriers et nous rappelle les pratiques esclavagistes qui ne sauraient plus trouver leur application dans aucune autre partie du monde.

B Le deuxieme point de vue envisagé est encore plus caractéristique et mérite toute votre bienveillante attention. Mais là aussi, il ne faut accuser que la tradition, la mentalité d'une catégorie de personnes qui trouvent matière dans les institutions mêmes qui les régissent à détourner à leur profit les bénéfices échus naguère aux chefs des agglomérations sédentaires dans leurs relations avec

les chefs des peuplades sahariennes. De même que ceux-ci étaient ces dépositaires des biens appartenant aux chefs nomades, qu'ils étaient les surveillants de leurs entrepôts tandis qu'ils étaient les maitres des routes et du pays, de mêmes ceux d'aujourd'hui dont par les fonctions électives qu'ils exercent par leur qualité de membre de la « Djemâa (assemblée délibérative) des Français, ou par le rôle qu'ils remplissent les mandataires, les soutiens intéressés contre leurs ennemis des émirs ou autres chefs Indigènes d'une certaine importance.

Depuis trois ans vous n'avez point manqué de relever l'exemple le plus caractéristique de cet état de choses : les agissements de la famille Devès contre l'émir Ahmet Saloum et en faveur de Sidi Ould Mohamed Fall.

Il est avéré que ce concours n'avait d'autre mobile que le désir manifesté par certains membre de la famille Devès de remplacer l'émir des Trarza dans la perception de certains droits sur les caravanes (ghafar, ou droit de protection).

De même que j'ai acquis la certitude que Mr. Riguetti ne soutenait Ahmet Saloum contre Sidi et par suite contre les Devès que dans l'espoir d'obtenir la perception de ces mêmes droits.

Les Devès et les Riquetti forment légion dans ce pays. Ils se présentent dans des conditions analogues sous le même aspect intéressé. Hier c'était un certain Djibril N'Diaï professeur à l'école laïque de Saint-Louis qui essayait, sous le patronage de M. Couchard de se donner pour le mandataire de Sidi Ould Mohamed Fall qu'il supposait agréé en qualité d'émir des Trarza.

Demain ce sera un autre personnage qui offrira ses services à d'autres chefs supposés. Le remède est heureusement trouvé puisque l'objet du mal n'existe plus dans cet ordre d'idées. Mais ne voilà-t-il pas que ces mêmes personnages groupent des tribus de Zenaga, leur imposent une contribution relativement élevée, toujours pour les défendre contre l'autorité de ce pays dans le cas où elle l'exercerait dans un but de sécurité ou de justice. C'est ainsi que dés milliers de maures installés sur

la rive gauche (Oulad Embarek, Iroumbaten...etc) relèvent en quelque sorte des Devès, que les IIKoumleiten vendent les captifs des Pellegrin...etc que chacun de ces Messieurs de la Djemâa—comme les qualifient les maures de la rive droite a ses clients, ses esclaves, ses alliances contractées selon les moeurs d'un autre âge.

L'action réellement française, celle du gouvernement, gêne ces intérêts particuliers qui ne pouvant se manifester dans leur caractère propre essayent de vains moyens pour enrayer cette action ou en amoindrir la portée.

Devons-nous Monsieur le Gouverneur Général, nous y arrêter, retarder l'oeuvre de transformation économique et d'émancipation sociale que vous avez engagée en Afrique Occidentale à laquelle ces intérêts sont naturellement opposés ?

Je n'ai pour ma part jamais songé à en tenir compte, et j'estime que le moyen infaillible de les combattre est celui de les méconnaître.

Au cours de la mission que vous avez bien voulu me confier, je me suis appliqué à gagner la confiance des faibles, de ceux qui travaillent produisent et possèdent sans me préoccuper outre mesure des inspirations intéressées qu'ils pouvaient recevoir de par ailleurs. J'ai tenu à donner à notre oeuvre d'organisation des pays maures son double caractère de conquête matérielle et morale qu'elle doit avoir. Je ne néglige aucune occasion pour briser les liens qui attachent encore la partie riveraine de là population maure du Sénégal à ceux qu'elle croyait être les chefs du gouvernement français, et j'ai hâte de vous dire qu'en cela ma tâche est facile. Peu à peu chacun reprend sa place ; ceux qui semblaient irréductible comprennent aisément la politique de justice et d'humanité basée sur certains principes de religions et de jurisprudence musulmane que nous nous appliquons à faire triompher en Mauritanie Saharienne.

L'essentiel est de séparer nettement l'administration des populations de la rive gauche de celle de la rive droite, que rien ne permet d'assimiler ni de confondre.

9

Nous enlevons ainsi tout prétexte à ceux qui jusqu'à ce jour ne s'occupaient de ces dernières que dans le but d'en exploiter les vices.

Et nous pourrons, sans nous attarder davantage à leurs agissements, essayer de faire évoluer dans sa civilisation propre corrigée, si besoin en était par certains principes d'ordre moral et économique puisés dans la nôtre, une population digne de nos efforts et de notre sollicitude.

Les considérations d'un autre ordre ont sans doute incité Monsieur le Capitaine Maroix à suggérer à MM. Les Résidents des régions Trarza une ligne de conduite contraire à celle qui nous avait permis d'organiser pacifiquement ces régions.

J'avais accepté, sans arrière pensée, la collaboration provisoire de cet officier autant par bienveillance à son égard que pour donner satisfaction au désir qui m'en avait été maintes fois exprimé

J'avais eu néanmoins, la précaution en lui confiant les services de la Délégation durant mon séjour en pays Brakna, Tagant, de réserver la question politique afin d'éviter les consequences regrettables qui auraient résulté d'un changement dans la direction et l'application d'une organisation qu'il ignorait et à laquelle je n'avais eu le temps nécessaire de l'initier.

. Le seul résultat a obtenir était le maintien de l'ordre de choses établi en pays Trarza en attendant mon retour du Sénégal. Nous ne pouvions franchir l'obstacle sans les soulever. Ils étaient inévitables.

Mais il importe de ne plus revenir, de ne plus confondre les races, les éléments disparates si contraires qui existent, d'une part, en pays maures d'autre part, sur la rive gauche du Sénégal, voire même au Soudan français.

Il importe de maintenir à notre oeuvre son caractère de pénétration soutenue, progressive et pacifique, - personne ne peut plus le contester, - mais en tenant compte des mesures de police Saharienne ou de repression qui s'imposeront - en Mauritanie comme dans tous les autres pays habités par des êtres humains.

Il a fallu et il sera encore utile d'occuper quelques points stratégiques, au moyen de forces régulières, à défaut d'autres troupes. En utilisant ces forces de nos troupes avaient servi de prétexte aux agissements des partisans intéressés de cette politique.

Pour faire disparaitre toute illusion, de ce côté et ramener les maures trarza aux véritables règles de notre protectorat, j'ai pu commencer d'urgence la perception de l'impôt Zekkat qui devait en être le résultat important et arrêté les dispositions propres à assurer l'application de ces règle.sans plus tarder.

Dans ce but, j'avais convoqué à Saint-Louis, M. le Capitaine Frerejeau, résident de la région Occidentale, Sidi Ould Mohamed Fall et quelques chefs de cette région..

J'ai reçu également un certain nombre de délégations composées des principaux notables qui avaient attendu mon retour du Tagant pour venir me soumettre leur désir et s'inspirer de la ligne de conduite que je leur ai tracée, d'accord av ec les membres de leurs djemâa respectives.

C'est pour ces diverses raisons que comme escorte défensive ~~et en faisant~~ précéder leur marche d'une action politique entendue, nous avons occupé certains de ces points et nous pouvons occuper les autres sans tirer un coup de fusil.

Cependant, notre oeuvre serait vaine si elle se bornait à l'occupation militaire de ces points. Elle n'est sérieuse que si elle apporte à la fois aux indigènes la sécurité et la prospérité. Nous établirons la sécurité au moyen des goum en voie de formation, et nous augmenterons le bien être des populations en leur appliquant avec toute la liberté d'action qu'elle comporte une organisation adaptée à leur mentalité et au climat de leur pays./.

مخطـوط بعنوان " النصيحة العامة والخاصة في التحذير من محاربة الفرنصة (الفرنسة) "
للشيخ سعد أبيه بن الشيخ محمد فاضل والمخطوط يضم تحذير منه الى أخيه الشيخ ماء العينين يحذره
من محاربة الفرنسيين وذكر له أسباب تحذيره من محاربتهم .

بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] وصلى الله [illegible] وسلم تسليما [illegible]
الشيخ سعد أبيه التي وجه الى أخيه [illegible] ماء العينين

الحمد لله [illegible] خلق السموات [illegible] الحق المبين
والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين
لهم باحسان الى يوم الدين [illegible] من قليل العلم [illegible]
من [illegible] سعد أبيه ابن الشيخ محمد فاضل [illegible]
[illegible] الى أخيه [illegible] ماء العينين
[illegible]

[illegible]

على كل فطنة فتال وصنه ... وذ المبين الذي نال ... كان

واصبح مبتاينا قومهم كانهم ... نوادم اوطا لها الا لحم فاد لحم

على كل نابات ... وليس على ذلك المعنى ...

اذا كان ما فاق الكلخ ... وان زيد لا عن بحر مر ...

وقد تعلم عامة ذلك من فتلة العالمين من ال الشيخ ... الاحسني

فتل الولي الشهير الذي تعلم ... كله وقاتل ... الشيخ سيد المختار

وضم طالحهم الى صالحهم حتى الحقهم ... وال ... بعد

الى ما تعلم من الحول والعشو ... ذلك ... فقد ...

النلاح لرفع الجوار ... عنهم ... الكحيت ...

وقال سيد محمد ... الى ... الشمر ... سال الله السلامة

ومن ذلك ما ... السباع ... راتهم واسوالهم

... على ما ... ومن داخل الولي ... الحجر ...

... عن ... الى ... ما اعتقد ... كتابة الا من

مثال انه ... عشر ... اثنا عشر رجلا ... علم ابنهم ...

فقال انه عن ... اثني عشر عاما ... هل كانت ... فقال

نعم فقيل ... كان عليه ... نعم فقيل ...

... الطفل ... وهذا كله لم ... المسلمين ام

كلامه ... على ... مع ... فعلهم

السوها ... عم الجوز ... الله ... دولتهم

او ... اعراس ... واضل السلام ... الحارث ...

... وقد تعلم ما كان عليه الولي الرضي ... الشنقيطي من ... وقد

... قضية ابنه وحكايته سيديوي ... الحاج ...

... على ان ... على جميع اهل الحوض ...

الوف كثيرة ... الجنود ... طويلة ...

امتناع من سيديوي ... على ... الجهاد قال ... انه

... من عنده ... ورشيد ... ناصحا ...

الوالد ... التفت اليه ... فلم يفعل

... بكلامه ... لانه لم يكن له حال يوجب ... ولم ...

... سبع سنين اي ان قال له ان كنت ... هذه ... الى

... فاني لا اعلم ... ولو شاء ... وان كنت ...

من حيث ... والرسوخ وتعلم ... العلم لانه ... العلم ...

الخلق وانت ... الحق بلا واسطة ... وحاله ...

فقال نعم ... ابدا ... عن ... الشيخ ...

وعم ... على ... واختيار ... واعتبر ...

... ذلك كله وقد ... بينما انت ... ليلة ...

... الله الا الله ... رضي الله عنهما ... على من ... فقال

له يا بني ... واشار الى ... الدار ... هذه

٧

الغضية اشار في قوارثيا دالى الرواج والتوسط بما انك عليه مشربالارالح
في طلب حل السلاح للجهاد ولا يخشى لان الفتى يتحرك لمن له تسلية واهل ما
لم يجاهد واتحرك الاختراعي الله سبحانه واعطاه عن تحويل كنه رضى الله
عنه كان مجبولا على محض بجسمه وعرضه بتعاطى الماء والتسليم لا في الكفاية
من اعرابه والمرضى بحكمه وعدم اعتبار اياته وعدم استغراق في افعاله واثار
صفاته سومنا حنيفة الايمان بقوله تعالى والله خلقكم وما تعملون ولو شاء
ربك ما فعلوه ومن كلامه في الغنى بالتي هو في التراب يحكى
وعن هم انما المعول في التي تحت التراب يعني بحر الموت لما في السعادة
فسلم من الحركات كانه يشير الى قول بعضهم انه شفى تحت التراب
بما من المتزلين وتبه الخير في نار حامية مثالي وعلى هذا المعنى يا في
الرياضي التي وجه الذكر وعلى ذلك الجهاد وقد لا يثبت فيه لما فهمنا
الجهاد خصوصا لما في النفس من سلب الكلام فيه وقلتموه وكون
الايمان بحمل الجهاد على النفس التي كنت عن نفى الهم
وهم فيه نبصطو كنت عنهم تقاتل بعد الكل الى غير المصمم
الحج وان التعلم ان من يسعى خالص على مصرف الجماعة فوق الزوجين
الى ذات ولتعلم النية ليعين نبأ تمزيق تحته اذا الفتى هو الم
الخاصة والسلم ومع هذا شكلت الناس والمترجم خالصة المتعلى
حتى يجي واعيهم الى الاسلام هذا من البعيد عن اهل العادة وافعال
العقلاء مصونة عن العبث والوسوسة الم نتم عليهما مقصودا
لتشيع والتحسين وانه عالى اوجب صلاح الدين والرشد في الثانى
هو في الدنيا من حل السلام بنية صالحة فقالم تبين كل قوات
فهو ضال الغفتم غيبا وانه كلامه الجهاد بان تنفى عنه كذلك في العامة

الغنيمة على مداومي الشريعة والسياسات الدينية بالتي هي على ما تعاني بقول
في عالم الشهادة الذي لا يتعدى ذمة احد اذ هو من دار التكاليف التي مر المحتوى فا
في معاني السعود ويتبرز الملح بالعرا اعني بها الماوى الاولياء والى ان قال
يحكم الوحي بلا دليل من النصوص او من التاويل فيقتضي بعينه على التعليم
هي سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن حاد عنها هلك وفر منهم ما اشتهى على
النسخة التي بهم نواب طي الدين لم للجهاد من الشرك في الاختلاف بينهم
اكثر منكم واعلم جسرا ذاك صاحب الاستقصا في كلام لم يتم اهل المغرب
اياما مولاي الحسن عن الجهاد ما نصه وانا قلت الراجح ان الجهاد زحف على
الشارع ووعد عليه بالثواب العظيم محض الفتنة وفر مرة الناس
اما المانع من الكلام وقلت اعلم يا اخي ما هو الجهاد الذي حث عليه الشارع ووعد
عليه بالثواب العظيم اعلم ان الجهاد المذكور هو قتال اهل الشرك
الطغيان على اعلاء كلمة الله ليس انما صوابها الى الدخول في دين الله وكل
الحاشية في القوى الكافية والفي بسبقتها وهمتها احتمل ركوبها
معاديا كان الى الفتنة او بنصرها الجهاد بل نقول ان الجهاد
احقا وكيف نطلبه اليوم فانت تسارع الى الحرب حين
منه بحقيقة الامر فاعلم انما تسارع الى ايقاد نار الفتنة وايجاد العدوان في الس
وامكانه من تحريضها وتسليطه على السبي لحريمها ومالها وما يكون
الاستحقاق في وجهه وفاتح سنة ثلاث وثلاثين ومائتين والف وهو الى هو
محرك كلام مانعه لا بالحق وجه الى الفقه من ذو بان لحماح الرجل بما ينبغي
لهان بعض الناس يغرض على ذي المسلمين وفرحين بهم ساء
وشهادة كاملة حتى يتسع الخرق فيضيع الشاعا الايرغب على اداء نعم فالله
في حجم التبصرة للشيخ زروق انعم التعرض للامور الجد مي

كالجهاد وحل الظلامات وتحسين المدن بكر من الهدم [illegible]

او ما يقوم مقامها من الخطط التي عينت في مفتاح لباب الجنة واهلاك [illegible]

[illegible] حتى بعثر كان في بلدنا رجل من الصالحين يقول حول ما ذكرنا [illegible]

[illegible] بعض جهات البر وانها خالية [illegible] على اخرها في شيء [illegible]

لجماعة تخرج عليهم النصارى [illegible] ويجيئون الينا ولا [illegible]

اليهم فيمضي منهم العدو حتى اتى على جماعة بالقتل وهم في [illegible]

ايضا طلب [illegible] قبل كلامنا [illegible] بينهم ما نصه في هذا [illegible] العربي

[illegible] على ما هي عليه من غاية الضعف [illegible]

[illegible] للاهل [illegible] مع الدور والكافر مع ما هو عليه من غاية

[illegible] والفرك وفرتهم في علم الحكمة [illegible] العساكر والمرابطة [illegible]

بين [illegible] والمنز [illegible] ولا [illegible] بين [illegible] وحالنا اليوم مع [illegible] وليس

[illegible] ولا من باب التقاتل [illegible] ومن باب [illegible] العرب

اليوم [illegible] للحروب [illegible] سراج [illegible] لهم [illegible]

[illegible] وحرفها كافية في الحرب [illegible] الرجال والمقاتلة [illegible]

والعرب [illegible] بل لابد [illegible] اجتماع الكلمة وكون [illegible]

على قلب [illegible] ولا بد [illegible] فانهم [illegible]

الجماعة كالبدن الواحد يقوم جميعا [illegible] على [illegible]

المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا [illegible]

[illegible] البعيد [illegible] فوق اليقين [illegible] المسلمين [illegible] على

[illegible] وجود [illegible] والتمس [illegible] واهل

اليوم [illegible] القليل منهم [illegible] الى اخر [illegible]

[illegible] في هذا المجال [illegible]

[illegible] على قول لا اله الا الله [illegible] ومن الغنا من [illegible] ذكاره [illegible]

[illegible] بمسارعة [illegible] اي لهم ولا ينظر في العواقب [illegible]

[illegible] التغيير لها والتي [illegible] ولكن قلما يصطلي نارها [illegible]

[illegible] واذا [illegible] بارض [illegible] الحرب وحركوا [illegible] عذاب [illegible]

[illegible] التجار [illegible] يتمثلون بمركز [illegible]

[illegible] حتى [illegible] الشعل [illegible]

[illegible] ذات طيل [illegible] لونها [illegible]

[illegible] الفسطاط [illegible] يتمثلون بمركز [illegible]

[illegible] من الجنة [illegible] يتذكرون [illegible]

[illegible] هذا [illegible]

[illegible] والنتيجة [illegible] علمت ان [illegible]

[illegible] السلاح [illegible] والجملة [illegible]

[illegible] اموالهم [illegible] بيوتهم [illegible] اصواتهم بالتهليل [illegible]

[illegible] ويقولون الشيخ [illegible] وابناؤه [illegible]

[illegible] وانكم [illegible] واموالكم خلال [illegible] اليتامى [illegible]

[illegible] الضعاف [illegible] فليتمنى [illegible]

[illegible] عنهم [illegible] على العدو [illegible]

[illegible] عليكم [illegible] كل واحد [illegible] اليكم [illegible]

[illegible] والمتفلسفة [illegible] العراق [illegible]

[illegible] ينسب الى العلم [illegible]

[illegible] السلم [illegible] الله [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible]

على الذي يحكم على أهل مكة على ما هم به من الجهل والعداوة للإسلام
من الحد . ثم قال تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم الى قوله تعالى لو تزيلوا لعذبنا
الذين كفروا [illegible] وأما هم غزلة [illegible] قول [illegible] أن الكفار [illegible]
يسلم [illegible] ولم يقصر [illegible] وانحصنا على انفسنا [illegible]
الجهاد الخوف على النفس [illegible] على أكثر المسلمين كما في عصرنا [illegible]
وهؤلاء الجاهلون سواء منهم الأعظم الفرق [illegible] فإنهم [illegible] وزوا [illegible]
ويزهم [illegible] على طوائف المسلمين الذين [illegible] كانهم [illegible] الجيوش [illegible]
[illegible] ويقولون نحن [illegible] امروا والتم النصارى فقال بعض
[illegible] أن [illegible] الاعلى عن الورى مناصا
والمدة [illegible] الكتاب تابت [illegible] وهؤلاء العلماء [illegible] من أدهم أن [illegible]
الزوايا [illegible] النصارى [illegible] [illegible] أهل [illegible]
الذين هم أولى بالخلاف من الكفار [illegible] هم أشد [illegible] [illegible]
عليه علماء المالكية [illegible] يقولون [illegible] هذه الفتوى [illegible]
لأهل [illegible] ما لهم [illegible] [illegible] أن [illegible]
[illegible] البلاد [illegible] بقوة النصارى [illegible]
[illegible] كتب [illegible] المشتملة على [illegible]
أفتى علماء الأندلس في القرن الخامس [illegible] النصارى في [illegible]
كنائس [illegible] المسلمين [illegible] [illegible]
في كتب المسلمين [illegible] الأحكام التي تبنى على [illegible]
تختلف باختلاف [illegible] لتنحي [illegible] على الجزيرة [illegible]
النصارى [illegible] لم يكون [illegible] القوة بل القوة والعز للمسلمين

[illegible] عمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه [illegible] كنيسة [illegible]
[illegible] لهم [illegible] ونص علماء الأندلس الجواز على أن [illegible] النصارى
[illegible] كنيسة أو [illegible]
[illegible] على [illegible] العلماء أباح [illegible] الأندلس
[illegible] الفتوى [illegible] ثم جواب في المعيار [illegible]
[illegible] التي [illegible] غلب النصارى على بلاد [illegible] ولم [illegible]
[illegible] المعيار [illegible] أهل الأندلس
ليس كحال هؤلاء [illegible] بل هم أضعف [illegible]
والنصارى اليوم أقوى [illegible] [illegible] إلى ذلك [illegible]
الأحاديث الواردة [illegible] قوله [illegible] الخشى [illegible] القرون
[illegible] وقوله [illegible] [illegible] لما
[illegible] هؤلاء [illegible] الجمود على نصوص
الفقهاء المبنية على [illegible] تغير [illegible] الإجماع [illegible]
[illegible] القرافي [illegible] الأحكام في السؤال التاسع والثلاثين
[illegible] السؤال [illegible] الجواب أن إجراء هذه الأحكام التي [illegible]
العوائد [illegible] تغير تلك العوائد خلاف الإجماع [illegible]
[illegible] يتبع [illegible] الحكم [illegible] العادة إلى ما تقتضيه
العادة المتجددة وليس [illegible] الاجتهاد [illegible] اختلف فيها
العلماء وأجمعوا عليها [illegible] [illegible] استئناف [illegible]
[illegible] كتب [illegible] [illegible] فقال [illegible]
[illegible] القرافي [illegible] [illegible]
[illegible] الصحابة [illegible] [illegible]

والمسلم ومالهم مباحا لهم الا انهم [illegible] الثقلة الحربي [illegible]
الحربي [illegible] الا [illegible] يد الله [illegible] [illegible]
[illegible] القادر [illegible] [illegible]
ان المنصارى [illegible] [illegible] اولى [illegible]
الاحوال والمقاتلة من اهل الاندلس [illegible] [illegible]
لان الله [illegible] فيهم [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
اسامة [illegible] ولما التقوا [illegible] عليهم
الفر [illegible] رجل من المشركين [illegible] ان تقتل [illegible] الا قتل [illegible]
اسامة [illegible] بالسيف فقال لا اله الا الله فقتله [illegible]
خالد [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له [illegible] قال يا رسول الله
اوجع في المسلمين وقتل فلانا وفلانا [illegible]
[illegible] فقال صلى الله عليه وسلم [illegible] استغفر لي يا رسول الله
قال [illegible] بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيامة قال [illegible]
[illegible] حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم [illegible]
[illegible] مع الكفار
[illegible] المسلمين [illegible] مع [illegible]
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] خالد [illegible] السيف [illegible]
[illegible]
[illegible] رضي الله عنه [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] لا اله الا الله [illegible]

بلا اله الا الله ان كان قاتلهم [illegible] وهؤلاء [illegible] اهل
لا [illegible] واموالهم [illegible] ولا قوة الا بالله [illegible]
[illegible] هؤلاء [illegible] النصارى [illegible]
[illegible] على الجهاد باموالهم وانفسهم بان ينتقلوا
[illegible]
[illegible] اموالهم [illegible] الجهاد [illegible]
[illegible] الجوارح التي قال
[illegible] علي رضي الله عنه [illegible] بالجواب [illegible]
[illegible] الجهاد وقال [illegible]
اليه [illegible] من سلاح [illegible] وهم النصارى [illegible]
سلاح [illegible] ولا [illegible] الا [illegible]
[illegible] العلماء [illegible]
[illegible] حتى [illegible]
الرجال [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] على [illegible] من الحروب [illegible]
[illegible] انهم [illegible]
النصارى [illegible] واموالهم واما [illegible] اموالهم [illegible]
[illegible] انما [illegible]
[illegible] من سلاح المسلمين [illegible] حتى [illegible]
[illegible] فيستعملوها في الجهاد [illegible] الا على وجه [illegible]
من الوجه [illegible]

يحلها بعد ما جرها عنهم [illegible] بيت المال وإن تكونها العدل والتعالي في
بين الغني وا[illegible] والضعيف [illegible] الغزو [illegible] وغيرها [illegible]
[illegible] ما لا يجب [illegible] من [illegible] مصالح الآخرة
[illegible] موعد [illegible] عنهم بما يترك للمتمولين فلا يجوز
[illegible] في مقابلته قال ابن العربي [illegible] على الولاة قوم
[illegible] الخلق [illegible] وإصلاح [illegible]
[illegible] الأموال التي [illegible] والخلعة [illegible] أمور [illegible]
[illegible] فإن لم تغني ذلك [illegible] والهم [illegible]
[illegible]
[illegible] قال [illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] العدل إلا بالاستيلاء [illegible] الجماعة [illegible]
[illegible] ومثله قول [illegible] وإن [illegible] الناس
[illegible] في بيت المال [illegible] عليهم
[illegible] وذلك [illegible]
[illegible]
[illegible] ولم [illegible]
[illegible] هؤلاء [illegible]
[illegible] النصارى [illegible] على [illegible]
[illegible] كل [illegible]
صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]

وهو في البخاري ونصه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أعرابيا
سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الهجرة فقال ويحك إن شأنها
شديد فهل لك من إبل تؤدي صدقتها قال نعم قال فاعمل من وراء
البحار فإن الله لن يترك من عملك شيئا [illegible] القسطلاني وكأنه قال له
كنت [illegible] الله عليه [illegible]
[illegible] ولو كنت في أبعد مكان ويقول القسطلاني في حديث [illegible]
[illegible] أما اليوم [illegible] الإسلام [illegible]
[illegible] الحكم [illegible]
دار [illegible] دار الإسلام [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible] السادس من القسطلاني
[illegible] المكتوب [illegible]
[illegible]
مثل هؤلاء المنتسبين للعلم من أهل [illegible]
الله عليه وسلم أصحابه بأقوام يأتون [illegible]
مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [illegible] على
[illegible] كل من يتكلم [illegible] هؤلاء من [illegible]
[illegible] العكس [illegible]
[illegible] وفيه [illegible]
وفكر في أمر هؤلاء النصارى ولا تظن [illegible] الدولة [illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible] على [illegible] والنفقات

والحق ... النبي ... الا للعقل ... واشتغلهم ... على ... قلوبهم
وقولهم في ... والدليل على ذلك ... عن ... الساحل
... السوق ... بالزوال القوية والسلطان ... الناس ...
والعلماء ... الذين يسمون ... مخموصين ... من ... لملكها
ملكها ... على الا ان ... الغاية ... مثل ... اشتغال
... الجاني ... وماله ... على ... وحضهم
... والناس ... على ... وقوتهم
ولا يخوفونه ... بكل ... على ... الحاجة ...
... بما ... يستدل ... [illegible]
... ولا ... [illegible]
وتلك ... عند الحصن ... الزوايا ... كل ... من
يرحلون عليه ... ويخوفونه ... من ... الا
... العاقل ... يتعرض ... الا ...
... العاقل من ... اهل ... الحق ...
العتق من اهل ... من ... وهو الفلاة ومن
اهل ... من ... او ... من الخيل ... وما ...
... الى العام ... وهذا ... الولاية
... الاولى ... فالمنفعة ... من ... كثير ... وما ... يكون
في نفسه ... بيوتات اهل ... ولا ... هذا من ... الا
... الى ... باشرافه ... ايها ... اعلم ... من
... الا ... منها ... يسعى الى ... حتى ... القوا
... الشرع لما ظهر ما ... السلاح ...

عليه من كونه ... لما ... الناس ... الارض ... ويقيم
المسلمين وعن ... الكافر ... عليها ان ... العالم
... الرباني ... من اخطاء ... الهوى ...
... ولا ... فلا ملاء انما ... من ... الحق
لم ... كلمة ... عن ... الحديث ...
للسلامة ... ما انت مستدل به ... واشتغل فيما ... كلها
... من العلم ... والتعلم ... من
... ما ... فانه ... من ... الرجوع ...
الحديث ... التي كلها في الجهاد الا ... في ... اعمال
... كلها ... في طلب العلم الا ... في ... والتقى
... من العلم الى ... او ... اشتغلت ... العلم الى
الحديث ... الى ما الا السبيل ... ولا ... من ... مقاصد
الحج ... ولا تلتفت ... الى ... يقول ... ذكر ... فيما
... فيه ... ولا ... لا ... مع النصارى ... والا ... عليكم
... بل ... الا ... حصلتم ... ولستم ... من ... بهم
... الجواب ان ... عن ... لا سبيل اليه ... صلى
الله عليه وسلم ... الى ... وقوله ... قال ... الا
حتى ... السبع ... الشارع ... الله ...
قال ... يا رسول الله قال ... اليوم من ... مما
الى ... من ... الى ... الذي ... وقال
الى غير ... من ... واما ... وقال ...
... من ... الا ... بالسلاح والقتال

ان كان من أهل العافية منهم كان الخير [illegible] على عادتهم التي جبلوا
عليها من ولاية النصارى [illegible] عاصم البلد ولو كان أعرى [illegible]
العز [illegible] على [illegible] مع الله وعلى [illegible] لا يختل [illegible]
فانونهم ابقا [illegible] لهم للذين [illegible] عن [illegible]
ولرتبطان امهم [illegible] انما يحتسون الله والبلاد [illegible] حسان [illegible]
[illegible] منهم لا سيما أهل الفضل منهم ويصفون حسان [illegible]
[illegible] لاعتقادهم ان الله [illegible] على [illegible] [illegible] على شيء [illegible]
[illegible] واباطهم الى سواء السبيل وكان [illegible] اهل [illegible]
[illegible] فاول [illegible] بالالا [illegible] ويقول [illegible] بلان لا [illegible]
على النصارى [illegible] على ما [illegible] خلقتهما لا [illegible] ويقول [illegible]
من اللص [illegible] المسلمين [illegible] لهم ودبه اعزاز [illegible]
ونصهم [illegible] وعليه [illegible] المثل [illegible] اسمع الكلام
[illegible] الاسمع الكلام [illegible] وام [illegible] اسوى بقوله
[illegible] ونبلهم لما اوذى لفرا [illegible] موسى [illegible] قصم
وفرقبيل [illegible] انفاخ اسارى النصارى من اهل [illegible]
[illegible] واحتسبنا حتى [illegible] المسلمين [illegible] حتى قال [illegible]
[illegible] . والحق ما الشيخ [illegible] البطال [illegible] احار [illegible]
[illegible] النصارى . الى [illegible] واحصار [illegible] وكيف لا [illegible]
[illegible] الشيخ [illegible] فكاري . وما [illegible] انهم [illegible]
[illegible] لهذا الامر [illegible] كما هو امر [illegible]
وفالعادم [illegible] المسلم من لا [illegible] عنه [illegible]
[illegible] وسحر السعود [illegible] دماء المسلمين النصارى

ولم يجلو [illegible] يوبر زعمهم [illegible] ولم يرخلوا حصن [illegible] استار [illegible]
[illegible] العلم لم [illegible] مر [illegible] بلقى [illegible] وان [illegible]
منهم [illegible] البيت [illegible] النكير [illegible] السحر
السعود على [illegible] الم [illegible] الذي [illegible] التمار [illegible] النصارى
[illegible] اخ العطا وان [illegible] بالجملة فاما [illegible] ماميني
لم [illegible] تبتلى [illegible] فليما من [illegible] وسود
[illegible] ونعم ولكن الله [illegible] متولينا [illegible] وهو
حسبنا ونعم الوكيل واعلم [illegible] اما [illegible] في كتاب [illegible] الى
فل [illegible] مضمونه ان [illegible] ابا محمد [illegible] قال
الشيخ [illegible] باطل [illegible] كلهم [illegible] للنصارى [illegible]
[illegible] في العلم والحمر [illegible] على كل [illegible] الا والناس
يقولون [illegible] الشيخ ما العينين [illegible] السلاح [illegible]
علمنا [illegible] وعمرت [illegible] من النفور [illegible] والتنبيه الى [illegible]
[illegible] الى هكذا العارية فقتلت [illegible] القتال . والبال [illegible] على
[illegible] كل [illegible] السلاح [illegible]
البال والمثل [illegible] النصارى [illegible] الى بلادهم [illegible]
هل رايت او سمعت [illegible] ما هي في [illegible] النبي
في [illegible] عشر [illegible] من [illegible] النصارى [illegible] وحاشا [illegible]
و [illegible] الفلاح ان [illegible] كنت [illegible]
استحقا [illegible] ولا [illegible] الله بل [illegible] لا
بعض [illegible] يقول [illegible] وبعضهم [illegible]
اليه [illegible] ما ينبغى به [illegible] كان [illegible] بكر وعمر رضى الله

عن مثل [illegible] النبي صلى الله عليه وسلم مع اعتقادهم عصمته [illegible]
[illegible] ابن [illegible] كفوا ليهم [illegible] عليه النهار وقول [illegible] تكلم [illegible] ولا نقل
ولا يعقلوا [illegible] لما اختلف ان لا يدخل على [illegible] بعد دخل
بعد نسخ وقته [illegible] لما خلف انه [illegible] اشهر احتى اعتزلهم [illegible]
الشهر فكيف يكون [illegible] الله تعالى وشاورهم في الامر وليس
هذا المكتوب الا من [illegible] الانبياء فنقتصر على [illegible] الفرد [illegible] كتابه
[illegible] فان [illegible] فالحمد لله و [illegible] هو اللائق بعقلهم [illegible]
[illegible] احسن النصيحة فيما بيننا من [illegible] ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على نبيه الكريم وآله
وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين [illegible]

رسالة من الشيخ ماء العينين الى بعض أتباعه من القبائل يخبرهم فيها بأن سلطان المغرب أرسل ابن عمه وخليفته نائبا عنه للإطلاع وإدارة الأمور وخاصة أمر النصارى في منطقة الساقية الحمراء والصحراء الغربية .

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

أحبتنا أولا الأمور وأصدقاؤنا الأقربون الآخرون [illegible]
[illegible] الاسلام جماعة [illegible] خصوصا و[illegible]
ونصوصا كل واحد منكم باسمه وبخالص [illegible] الاسماء [illegible]
والحاضر منكم [illegible] السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
ما دام الكون [illegible] أما بعد فليكن في علمكم ان السلطان
نصره الله وجه ابن عمه خليفته نائبا عنه [illegible]
الامور كلها [illegible] أمر النصارى [illegible] الله [illegible]
[illegible] على [illegible] حتى [illegible] الاسلام [illegible]
[illegible] لنفع [illegible] الخليفة
[illegible]
[illegible]
[illegible] الله [illegible]
[illegible]
والسلام [illegible] عشر [illegible] جمادى الاولى 1323

[illegible] ماء العينين [illegible] الشيخ [illegible]
[illegible]

من رسائل الشيخ ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل التى يدعو فيها إلى الجهاد في سبيل الله .

الحمد لله وحده وصلى الله [illegible]

[illegible]

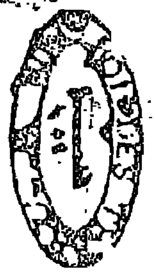
كتبه محمد مصطفى ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل

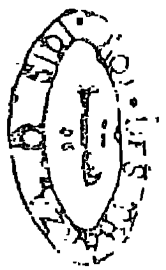
ابن مامين غفر الله [illegible]

نموذج من رسائل الأمراء إلى الولاة الفرنسيين

بسم الله الرحمن الرحيم (18)

اندر امير المومنين سيدي محمد لحبيب الى امير اندر لبحار اتم سلامي والخبر كلامي يجيكم يا فلان ان
محمد سالم الذي اخبرتم [illegible] على اول [illegible] على [illegible] ان له [illegible] متوجه البلاد [illegible]
[illegible] بيننا [illegible] المودة و يرجع [illegible] فانه [illegible] انه [illegible] السير ولا [illegible]
[illegible] على انا [illegible] انكم ان [illegible] احسن لكم ان تجعلوا [illegible]
[illegible] ذلك [illegible] وانا لم [illegible]
[illegible]
والسلام





LETTRE DE FELICITATIONS

DE MONSIEUR LE GOUVERNEUR DU SOUDAN FRANCAIS.

à CHEIKH TORAD OULD EL ABBAS.

TRADUCTION-

Louange à Dieu Maître des Mondes - Seule sa face est éternel

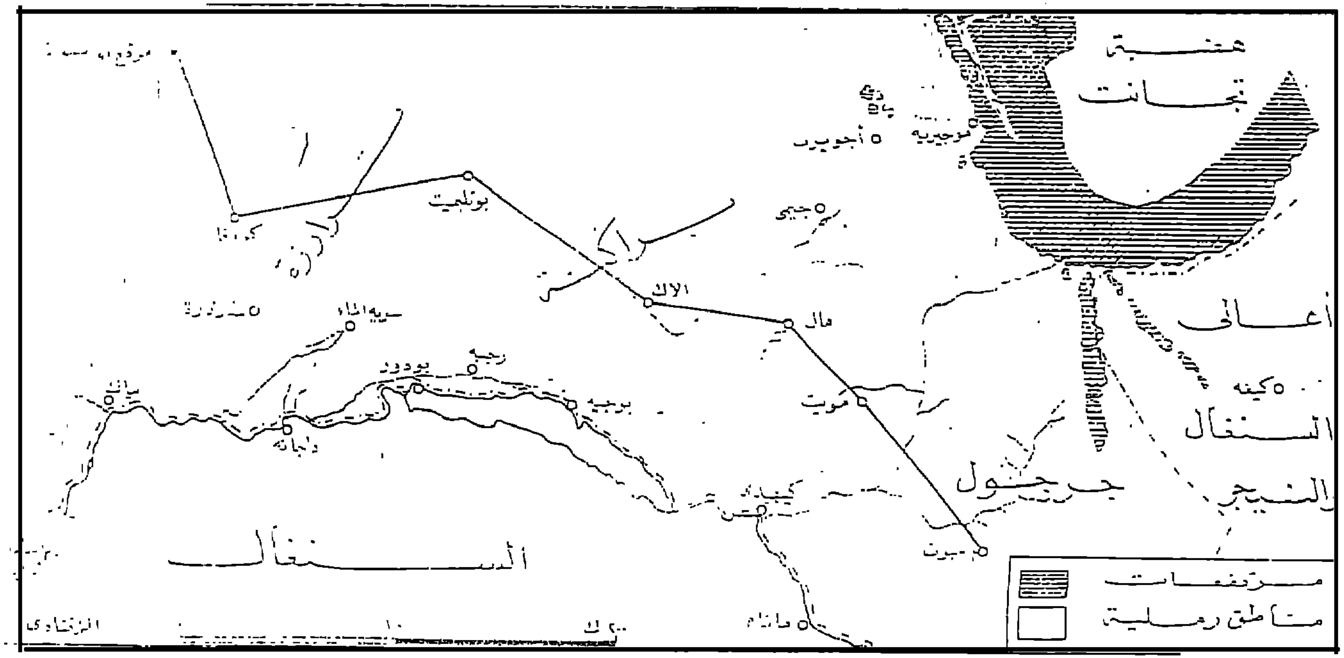
DE LA PART DE MONSIEUR CALVEL GOUVERNEUR DU SOUDAN FRANCAIS.

AU CHEIKH TORAD EL ABBAS.

Après vous avoir présenté les salutations d'usage je tiens à vous faire savoir que les sentiments qui vous animent l'égard de la France et de son gouvernement ne me sont pas in nus. J'ai à coeur de vous décerner les louanges que mérite vot comportement actuel envers l'Autorité et je vous félicite de mettre votre science et votre intelligence au service de la c se française dans ce pays. Continuez à inculquer à vos talibés l'amour profond de la France, parce qu'Elle est le seul pays p tecteur de l'Islam et qu'Elle saura au jour de la victoire in ser aux pays vaincus le respect de votre belle religion.

La bénédiction de Dieu s'étende sur vous et votre fan le; qu'il augmente votre bien et comble vos désirs./.-

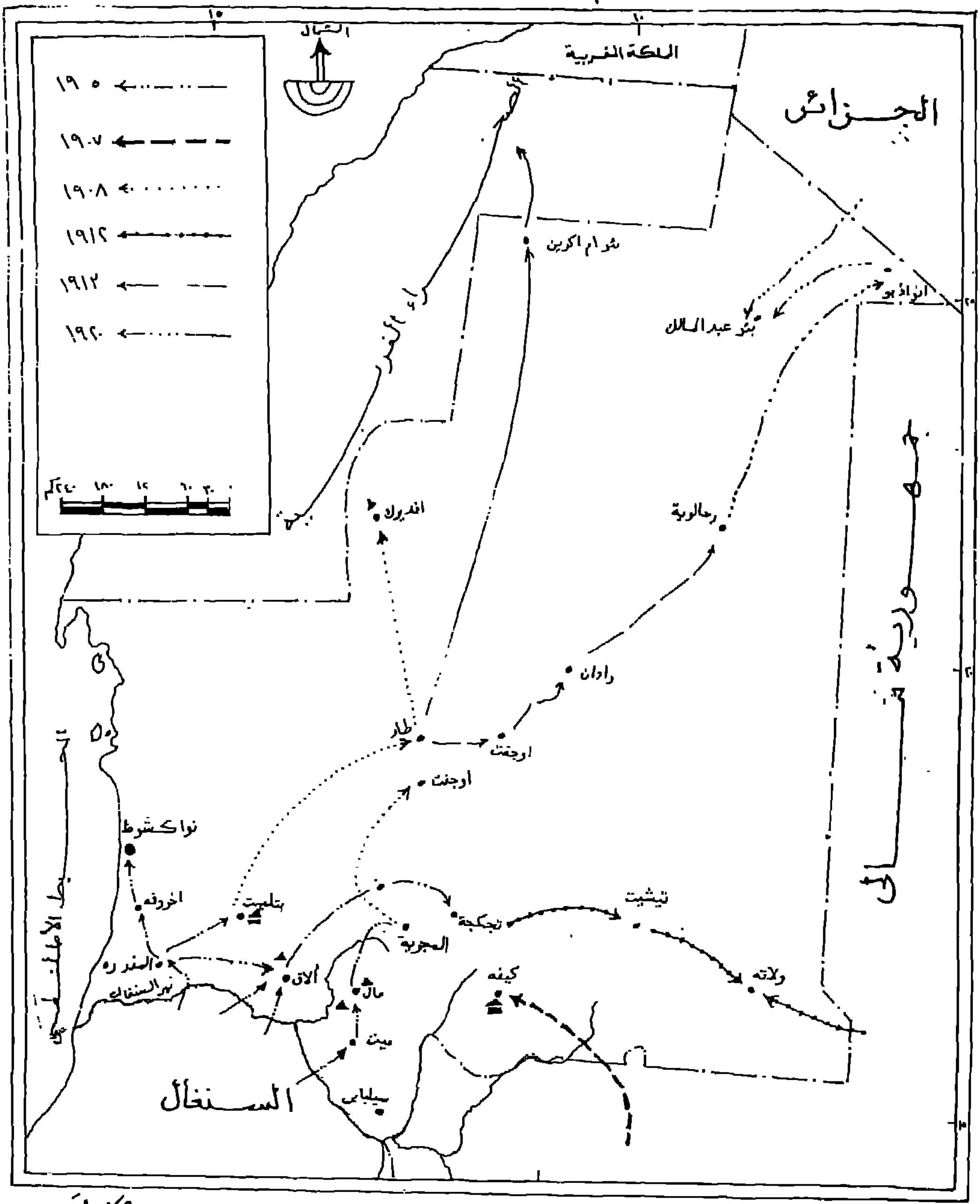
خريطة رقم (١)



كوبولاني والتوغل السلمي - خط المواقع الأمامية ١٩٠١ - ١٩٠٤

مصدر سبق - سعد خليل، تكوين موريتانيا الحديثة - القاهرة ١٩٧٧.

خريطة رقم (٢)

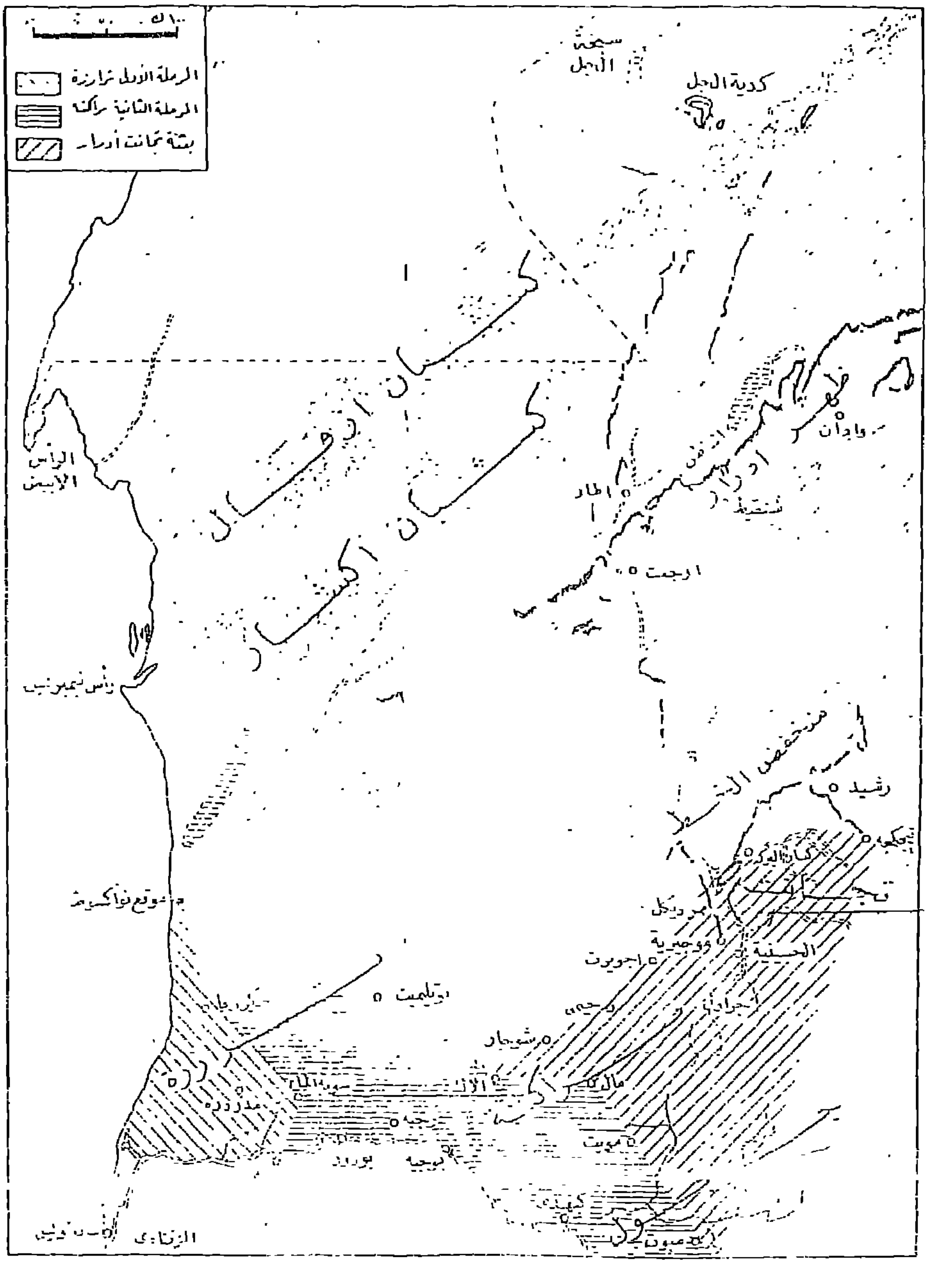


شكل رقم

المتوغل الفرنسي في موريتانيا

المصدر: أسلم بن محمد الهادي، موريتانيا عبر العصور، الجزء الأول

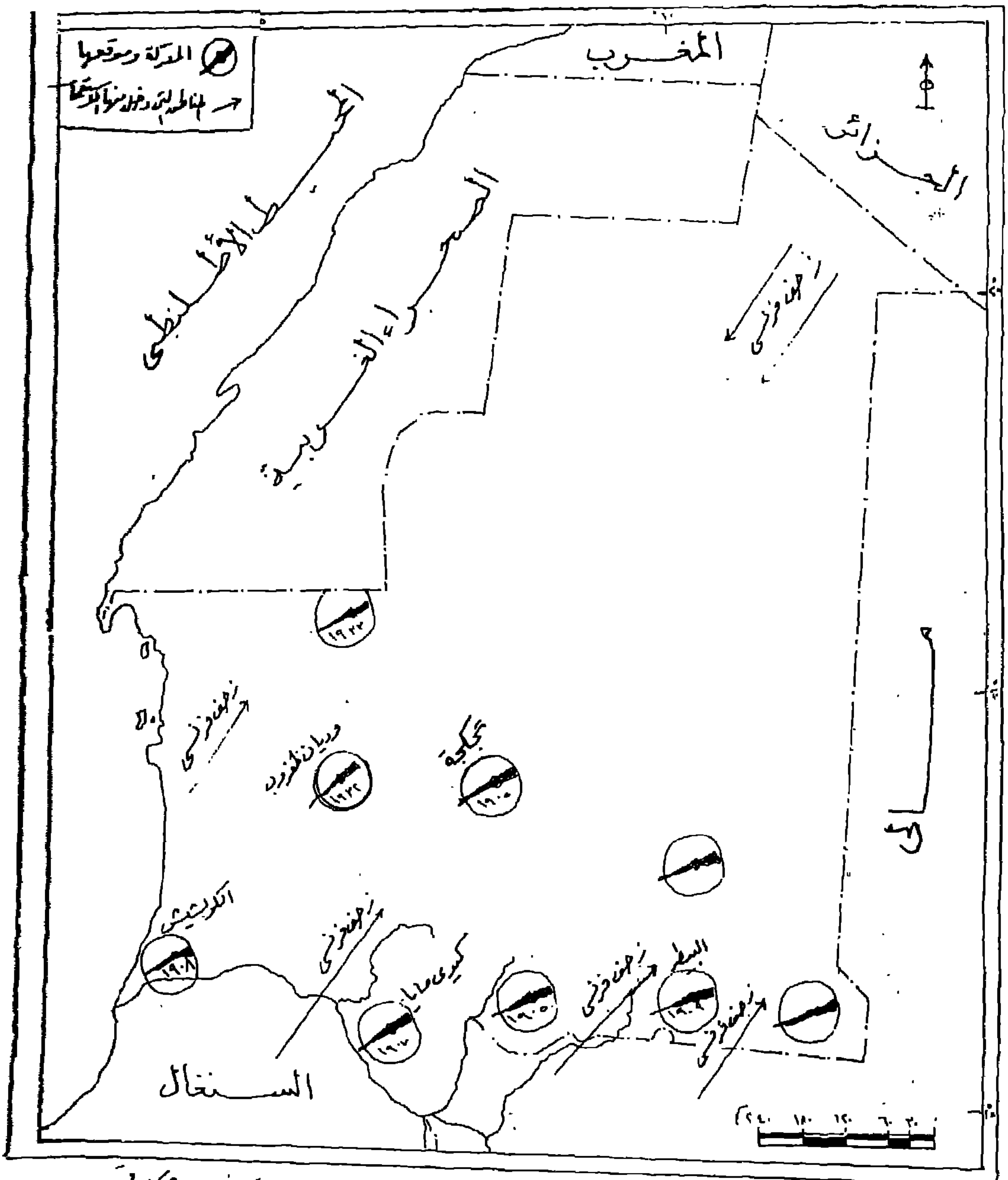
خريطة رقم (٢)



متصرف عن: أحمد سيدي محمد الطالب: موريتانيا عبر العصور، الجزء الأول

مصدرها: ... كودو ...
١٩٠٥

خريطة رقم (٤)

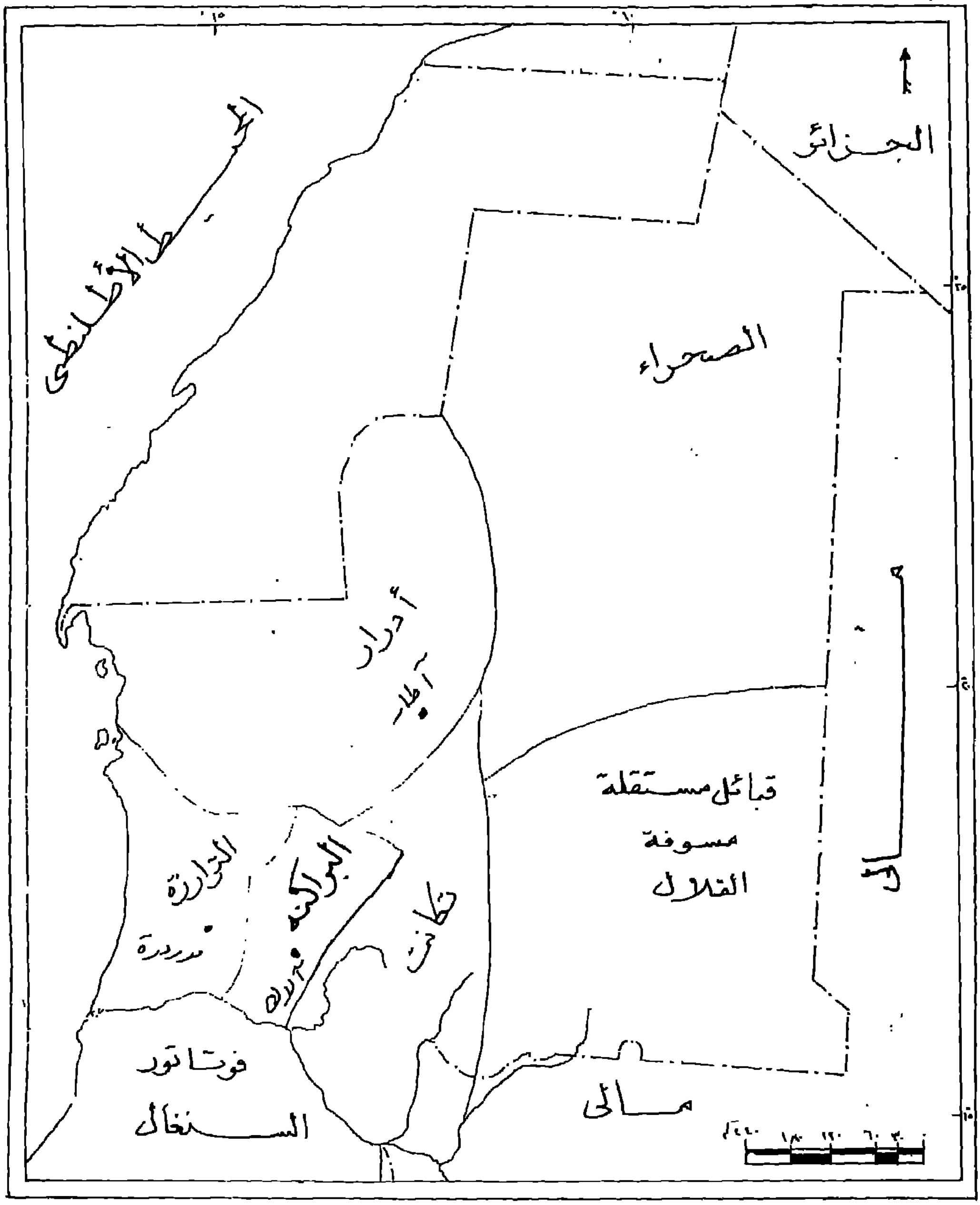


شكل رقم

المقاومة ضد الغزو الفرنسي والمعارك المشهورة

المصدر: المعهد التربوي، تاريخ موريتانيا وتاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٣٤

خريطة رقم (٥)

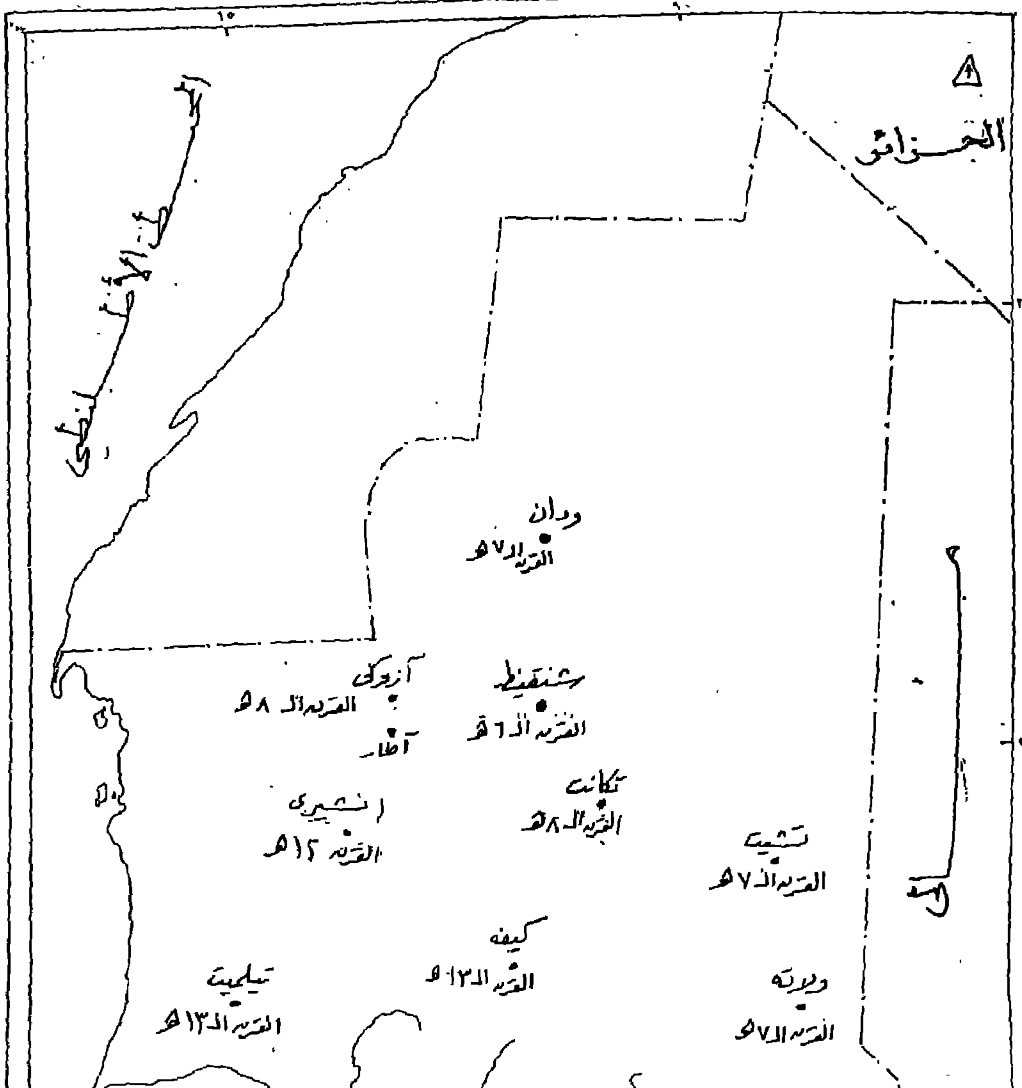


شكل رقم

الإمارات الموريتانية

المصدر: نصوص من المناظر وأثرها التربوية في المجتمع الموريتاني لمحمد الصوفي
سيد محمد الأصغر! رسالة ماجستير، جامعة الرياض كلية التربية ١٩٨٠،

خريطة رقم (٦)



شكل رقم

تطور المحاظر في موريتانيا

المصدر: المحاظر وأثرها التربوية في المجتمع الموريتاني لمحمد الصوفي بن محمد الأمين

* رسالة ماجستير، جامعة الرياض، كلية التربية